

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

قسم الدعوة

تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس

﴿من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري﴾

رسالة ماجستير

مقدمة من

الطالب/ صالح إدريس محمد

إشراف

الدكتور/ حسين بن مجسد خطاب

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة

١٤١٤هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمه

«إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١).

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلق من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(٣). «(٤).

أما بعد.

إن الله عز وجل أرسل نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(٥) واختار الله الدين الاسلامي أن يكون آخر الأديان السماوية، وجعله الدين الذي لا يقبل الله ديناً سواه فقال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً

(١) آل عمران الآية رقم ١٠٢.

(٢) النساء الآية رقم ١.

(٣) الأحزاب الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة. عن ابن عباس ج٦ ص ١٥٦ مع شرح النووي نشر: دار الفكر ببيروت. ط٣ عام ١٣٨٩هـ.

ورواه أبو داود في كتاب النكاح. باب: خطبة النكاح، عن ابن مسعود ج٢ ص ٥٩١ تحقيق: عزت الدعاس. نشر: دار الحديث بحمص عام ١٣٨٩هـ.

(٥) الصف الآية رقم ٩.

(٦) آل عمران جزء من الآية ١٩.

فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿١﴾ وأمر الله رسوله ﷺ أن يبلغ الناس كل ما أنزل إليه فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ﴿٢﴾ فعلم به من الجهالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، ففتح بهذا الدين أعيناً عمياً، وأذناً صماً، وقلوباً غلفاً، فلم يزل ﷺ قائماً بأمر الله لا يرده عنه راد، داعياً إلى الله لا يصد عنه صاد، إلى أن أشرقت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألقت على هذه الرسالة القلوب بعد شتاتها، وسارت دعوته سير الشمس في الأقطار. ولم يتوفاه الله إلا بعد أن قام به دولة الإسلام بدعوته، فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على عباده المؤمنين أختار له ما عنده ونقله إلى الرفيق الأعلى. فقام من بعده ﷺ أصحابه بمهمة الدعوة إلى الله عز وجل، حتى فتحوا البلاد وطهروا الأرض من الفساد، وأنقذوا الخلق من الهلاك في الدنيا والآخرة، فكم أحيوا بكتاب الله وسنة رسوله من الموتى، وكم هدوا من الضلال لهذا الدين، فأماتوا الكفر، وأقاموا الإسلام في كل مكان حتى أصبحت دولة الإسلام أكبر الدول وأعظمها مساحة وقدراً وشرقاً وسمواً.

ثم جاء التابعون لهم بإحسان الذين تلقوا العلم من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم، فورثوا منهم هذا الدين كاملاً وجاهدوا في سبيل نشره حق الجهاد، كما علمهم الصحابة، فامتدت دولة الإسلام شرقاً وغرباً على يد التابعين رحمهم الله، وقاموا بالدعوة إلى الله خير قيام، حتى كانوا أسوة الناس وقدوتهم في كل خير. ودخل الإسلام على أيديهم قارة أوروبا من الأندلس، وكانت الدعوة إلى الله عز وجل من أحب الأعمال إليهم، ففي سبيلها جاهدوا بالقول والفعل، لأنها من أحسن الأعمال كما قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ ﴿٣﴾ فأقام هؤلاء الدعاة دولة شامخة في كل جزء من أجزاء البلاد التي فتحوها بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله. وكانت دولة

(١) آل عمران الآية رقم ٨٥.

(٢) المائدة جزء من الآية رقم ٦٧.

(٣) فصلت الآية رقم ٣٣.

الاسلام في كل أرجاء المعمورة نوراً تهتدي به البشرية كلها، وتتمنى الملوك والرؤساء كلها أن تصل إلى ماوصلت إليه دولة الإسلام من الأمن والاستقرار، والرخاء والرفاهية. فسطر المسلمون أعظم تاريخ في كل مايتمناه البشر أن يصل إليه، فتاريخهم مشرق، وحضارتهم عظيمة، ودراسة هذا التاريخ الإسلامي تزيد قوة إيمان المسلم، وتجعله يحس بمسئوليته الإسلامية، وتجعله يقف على أمجاد سلفه الصالح، ليتخذ منهم منهجاً لحياته الإسلامية، ويستفيد من بطولاتهم الدعوية والجهادية التي حفظت في بطون الكتب، حتى يتحقق للأمة الاسلامية ماتحقق لأسلافها الأولين. ولهذا أخترت أن يكون موضوع دراستي في الماجستير جزءاً من هذا التاريخ الإسلامي، في إحدى البلاد التي أنتشر فيها الإسلام على أيدي المسلمين بقيادة التابعين رحمهم الله فأخترت أن يكون عنوان البحث «تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس» وذلك لأن الأندلس كانت إحدى معاير الحضارة الاسلامية إلى أوروبا كلها، ثم إن المسلمين الذين فتحوا تلك البلاد - كغيرهم من المسلمين - ينبغي للمسلم أن يقف على تاريخهم المشرق، فكم من موقف وقوفوه فرقوا به بين الحق والباطل، أو أزالوا به الباطل وأظهروا فيه الحق وبسبب دعوتهم - بعد الله - عم الإسلام غالبية قارة أوروبا الغربية.

وفي هذه المقدمة بيان لأهداف البحث ومنهجه، ومايتبع ذلك من عمل الباحث وتوضيح خطة البحث، ولكن قبل بيان كل ماذكر لابد من ذكر تعريف مفردات عنوان البحث.

* تعريف مفردات العنوان:

إن عنوان البحث هو «تاريخ الدعوة الإسلامية في الأندلس» فالتاريخ في اللغة هو: الإعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب وورخته، أي بينت وقت كتابته. قال الجوهري في الصحاح: «التاريخ تعريف الوقت، والتورخ

مثله، يقال: أرخت، وورخت»^(١) وعلى هذا - جُوِّزَ في لفظ التاريخ الهمز وعدمه، ولهذا قال الأصمعي^(٢): «بنو تميم يقولون: ورخت الكتاب تورخاً، وقيس تقول: أرخته تأريخاً»^(٣) وعلى هذا أصل الكلمة عربية خلافاً لمن يقول: أصل كلمة التاريخ ليست عربية^(٤).

والتاريخ في الاصطلاح هو: «التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال، من مولد ... ووفاة ... ويلتحق به من الحوادث والوقائع الجلية»^(٥) وعلى هذا يكون التاريخ هو (معرفة حدث ما ووقت حدوثه). هذا ما يتعلق بتعريف التاريخ.

ثانياً، أما الجزء الثاني من العنوان وهو الدعوة، فإن الدعوة لها عدة معاني في اللغة وكذلك لها معنيان في اصطلاح العلماء. فالدعوة لغة لها معاني، منها:

- ١ - النداء يقال: دعا فلان فلاناً، إذا ناداه، ودعوت الرجل إذا صحت به، واستدعيته.
- ٢ - الدعاء بمعنى الحث على قصد شيء ما.
- ٣ - والدعوة إلى شيء يراد إثباته أو نفيه.

-
- (١) الصحاح للجوهري ج١ ص ٤١٨ مادة: (أ ر خ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار الكتاب العربي بمصر.
 - (٢) الأصمعي هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي الأصمعي، ولد سنة ١٢٢هـ.
 - كان راوية العرب في اللغة والأدب وله مؤلفات في ذلك. توفي سنة ٢١٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ١٧٥ للإمام الذهبي ووفيات الأعيان ج٣ ص ١٧٠ لابن خلكان نشر دار الثقافة (بيروت).
 - (٣) الإعلان بالتوبيخ لمن نتم التاريخ ص ١٩ لشمس الدين السخاوي: تحقيق: محمد عثمان الخشن. نشر: مكتبة ابن سينا بالقاهرة (بدون تاريخ طبع).
 - (٤) قيل إن التاريخ لفظه مأخوذ من الفارسية، وقيل مأخوذ من العبرية. فعربه العرب. ينظر في ذلك/ التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٧ للدكتور السيد عبد العزيز سالم. نشر دار النهضة العربية، بيروت عام ١٩٨١م.
 - (٥) الإعلان والتوبيخ ص ٢٠.

- ٤ - ودعا الله: أبتهل إلى الله وطلب حاجته منه.
- ٥ - والداعية هو المنادي إلى خير أو شر، وداعية اللب: ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده.
- فالخلاصة إن الدعوة مصدر دعا وله معاني يقال: دعاه بمعنى: ناداه، وساقه، وسماه وطلبه، وسأله، واستغاثه، وندبه. وأسم الفاعل منه داع أو داعية والجمع دعاة، وهم قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة^(١).
- فالدعوة في مشتقاتها اللغوية لفظة عامة ولكن الاصطلاح والمقام هو الذي يحدد المعنى المراد منها.

الدعوة في الاصطلاح:

عرف العلماء الدعوة بعدة تعريفات تدور في مجملها على معنيين فمنهم من عرف الدعوة بمعنى الدين الإسلامي، ومنهم من عرفها بعملية نشر الإسلام.

فمن عرف الدعوة بمعنى الدين، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به»^(٢) وقال أيضاً: «الدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، وهذا هو الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر»^(٣) ومن ذهب إلى هذا من المعاصرين فضيلة الشيخ محمد الراوي حيث قال: «الدعوة الإسلامية هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً وتجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين. كاملاً وافياً شاملاً لصالح الدنيا والآخرة»^(٤).

ويرى بعض العلماء المعاصرين الدعوة هي عملية نشر الإسلام فمنهم

(١) لسان العرب مادة (دعا) ج١٤ ص ٢٥٨ نشر: دار الصادر.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٥ ص ١٥٧.

(٣) نفس المرجع ص ١٦١.

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٣٩ - د. محمد الراوي - ط٣ - نشر مكتبة الرشد بالرياض.

من عرفها بقوله: «حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»^(١) ومنهم من قال: «الدعوة هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»^(٢). وهذا التعريف الآخر يكون أدق وألصق بعملية نشر الإسلام فالدعوة تحتاج إلى عمل متقن ومدروس يشمل وسائل وأساليب محددة. وعلى هذا يكون هو التعريف المختار لدى الباحث.

ثالثاً: الإسلام:

الإسلام في اللغة هو الانقياد^(٣) وأما في الإصطلاح «هو إستسلام الإنسان لله عز وجل بقلبه وقصده وإخلاص الدين له، والعمل بما أمر به كالصلاة والزكاة وغيرها خالصاً لوجهه»^(٤) أو هو: «مجموع ما أنزل الله تعالى على رسوله محمداً ﷺ من أحكام العقيدة، والأخلاق والعبادات والمعاملات، والاختبارات في القرآن الكريم والسنة المطهرة»^(٥). فالتعريفان متقاربان في المعنى والمضمون والوضوح.

رابعاً: الأندلس:

إن كلمة الأندلس أطلقها المسلمون على شبه جزيرة أسبانيا والبرتغال اليوم، وقد فتحها المسلمون عام ٩٢هـ وحكمها المسلمون

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة ص ١٧ الشيخ علي محفوظ - طه - دار الكتب بالقاهرة ١٣٧٨هـ.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص ١٠ للدكتور أحمد غلوش - طبعة دار الكتاب المصري بالقاهرة.

(٣) لسان العرب - مادة (سلم) ج ١٢ ص ٢٩٣ دار الصادر.

(٤) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٧ ص ٤١٠.

(٥) أصول الدعوة ص ١٠ لعبد الكريم زيدان ط ٣ نشر دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

ثمانية قرون متوالية، ثم تغلب عليهم النصارى. ومما تقدم يتضح أن المراد من عنوان البحث، هو دراسة تاريخ عملية نشر الإسلام في الأندلس وقيام دولة المسلمين هناك، وبيان ماكان هناك من صراع بين الحق والباطل. وكيف أنتصر المسلمون؟ وماهو أسلوبهم ووسائلهم في نشر الإسلام؟ وماهي الأمور التي ساعدتهم على نشر الإسلام؟ وماهي الأمور التي وقفت أمامهم؟ وكيف تغلبوا عليها؟ وذلك من بداية الفتح الإسلامي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري.

□ أسباب اختيار الموضوع:

إن بلاد الأندلس كانت أحد الأجزاء الإسلامية المهمة في أواخر القرن الأول الهجري وحتى منتصف القرن الثاني، ثم أصبحت دولة مستقلة سياسياً، تنافس الشرق الإسلامي. كما كانت الأندلس ثغراً من ثغور الإسلام المهمة التي ظلت تدافع عن الإسلام مدة طويلة من التاريخ الإسلامي، تواجه أعداء الإسلام بالجهاد والدعوة المستمرة. كما أن الأندلس كانت إحدى المعابر للحضارة الإسلامية إلى أوروبا، وقامت في أرضها أعظم دولة للإسلام خاصة في القرن الرابع الهجري. ولهذا:

١ - أحب الباحث أن يطلع على سير الفاتحين لتلك البلاد، وأساليبهم ووسائلهم في نشر الإسلام هناك.

٢ - كما أحب أن يطلع على محاسن الإسلام والمسلمين. هذه المحاسن التي جعلت الإسلام مقبولاً لدى كل أصحاب الفطر السليمة في كل زمان ومكان.

٣ - كما أحب الباحث أن يكون تاريخ الإسلام في الأندلس حياً في قلوب أبناء المسلمين عبر كل الأجيال لعلهم يستردوا حقهم المسلوب في هذا الجزء من بلاد العالم الإسلامي.

٤ - يضاف إلى ماسبق: مكانة الأندلس في الإسلام حيث كانت تمثل حضارة الإسلام في الغرب، فالواجب على المسلم أن يتطلع على سير من نشروا فيها الإسلام، وأن يعرف أساليبهم ووسائلهم في ذلك.

٥ - وأخيراً إن الباحث لم يطلع على من تناول تاريخ الدعوة في الأندلس من الكتاب، فأحب أن يجمع في ذلك شيئاً من أمجاد السلف الصالح، كل هذا وغيره جعل الباحث يختار هذا الموضوع.

□ أهمية الموضوع:

إن بلاد الأندلس في واقعنا الاسلامي المعاصر أصبحت شبه منسية، وأصبح الإسلام فيها غريباً، وتحولت آثاره إلى متاحف يقصدها السياح كمناظر تاريخية. وأصبح المسلم في الأندلس اليوم لا يجهر بدينه^(١)،

(١) يقول الدكتور علي المنتصر الكتاني: (في عام ١٤٠٠هـ زرت قرطبة واجتمعت بعدد من مسلميها، منهم الأسبان، ومنهم المغاربة ... فطرح عليهم فكرة تأسيس (جمعية قرطبة الإسلامية) وذلك بعد إصدار الحكومة الأسبانية قانون حرية الأديان عام ١٩٨٠م - فتزعم العمل على إنشاء الجمعية «خايمي سيان» الموظف في بلدية قرطبة. وهو مسلم متجنس اسبانياً من مواليد تطوان عام ١٩٢٢م وكان اسمه عبد الحميد بن عبد السلام البلغيثي. وانتقل إلى قرطبة سنة ١٩٧٨م وتسمى بأسم (خايمي سيان). وهو يتقن اللغة الأسبانية .. ويحفظ القرآن الكريم، وله معرفة جيدة بالمبادئ الإسلامية.

والجدير بالذكر أن بأسبانيا الآلاف من الأسبان من أصول مغربية حديثة غيروا أسماءهم واعتنقوا المسيحية على الأقل ظاهراً - للحصول على حق البقاء في البلاد فأندمج أبناؤهم في المجتمع الأسباني، وأصبحوا أسباناً لغة، ونصارى ديانة .. وقد أسس جمعية قرطبة وسجلت رسمياً في الدولة في يوم ١٧/٥/١٩٨٠م برئاسة «خايمي سيان» ولكنها واجهت حرباً كبيرة من الكنيسة الكاثوليكية، والأحزاب الأسبانية الأخرى، حتى أن رئيس الجمعية، نشرت عنه الصحافة المحلية شهادة إعتناقه المسيحية بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٦ وإعادة زواجه في الكنيسة). وللأسف الشديد هو قال: إنني أجبرت على إعتناق الكاثوليكية ظاهراً لأنهم سحبوا من زوجتي جنسيتها الأسبانية التي كانت تتمتع بها منذ ٢٧ سنة عند زواجها بي، ورفضوا إعطاء الجوازات لأبنائي، ورفضوا تجديد الورقة الوطنية لواحد منهم، فأجبروني على عمل عملته، ولكنني مسلم الآن كما كنت مسلماً في الماضي وسأبقى مسلماً...».

ينظر: الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم ص ٩٥ وما بعدها.

فالمتمدر لهذه القصة، وغيرها يرى كيف يحارب المسلم اليوم في الأندلس.

وطمست كل معالم الاسلام هناك، وتحولت مساجده إلى كنائس، والعالم الاسلامي اليوم ساكت على ضيم ظلم الظالمين، فليس له محاولات لإسترداد حقوقه المسلوبة في الأندلس وغيرها، ولا هو يطالب - في مثل هذه البلاد - بحق الأقليات الإسلامية لتتمتع بحقوقها في ممارسات عباداتها بحرية.

يضاف إلى هذا إن بلاد الأندلس اليوم عرفت عالمياً لأنها بلاد نصرانية فحسب وليس للمسلمين فيها أي حق، فالواجب على الأمة الإسلامية أن تعرف ذلك، وتحاول رد حقوقها المسلوبة، ولا يتحقق ذلك إلا أن يعرف أبناءها تاريخ آبائهم وما قاموا به تجاه خدمة الإسلام، فمن لم يعرف ماضيه لا يستطيع أن يبني حاضره ومستقبله. فالواجب على المسلمين أن يربوا أولادهم على معرفة الاسلام ومعرفة ماضي أسلافهم الصالحين الذين رفعوا منار العلم الديني ونشروا لواء العدل والحرية، وقهروا الظلم والجور، وما قاموا به من الفتوحات في شرق العالم وغربه، كما قال الشاعر الاسلامي محمد أقبال رحمه الله:

كنا جبلاً كالجبال وربما سرنا على موج البحار بحاراً
بمعابد الأفرنج كان أذاننا قبل الكتائب فتح الأمصارا
لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو نصب المنايا حولنا أسواراً
ندعوا جهاراً لا إله سوى الذي خلق الوجود وقدر الأقدار^(١)
وبهذا تستطيع الأمة الاسلامة إعادة ماضيها وتتصدر العالم كما كانت سابقاً.

إن المسلمين الذين فتحوا بلاد الأندلس وبنوا فيها أعظم حضارة للإسلام، فشيّدوا شوامخ الآثار والحصون، وبنوا الجوامع والقصور، وأسسوا من كل علم، وفن، وأدب، حضارة راقية مازال تاريخها حافلاً بروائع الصور مليئاً بكل غالي من الدروس والعبر، وكان ولا زال من أعظم منابع العلم لأوروبا كلها، فإن هؤلاء الذين أسسوا تلك الحضارة يجب على المسلم أن يعرف تاريخهم وفضلهم على كل البشرية.

(١) الدعوة إلى الله: الرسالة والوسيلة والهدف من ٢٠٥ للدكتور توفيق الواعي.

وأخيراً إن من أهداف هذا البحث إبراز محاسن الإسلام والمسلمين في بلاد الأندلس خلال الفترة المحددة في العنوان.

□ الدراسات السابقة للموضوع:

لقد تناول عدد من الباحثين تاريخ الأندلس بالدراسة في جوانبه العديدة وهي تنقسم إلى قسمين هما: دراسات جامعية ودراسات غير جامعية.

أولاً: الدراسات غير الجامعية:

١ - منها ما كتبه الدكتور حسين مؤنس في كتابه (فجر الأندلس) دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية في الأندلس (٧١١-٧٥٦م).

وهذا الكتاب يتكون من اثني عشر فصلاً، تناول فيها الدكتور جميع أحوال الأندلس من قبيل الفتح الإسلامي، وحتى قيام الدولة الأموية. فنذكر في الفصل الأول من الكتاب أحوال أسبانيا قبيل الفتح الإسلامي، وركز في الحياة السياسية والدينية والثقافية لدولة القوط في الأندلس. وبين أصل القوط وكيف دخلوا الأندلس.

ثم ذكر في الفصل الثاني: فتح المسلمين في شمال أفريقية، وتركز المسلمين في الشمال الأفريقي، وكيف مهد ذلك لفتح الأندلس. ثم ذكر المؤلف في بقية الفصول فتح الأندلس، وعصر الولاة، والصراعات التي حدثت في هذا العصر، وأسبابها، وما نتج عنها من أضرار للمسلمين، وما أتاحتها من فرص، لتجمع النصارى من جديد وقيام دويلاتهم في الأندلس.

كما ذكر المؤلف جهاد أهل الأندلس وبطولاتهم في غالة (فرنسا الحالية) ثم ذكر المجتمع الأندلسي ومكوناته البشرية خلال عصر الولاة، والأمور الإدارية والاجتماعية التي كانت تمارس في عصر الولاة. وختم المؤلف كتابه بكيفية نهاية عصر الولاة وقيام الدولة الأموية بقيادة عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ.

والخلاصة إن كتاب فجر الأندلس مهم في بابهِ ومفيد للبحث خاصة في بيان عوائق الدعوة في عصر الولاة. ومع ذلك إن المادة التي تتعلق بكيفية نشر الدعوة قليلة في هذا الكتاب مع دقته وتعمقه في البحث في الأمور

الأخرى . كما أنه من حيث الزمن مقتصر على خمس وأربعين سنة فقط .
 ٢ - ومن الكتاب الذين تناولوا تاريخ الأندلس الدكتور / عبد الرحمن
 علي الحجي . في كتابه : (التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط
 غرناطة) ٩٢ - ٨٩٧هـ . يتكون الكتاب من مدخل وثمانية فصول .

تناول الدكتور في المدخل أحوال أوروبا قبل الفتح الإسلامي
 للأندلس وبعده . وحالة الأندلس قبل الفتح الإسلامي . وجغرافية الأندلس
 بوجه عام ، والعهود التي مرت بها الأندلس تحت الحكم الإسلامي .
 وذكر في الفصل الأول : فتح الأندلس ومراحله . وفي الفصل الثاني :
 عهد الولاة في الأندلس ، وما أمتاز به من نشر للإسلام ، وجهاد وتنظيم
 البلاد وأستقرار الناس فيها .

وفي الفصل الثالث : ذكر عهد الإمارة الأموية - ١٣٨ - ٣١٦هـ - وبين
 فيه أبرز الأحداث التي كانت في هذا العهد من جهاد للأعداء ، وتعرضت
 الأندلس للغزو الشديد من جهة البحر ، وكيف تصدى لها المسلمون ، وبين
 ماكان في هذا العهد من أمور سياسية داخلية وخارجية .

وذكر في الفصل الرابع : عهد الخلافة - ٣١٦ - ٤٠٠هـ - ذكر فيه
 الدكتور أبرز الأحداث التي كانت في هذا العهد ، والإنجازات التي حققها
 المسلمون في عهد الخلافة ، والأحوال السياسية التي كانت آنذاك .

ثم تناول الدكتور في الفصل الخامس عهد الطوائف - ٤٠٠ - ٤٨٤هـ .

وفي الفصل السادس : عهد المرابطين - ٤٨٤ - ٥٢٠هـ .

وفي الفصل السابع : عهد الموحيدين - ٥٤٠ - ٦٢٠هـ .

وفي الفصل الثامن : مملكة قرناطة - ٦٢٠ - ٨٩٧هـ .

والمهم في هذا الكتاب لهذا البحث هو الفصول الأربعة الأولى . وهو
 كتاب مفيد جداً للبحث خاصة فيما يتعلق بالجهاد . ويعتبر شاملاً لمدة البحث
 كلها . وفيه أمور دعوية مفيدة مثل تعرضه للتابعين في الأندلس ، وغير ذلك .
 إلا أن الكتاب يركز في الجانب السياسي والأحداث الكبيرة في كل
 عهد ، ولا يتعرض الكتاب للأمور الدعوية مثل الحسبة والتعليم .

٣ - ويضاف إلى ماسبق من كتب: موسوعة الأستاذ محمد عبد الله عنان، وهو كتاب (دولة الإسلام في الأندلس) وهو أهم موسوعة معاصرة كتبت في تاريخ الأندلس الإسلامي من الفتح وحتى فيما بعد سقوط الأندلس، فهو كتاب شامل ويتكون من ستة مجلدات وموسوعة محمد عبد الله عنان، تفيد لهذا البحث كثيراً.

ثانياً الدراسات الجامعية:

أما الرسائل الجامعية التي تناولت تاريخ الأندلس فهي إما متعلق بجزء معين من بلاد الأندلس مثل الثغر الأعلى الأندلسي^(١) ومثل الحياة العلمية في مدينة بلنسية^(٢) وإما محددة بزمن معين من فترات الحكم الإسلامي للأندلس، أو رسالة تتعلق بجانب معين، إما سياسي، وإما علمي، فمن هذه الرسائل التي لها علاقة مباشرة بالموضوع:

أولاً: رسالة الأستاذ محمد بن إبراهيم أبا الخيل، وهي بعنوان «الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ٢٧٥ - ٣٠٠هـ - دراسة في التاريخ السياسي».

تتكون الرسالة من ستة فصول تناول فيها الباحث أحوال الأندلس الداخلية والخارجية خلال الفترة المحددة في عنوان البحث. ومحتويات الرسالة بالاختصار هي:

الفصل الأول: أحوال الأندلس الداخلية في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

وذكر فيه الباحث عهد الأمير المنذر بن محمد، من حيث الجوانب السياسية وأهم التغيرات التي حدثت في الدولة خلال حكم هذا الأمير. ثم عهد الأمير عبد الله بن محمد، وما كان فيه من الفتن وأسباب

(١) الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية (٩٥ - ٣٦٦هـ) رسالة ماجستير من جامعة بغداد عام ١٩٧٤م إعداد: خليل إبراهيم السامرائي. طبعت هذه الرسالة في كتاب عام ١٩٧٦م بمطبعة أسعد ببغداد.

(٢) رسالة ماجستير من كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٧٥م إعداد: كريم عجيل حسين. وقد طبعت في كتاب عام ١٩٧٦م بمؤسسة الرسالة - بيروت.

أنبعائها. وتناول في الفصل الثاني: حركات المولدين وأسباب هذه الحركات، وأسهب الباحث في ذلك وذكر جميع الحركات التي قامت في ذلك الوقت وكان قوادها من المولدين من أهل البلاد.

والفصل الثالث خصه الباحث في حركات العرب ضد الدولة الأموية، وكيف قامت هذه الحركات، وكيف كان موقف الدولة الأموية منها.

وأما الفصل الرابع فتحدث فيه الباحث عن حركات البربر والموالي. وموقف الدولة منها، وموقف هذه الحركات من الدولة.

وفي الفصل الخامس ذكر الباحث: علاقات الأندلس السياسية تجاه القوى الخارجية. وتناول فيه علاقات الأندلس مع النصارى في كل من الشمال والشرق. وما كان في هذا العهد من نشر الإسلام في جزر البليار (ميورقة - مينورقة - ويايسة) وبعض الجهات الساحلية من جنوب فرنسا الحالية. هذا من جانب ومن جانب آخر، علاقة الأندلس بالعالم الإسلامي، وخاصة مع أهل أفريقية، من دولة الأغالبة، ودولة الأدارسة والدولة الرستمية. وكل هذه الدويلات كانت في شمال أفريقية.

ثم ختم الباحث بالفصل السادس وذكر فيه تقييم عام لأوضاع الأندلس في فترة البحث المحددة. من أحوال الإمارة الأموية، وآثار الفتن على الأندلس.

هذا ملخص الرسالة. وهي في جملتها تركز على الجانب السياسي فقط. وهي وإن كانت مفيدة للبحث من حيث الفتن وآثارها إلا أنها تقتصر في زمن ضيق، بالإضافة لعدم تعرضها للجوانب الدعوية إلا يسيراً. ثانياً: ومن الرسائل التي لها علاقة مباشرة بهذا البحث: رسالة الدكتور / محمد عبد الحميد عيسى (تاريخ التعليم في الأندلس) وتتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

فالباب الأول تحت عنوان: الدولة والتعليم. تحته فصول.

الفصل الأول: منذ الفتح إلى نهاية الدولة الأموية.

الفصل الثاني: منذ سقوط الدولة الأموية إلى سقوط غرناطة.

الفصل الثالث: بعض مظاهر تدخل الدولة في التعليم في الأندلس.

والباب الثاني: المراحل التعليمية في الأندلس، وفيه فصول:
 الفصل الأول: المرحلة التعليمية الأولى. وذكر فيه الباحث، المكاتب
 ومنهج التعليم، والمعلمين وأجورهم، وتعليم البنات.
 الفصل الثاني: المرحلة التعليمية الثانية، وذكر فيه أماكن التعليم،
 والمنهج الدراسي، والعلوم التي كانت تدرس، وطريقة التدريس،
 وأوقاتها.
 الفصل الثالث: المرحلة التعليمية الثالثة، ذكر فيها الباحث اختصاصات
 هذه المرحلة ومميزاتها.

الباب الثالث: التعليم الخاص. وفيه فصلان:
 الفصل الأول: مظاهر الاهتمام بتعليم الخاصة. ذكر فيه التعليم في
 القصور، والسجون وأهتمام العلماء بذلك.
 الفصل الثاني: أهتمام الخاصة بالتعليم. وذكر فيه إهتمام الأمراء
 بالتعليم وتحويل قصورهم إلى مكاتب العلم، وتخصيص معلمين لأولادهم،
 وقد تبعهم في ذلك الوزراء وكبار رجال الدولة وبعض الموسرين.
 والرسالة مهمة لهذا البحث ومفيدة جداً إلا أنها تختص بجانب
 التعليم فقط. ومع ذلك لا تذكر مدى تأثير التعليم على غير المسلمين في
 المجتمع الأندلسي وغيره.
 هذا ملخص للدراسات السابقة التي تتعلق بهذا الموضوع وهي في
 جملتها لا تتناول الجانب الدعوي إلا من زوايا ضيقة.
 أما مايتوقع في هذا البحث من جديد فهو في الجانب الدعوي من
 عملية نشر الإسلام بين غير المسلمين، والقيام بالحسبة في المجتمع
 الإسلامي، فهو يدرس الجانب الدعوي فقط، وهذا على حسب علم الباحث
 لم يتناوله أحد من الباحثين.

□ منهج البحث:

منهج الدراسة في البحث هو منهج أستردادي تاريخي وثائقي^(١) ويحاول فيه الباحث تتبع التاريخ الأندلسي للوصول إلى كشف أحوال الدعوة الإسلامية في فترة مدة البحث، ووسائل الدعوة وأساليبها، والعقبات التي واجهت الدعوة. وكيف تغلبوا عليها.

□ عمل الباحث:

أما عمل الباحث في هذا البحث فهو يتلخص فيما يلي :

- ١ - ذكر الأحداث التاريخية، وأستنباط المواقف الدعوية منها فإذا كان النصف منقولاً بلفظه، وضعه الباحث بين قوسين () . وأحال في الهامش إلى مرجعه مع ذكر الجزء والصفحة، وإذا كان الكلام منقولاً بمعناه دون لفظه أحال الباحث إلى المرجع الذي أخذ منه مستخدماً لفظة (ينظر) لتدل على أن الكلام منقول بمعناه. وقد يحيل الباحث إلى عدة مراجع في الموضوع الواحد، وذلك في الهوامش.
- ٢ - عزى الباحث الآيات القرآنية إلى سورها، مبيناً رقم الآية في الهامش، فإذا كانت الآية كاملة ذكر سورتها ورقمها، وإذا كانت غير كاملة أستخدم ذكر «جزء من الآية رقم كذا».
- ٣ - خرج الباحث الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإذا كان الحديث في أحد الصحيحين ذكره في الهامش مشيراً إلى الجزء والصفحة للكتاب.

(١) المنهج الاستردادي: (هو الذي يعتمد على عملية استرداد ما كان في الماضي ليتحقق من مجرى الأحداث، ويصل لتحليل القوى والمشكلات التي صاغت الحاضر. وطريقة التعامل مع المنهج التاريخي أو الوثائقي تكون بحصر الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها، وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة) ص ٢٢٢. (أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور أحمد بدر. نشر: وكالة المطبوعات بالكويت. طه (بدون تاريخ). والبحث العلمي وتقنياته، للدكتور/ محمد زيان عمر ص ٣٣ نشر مطابع الهيئة المصرية (بدون تاريخ طبع).

للكتاب. وإذا كان في غير الصحيحين ذكر الحكم على الحديث في الغالب من حيث الضعف والصحة. وفي الغالب يكتفي الباحث بحكم العلماء على الحديث كالشيخ ناصر الدين الألباني، وغيره.

٤ - أكمل الباحث الأحاديث التي أستشهد بجزء منها في الهامش لتمام الفائدة.

٥ - ترجم الباحث الأعلام غير المشهورة التي ذكرت أسماءهم في البحث، وذلك عند أول ذكر اسم العلم، إلا إذا كان العلم من الأعلام التي يترجم لها في صلب الموضوع كالقضاة والمحتسبين، والفقهاء المستشارين فإنه يؤخر إلى موضع الذي يذكر فيه مستخدماً في ذلك لفظ «ستأتي ترجمته» وقد يترجم الباحث للعلم المشهور ولكن الترجمة تكون مختصرة جداً.

٦ - بين الباحث في الهامش بعض معاني الكلمات التي تحتاج إلى توضيح.

٧ - وضع الباحث فهرس تسهل الرجوع إلى مسائل البحث وذلك في آخر البحث، وهي ست فهرس كما يرى القارئ.

أ) فهرس المصادر والمراجع.

ب) فهرس الآيات القرآنية.

ج) فهرس الأحاديث والآثار.

د) فهرس الأعلام المترجم لهم.

هـ) فهرس الأماكن والبلدان.

و) فهرس الموضوعات.

٨ - ذكر الباحث في آخر البحث ملاحق رأى أهميتها للبحث.

□ الصعوبات التي واجهت الباحث:

إن كل عمل لا يتحقق دون أن يبذل فيه جهد ومشقة، ولقد واجه الباحث في إعداد هذا البحث صعوبات في جملتها ترجع إلى الباحث نفسه. وهي:

أولاً : ظروف الباحث الأسرية، فإن للباحث أسرة تحتاج إلى ماتحتاج إليه كل أسرة من الرعاية والمعيشة، ولكن أهم الصعوبات التي واجهت

الباحث في الجانب الأسري، هي ظروف مرضية تعرضت لها أسرته مرتين، جعلت الباحث يسافر إلى السودان وإرتريا مدة ستة أشهر مرة، ومرة أخرى مدة أربعة أشهر. مما جعله يضيع سنة كاملة من مدة البحث، يضاف إلى ذلك أزمة الخليج التي هزت العالم كله. ثانياً: عدم معرفة الباحث أي لغة أخرى غير اللغة العربية، ولا شك أن ذلك يعتبر نقصاً، لأن الكتب التي كتبت عن التاريخ الأندلسي باللغات الأخرى كثيرة جداً، إلا أن الباحث لم يستفد منها لعدم معرفته بأي لغة من تلك اللغات.

ثالثاً: قلة المادة التي تتعلق بالدعوة، مع كثرة المؤلفات عن الأندلس مما جعل الباحث يضيع أوقاتاً كثيرة في القراءة مع قلة الخروج بمعلومات كثيرة تتعلق بالموضوع.

ومع هذه الصعوبات قد جمع الباحث ما أستطاع جمعه وبذل جهده، وإن كان هو جهد مقل، وعلى الله التكلان.

□ خطة البحث وتقسيمه:

قسم الباحث خطة البحث إلى مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، ذكر الباحث في المقدمة التعريف بمفردات البحث وأهمية الموضوع وسبب اختياره، وبين الدراسات السابقة للموضوع، ومنهج البحث، وعمل الباحث، ثم خطة البحث وتقسيمه.

وأما الأبواب فهي كالتالي:

الباب الأول: بلاد الأندلس وسير الدعوة فيها.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: بلاد الأندلس، وتحتة مبحثان:

المبحث الأول: بين فيه الباحث تسمية الأندلس وأشتقاقاتها، وموقع الأندلس وحدودها، وما تشمله اليوم من دول.

المبحث الثاني فبين فيه الباحث حالة الأندلس قبيل الفتح الإسلامي، دينياً وسياسياً، واقتصادياً، وإجتماعياً، وقد بين الباحث ذلك كله تحت عدة

الفصل الثاني: خط سير الدعوة في الأندلس، وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: في بيان بداية الفتح، وماسبق ذلك من محاولات لنشر
الدعوة واكتشاف البلاد.
المبحث الثاني: في بيان مراحل الفتح الإسلامي وخط سيره في أول
الفتح.
المبحث الثالث: في نجاح الدعوة وفيه بيان أهم الأسباب التي ساعدت
عملية نشر الاسلام ونجاح دعوته.

الباب الثاني: أهم مظاهر الدعوة الإسلامية في الأندلس.
وقد بين فيه الباحث أهم مظاهر الدعوة الإسلامية في أنظمتها
وخططها الإدارية التي تنبع من هذا الدين. وفيه ثلاثة فصول.
الفصل الأول: في القضاء وبيان جهود القضاة في نشر الدعوة. وفيه
ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: في القضاء في الأندلس وقد ذكر فيه الباحث تعريف
القضاء وأهميته، وبيان علاقته بالدعوة، وبيان نشأة القضاء في الأندلس
ومكانته لدى أهل الأندلس حكماً ومحكومين. وكل ذلك تحت مطالب متعددة.
المبحث الثاني، وذكر فيه الباحث تراجم لمجموعة من أشهر قضاة
الأندلس، مراعيًا في ذلك التقدم في التاريخ والمكانة العلمية.
المبحث الثالث في بيان جهود القضاة في الدعوة إلى الله عز وجل، وذكر
فيه الباحث، جهودهم في الجهاد، والحسبة على كافة أهل البلاد، ودورهم
في دعوة غير المسلمين إلى الاسلام.

الفصل الثاني: في الحسبة والمحتسبين، وفيه مباحث ثلاثة:
المبحث الأول: في بيان الحسبة في الأندلس، وقد ذكر فيه الباحث تعريف
الحسبة وحكمها ومنزلتها في الإسلام، وبيان قيام أهل الأندلس بها من
أول الفتح. ولقد بلغت في الأندلس مكانة عالية، وأنها تميزت بشمولها
لجميع أحوال الناس في الأندلس.
المبحث الثاني: في تراجم لبعض أشهر المحتسبين في الأندلس وقد

روعي فيه قدر الأماكن التقدم في التاريخ والشهرة في العلم والعمل الدعوي.

المبحث الثالث: في بيان جهود المحتسبين في الإصلاحات الإجتماعية وغيرها. وقد ذكر فيه الباحث: جهودهم في مراقبة الأسواق، والآداب العامة، والتعليم، والعبادات، ومراقبة أمن البلاد، فكان منهم من يدور في الليل والنهار لأجل ذلك، وكان لهم نظام معروف في الأسعار وغيرها يدرس كما تدرس أحكام الفقه.

الفصل الثالث: في الفقهاء المستشارين. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في بعض تراجم أشهر الفقهاء، وقد ترجم فيه الباحث خمسة فقيه من فقهاء الأندلس، كانت لهم بعض الموافق الهامة في توجيه وإصلاح المجتمع.

المبحث الثاني: في بيان جهود الفقهاء في الدعوة إلى الله عز وجل، وقد ذكر فيه الباحث أمثلة لبعض المواقف الدعوية الهامة التي وقفها الفقهاء في الأندلس.

الباب الثالث: عوائق الدعوة الإسلامية في الأندلس.

إن الدعوة الإسلامية واجهتها عوائق عديدة وكبيرة في الأندلس ولقد عانا المسلمون كثيراً من هذه العوائق سواء كانت من داخل الأمة الإسلامية أم من خارجها. ولقد بين الباحث في هذا الباب أهم العوائق التي واجهت المسلمين في فصلين:

الفصل الأول: العوائق الخارجية. وفيه مبحثان.

المبحث الأول: الأعداء المحاربون من النصارى، ويشمل نصارى الأندلس من القوط وغيرهم، ونصارى الأفرنجة الذين كانوا يحاربون الإسلام والمسلمين في الأندلس بكل الوسائل.

المبحث الثاني: الأعداء المحاربون من غير النصارى وهم المجوس الذين كانوا يهاجمون الأندلس من وقت لآخر عن طريق البحر، وكيف كانوا عوائق للدعوة في الأندلس، وكيف استطاع المسلمون أن يتغلبوا عليهم.

الفصل الثاني : العوائق الداخلية وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: في النزاعات السياسية بين المسلمين والتنافس على السلطة الحكومية، وقد بين فيه الباحث أسباب هذا التنافس وما أدى إليه من إضعاف المسلمين، وقوة أعدائهم.

المبحث الثاني: النزاعات العصبية، وما أدت إليه من إضعاف الإسلام وأهله.

المبحث الثالث: الفتن التي كان يسببها النصارى المستأمنون وبيان ما قاموا به من حرب المسلمين، سواء كانت حرب حسية أو معنوية.

المبحث الرابع: بيان ما أدت إليه كل هذه العوائق من إضعاف المسلمين، وبيان أثرها السيء على الدعوة الإسلامية في الأندلس.

الباب الرابع: وسائل الدعوة وأساليبها.

وفيه فصلان، بين فيهما الباحث أهم وسائل الدعوة وأساليبها في الأندلس.

الفصل الأول: أساليب الدعوة. وذكر فيه الباحث ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في الترغيب والترهيب، بين فيه الباحث تعريفهما، ومكانتهما، وأستخدامهما في الأندلس كأسلوب لنشر الدعوة.

المبحث الثاني: القدوة الحسنة وقد تحدث فيه الباحث عن معنى القدوة ومكانتها في الشريعة الإسلامية وبين فائدة القدوة في نشر الدعوة إلى الله، وكيف إن القدوة الحسنة آتت ثمارها في الأندلس.

المبحث الثالث: تحدث فيه الباحث، في المعاملة الحسنة التي كان يعامل بها المسلمون أهل الأندلس، وكيف أدت هذه المعاملة الحسنة إلى تحول غير المسلمين إلى الإسلام.

الفصل الثاني: وسائل الدعوة. وتحدث فيه الباحث عن أهم وسائل

الدعوة في الأندلس تحت ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: الجهاد، وتحدث فيه الباحث عن فضله وحكمه ومكانته في نشر الدعوة، والدفاع عن المسلمين، وماهي أهم مكاسب الدعوة من

الجهاد في الأندلس.

المبحث الثاني: المسجد ومكانته في الإسلام.

المبحث الثالث: التعليم في الأندلس وبيان أثره على المسلمين وغير المسلمين.

الباب الخامس: نتائج الدعوة وعوامل نجاحها . وفيه فصلان:

الفصل الأول: نتائج الدعوة في الأندلس.

وتحدث فيه الباحث عن أهم النتائج التي حققتها الدعوة الإسلامية في الأندلس، وهي قيام أعظم دولة للإسلام في الأندلس، وقيام أعظم حضارة عرفت البشرية في ذلك الوقت كان لها أعظم الأثر على البشرية كلها.

الفصل الثاني: عوامل نجاح الدعوة وفيه مبحثان:

وتحدث فيه الباحث عن أهم العوامل التي أدت إلى نجاح الدعوة

الإسلامية في الأندلس، وهي:

المبحث الأول: محاسن الإسلام وخصائصه التي أمتاز بها من بين الأديان السماوية، من السهولة والوضوح. وملائمته للفطر السليمة.

المبحث الثاني: أهم الخصائص التي أمتاز بها الدعاة الذين نشروا الإسلام في تلك البلاد سواء كانوا حكاماً أو محكومين.

الخاتمة

وتحدث فيها الباحث عن أهم النتائج التي توصل إليها من خلال هذا

البحث. ثم أعقبها بالتوصيات التي يراها مهمة للمسلمين.

ثم أتبع ذلك بفهارس تسهل على القارئ الرجوع إلى ما يريد من هذا

البحث.

شكر وعرفان

وفي الختام لا يسع الباحث إلا أن يشكر الله عز وجل الذي منّ عليه بأن وفقه لإتمام هذا البحث ثم يتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية متمثلة في كلية الدعوة والأعلام، قسم الدعوة والأحتساب على ماقدمته للباحث من فرصة متابعة التعليم العالي أسأل الله تعالى أن يوفق العاملين على هذا الصرح الشامخ لما يحبه ويرضاه، وأن يجزيهم كل خير .

كما يخص الباحث بالشكر فضيلة الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد عميد كلية الدعوة والأعلام على ماقدمه للباحث من رعاية وعون وحسن توجيه مما كان له الأثر الكبير على الباحث ونجاحه في عمله .

ولا يفوت الباحث أن يخص بالشكر فضيلة الدكتور حسين بن مجد خطاب الأستاذ المشارك في قسم الدعوة، والمشرف على هذا البحث . الذي قدم جهداً كبيراً في إرشادات الباحث وتحمل في سبيل ذلك كل المتاعب . وكان للباحث كالوالد الحنون حيث رعاه بتوجيهاته، وتحمل أخطائه بصدر رحب ولم يدخر أي وسع في توجيهه الباحث حتى خرج هذا البحث بصورته الحالية . فنسأل الله أن يجزيه كل خير على ما بذله .

كما يشكر الباحث كل من قدم له يد العون في سبيل إخراج هذا البحث جزيل الشكر .

كما يشكر الأستاذين الكريمين اللذين قبلا مناقشة هذا البحث وتحملا المتاعب في قراءة هذا البحث . ومناقشة الباحث وتقويمه .

وأسأل الله في الختام التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث .

الباب الأول

بلاد الأندلس وسير الدعوة فيها.

الفصل الأول: بلاد الأندلس. وفيه مبحثان

المبحث الأول: الموقع والحدود قديماً وحديثاً

المبحث الثاني: أحوال البلاد قبل الفتح الإسلامي

الفصل الأول

بلاد الأندلس

في هذا الفصل يكون الحديث عن بلاد الأندلس، ويتناول مبحثين:

المبحث الأول: الموقع والحدود قديماً وحديثاً، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التسمية واشتقاقها.

المطلب الثاني: الموقع والحدود.

المطلب الثالث: مظاهر الطبيعة في شبه جزيرة الأندلس وبيان مساحتها.

المطلب الرابع: ماتشملة الأندلس اليوم من الدول.

المبحث الثاني: حالة الأندلس قبل الفتح الإسلامي وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: السكان.

المطلب الثاني: حالة الأندلس السياسية.

المطلب الثالث: الحالة الدينية.

المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية.

المطلب الخامس: الحالة الاقتصادية.

المبحث الأول الموقع والحدود قديماً وحديثاً

المطلب الأول أصل التسمية

عرفت شبه الجزيرة (١) - التي أطلق عليها المسلمون اسم: (الاندلس) - بأسماء مختلفة عبر العصور، فأقدم اسم عرف لها هو: (أفيوسا) (٢) أي بلاد الحيات، بعد هذا كانت الأقوام التي تسكن جزءاً منها تطلق عليه اسماً، لا يلبث هذا الاسم أن يعمم فيصبح علماً لشبه الجزيرة كلها (٣)، وفي القرن الخامس قبل الميلاد أسس الأغرقيق بعض مراكز استعمارية في شبه الجزيرة، فأطلقوا على بعض سواحلها اسم: (إيبيريا) (٤) ثم مالبت هذا الاسم أن أطلق على شبه الجزيرة كلها (٥). ثم سميت بعد ذلك (باطقة) من وادي بيطي، وهو نهر قرطبة. ثم جاء الرومان، فسموها: هيسبانيا، ولعل أسم إسبانيا - الذي يطلق

(١) شبه الجزيرة كلمة عربية تطلق على المكان الذي يحيط به الماء من بعض جهاته كجزيرة العرب التي يحيط بها الماء ماعدا شمالها، والاندلس كذلك يحيط بها الماء ماعدا شرقها. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ج١ ص ٢٦٣، نشر دار الصادر.

(٢) أفيوسا Ofyosa .

(٣) كتاب: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح وحتى الخلافة ص ٥، تأليف الدكتور/ أحمد بدر، الطبعة الثانية بدمشق عام ١٩٦٩م.

(٤) إيبيريا Evaria هكذا جاءت في المرجع السابق.

(٥) وقيل هذا الاسم مأخوذ من نهر (إبرو) Ebro وهو النهر الذي ينبع من شمال شرق شبه الجزيرة ويصب على البحر الأبيض المتوسط عند مدينة طرطوشة Tartosa (جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٥٧ تأليف أبو عبيد البكري) تحقيق: الدكتور/ عبد الرحمن بن علي الحججي، نشر دار الإرشاد بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٦٨م.

على جزء كبير من بلاد الأندلس اليوم - مأخوذ من هذه التسمية (١).
ثم أطلق المسلمون على شبه الجزيرة (الأندلس) وهذا الاسم لا يزال علماً على المنطقة الجنوبية من أسبانيا الحالية، والتي تضم كلاً من قرطبة وغرناطة (٢). وجيان وإشبيلية.

ولعل العرب اشتقوا هذه التسمية من كلمة (واندلس) وهي اسم قبائل (الوندال) (٣) الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس الميلادي، واستقرت في السهل الجنوبي لشبه الجزيرة، وأعطته اسمها.
ثم جاء العرب المسلمون، وعربوا هذا الاسم إلى: الأندلس (٤) وأطلقوا هذا الاسم على كل المناطق التي شملها حكم المسلمين، حتى وراء جبال البرت (٥) وجنوب فرنسا الحالية، ثم أصبحت هذه التسمية

(١) ويقال: إن الرومان أخذوا هذه التسمية من الفينيقيين الذين عرفوا هذه الجزيرة وأقاموا مستعمرات على شواطئها الجنوبية، ثم سيطروا عليها أيام توسعهم وعرفت عندهم باسم (إيشيبانيم) Eysebanyم أي: ساحل الأرانب. ينظر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ٥ أحمد بدر.

وقيل سميت أشبانية، نسبة إلى ملك من الرومان اسمه: اشبان الذي غلب الأفارقة (الغوطاجنيين) على ملك الأندلس، وقيل: اسم الملك أصبهان، ثم حرف إلى اشبان وهو الذي بنى مدينة إشبيلية، فكان الاسم يطلق عليها، ثم غلب على كل الأندلس.
ينظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ج ١ ص ٦٩ تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني.

(٢) غرناطة: مدينة في الأندلس كانت آخر معاقل الحكم الإسلامي في الأندلس، انظر: معجم البلدان ج ٤ ص ١٩٥ / لياقوت الحموي، دار الصادر.

(٣) الوندال Wandals فسميت باسمهم (فاندالسيا Vandalusia أي بلاد الوندال ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٥٧ وما بعدها).

(٤) ينظر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ٥ أحمد بدر.

(٥) جبال البرت أو البرتات، وتسمى (البرنية) هي الجبال الفاصلة بين الأندلس وبلاد أوروبا الأخرى، والبرت تعني الأبواب، وسميت الجبال بهذا الاسم لأنها تحتوي على خمسة أبواب أو ممرات ضيقة وطويلة، كانت تستعمل للمعبور، والغزو. ينظر: نولة الاسلام في الأندلس ج ١ ص ٥٣ و ١٧٧ محمد عبد الله عنان، الطبعة الثالثة نشر مكتبة

تتقلص مع الحكم الإسلامي، وتراجع معه حتى حصرت على مملكة قرناطة التي كانت آخر معاقل المسلمين في جنوب شبه الجزيرة، ولا تزال التسمية للمنطقة حتى اليوم(١).

هذا ما يتعلق بتسمية الجزيرة واشتقاقاتها، ومما سبق يتضح أن تسمية الجزيرة ماكانت ثابتة الأصل بل كانت تكتسب من الشعوب التي كانت تسكن هذه الجزيرة، فأول اسم أطلق عليها هو [أوفوسا] ثم أصبحت تنتقل من اسم لآخر - حتى سمّاها المسلمون (الأندلس) وقد اختلف في أصل اشتقاق هذه التسمية عند المسلمين، فقيل: أصله مأخوذ من قبائل الوندال التي سكنت هذه الجزيرة، قبل القوط، الذين استولوا على شبه الجزيرة في أوائل القرن الخامس. ثم هاجرت هذه القبائل إلى أفريقية خوفاً من القوط الذين اجتاحتوا شبه الجزيرة، وقاموا بحروب شديدة مع هذه القبائل.

وقيل: كانت تسمية الأندلس تطلق على مدينة في جزيرة طريف، فأطلقها المسلمون على كل شبه الجزيرة، وذلك كعادة غيرهم في تعميم الجزئيات على كل شبه الجزيرة(٢).

ولقد لزم الألف واللام هذه التسمية عند المسلمين(٣) فلم ينقل عنهم اسم الأندلس مجردة من التعريف إلا في ضرورة الشعر ومن ذلك قيل قديماً:

الخانجي بالقاهرة عام ١٤٠٨.

(١) ينظر: الحل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية ج١ ص ٣٢ للأمير شقيب أرسلان. نشر دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) ينظر: دائرة المعارف الاسلامية ج٣ ص ٣٥-٣٦.

(٣) جاء في معجم البلدان قوله: يقال (الأندلس) بضم الدال وفتحها، وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفت في العرب في الإسلام ... وأندلس: بناء مستنكر - فتحت الدال أو ضمت، وإذا حملت على قياس التصريف وأجريت مجرى غيرها من العربي، فوزنها فَعَلَّل أو فَعَلَّلَ وهما بناءان مستنكران ليس في كلامهم مثل سَفَرَجَل ولا مثل سَفَرَجَل).

سألت القوم عن أنس فقالوا
 بأندلس، وأندلس بعيد (١)
 وقال الشاعر أحمد شوقي رحمه الله (٢):
 مَنْ لِنَضْوٍ يَتَنَزَّى الْمَأْ
 بَرَّحَ الشَّوْقُ بِهِ فِي الْغَلَسِ
 حن للبان وناجى العلما
 أين شرق البلاد من أندلس (٣). (٤).

المطلب الثاني الموقع والحدود

تقع شبه جزيرة الأندلس في الجنوب الغربي من القارة الأوربية، وهي كتلة ضخمة، تكاد تكون قارة مصغرة، تفصلها جبال البرت عن باقي أوروبا، ومضيق جبل طارق عن إفريقية (٥).

-
- (١) معجم البلدان ج١ ص ٢٦٢ للحموي ولم أجد قائل البيت.
 (٢) هو أمير الشعراء في عصره، الشاعر المشهور أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، ولد بالقاهرة عام ١٢٨٥هـ الموافق ١٨٦٨م نشأ تحت ظل البيت المالكة، ودرس في المدارس الحكومية بمصر، ثم أكمل تعليمه في فرنسا، ثم لما رجع من فرنسا، عين رئيساً لقسم الترجمة في الديوان الملكي. ومثل مصر في عدة مؤتمرات عالمية، وفي الأخير عين عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ، وله مؤلفات كثيرة في الشعر والقصة، توفي بالقاهرة عام ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م. رحمه الله.
 الأعلام للزركلي ج١ ص ١٣٣، الطبعة الثالثة.
 (٣) النضو: النحيف الدقيق، يتنزى: يتوثب. برّح: شق وجهه، لبان: أحبل السفينة والمعنى: من لهذا النحيف منتحل الجسم - يعني عبد الرحمن الداخل - الذي أتعبه الشوق بحيث فقد النوم وحن إلى أمجاد آبائه حتى كابد في أمواج البحار حتى وصل إلى الأندلس مع بعدها.
 (٤) الشوقيات لأحمد شوقي ج٢ ص ١٧١، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.
 (٥) الأندلس ص ٦٢ تأليف: ج س كولان. الطبعة الأولى عام ١٩٨٠م، نشر دار الكتاب المصري، بالقاهرة.

أما حدود الأندلس من الغرب والجنوب الغربي فيحدها المحيط الأطلسي، ومن الشرق والجنوب الشرقي: جبال البرت والبحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال خليج بسكاي. ومن الجنوب: مضيق جبل طارق(١).

المطلب الثالث المساحة والمظاهر الطبيعية

أولاً: التضاريس(٢):

الجزء الكبير من الأندلس عبارة عن هضبة مرتفعة يبلغ متوسط ارتفاعها ما بين ألف وستمئة إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم. وتحف بها جبال عدة ففي الشمال الشرقي جبال البرتات أو الأبواب. وفي الغرب من هذه الجبال، جبال كنتبريات التي تنتهي في مرتفعات غاليسيا. وتوجد جبال مورينا - المعروفة عند العرب بجبال قرطبة - في جنوب الهضبة. وأعلى سلاسل الجبال في الجنوب هي جبال شلير، المعروفه عند المسلمين بجبل الثلج(٣).

وهذه الهضبة العظيمة تشكل معظم مساحة شبه الجزيرة وهي تقع في الوسط، وتتبع منها عدة أنهار، معظمها يتجه إلى الغرب ليصب في المحيط

(١) ينظر: صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل ص ١٠٥، نشر مكتبة الحياة بيروت (بدون تاريخ).

والعرب والاسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ص ٤٣ ومابعدها لعمر فروخ. الطبعة الأولى عام ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م نشر المكتب التجاري - بيروت.

(٢) التضاريس: هو كل ماكان على وجه الأرض من مرتفعات الجبال والهضاب ومنخفضات السهول والأودية.

ينظر: وجه الأرض للدكتور محمد متولي ص ٣١٩، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، والمعجم الوسيط ١ ص ٥٣٨ نشر: دار الفكر (بدون تاريخ طبع).

(٣) ينظر: جغرافية العالم، دراسة إقليمية ص ٣٤٦، تأليف الدكتور نولت أحمد صائق. مطبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (بدون تاريخ طبع).

الأطلسي، مثل نهر دورو، وتاجه، واليانع، ونهر الوادي الكبير. ويتجه نهر (إبرو) إلى الشرق ليصب في البحر الأبيض المتوسط. وهو النهر الوحيد الذي يتجه إلى الشرق من الأنهار الكبرى، وهناك أودية أخرى تتجه إلى الشرق مثل النهر الأبيض (١) ووادي شقر (٢). وغيرها.

ثانياً: المناخ (٣):

تنقسم شبه الجزيرة من حيث المناخ إلى ثلاثة أقاليم رئيسية مختلفة وهي:

- ١ - سواحل البحر الأبيض المتوسط.
 - ٢ - الهضبة الداخلية.
 - ٣ - سواحل المحيط الأطلسي الشمالية والغربية.
- ويمتاز كل إقليم بمظهره التضاريسي ومناخه الخاص، وقد ساعد على هذا التقسيم بنية الجزيرة الجيولوجية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، موقعها بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط (٤).

□ وبناء على هذا فإن الأندلس لها ثلاثة مناخات مختلفة، وهي:

مناخ متطرف جاف في الداخل من الهضبة، ويرجع ذلك لكل من

-
- (١) هكذا تسميته بنهر ولكنه ليس بنهر بل هو واد فقط.
 - (٢) ينظر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ٦. أحمد بدر.
 - (٣) المناخ هو عبارة عن حالة إقليم ما من حيث الحرارة والضغط والرياح والأمطار. وهو مختلف عن الطقس لأن المناخ عبارة عن حالة الإقليم على المدى البعيد، أما الطقس فهو عبارة عن معرفة الأحوال الجوية وتقلباتها في المدى القصير.
 - ينظر: الجغرافية الطبيعية ج٢ ص ٥ تأليف يوسف الأنصاري، الطبعة الأولى عام ١٩٥٩م.
 - وأسس الجغرافية العامة ص ٢٤١ تأليف الدكتور يسري عبد الرزاق الجوهري. نشر مكتبة المعارف بالإسكندرية
 - (٤) جغرافية العالم ص ٣٩٥ وما بعدها.

ارتفاعها، واحاطتها بالسلاسل الجبلية التي تعزلها عن المؤثرات البحرية. ولهذا فالصيف حار متوهج، والشتاء بارد شديد البرودة. وعلى النقيض من ذلك مناخ الساحل الغربي، والشمالى الغربي، بسبب موقعه البحري، فأمطاره غزيرة، وصيفه معتدل، وكذلك الشتاء، ويسود مناخ البحر الأبيض المتوسط في الجنوب والشرق(١).

وفي اختلاف المؤثرات البحرية على شبه الجزيرة والرياح التي تهب عليها، قال المقرئ: قال المؤرخون والجغرافيون القدماء: الأندلس، أندلسان في اختلاف هبوب رياحها، ومواقع أمطارها، وجريان أنهارها، أندلس غربي، وأندلس شرقي، فالغربي منها ماجرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي، ويمطر بالرياح الغربية.

والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى، وتنحدر أوديته إلى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية.

وإنما قسمه الأوائل جزأين لاختلافهما، في حالة أمطارها، وذلك مهما استحكمت الرياح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي، وقحط الشرقي. ومتى استحكمت الرياح الشرقية مطر الأندلس الشرقي وقحط الغربي(٢) هذا من حيث التضاريس والمناخ .

ثالثاً: المساحة:

مساحة الأندلس العامه على وجه التقريب تبلغ خمسمائة وستة وتسعين ألفاً وثمانمائة واثنين وثلاثين كيلو متر مربع تقريباً(٣). تزيد أو تنقص قليلاً في بعض كتب الجغرافيين والمؤرخين(٤).

(١) أوروبا في مجرى التاريخ ص ٤٨٣ وما بعدها بتصرف.

(٢) ينظر: نفح الطيب ج١ ص ١٣٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: الجغرافية الإقليمية، دراسة المناطق الكبرى ص ٥٩ محمد محمد سطحية، نشر: دار النهضة العربية، بيروت عام ١٩٧٤م.

(٤) كما في مختصر جغرافية العالم لهزاع الشمري ص ١٩٥. والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض ص ٤٣ عمر فروخ.

المطلب الرابع ما تشمله شبه جزيرة الأندلس اليوم.

تشمل شبه جزيرة الأندلس اليوم كل من أسبانيا والبرتغال: فأسبانيا تحتل معظم الجزيرة حيث تبلغ مساحتها مائة وخمسة وتسعين ألف ميل مربع، من أصل مائتين وثلاثين ألف ميل مربع (١)، وتتبعها عدة جزر في البحر الأبيض المتوسط، وخليج بسكاي على المحيط الأطلسي (٢) . ويحدها من الغرب البرتغال والمحيط الأطلسي، ومن الشرق فرنسا، ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسط، ومضيق جبل طارق، ومن الشمال خليج بسكاي (٣).

أما البرتغال فتحصر بين أسبانيا والمحيط الأطلسي، حيث تحدها أسبانيا من الشرق والشمال، والمحيط الأطلسي من الجنوب والغرب، فهي تقع في غرب شبه الجزيرة (٤).

والجزيرة لها اتصال بالعالم، فإن موقعها المتميز أكسبها صلاة قوية بقارتي أوروبا وأفريقية، مما جعلها تكتسب عدة حضارات، ومزيج من البشر فكان لها صلاة واضحة قوية بالعالم القديم. كما أن موقعها المتصل بالمحيط الأطلسي أكسبها شهرة واضحة في العالم الجديد، خصوصاً وأن مكتشف أمريكا كان من هذه المنطقة (٥). ولقد أصبحت بعد هذا الاكتشاف منطلق الهجرات إلى أمريكا، وأيضاً مأوى لغالب الرحالة العالميين مما اكتسبها شهرة واسعة في العالم.

(١) ينظر: مختصر جغرافية العالم ص ١٩٥ وكتاب جغرافية العالم ص ٤٠٨ دولة أحمد صائق.

(٢) ينظر: المعجم الجغرافي لدول العالم ص ٣٦ دولة أحمد صائق.

(٣) مختصر جغرافية العالم ص ١٩٥ لهزاع الشمري.

(٤) ينظر: المعجم الجغرافي لدول العالم ص ١٣٣.

(٥) ينظر: أوروبا في مجرى التاريخ ص ٤٨٥، وتاريخ الألب العربي ص ١٤ من عصر الدول والإمارات، تأليف الدكتور/ شوقي ضيف، نشر دار المعارف بالقاهرة.

المبحث الثاني حالة الأندلس قبل الفتح الإسلامي

المطلب الأول السكان

لابد من الإشارة - قبل الحديث عن حالة الأندلس قبل الفتح الإسلامي - إلى السكان ومكوناتهم.

خضعت شبه الجزيرة الأندلسية لعناصر بشرية مختلفة، وحضارات عديدة، فتكوّن سكانها من خليط بشري مختلف الأجناس والثقافات من قديم العصور، فأول من سكنها الأيبيريون (١) ثم تعرضت لتأثيرات آسيوية وأوروبية، من أمم كانت تغد إليها.

فأول الوافدين هم الفينيقيون (٢) وفدوا إليها في القرن العاشر قبل الميلاد وأقاموا بشواطئها الجنوبية. ثم جاء من بعدهم الأغريق في القرن الخامس قبل الميلاد وأقاموا بالشواطئ الشرقية للجزيرة. ثم جاء من بعدهم القرطاجنيون، وأسسوا في شرق الجزيرة مدينة قرطاجنة. ثم جاء الرومان واستولوا على شبه الجزيرة بعد صراع طويل مع القرطاجنيين، انتهى بانتصار الرومان على القرطاجنيين، وطردهم من شبه الجزيرة عام ٢٠٥ قبل الميلاد. وطال أمد سيطرة الرومان على شبه

(١) الأيبيريون: هم قبائل من غالة والبسك، أي من فرنسا الحالية.

(٢) الفينيقيون هم: من أصل كنعاني سامي، وأصلهم من منطقة بابل، ثم أستوطنوا مناطق الشام الساحلية، وكانوا بحارة مهرة في ركوب البحر، وبهذا استولوا على تجارة البحار، وأقاموا مستعمرات على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وفي الجزر الواقعة فيه، وجنوب غرب إسبانيا، وأطلق عليهم اليونان اسم Phoinikes أي الشعب الأحمر المشابه لون الدم.

وكانت للفينيقيين حضارة مشهورة/ ينظر: كتاب موجز الحضارة ص ٢٣٦ وما بعدها د. نور الدين حاطوم.

الجزيرة إلى مايقرب من سبعة قرون، وكانت هذه المدة كافية لصبغ الجزيرة بالصبغة الرومانية، اجتماعياً ولغوياً، وقد ساهم اعتناق - كل من سكان البلاد والرومان - للديانة النصرانية مساهمة كبيرة في إتمام عملية الانصهار. ومع ذلك كله فإن الحضارة الرومانية لم يتأثر بها كل سكان شبه الجزيرة، بل كان تأثيرها قاصراً على الشواطئ الساحلية فقط، باستثناء الساحل الشمالي، فإنه لم يتأثر أيضاً(١).

وعندما ضعف سلطان الرومان، اجتاحت أراضيها موجات من البرابرة الجرمن، ودخلت منهم أسبانيا، (الالان والسويفي والوندال)(٢) واقتسمت أراضيها.

وبعد ذلك ظهرت قوة جرمانية أخرى هي قوة القوط الغربيين(٣).

(١) ينظر: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ص ٦٩ عبد الواحد ننون.

(٢) هي أسماء قبائل جرمانية اجتاحت أوروبا في القرن الثالث الميلادي. ينظر: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ٥٢ وما بعدها. الدكتور السيد عبد العزيز سالم.

(٣) القوط هم إحدى القبائل أو الشعوب البربرية التي هبت من شمال أوروبا قبل الميلاد بأربعة قرون، واجتاحوا منطقة البلقان، واستقروا فيها فترة من الزمن، واحتكوا بالرومان فأفادوا من حضارتهم، واعتنقوا النصرانية في أوائل القرن الرابع الميلادي، ثم رحلوا إلى الغرب بسبب مهاجمة قبائل الهون لهم، وتوطدت علاقاتهم بالدولة الرومانية فترة من الزمن، ثم ساءت فهاجم القوط الدولة الرومانية، واجتاحوا فيها روما نفسها وخربوها، ثم صالحهم امبراطور (روما) فأعطاهم أقاليم اكونيني، وهي جنوب فرنسا الحالية، فاستقر القوط هناك بعد جهد شديد لاستخلاص هذه الجهة من جموع قبائل الوندال والسويفي التي كانت تقطن هذه الأقاليم وقتئذ، فاستطاع القوط إزاحة هذه القبائل إلى أجزاء من أسبانيا مما مكن القوط من الاستقرار في أقاليم اكونيني، ثم انحدروا إلى أسبانيا، وطردها منها الوندال إلى إفريقية، فأصبح القوط يملكون، من مدينة تولوز على نهر الجارون في جنوب فرنسا الحالية، وحتى أسبانيا، ثم حصلت لهم حروب في الشمال أزاحتهم من غالبية (جنوب فرنسا) واستقروا في أسبانيا حتى الفتح الإسلامي. (ينظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص ٦٦ وما بعدها/ عبد الفتاح عاشور).

الذين اجتاحتها أوروبا كلها حتى وصلوا إلى الأندلس في أوائل القرن الخامس الميلادي واستقروا بها كأمرء تابعين للدولة الرومانية. ولما ضعف سلطان روما وأصبح يتقلص أطرافها، استقل عنهم القوط وأصبح لهم ملك مستقل في الأندلس، واتخذوا مدينة طليطلة عاصمة لهم(١).

وعندما استقل القوط بحكم الأندلس لم تكن دولتهم مستقرة، لأن المجتمع الأندلسي أصبح غير متجانس، لاختلاف الغزاة القوط عن السكان الأصليين الذين كانوا يعانون صنوف الشقاء والبؤس. قد مزقتهم الحروب عصوراً طويلة من الظلم والإرهاق والإيثار؟

ولم يكن القوط - في الحقيقة - أمة صالحة لحل الأزمات، فإنهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة، ذلك الامتزاج الذي يجعل الغالب والمغلوب، والحاكم والمحكوم أمة واحدة، بل كانوا يستأثرون بمزايا الغلبة والسيادة، ويتنعمون بإحراز الإقطاعات والضياع الواسعة، وكان منهم الحكام والسادة والأشراف.

أما سواد الشعب الأعظم، فقوامه طبقة متوسطة رقيقة الحال، وزراع شبه أرقاء يلحقون بالضياع. وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت(٢). إضافة إلى عدم التجانس الديني أو المذهبي، لأن السكان الأصليين كانوا على مذهب الكاثوليك(٣) والقوط الذين جاءوا محتلين على المذهب

(١) دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ٧ أحمد بدر.

(٢) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٣٠ محمد عبد الله عنان.

(٣) الكاثوليك: هم الذين يقولون: إن عيسى عليه السلام له طبيعتان ومشيتان: طبيعة ومشية لاهوتية، وطبيعة ومشية بشرية وقد اعتنقت روما هذا المذهب واتخذت به قراراً في مجمع خلقدونية عام ٤٥١م. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ص ٥٣. الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي/الرياض.

الآريوسي(١).

ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الاختلاف بين المذهبيين إلى قيام رجال الدين الأندلسيين بمعارضة حكم القوط، وتحريض الناس على تقويضه(٢) ولهذا كانت الحروب مستمرة، والتنافر موجود، حتى اضطر حكام القوط إلى تغيير مذهبهم، كما سيأتي بيانه في الحالة الدينية. ومما سبق يتضح إن سكان الأندلس، كانوا خليطاً من أجناس مختلفة الأصول والبلدان. فكان أول من استقر على الأندلس هم الفينيقيون، الذين وفدوا إليها من آسيا، ثم جاء بعدهم الأغريق وأسسوا على بلاد الأندلس حضارة، ثم غلبهم على شبه الجزيرة الآفارقة الذين عرفوا بالقرطاجنيين، والذين بدورهم زالت سلطتهم أمام الرومان الذين طال حكمهم لشبه الجزيرة إلى أكثر من ستة قرون. وتوالت الهجرات والحروب على شبه الجزيرة حتى كان آخر المستقرين بها قبل الفتح الإسلامي هم القوط. ولاشك إن كثرة الهجرات إلى هذه البلاد، وقيام عدة حكومات وزوال أخرى أدى إلى وجود أجناس مختلفة من الأصول والثقافات، وكل جنس متأثر بثقافته وأصله، مما أدى إلى اختلاف مستمر في الرأي والحكم عبر كل تاريخ شبه الجزيرة الطويل. وقد أثر هذا الاختلاف حتى بعد الفتح الإسلامي، فهناك كانت تظهر بعض النزعات العرقية. كما سيأتي في مابعد.

(١) المذهب الآريوسي هو: الذي يقول أصحابه: إن عيسى عليه السلام عبد لله كسائر الأنبياء والرسل. فهو مربوب مخلوق وليس بإله.
 ينظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٦٦ للعلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية، نشر مكتبة المعارف بالرياض.
 (٢) دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ٨ أحمد بدر.

المطلب الثاني حالة الأندلس السياسية

من المعروف إن شبه الجزيرة مرت بعدة عهود تاريخية - كما مر سابقاً - وقبل الفتح الإسلامي، كانت تحت الحكم القوطي، وقد استبد القوط بالحكم، ولم يكن وضع نظام حكمهم ملائماً لبسط الاستقرار، فقد كان العرش للأقوى، وهذا أفسح المجال لحدوث اضطرابات في سبيل الوصول إلى عرش الحكم (١). وكان عموم الشعب يعيش في شقاء لسوء الأحوال السياسية، وكانت الخلافات السياسية بين الأمراء وأصحاب المصالح المباشرة في الدولة تشكل خطراً عظيماً وذلك بسبب الحروب التي كانت تقوم من أجل الوصول إلى الحكم (٢) فما كان يستطيع أحد أن يصل إلى الحكم إلا بعد ما أن تراق الدماء حوله (٣) ولمحاولة الإصلاحات والتخفيف من حدة التوتر أقر القوط مبدأ النظام الانتخابي للملكية إلا أن هذا النظام لم يستطع أن يمنع المنازعات على العرش، لأن بعض الملوك نقلوا ملكية العرش لأبنائهم، وتهربوا من القانون المتفق عليه وهو الحصول على موافقة النبلاء الناخبين، مما جر البلاد إلى حرب

(١) ينظر: دراسات في تاريخ الأندلس ص ٨.

(٢) ولهذا أصبح تاريخ ملوك القوط - الذي دام على الأندلس مدة ثلاثين قرناً تقريباً سلسلة من المؤامرات والحروب والاعتقالات، ولم يستثنى أي ملك من ملوكهم إلا ملكين هما: ١- ششبرت Sisiberto الذي حكم من سنة ٦١٢م إلى سنة ٦٢١م. ٢ - وشندا سفنتو chindaswinto الذي حكم من عام ٦٤٩ إلى عام ٦٧٢م.

وهذا الاستثناء جاء من باب الخدمات للدولة وليس في باب النزاهة والعفة من نماء الآخرين، فإن الأول هو الذي استولى على شبه جزيرة الأندلس كاملة. وأما الثاني هو الذي ألقى ديانة قومه بالمذهب الأريوسي وأمرهم باعتناق المذهب الكاثوليكي، وذلك ليكسب من وراء ذلك وحدة الشعب الذي عاش متنافراً لاختلاف عقيدته.

ينظر: فجر الاندلس ص ١٠ وما بعدها. تأليف الدكتور حسين مؤنس. الطبعة الأولى عام ١٩٥٩م. نشر الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة.

(٣) تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٦٣ عبد العزيز سالم.

أهلية، بدأت هذه الأزمة في عهد الملك إيخيكاء، مضطهد اليهود، وهو الذي تولى الحكم من ٦٨٠ إلى ٧٠٠م فقد عين من بعده ابنه غيطشة، ولياً للعهد وأشركه معه في الحكم دون الالتفات إلى قانون الانتخاب (١) وعندما اعتلى غيطشة العرش كانت الأمور قد اضطربت بسبب المؤامرات المتوالية التي كان كبار القوط يدبرها (٢) وسبب ذلك أنه كان عادلاً في حكمه - كما تقول بعض الروايات التاريخية - حيث رد على اليهود سابق حقوقهم وامتيازاتهم، وحد من تسلط رجال الكنيسة على السلطة، فسخطوا عليه، ودبروا لإسقاطه ثورة بعد ثورة، ولكنه أخمدتها جميعاً، وهدم جميع المعاقل والحصون الداخلية لكي يحطم سلطان خصومه ويجردهم من وسائل الدفاع والمقاومة، ولم يزد هم البطش والهزيمة إلا ظمناً إلى الخروج والثورة (٣). ثم اتبع طريقة والده في الوصاية على العرش، فخرق قانون الانتخاب وسعى لتأمين العرش لابنه (وقله)، فسماه ولياً للعهد دون موافقة أحد، وكان هذا الوصي صبيّاً، ولما مات غيطشة، كانت الظروف صعبة والبلد منشقاً على نفسه بين رجال الدين والنبلاء، وكل الطامعين على السلطة حتى أفراد البيت المالك نفسه (٤) فعصفت بالبلاد ريح الفوضى والانقسام، فامتنع كثير من النبلاء عن الخضوع لصبي صغير مثل (وقله) (٥) وقد استقل بعض النبلاء بالأطراف ودارت رحى الحرب بين المتنافسين ومضى على هذه الحال نحو عام ونصف ثم اجتمع النبلاء واعتبروا أنفسهم مجتمع له حق انتخاب الملك فأختاروا

(١) دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ١٠ بتصرف.

(٢) فجر الأندلس ص ١٢ حسين مؤنس.

وينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٥٨ وما بعدها. للدكتور/ السيد عبد العزيز سالم، نشر مؤسسة شباب الجامعة بالأسكندرية (بدون تاريخ طبع).

(٣) دولة الإسلام في الأندلس ص ٣٢ محمد عبد الله عنان.

(٤) فجر الأندلس ص ١٥.

(٥) هو ابن الملك «غيطشة» الذي وصى له بولاية العهد من بعده وهو صغير.

لذريق (١) خلفاً لغيطشة، واستعدوا لنصرته والقضاء على منافسيه بحد السيف. لكن البلاد لم تخضع كلها للملك المنتخب (لذريق) فامتنعت المناطق الشمالية حيث هرب أبناء الملك السابق وأقاربه عن الخضوع له وناصبوه العداء، ودارت بينهم عدة معارك هزم فيها لذريق خصومه، فدب اليأس في نفوسهم، ففر أبناء غيطشية من البلاد وصودرت أملاكهم، وكان لأبناء غيطشة دور في الفتح الإسلامي كما سيأتي في موضعه فيما بعد، واستمرت الثورة ضد لذريق حتى دخول المسلمين الأندلس ونهاية دولة القوط على أيدي المسلمين الفاتحين(٢).

هذه حالة الأندلس السياسية حيث كان عرش القوط يرجف فوق بركان مضطرم من السخط، والجيش كان في حال غير مرضية حيث كانت غالبية من العبيد وكانت هذه الكثرة سبباً في ضعفه لأن العبيد كانوا ساخطين على الدولة القوطية ينتظرون الفرصة للتخلي عنها وتركها لمصيرها(٣). وهذا ماحدث بالفعل وقت الفتح الإسلامي كما سيأتي بيانه.

المطلب الثالث

الحالة الدينية

ظلت الأندلس فترة من الزمن تحت الحكم الروماني ودخلت في النصرانية تبعاً لروما وكان هذا الدخول على المذهب الكاثوليكي، وفي

(١) لذريق هو الذي دخل عليه المسلمون الفاتحون الأندلس، وتختلف الروايات في أصله، فمن قائل: إنه زعيم قوطي كبير ذا علم بأمور الحرب والسلام، ومن قائل، إنه ينحدر من أصلاب ملكية ومن قائلة غير ذلك، ومهما يكن من الأمر فإن المراجع القديمة تثبت على أنه كان رجلاً قادراً (انظر فجر الأندلس ص ١٧). وانظر نفح الطيب ج١ ص ٢٤٠ وما بعدها.

(٢) انظر فجر الاندلس ص ١٤ وما بعدها. وانظر دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ١٠ وما بعدها. وانظر دولة الإسلام في الاندلس ج١ ص ٣١ وما بعدها.

(٣) فجر الأندلس ص ٢٨.

وينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٥٧ و ص ٦٠ وما بعدها.

المقابل فإن القوط لما استولوا على الأندلس كانوا على الديانة النصرانية إلا أنهم كانوا على المذهب الأريوسي (الذي لا يعتقد بألوهية المسيح ولا يجعل للعدراء «مريم» مكاناً في العقيدة، ولا يعترف للقساوسة بحق الوساطة بين الله والناس). ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الأمر إلى تحريض رجال الدين للنفور من هذا الحكم، واشتد هذا النفور مع الأيام بسبب ماكان القوط ينزلونه بالقساوسة من اضطهاد(١) ولما رأى القوط أن ملكهم يتزعزع ويتزلزل، بسبب غرابة جنسهم عن السكان الأصليين وبسبب اختلاف مذهبهم، تحولوا إلى الكاثوليكية، فأصبحت الكاثوليكية هي الديانة الرسمية، وكان للكاثوليك مجلس يعقدونه في طليطلة عاصمة القوط للنظر في أمور كنيستهم ورعاياها، فلما اعتنق ملوك القوط الكاثوليكية، أصبح هذا المجلس رسمياً يدعو الملك لعقده ويحضره كبار رجال الدولة ومع الزمن أصبح مجلساً سياسياً دينياً، يتناول جميع الأمور، ويصدر القوانين والأحكام في شتى القضايا، ثم اتسع سلطانه وتناول القضاء وأصبح بذلك محكمة عليا، وانتهى الأمر بأن انضم إليه النبلاء فأصبح المجلس الأعلى للدولة، وقد كان الملوك أول الداعين إلى توحيد المجلسين، لأنهم أرادوا أن يزيدوا أحكامهم قوة بالتصديق عليها من هذه الهيئة التي تضم كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية وكبار أهل الدولة(٢). والقوط من طبعهم كانوا أشد الناس اضطهاداً لمخالفهم في الدين، فكانوا يضطهدون الكاثوليك ثم لما اعتنقوا الكاثوليكية حولوا الاضطهاد إلى اليهود والوثنيين، لأن هناك كان عدد من الوثنيين يسكن شبه الجزيرة، حتى وقت الفتح الإسلامي، فقرر مجلس طليطلة القضاء على الوثنية وإجبار أهلها على النصرانية(٣) إضافة إلى المذاهب النصرانية الأخرى، لأنها كانت بدورها موضع سخط من الكاثوليك.

(١) فجر الأندلس ص ٥ ومابعدها حسين مؤنس.

(٢) نفس المرجع ص ٢٣.

(٣) انظر الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس ص ٨٣ ومابعدها بتصريف. وانظر فجر الأندلس ص ٢٦.

أما اليهود فكانوا يشكلون عنصراً مهماً من سكان الجزيرة، ولكنهم كانوا موضع البغض والتعصب والتحامل، يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد وكانت الكنيسة تحاول تنصير اليهود، وتتوسل إلى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة، ففي عصر الملك القوطي - سيزبوت - فرض التنصير على اليهود أو النفي أو المصادرة، فاعتنق كثير منهم النصرانية كرهاً، ثم توالى عليهم مع ذلك صنوف الاضطهاد والمحن حتى اتهموا بالمؤامرة ضد البلاد مع تعاون خارجي فقرر مجلس طليطلة في حقهم أحكام المرتدين، الخارجين عن الدولة - وقرر أن تنزع أملاكهم في سائر الولايات الأندلسية وأن تحول إلى جانب العرش، وأن يشرّدوا ويقضى عليهم بالرق الأبدي للنصارى، وأن يهبهم الملك عبيداً لمن يشاء، وألا يسمح لهم باسترداد حرياتهم ما بقوا على اليهودية، وأن يحرر أرقاؤهم من النصارى، ويمنحون بعض أملاكهم، وأن ينزع ابناؤهم منذ السابعة ويربون على دين النصرانية، وألا يتزوج عبد يهودي إلا بجارية نصرانية، ولا تتزوج يهودية إلا بنصراني.

وهكذا عصفت يد البطش باليهود فكانوا ضحية ظلم لا يطاق فكانوا كباقي طوائف الشعب المهيضة يتوقون إلى الخلاص من هذا النير الجائر ويرون في أولئك الفاتحين الذين يتركون لهم حرية الضمائر والشعائر ملائكة منقذين^(١). كما أن بقية الناس المظلومة كانت تكره القساوسة ورجال الكنيسة لمساندتهم الحكم القوطي، وعدم مراعاتهم لحال الضعفاء^(٢) مما جعلهم يتوقون إلى منقذ قادم سواء كان من الشرق أو الغرب^(٣).

هذه هي حالة الأندلس الدينية قبل الفتح الإسلامي. فهي حالة سيئة جداً، جعلت الشعوب المستضعفة تكره الديانة النصرانية التي كانت مسيطرة على البلاد قبل الفتح الإسلامي

(١) دولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٣٦-٣٢. وانظر الفتح الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس ص ٨٥ وما بعدهما.

(٢) انظر فجر الأندلس ص ٣٦.

(٣) تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٥٧.

ويتلخص مما تقدم: أن الديانة العامة للأندلس قبل الفتح الإسلامي هي النصرانية، وكان المذهب السائد في البلاد هو المذهب الكاثوليكي، فهو الذي كان له السيطرة الروحية في البلاد، وكان يتحكم على الدولة بأكملها.

وهناك مذهب نصراني آخر، وهو المذهب الأريوسي، وهذا المذهب كان أصحابه قلة وتحت اضطهاد دائم من الكاثوليك خاصة بعد أن تخلى القوطيون عنه واعتنقوا الكاثوليكية.

وبالإضافة إلى النصرانية كان هناك مجموعة من اليهود الذين كانوا موضع سخط من الحكم القوطي الكاثوليكي، فكانت تنزل بهم أشد العقوبات، ومنها إجبارهم إلى اعتناق الديانة النصرانية، وحرمانهم من تربية أولادهم، حتى لا ينشؤوا يهوداً. وكان هذا الاضطهاد النازل على اليهود هو الذي جعلهم يرحبون بالمسلمين ويتعاونون معهم عند الفتح الإسلامي كما سيأتي.

بالإضافة إلى هاتين الديانتين كان هناك الوثنيون الذين كانوا يعيشون على المرتفعات الشمالية الوعرة، وكان الوثنيون يعيشون أيضاً تحت الاضطهاد من الكاثوليك، الذين كانوا لا يحبون أن يروا أي ديانة أخرى غير النصرانية، وفي الديانة النصرانية كانوا لا يحبون أي مذهب غير المذهب الكاثوليكي، ولهذا أصدر مجلس طليطلة عام ٥٨٩م قراراً يأمر فيه جميع حكام المقاطعات والأساقفة أن يعملوا على مكافحة الوثنية وأن يتعاونوا مع القضاة في ذلك^(١) هكذا كانت حالة الأندلس الدينية قبل الفتح الإسلامي.

(١) ينظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ص ١٣، تأليف الدكتور/ خليل ابراهيم السامرائي وغيره، نشر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بجامعة الموصل.

المطلب الرابع الحالة الاجتماعية

كان المجتمع الأندلسي قبل الفتح الإسلامي منقسماً إلى طبقات عدة متباينة الحال ومختلفة الطبائع، منها طبقة النبلاء: وكانت تتكون من طبقة الحكام القوطيين، الذين يعدون أنفسهم أعلى الناس. وطبقة رجال الدين: فكانت تضم سلالة القوط الفاتحين بالإضافة إلى طبقة النبلاء الرومان، فهؤلاء هم الطبقة التي تتمتع بكل الامتيازات الاجتماعية في الحكم والثراء فكانت تملك الإقطاعات الكبرى، وتسخر في خدمتها كل المجتمع، أما رجال الكنيسة فقد أصبح لهم شأن كبير في الدولة، فكانت كل الأمور بيدهم وكانوا طبقة كبيرة غنية وقوية. كبيرة لتغلغلها في المجتمع، وغنية لأنها كانت تملك كثيراً من الأراضي الزراعية المعفاة من الضرائب، كما كان للكنائس والأديرة أوقافاً يستغلها رجال الدين، وقوية لأنها كانت تسيطر روحياً على نفوس الناس. مما جعلها تتمتع بمكانة اجتماعية لم يتمتع بها غيرها إلا النبلاء. كما أن رجال الكنيسة كانوا لا يعنون إلا بما يمس مصالحهم الخاصة، فلم يعملوا شيئاً لتحسين حال الناس، ولم يحاول أحد منهم الاعتراض على تصرفات الأغنياء من الاستبداد بالضعفاء والاستكثار من العبيد والأرقاء^(١).

تلي ذلك طبقة من الأحرار تعيش في حال وسط بين الرق والحرية، وهم أهل المدن وصغار التجار والزراع، وهؤلاء تقع عليهم كل الأعباء والمغارم والضرائب الفادحة، ومشاق العمل، والسخرة في ضياع الأشراف والأحبار وتقع عليهم أعباء الحرب والدفاع عن الوطن^(٢). وهؤلاء هم معظم الشعب، ثم تأت طبقة العبيد فقد كان عددهم كبيراً للغاية، إذ كان الأغنياء والنبلاء يقتنون منهم الآلاف، ويسئون معاملتهم، وكانوا يعتبرون جزءاً من ممتلكات الأغنياء والنبلاء، ولم يكن للعبيد أي حقوق

(١) ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٦٣ وما بعدها.

(٢) نولة الإسلام في الأندلس ص ٣٠ وما بعدها - محمد عبد الله عنان.

يمكن المطالبة بها، وقد يئس هؤلاء من حالهم وأخذوا يتطلعون إلى فرصة مواتية للخروج مما هم فيه^(١). تضاف إلى هذه الطبقات طبقة اليهود التي كانت موضع سخط لرجال الكنيسة والنبلاء، فكثيراً ما كانوا يضطهدون، وما ذلك إلا للتعصب الديني أو الطمع المالي^(٢).

فالحالة الاجتماعية كانت أسوأ الحالات في الأندلس إذ كانت مبنية على الطبقية والتفرقة العرقية أو الطائفية، فهناك فئات متسلطة على رقاب الضعفاء، تعيش على أكتاف هؤلاء المقهورين، الذين كانوا يسخرون لخدمة النبلاء من الحكام ورجال الدين الكاثوليك. وكانت كل فئات المجتمع المستضعفة تتطلع إلى الخلاص مما كانت تعيشه، وكانت لا تخفى عليهم عدالة المسلمين المجاورين لهم في شمال أفريقية، فكانوا يتشوقون إليهم تشوق الظمان للماء حتى جاء فرج الضعفاء على يد الفاتحين المسلمين.

المطلب الخامس الحالة الإقتصادية

كانت الحالة الإقتصادية للبلاد سيئة للغاية، بسبب الحروب الدائمة التي كان يخوضها حكام القوط، فكانت الضرائب تفرض على أصحاب الأملاك، غير طبقة النبلاء، وكانت الضرائب فادحة للغاية وتفرض على الأراضي الزراعية والأموال التجارية وعلى رؤوس الأشخاص^(٣). وفي عهد لذريق - آخر ملوك القوط - أصبحت الدولة في حاجة ماسة

(١) تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٦٥.

وينظر: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي وحتى سقوط قرناطة ص ٣٠ عبد الرحمن علي الحجى - الطبعة الثالثة - الناشر دار القلم - دمشق.

(٢) ينظر الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس ص ٨٦ وما بعدها.

(٣) الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في مال أفريقيا والأندلس ص ٧٩ وما بعدها.

للمال، فاضطر لذريف أن يفرض ضرائب جديدة، كان بعضها نوعاً من العقاب المباشر لبعض أعدائه. والبعض الآخر فرضته الضرورة وحاجة أمن الدولة.

ولكن لم يزد هذا الإجراء إلا ضعفاً، لأن هذه الضرائب لم تكن الوسيلة الصحيحة لكسب محبة الناس. فمالت قلوب الناس عن الملك لذريق ودولته، ولم يعد لأحد فيه رجاء^(١).

ومع كثرة هذه الضرائب فإنها لم تكف لتغطية أطماع لذريق التوسعية المتسلطة، فمدَّ يده إلى كنوز الكنائس الشهيرة، مما أثار عليه غضب رجال الدين^(٢). فأدى هذا إلى نفور كثير من النبلاء عن ملك لذريق. فجرَّ هذا النفور البلاد إلى حرب أهلية مدمرة مما زاد حالة البلد الاقتصادية سوءاً. فإن من العلوم عن كل تاريخ الحروب فإنه يصاحبها ويخلفها الدمار لكل شيء فتخلف وراءها الأمراض والمجاعات، ويصحبها دائماً عدم الاستقرار، والفوضى ويتبع ذلك عدم الإنتاج في كل مجالات الحياة البشرية^(٣).

ومما سبق يتضح سوء الحالة الاقتصادية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي فقد وصلت البلاد إلى أسوأ الأزمات الاقتصادية. وكان أهم أسباب هذه الأزمة هي: اضطهاد طبقات الشعب المنتجة، وذلك بتكليفها مالا تطيق من الضرائب، ومصادرة الأموال، وتكليفهم بالخدمات العسكرية والدفاع عن البلد. إضافة إلى سوء الحالة السياسية والحروب الأهلية التي كانت تعيشها البلاد، وقد اجتاحت البلاد موجة من الجفاف والأمراض حتى قيل إنه قد هلك كثير من أهل الأندلس قبل الفتح الإسلامي^(٤).

(١) ينظر: مع المسلمين في الأندلس ص ٨٢ تأليف علي حبيبة.

(٢) ينظر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ص ١٢، أحمد بدر.

(٣) ينظر: مع المسلمين في الأندلس ص ٧٨.

(٤) ينظر: الدولة الأموية في قرطبة ص ١٣ تأليف أنيس زكريا النصولي/ المطبعة

العصرية ببغداد ١٩٢٦م.

هذه هي أحوال الأندلس قبل الفتح الإسلامي، فهي أحوال سيئة من جميع النواحي. ولكن هذه الأحوال ليست مستبعدة من عالم يعيش في ظلام وضلال وحيرة قاتلة ومقت من الله بسبب الكفر والمعاصي.

ففي حياتهم الروحية قد انتهت دياناتهم السماوية بما دخلها من التحريف والتبديل، فهم يصدق عليهم قول الرسول ﷺ: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»^(١) وذلك قبل بعثته ﷺ، ولم ينج العالم من المقت الإلهي إلا ببعثة رسول الله ﷺ، وإن أي أمة لم يعمها نور الهداية وسفينة النجاة التي جاء بها النبي ﷺ فهي في مقت من الله، لم تخرج منه حتى تؤمن بهذا الدين الذي ارتضاه الله للبشرية وبعث به خاتم رسله ﷺ.

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم والإمام أحمد، وهو: «عن عياض بن حمار - رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطبنا ذات يوم فقال في خطبته: إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل ما نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم اتتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجمهم وعربهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك. وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظاناً. ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت: ياربّي، إذا يثلغوا رأسي فبدعوه خبزة. فقال: استخرجهم كما استخرجوك فاغزهم، نغزك، وانفق عليهم فسنفق عليك، وابعث جنداً، نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك. وأهل الجنة ثلاثة: نو سلطان مقسط متصدق موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم. ورجل فقير عفيف متصدق.

وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً أو تبعاء (شك يحيى) لا يبتغون أملاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى عليه، وإن بق إلا خانه. ورجل لا يصبح ولا يمسي، إلا وهو يخادعك عن أمك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنظير الفاحش.) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. ج ١٨ ص ١٩٧ مع شرح النووي، والإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٦٢ طبعة المكتب الإسلامي واللفظ له.

وفي حياتهم الدنيوية المادية لم يفلحوا في شيء، لأن الإنسان لا يستطيع أن ينتج شيئاً في حياته المعيشية إلا إذا كان هناك استقرار عام في المجتمع، وهذا الاستقرار كان مفقوداً في الأندلس بسبب الظلم الذي كان واقعاً في المجتمع.

الفصل الثاني

سير الدعوة في الأندلس

المبحث الأول: بداية الفتح.

المبحث الثاني: مراحل الدعوة.

المبحث الثالث: نتائج الدعوة.

□ تمهيد:

إن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سبباً بقدرته وإرادته، ولما أراد سبحانه ليحقق للأمة الإسلامية شيئاً مما أخبرها به نبيها محمد ﷺ بقوله: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها»^(١) هيئاً سبحانه وتعالى من الأسباب وتسهيل الأمور، ماجعل المسلمين يتمكنون من فتح الأندلس، وإدخالها في حوزة الأمة الإسلامية، وإنقاذ بلاد الأندلس من الكفر والضلال، حتى أصبحت الأندلس نوراً يضيء بالإسلام، ومعلماً من معالم الإسلام الذي يهتدى إليه من كل الأقطار، ومعبراً من معابر الإسلام إلى أوروبا، التي كانت تعيش في ظلام حالك، قبل اقتباسها من حضارة الإسلام الزاهرة في الأندلس التي أضاءت بالإسلام.

والأندلس كانت جزءاً من أمم أوروبا التي كانت تعيش في حيرة فأنقذ الله الأندلس بالإسلام على أيدي المسلمين الدعاة الفاتحين.
وفيما يلي بيان لسير الدعوة في تلك البلاد:

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه وهو قوله ﷺ عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها». وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهم بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها، أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً» صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة. ج ١٨ ص ١٣ مع شرح النووي.

المبحث الأول بداية الفتح

المطلب الأول فكرة فتح الأندلس

إن فكرة فتح الأندلس كانت من نتائج إتمام فتح أفريقية، فما أن استقر الإسلام في قبائل البربر، وتحمسوا للجهاد في سبيله، إلا جاء الميدان الجديد الذي ينشر فيه الإسلام وهو الأندلس، لاسيما أن تمام فتح أفريقية جاء في عصر من عصور الدولة الإسلامية الزاهرة، وهو عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك، إلا أن هذا التفكير كان قبل هذا الزمن بمراحل، فذكر الطبري رحمه الله^(١) إن بداية فكرة فتح الأندلس كانت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فإنه قال: (أرسل عثمان رضي الله عنه - عبد الله بن نافع بن الحصين، وعبد الله بن نافع بن عبد القيس^(٢) إلى الأندلس، فأثياها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى من انتدب معهما: أما بعد فإن القسطنطينية^(٣) إنما تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن فتحتموها كنتم شركاء من فتحها في الأجر. والسلام)^(٤). فهذا النص يدلنا على أن الأندلس كانت معروفة للمسلمين وإن فكرة فتحها كانت في زمن المحاولات الأولى للغزو في البحر، وما زالت هذه الفكرة تنمو حتى

(١) هو الامام محمد بن جرير الطبري، ولد رحمه الله سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣٢٠هـ. وله مؤلفات كثيرة في العلوم الإسلامية، أشهرها التفسير المشهور باسمه، تفسير الطبري، وكتاب تاريخ الأمم والملوك. ينظر: سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٣٦٧ وما بعدها.

(٢) لم أجد ترجمتهما وقد رجعت إلى الإصابة في تمييز الصحابة، وأسد الغابة، وسير أعلام النبلاء وغير ذلك من كتب السير والتراجم.

(٣) هي اسطنبول الحالية، كانت عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، ينظر: معجم البلدان ج٤ ص ٣٤٧.

(٤) تاريخ الطبري ج٤ ص ٢٥٤، والكامل في التاريخ ص ٨٣، والبداية والنهاية ج٤ ص

تحققت بعد إتمام فتح افريقية. لأن افريقية هي بوابة الأندلس، فلا يمكن الإسلام أن يستقر فيها إلا بعد استقراره في افريقية.

المطلب الثاني أسباب فتح الأندلس

إن الأسباب التي ساعدت على فتح الأندلس قد تحدث عنها كثير من المؤرخين الذين أروخوا لهذا الفتح^(١) وأهمّ هذه الأسباب هي: أولاً: إن المسلمين هم أمة رسالة ابتعثها الله لتخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، كما قال ربعي بن عامر^(٢) لرستم قائد الفرس^(٣) عندما سأله، ما الذي جاء بكم؟ قال: (إن الله بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه)^(٤).

(١) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٤ ص ٥٦١ الطبعة دار الصادر ببيروت عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، ونفح الطيب ج١ ص ٢٣٢، وتاريخ العرب في أفريقيا والأندلس ص ١٦، تأليف: حسن خليفة، وغيره، الطبعة الأولى عام ١٣٥٦هـ ١٩٣٨م، والمجمل في تاريخ الأندلس ص ٣٥، وفي تاريخ المغرب والأندلس ص ٥٤ تأليف أحمد مختار العبادي.

(٢) هو الصحابي الجليل ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، من قواد المسلمين في الفتوحات الإسلامية، أمر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه المثنى بن حارثه عند فتح العراق. وكان ربعي من أشرف العرب أهل النجدة والشجاعة، شهد فتوح بلاد فارس وماوراءها، وولاه الأحنف بن قيس إمارة طخارستان) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٣ ص ٢٥٣ تأليف الحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م، نشر مكتبة الكليات الأزهرية لحسن محمد أمبابي.

(٣) رستم هو القائد الفارسي في معركة القانسية.

(٤) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج٧ ص ٣٩، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، نشر: مكتبة المعارف بيروت.

فالسبب الأول هو الدعوة إلى هذا الدين الحنيف، ولقد كانت سيرة المسلمين في دعوتهم إذا فتحوا قطراً ونشروا فيه الإسلام تتجاوزوه إلى غيره فغقد فتحوا بلاد الشام ثم مصر وبعدها شمال أفريقية، وبعد هذا كله جاء دور الأندلس لقربها من شمال أفريقية^(١). لأن من أهم مهام علماء المسلمين وواجباتهم: الدعوة إلى الله عز وجل تأسيساً بالنبى ﷺ الذي أنزل إليه القرآن لينذر به الناس، كما قال تعالى: ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذرکم به ومن بلغ﴾^(٢) ولقد أختار الله أن يكون الدين الإسلامى ديناً عالمياً لكل البشر. ولهذا قال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى... وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»^(٣) واختار الله الأمة الإسلامىة أن تكون حاملة لهذا الدين إلى جميع البشر فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾^(٤) فواجب المجتمع المسلم الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحرص على هداية الناس بقوله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»^(٥)

(١) ينظر: التاريخ الأندلسى - عبد الرحمن على الحجى ص ٤٣، الطبعة الثالثة - دار القلم بدمشق.

(٢) الأنعام - جزء من الآية رقم ١٩.

(٣) جزء من حديث رواه البخارى فى صحيحه وهو قوله: عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال أن النبى ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأىما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الفنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» صحيح البخارى ج ١ ص ٨٦ كتاب التيمم.

(٤) آل عمران - جزء من الآية رقم ١١٠.

(٥) جزء من حديث طويل وهو: (عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوا أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقيل: هو يارسول الله يشتكى عينيه قال: فأرسلوا إليه، فأتى به. فبصق

وانطلاقاً من هذه الأوامر ورغبة في ثواب الله انطلق الصحابة رضوان الله عليهم يفتحون مشارق الأرض ومغاربها، وتبعهم في ذلك خير من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسان، وتنفيذاً لأوامر الله ورسوله في الدعوة إلى هذا الدين، جاء فتح الأندلس.

ثانياً: تأمين حدود المسلمين من الأعداء، خاصة أن القوط ظهرت عداوتهم للإسلام، وبدأت أعتداءاتهم لإيقاف المد الإسلامي، وذلك بما كانوا يمدون به أعداء الإسلام في شمال أفريقيا، من البربر وبقايا الروم، وذلك من أجل إضعاف قوة المسلمين وإيقاف دعوتهم^(١) إضافة إلى الصلات بين الأندلس وشمال أفريقيا لقرب البلدين واتصال حضاراتها القديمة، فما جاءت أمة قوية في إحدى العدوتين^(٢) إلا سيطرت على الجانب الآخر^(٣) وهذه الصلات مكنت المسلمين آنذاك من معرفة الأندلس معرفة تامة، وكان من واجبهم نشر الإسلام على كل البلاد، وخاصة البلاد التي تجاورهم، والمسلمون في ذلك الوقت يملكون كل الطاقات التي

رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم، رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج ٦ ص ٧٦، مطبعة اسطنبول.

(١) ينظر: نولة الاسلام ج ١ ص ٣٣ محمد عبد الله عثمان، وموسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية ج ٢ ص ١١٩، أحمد شلبي، الطبعة الرابعة عام ١٩٧٣م، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

(٢) هما عدوة شمال افريقية عند سبته وطنجه وعدوه جنوب الأندلس عند جبل طارق.

(٣) لهذا كانت هناك حضارات مشتركة في المنطقتين، فالفينيقيون أنشؤوا مراكز تجارية في المعدوتين، ثم جاء من بعدهم القرطاجنيون فحكموا العدوتين، ثم جاء الرومان الذين كانت لهم ممالك ممتدة في آسيا وأفريقية مع أوروبا، وعلى أيديهم دخلت النصرانية شمال أفريقية، ولما ضعف سلطانهم وتقلصت أملاكهم، مد القوط أيديهم على شمال أفريقية، ينظر: تاريخ العرب في أفريقية والأندلس ص ١٦ ومابعدها.

تمكنهم من نشر الإسلام في ذلك القطر المجاور لهم، فهم الدعاة للحق، والجيش الذي يقاومون به من يحاربهم متوفر^(١) فليس هناك أي مانع من نشر الإسلام على بلاد الأندلس.

ثالثاً: استسلام حاكم سبته، وهو (يليان)^(٢) للمسلمين. وذلك أن موسى ابن نصير رحمه الله^(٣) لما تولى إمارة أفريقية، أتم فتحها، ولم يبق عليه شيء إلا ثغر سبته^(٤) لما كان لموقعها من حصانة، وتوالي امدادات حكام الأندلس إليها، وكان على مدينة طنجة^(٥) حاكماً للمسلمين من قبل موسى بن نصير، ومرابطاً في الثغر هناك. ويواصل الاغارات على سبته التي لم يبق غيرها من الفتح في شمال أفريقية^(٦) ولكن حاكم سبته عرض على المسلمين تسليم مدينته (سبته) ولم يكتف بذلك، بل عرض على المسلمين

(١) جاء في البيان المغرب، أن جيش المسلمين في إحدى المدن في شمال افريقيه كان يبلغ تسعة وعشرين ألفاً، البيان المغرب ج١ ص ٤٢.

(٢) يليان كان حاكماً لسبته وماجاورها للدولة الرومانية، ولما هزم الروم على أيدي المسلمين، ارتبط يليان بالقوط وكان يتلقى الإمدادات منهم. حتى استطاع أن يقف في وجه المسلمين، ثم صالح المسلمين، وأسلم عقبه. ينظر: فجر الأندلس ص ٥٣، وأخبار مجموعة ص ٤.

(٣) هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي ولأء، تابعي جليل روى عن تميم الداري رضي الله عنه، ولد موسى سنة ٩٩هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشارك موسى على فتح جزيرة قبرص، وتولى للخلفاء الأمويين عدة أعمال، كان آخرها ولاية أفريقية وفتح الأندلس، توفي رحمه الله سنة ٩٧هـ وهو في طريقه إلى الحج، ينظر: سير اعلام النبلاء ج٤ ص ٤٩٦ وقادة فتح المغرب ج١ ص ٢٢١.

(٤) سبته: ميناء في شمال أفريقية مقابل الأندلس داخلية في البحر / معجم البلدان ج٣ ص ١٨٢.

(٥) طنجة: مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، بينها وبين سبته مسيرة يوم (بالأقدام) وحتى آخر حدود أفريقية، بينها وبين القيروان ألفا ميل. ينظر: معجم البلدان ج٤ ص ٤٣.

(٦) ينظر: أخبار مجموعة ص ٤ ونفح الطيب ج١ ص ٢٣٠.

فتح الأندلس بسبب سوء العلاقات بينه وبين حكام الأندلس^(١) ولخوفه من قوة المسلمين، فإنه مهما طالّت مقاومته للمسلمين فإنه لا يمكنه إستمرار الوقوف أمامهم، فلا بد أن يجعل بينه وبين المسلمين علاقات تمكنه من الاحتفاظ بمنصبه في سببته، ولهذا لجأ إلى السلم والمصالحة^(٢) وعرض يليان لموسى فتح الأندلس، وأنه يقدم للمسلمين كل المساعدات التي يستطيعها، فوافق هذا العرض ما كان في نفس موسى من التطلع لنشر الإسلام، وعزمه على الجهاد، ولكن موسى كان قائداً حكيماً بصيراً بعواقب الأمور ومكائد الكفار، فلم يوافق على طلب وعرض يليان إلا بعد التثبت من صدق يليان، هذا من جانب، ومن جانب آخر لا بد أن يستأذن من الخليفة للقيام بمشروع كبير كفتح الأندلس. فقام موسى بخطوتين هامتين هما:

أولاً: التثبت من صدق دعوى يليان، فطلب منه أن يبدأ بمناظرة أهل ملته من نصارى الأندلس فقال: «إننا لا نشك في قولك ولا نرتاب، غير أننا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها، وبيننا وبينها هذا البحر، وبينك وبين الملك لذريق حمية الجاهلية واتفاق الدين فجز إليه بنفسك، وشن الغارة على بلاده، واقطع ما بينك وبينه، وإذ ذاك تطيب النفس عليك، ونحن من ورائك، إن شاء الله»^(٣) فانصرف يليان وحشد جنوده وشن الغارة على شواطئ الأندلس الجنوبية، فقتل وسبى وغنم ثم رجع، وشاع خبره،

(١) يذكر في سبب اختلاف يليان مع ملك القوط أقوال منها: إن ملك الأندلس اعتدى على ابنة يليان فغضب يليان من هذا، فكاتب موسى بالطاعة وأدخله مدينته ثم عرض عليه فتح الأندلس انتقاماً من لذريق ملك القوط. ينظر: أخبار مجموعة ص ٥. والكامل في التاريخ ج٤ ص ٥٦٢، ونفح الطيب ج١ ص ٢٥١، وقيل: إن لذريق ملك القوط، غضب الملك وليس هو من أهله، فغضب أهل الملك القديم، فلجؤوا إلى المسلمين ينتصرون بهم لاسترداد ملكهم المغصوب فبادر المسلمون لنجدتهم. ينظر: دولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٣٩ وفجر الأندلس ص.

(٢) ينظر: أخبار مجموعة ص ٥ وتاريخ الأندلس السياسي والعمراي ص ٣٨.

(٣) ينظر: نفح الطيب ج١ ص ٢٥٣ وفي تاريخ المغرب والأندلس ص ٥٧ العبادي.

فتحمس الناس للجهاد والغزو^(١).

ثانياً: لما رأى موسى صدق يليان في مناظرة أهل ملته، قام بالخطوة الثانية، وهي الاستئذان من الخليفة الوليد بن عبد الملك^(٢) فكتب موسى إلى الخليفة يستأذنه في فتح الأندلس، ويخبره بما عرض عليه يليان، فجاء الإذن من الخليفة بالفتح، ولكن مع الأخذ بكل الاحتياطات من أجل سلامة المسلمين^(٣).

وبعد هذا بدأ موسى بن نصير - رحمه الله - بتجهيز الجيش لفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد - رحمه الله - ثم وجهه إلى الأندلس، بعد أن أعد له السفن التي عبر بها إلى هناك.

وقد تجمع كتب التاريخ بأن بداية ذلك كانت سنة ٩٢هـ وهي بداية نشر الدعوة المستقرة في بلاد الأندلس ولهذا قال الطبري رحمه الله: «وفيها - يعني سنة ٩٢هـ غزا طارق بن زياد^(٤) مولى موسى بن نصير الأندلس في

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك رحمه الله ولد سنة ٤٥هـ وتولى الخلافة بعد أبيه سنة ٨٦هـ وبلغت الفتوحات الإسلامية في عهده أعظم مبلغ، وكانت مدة خلافته كلها خير على الأمة الإسلامية، توفي سنة ٩٦هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٣٧٤.

(٣) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٥٣.

(٤) طارق بن زياد فاتح الأندلس كان من قواد المسلمين العظماء، إلا أن كتب التاريخ لا تذكر عنه شيئاً غير فتحه الأندلس. فلا يُدرى عن حياته الأولى، ولا يعرف عن مصيره بعد فتح الأندلس. ولهذا قال المقرئ في نفع الطيب: (طارق بن عمرو فاتح الأندلس ... رحل مع سيده بعد فتح الأندلس إلى الشام وأنقطع خبره) ج١ ص ٢٣٠ نقلاً عن ابن بشكوال.

وقد اختلف في نسب طارق ف قيل: إنه عربي ليثي. وقيل: إنه فارسي همزاني، وقيل: إنه بربري نفزي، وهذا الأخير هو الصحيح. وقيل: إنه مولى لموسى بن نصير، وقيل: إنه ليس بمولى لموسى.

والذي لا شك فيه إن طارق بن زياد كان من كبار القواد في شمال أفريقية

اثني عشر ألفاً، فلقى ملك الأندلس .. يقال له أدريونق .. فزحف له طارق بجميع من معه، فزحف الأدريونق في سرير الملك، وعلى الأدريونق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الأدريونق، وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين^(١) فهذا النص يدل دلالة واضحة على أن بداية الفتح المستقر في الأندلس كانت بهذا التاريخ المذكور واتفق على هذا كل من أرخ لفتح الأندلس^(٢) وكل ما سبق هذا التاريخ الذي ذكره الطبري فهو محاولات ومقدمات له، كما سيأتي إن شاء الله.

والأندلس. وكان شجاعاً مقداماً. وقد ولاه موسى بن نصير على طنجة بعد فتحها وكان طارق من الدعاة الذين نشروا الإسلام بين قبائل البربر حتى تحولت كل معابدهم الوثنية إلى مساجد يعبد الله وحده فيها. وفي هذا قال ابن عذاري: (كانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة ٨٥هـ وفي هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي كان بناها المشركون إلى القبلة، وجعلوا المنابر في المساجد الجامعات). ثم ذكر نسب طارق فقال: (هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن رفجوم بن تبرغاسن بن ولهاص ابن يطوقت بن نفزو. فهو نفزي. ذكر إنه من سبي البربر وكان مولى موسى بن نصير) البيان المغرب ج١ ص ٤٣. ومن هذا النسب يفهم إن طارق من أصل بربري، وكما أنه يستبعد أن يكون مولى لموسى بن نصير، لأن سلسلة النسب تثبت إن طارق والده وجده من المسلمين، وهذا ينفي أن يكون طارق من سبي البربر، والخلاصة إن طارق بن زياد لم تكن له ترجمة وافية في كتب التاريخ.

ينظر في ترجمته: البيان المغرب ج١ ص ٤٣ و ج٢ ص ٥٥، وسير أعلام النبلاء ج٤ ص ٥٠٠، ونفح الطيب ج١ ص ٢٣٠.

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص ٤٦٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص ٥٥٦ والبداية والنهاية ج٩ ص ٨٣.

(٢) مثل: ابن خلدون ج٤ ص ١١٧ وأخبار مجموعة ص ٦، ودولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٤٠ والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج٢ ص ٤ وغير هؤلاء كثير. وعلى هذا يكون ما ذكره الطبري في أحداث سنة ٢٧هـ هي محاولة أولى ولكنها لم تحقق فتح واستقرار بل جاء الفتح والاستقرار على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير سنة ٩٢هـ وهذا ما يؤيده ابن عذاري. ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٤.

المبحث الثاني مراحل الفتح

المطلب الأول مرحلة الاستكشاف

كان للمسلمين محاولات لفتح الأندلس، أولى هذه المحاولات ترجع إلى عهد الخلافة الراشدة كما تقدم^(١) ولعلها كان لها الأثر في الأندلس كما قال ابن عذاري المراكشي^(٢) ثم جاءت غزوات المسلمين في البحر وضمن هذه الغزوات وجه المسلمون إلى شواطئ الأندلس عدة حملات بحرية وفي هذا يقول الدكتور حسن ابراهيم: «قد حاول العرب في العقد الثاني من القرن السابع الميلادي غزو أسبانيا من ناحية افريقية، فأغاروا على السواحل الأسبانية في عهد الأمبراطور القوطي «فمبا» Vamba»^(٣) ولم يعرف على وجه التحديد أهي حملة ابي المهاجر^(٤) سنة ٥٦هـ والتي افتتح فيها جزيرة شريك^(٥) أم أنها حملة أخرى^(٦) ومن المحاولات التي كانت تستهدف فتح الأندلس وتمهد له، غزوة عبد الله بن موسى بن نصير سنة ٨٩هـ وهي معروفة بغزوة الأشراف لكثرة من شارك

(١) تقدم في الصفحة ٥٠.

(٢) نكر رحمه الله في كتاب البيان المغرب أقوال المؤرخين في أول من دخل الأندلس من المسلمين: «فظهر من هذا أن الفهريين - يعني عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وعبد الله ابن الحصين الفهريين - أثرا فيها في زمن عثمان رضي الله، وغنما من جهة البحر، وطريقاً دخلها سنة ٩١هـ مغيراً.. وطارق دخلها دخول المستفتح..» ج٢ ص٤، الشاهد من هذا محاولات دخول الفهريين. وتأثيرهما على الأندلس.

(٣) تاريخ الاسلام السياسي ج١ ص ٤٨٤ للدكتور حسن ابراهيم حسن.

(٤) هو: نينار مولى بني مخزوم تولى امارة افريقيا سنة ٥٥هـ بعد عقبة بن نافع ثم عزله يزيد بن معاوية سنة ٦٢هـ واستشهد أبو المهاجر مع عقبة في فتح افريقية. ينظر/ الاعلام للزركلي ج٣ ص ٢٥.

(٥) هي جزيرة في البحر المتوسط بالقرب من افريقية. معجم البلدان ج٢ ص ١٣٦.

(٦) ينظر: دائرة معارف الشعب ج٢ ص ٢٢٤.

فيها من رؤساء القبائل . ولقد افتتح عبد الله بن موسى في هذه الغزوة جزيرتي ميورقة ومنورقة^(١) وجزر أخرى في البحر^(٢) ثم جاءت غزوة طريف بن مالك سنة إحدى وتسعين هجرية وهي الحملة المباشرة للأندلس . وجاءت تنفيذاً لأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فإن موسى بن نصير لما كتب إليه يستأذنه في فتح الأندلس ، رد عليه الوليد قائلاً : « خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال » وأكد ذلك الوليد عندما راجعه موسى بن نصير ، قائلاً : « أنه ليس ببحر زخار وإنما خليج منه يبين للناظر ما خلفه » فرد الوليد : « وإن كان فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه »^(٣) وبعد هذا أرسل موسى سرية بقيادة طريف بن مالك^(٤) مكونة من أربعمئة رجل معهم مائة فارس ، فأغار على شواطئ الأندلس وذلك بعد نزوله على جزيرة صغيرة سميت فيما بعد بجزيرة طريف^(٥) وكانت سرية طريف سنة ٩١هـ في شهر رمضان ورجع طريف محملاً بالغنائم سالمًا^(٦) .

هذه المحاولات كلها مهدت الطريق للفتح ، وكانت نذراً لحكام الأندلس ، وكسباً للمسلمين في معرفة البلاد وأحوالها .

المطلب الثاني

الفتح المستقر في الأندلس

بعد كل المحاولات التي تقدم ذكرها بدأ المسلمون فتح الأندلس ونشر الإسلام فيها ، فدخل المسلمون الأندلس فاتحين فتحاً مستقراً من

(١) هما جزيرتان في البحر الأبيض بالقرب من شواطئ الأندلس الشرقية. معجم

البلدان ج٥ ص ٢١٦ وص ٢٤٦.

(٢) دائرة معارف الشعب ج٢ ص ٢٢٤.

(٣) نفع الطيب ج١ ص ٢٥٣ للمقري.

(٤) هو طريف بن مالك، وقيل بن ملوك، النخعي، أو المعافري يكنى أبا زرعة، يقال إنه

بربري، ويقال عربي من أهل اليمن/ ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٥٤ ولم أجد له

ترجمة وافية.

(٥) جزيرة طريف في جنوب الأندلس على مضيق جبل طارق - وتبعد عنه خمسة أميال.

دائرة المعارف للبستاني ج١١ ص ٢٦٥.

(٦) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٢٩.

أجل نشر الإسلام هناك، ولكي تصبح الأندلس جزءاً من الأمة الإسلامية، وكان الفاتحون على ثلاث دفعات: الدفعة الأولى بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ في شهر رجب. أرسله موسى بن نصير في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم من البربر الذين كانوا يتقنون حماساً لنشر الإسلام، فعبر طارق المضيق بين الأندلس والمغرب حاملاً لواء الإسلام معلياً رأيته «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وبشائر النصر تحثهم على السير قدماً^(١) ولما وصل طارق إلى الشاطيء الثاني من عدوة الأندلس، وجد المقاومة الأولى فمنعته من النزول في أسهل الأماكن حتى عدل عنه إلى مكان وعمر ليلاً فوطأه للنزول فيه، فنزل هناك، وأغار على الأماكن المجاورة، وفتح الجزيرة الخضراء^(٢) وماجاورها. وذلك قبل المعركة الحاسمة، وكتب قائد القوط إلى ملكهم بعد أن توالت عليهم هزائم طارق.

كتب هذا القائد قائلاً: «إن قوماً لا يدري أمن أهل الأرض أم من أهل السماء قد وطئوا إلى بلادنا وقد لقيتهم، فلتنهض إلي بنفسك»^(٣) وهذا الخطاب يدل على أن طارقاً فاجأ القوم بانتصاراته الأولى عليهم. وهذه الانتصارات حققت لطارق تثبيت أقدامه على أرض الأندلس وأمن طريق العودة إلى شمال أفريقية إن حصل ما يضطره إلى ذلك. بعد هذا زحف إليه ملك القوط (الذريق) يجر معه أمم الأعاجم، قيل

(١) نكر المقري في نفع الطيب: أن طارق بن زياد لما ركب البحر غلبته عينه فنام، فرأى في نومه النبي ﷺ ومعه أصحابه قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي، فقال له النبي ﷺ: يا طارق تقدم لشأنك، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهود: «ورأى طارق النبي وأصحابه دخلوا الأندلس أمامه فاستيقظ من نومه مستبشراً وقويت نفسه ولم يشك في الظفر» نفع الطيب ج١ ص ٢٣٦، والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة. كما جاء في الحديث. ينظر: صحيح البخاري ج١٢ ص ٣٧٣ مع الفتح.

(٢) مدينة مشهورة في الأندلس وأعمالها متصلة بشذوته وهي من أحسن المراسي في الأندلس، وهي في مقابل سبتة.

ينظر: معجم البلدان ج٢ ص ١٣٦.

(٣) التاريخ الأندلسي ص ٥٢.

توجه إلى طارق ومعه مائة ألف من المقاتلين^(١) وقيل أربعين ألفاً^(٢) ولما سمع طارق بزحف ملك القوط إليه كتب إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد. ويخبره بما فتح، وبزحف ملك القوط إليه، فأرسل موسى بن نصير إلى طارق خمسة آلاف من الجنود، فبلغت قوة المسلمين بوصول هذه الدفعة الثانية: اثني عشر ألفاً «ولن يغلب اثني عشر ألفاً من قلة»^(٣).

□ موقعة وادي لكه:

زحف ملك القوط إلى الجنوب قاصداً طارق بن زياد، والتقى الجمعان على مقربة من بحيرة شريش في كورة شذونة^(٤) ودارت هناك معركة عظيمة نصر الله فيها جنده المسلمين، وخذل الأعداء مع غير تكافؤ في العدد والعدة. فإن جيش القوط كان عدده أضعاف عدد المسلمين إلا أن المسلمين كانوا كثرة بإيمانهم العميق، وحماسهم لنشر الإسلام، وأن قائدهم البطل المسلم طارق بن زياد حثهم على الجهاد ورغبهم فيه وأمرهم بالصبر، وصدق اللقاء في خطبة عظيمة حفظت عبر التاريخ^(٥) ثم ألتحم الجيشان وذلك في يوم ٢٨ رمضان عام ٩٢هـ واستمرت المعركة ثمانية أيام حتى يوم خمسة من شوال ثم هزم الله المشركين. وهلك ملكهم في هذه المعركة الفاصلة^(٦).

(١) نفع الطيب ج١ ص ٢٣٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١١٧.

(٣) طرف من حديث وهو: قوله ﷺ: «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة» المسند ج١ ص ٢٩٩ وأبو داود ج٣ ص ٨٢ كتاب الجهاد، وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الحديث الصحيحة ج٢ ص ٧١٩ رقم ٩٨٦.

(٤) مدينة بالأندلس من أعمال اشبيلية، وتتمل بنواحي مورور/ معجم البلدان ج٣ ص ٣٢٩.

(٥) خطبة طارق ذكرت في نفع الطيب ج١ ص ٢٤٠، والامامة السياسية ج٢ ص ٧٤.

(٦) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٥٩.

لقد حقق المسلمون النصر في هذه المعركة بإذن الله، ونفلهم الله مغانم الأعداء حتى ركب المسلمون كلهم على الخيل. ولم يلق المسلمون بعدها معركة أهم منها^(١) وكان لها صدى كبير في البلاد الإسلامية، فما أن سمع بها المسلمون في افريقية، حتى توجهوا إلى طارق عابرين البحر إليه فكثر جيش المسلمين.

أما أهل الكفر فقد سقط في أيديهم وارتفعوا إلى الجبال ودخلوا الحصون خوفاً من المسلمين^(٢).

وبعد هذا أخذ طارق في متابعة الفتح فتوجه إلى مدينة (استجة)^(٣) فافتتحها، وكان فيها فلول القوط، ولم يلق طارق بعدها مقاومة كبيرة^(٤) ومن مدينة استجة وزع طارق جيشه على شكل سرايا، فوجه سرية إلى مالقة^(٥) وسرية إلى قرطبة^(٦) وأخرى إلى كورة البيرة^(٧). وسار طارق بمعظم الجيش إلى طليطلة^(٨) عاصمة القوط، حتى لا يتمكن القوط من استرداد قوتهم، ومقاومة المسلمين مرة أخرى. ففتحت كل هذه السرايا الجهات التي

(١) ينظر نفع الطيب ج١ ص ٢٥٩.

(٢) ينظر: أخبار مجموعة ص ٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص ٥٦٣.

(٣) استجة: كورة بالاندلس تبعد عن قرطبة عشرة فراسخ وهي تقع غرب قرطبة، معجم البلدان ج١ ص ١٧٤.

(٤) أخبار مجموعة ص ٩ وفي تاريخ المغرب والاندلس ص ٧٢ العبادي.

(٥) مالقة: مدينة بالاندلس من أعمال رية، ومنتصلة بالجزيرة الخضراء/ معجم البلدان ج٥ ص ٤٣.

(٦) قرطبة: مدينة عظيمة بالاندلس، ووسط بلادها، وسرير ملكها من سنة ٩٧هـ وحتى نهاية الحكم الأموي في الأندلس سنة ٢٢٢هـ وكانت معدن الفضلاء ومنبع النبلاء بينها وبين البحر خمسة أيام/ معجم البلدان ج٤ ص ٣٢٤.

(٧) البيرة: كورة كبيرة بالاندلس تشمل عدة مدن، وتقع شرقي قرطبة وتبعد عنها تسعين ميلاً. معجم البلدان ج١ ص ٢٤٤.

(٨) طليطلة: مدينة في الأندلس كانت عاصمة القوط ومن أعظم المدن القديمة، وتشرف على نهر تاجة/ معجم البلدان ج٤ ص ٣٩.

وجهت إليها ثم لحقت بطارق^(١). بعد أن أمنت هذه الجهات. وفتح طارق طليطلة بدون مقاومة، ثم توجه إلى مابعدھا حتى وصل إلى وادي الحجارة^(٢) ففتح تلك المناطق ثم رجع إلى طليطلة^(٣). بهذا قد فض طارق جموع الكفر، وشق بلاد الأندلس من وسطها، وتحكم على زمام الأمر بسقوط العاصمة.

المطلب الثالث

إتمام الفتح على يد القائد موسى بن نصير

فض طارق بن زياد جموع الكفر وزعزع كيانهم، واستولى على عاصمتهم طليطلة، وقضى على قيادتهم، ففرقت كلمتهم، وأصبحت كل مدينة تدافع عن نفسها، ولم تكن لها رابطة قيادة بأي مدينة أخرى. فمن السهل أن يقضى على هذه المدن المتفرقة، إلا أن أمام طارق لا تزال بلاد واسعة لم تفتح، ودروب شاقة وأمم كثيرة، وإن سقطت العاصمة وتفرقت الكلمة، وتقديراً لهذا كله جاءت الدفعة الثالثة، لتتوج مابدأه طارق بالنجاح، وتنتشر الإسلام بين الناس فعبر موسى بن نصير - القائد الأعلى للمغرب الإسلامي - إلى الأندلس بجيش قوامه ثمانية عشر ألفاً، وذلك سنة ٩٣هـ في شهر رمضان وحل بالجزيرة الخضراء ووضع هناك القاعدة الأولى لنشر الإسلام فبنى فيها مسجداً. ثم سار إلى غرب الأندلس ففتح شذونه^(٤) ثم مدينة قرمونة^(٥) وكانت مدينة حصينة، ففتحها موسى بن نصير عنوة^(٦) ثم واصل موسى فتوحاته في غرب الأندلس حتى وصل إلى (ماردة)^(٧) فصالح أهلها بعد حرب، منها، ووجه موسى ابنه عبد العزيز إلى شرق

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٦٤ والبيان المغرب ج٥ ص ١١.

(٢) وادي الحجارة بلد بالأندلس شمال طليطلة/ معجم البلدان ج٥ ص ٣٤٣.

(٣) ينظر: أخبار مجموعة ص ١٥ والبيان المغرب ج٢ ص ١٢.

(٤) مدينة بالأندلس من أعمال اشبيلية وقريبة منها/ معجم البلدان ج٣ ص ٣٢٩.

(٥) قرمونة: كورة بالأندلس، تقع بين قرطبة وأشبيلية/ معجم البلدان ج٤ ص ٣٣.

(٦) نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٥٢ محمد عبد الله عنان.

(٧) ماردة: كورة كبيرة بالأندلس، تقع غرب أشبيلية، وتبعد عن قرطبة مسيرة ستة

أيام. معجم البلدان ج٥ ص ٣٨.

الأندلس، ففتح لبلبة^(١) وتدمير^(٢) وصالح أهل تدمير على ما أحبوا^(٣). ثم توجه موسى إلى طليطلة لتفقد أحوال جيشه، بعد أن أمن جنوب غرب الأندلس، والتقى موسى بطارق بن زياد قائده الأول وقال له معجباً بما صنع من إخضاع أمم الكفر: (ياطارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الأندلس فاستبجه هنيئاً مريئاً^(٤))، فقال طارق: ايها الأمير، والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط أخوض فيه بفرسي ولم يزل طارق يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقية^(٥). توجه موسى من طليطلة إلى الشمال ففتح سرقسطة^(٦) وما جاورها حتى دانت له الأندلس كلها، وألقى الله في قلوب أهل الكفر الرعب، فلم يعارضه أحد إلا بطلب الصلح، وواصل زحفه حتى (وصل برشلونه في جهة الشرق^(٧)) وأربونة في الجوف^(٨) وصنم قادس^(٩) في الغرب^(١٠) وعزم أن

-
- (١) لبلبة كورة بالاندلس غرب قرطبة، وبينهما عن طريق اشبيلية أربعة وأربعون فرسخاً. وهي توصف سابقاً بكثرة الخيرات/ معجم البلدان ج٥ ص ١٠.
- (٢) تدمير: كورة بشرق قرطبة، وهي كورة طيبة كثيرة الخيرات، وبها عدة مدن من - لورقة - ومرسية - ينظر: نص أندلسي جديد - قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ص ١٥ تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع.
- (٣) سيأتي نص كتاب الصلح الذي كتبه لهم عبد العزيز في ص ٧٨.
- (٤) هذا يدل على التقدير والمحبة التي كانت بين موسى وطارق خلافاً للروايات التاريخية، التي تقول: إن موسى حسد طارقاً، ينظر: الكامل ج٤ ص ٥٥٨.
- (٥) نفع الطيب - ص ٢٤٢.
- (٦) سرقسطة.
- (٧) برشلونة: ولاية بالأندلس على حدود البحر الأبيض المتوسط، فتحها المسلمون في أول الفتوحات. دائرة المعارف ج٥ ص ٣٢٩ البستاني.
- (٨) أربونة: مدينة خلف جبال البرت فتحها المسلمون في أول الفتوحات، وسقطت على أيدي الأفرنج سنة ١٤١هـ/ فجر الأندلس ص ٢٩٠.
- (٩) قانس جزيرة بغرب الأندلس تقارب أعمال شنونة، بينها وبين البر خليج صغير/ معجم البلدان ج٤ ص ٢٩٠.
- (١٠) ينظر/ تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١١٧.

يفتح كل من أوروبا حتى يأتي إلى دار الخلافة بدمشق عن طريق القسطنطينية إلا أن هذا المشروع العظيم، قطعه الخليفة الوليد بن عبد الملك، لخوفه على المسلمين في دار الحرب، لقلّة عدد المسلمين الذين كانوا مع موسى، وجهالة البلاد التي يواجهونها. وفي هذا يقول ابن خلدون: (ونما الخبر إلى الوليد فاشتد غلقه بمكان المسلمين من دار الحرب، ورأى أن ما همّ به موسى غرر بالمسلمين، فبعث إليه بالتوبيخ والأنصراف، وأسرّ إلى سفيره أن يرجع بالمسلمين إن لم يرجع هو، وكتب له بذلك عهده، ففت ذلك في عزم موسى، وقفل عن الأندلس).^(١)

رجع موسى متوجهاً إلى المشرق امتثالاً لأمر الخليفة، ومر في طريق رجوعه بالمدن التي افتتحها طارق، ليطمئن على أحوال المسلمين ويتفقد إدارتها^(٢).

غادر موسى بن نصير الأندلس سنة ٩٥هـ متوجهاً إلى دار الخلافة ومعه طارق بن زياد، وجعل إمارة الأندلس لولده عبد العزيز ابن موسى لضبط سلطانها وجهاد أعدائها، وجعل مركز حكمه مدينة اشبيلية.

رجع موسى إلى المشرق الإسلامي، ولم يكن في الأندلس بلد لم يخضع للإسلام. إما بالدخول فيه، وإما بمعاهدات المسلمين إلا ما كان من بعض الجيوب في الأماكن الوعرة^(٣)، ومما تقدم يتضح أن نشر الدعوة الإسلامية على بلاد الأندلس مر بمراحل هي:

أولاً : مرحلة الدفاع ومحاولة منع تسلط القوط على افريقية ثم منعهم من البحر حتى لا يتسنى لهم الوصول إلى حدود المسلمين في افريقية. ولهذا كانت الحملات البحرية التي افتتحت فيها الجزر البحرية كميورقة ومينورقة. وكانت في هذه الحملات مكاسب كبيرة للدعوة الإسلامية، حيث تعرف المسلمون على بلاد كثيرة وشعوب مختلفة. وتعرفت كذلك هذه الشعوب على الإسلام والمسلمين من خلال مشاهداتهم لأحوال المسلمين. وكان بإمكان هذه الشعوب أن تدخل في الإسلام بعد أن

(١) ابن خلدون ج٤ ص ١١٨.

(٢) ينظر: فجر الأندلس ص ١٠٦ وأخبار مجموعة ص ٢٦.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ١٦.

تعرفت على سماحة أهله، أو على الأقل أن تحب المسلمين وتستقبل حكمهم بكل حفاوة وترحيب، ولعل هذا ما أظهره اليهود في الأندلس، مما جعلهم موضع اضطهاد كبير من حكام القوط والكنيسة الكاثوليكية المتسلطة.

إن هذه الغزوات التي قام بها المسلمون في البحر في هذه الفترة قد قضت على آمال كل النصارى الذين كانوا في شمال افريقية حيث قطعت كل اتصالاتهم بأوروبا، وبهذا أمن المسلمون شر فتنهم وتحريضاتهم. وهذا الانقطاع الذي حصل لنصارى شمال افريقية بسبب تحكم المسلمين على البحر. لعله هو الذي جعل حاكم سبته (يوليان) يستسلم للمسلمين ويطلب الخضوع لحكمهم العادل، وذلك بعد أن يثس من الاتصال بنصارى أوروبا، فرأى ألا مفر من الدخول تحت حكم المسلمين، وهذا كان كسباً دعويّاً للمسلمين حيث كان لهذا الحاكم دور كبير في فتح الأندلس.

وقد سيطر المسلمون على البحر بعد فتحهم للجزر المتقدمة الذكر ولم يبق لهم إلا الدخول على بلاد أوروبا. ولهذا جاءت الخطوة التالية بعد هذا وهي حملة طريف بن مالك، وكانت مباشرة للبلاد الأوروبية، فقد خرج عن البحر وأغار على شاطئ أوروبا المقابل لعدوة أفريقية، فكانت حملته إنذاراً مباشراً للأندلس حيث وطئ أرضهم لأول مرة بجيش محارب.

ثانياً: مرحلة نشر الدعوة في بلاد الأندلس:

بدأت هذه المرحلة بحملة طارق بن زياد رحمه الله عام اثنين وتسعين هجرية، وقد كان أهل الأندلس قسمين مختلفين قسم كان تحت قيادة الملك لذريق، وقسم آخر محارب له ومعاد.

ولما كان الكفر ملة واحدة، وكان اختلاف الحزبين على الحكم والرئاسة فقط، ولم يكن الاختلاف في العقيدة والمنهج اتحد هذان الحزبان لمحاربة المسلمين، فاجتمعا للقاء طارق بن زياد، لأن المسلمين في نظر أهل الأندلس عدو تجب محاربتة على كل أهل البلاد.

ولما إلتقى المسلمون وأهل الأندلس، انتصر المسلمون انتصاراً كبيراً، وهزم أهل الأندلس هزيمة نكراء وقتل ملكهم وبمقتله تشتت حزبه وأنصاره.

أما قيادة الحزب الآخر فاستسلمت للمسلمين، وقدمت لنفسها طلب الضمان لأرواحها وأملاكها، فوافق لهم المسلمون بكل طلباتهم.

وبعد هذا الانتصار الذي حققه المسلمون بقيادة طارق بن زياد بعد توفيق الله عز وجل توجه المسلمون إلى عاصمة القوط (طليطلة) شاقين بلاد الأندلس إلى نصفين: شرقي وغربي، فافتتح المسلمون طليطلة، بعد أن فتحوا في طريقهم عدة مدن منها قرطبة.

وبهذا قد حقق طارق بن زياد انتصاراً عظيماً للإسلام وجعل أمر أهل الأندلس متفككاً لا تربطهم أية رابطة، فأصبحت كل مدينة تدافع عن نفسها وليس لها أي اتصال قوى بالأخرى، إلا أن ما فتحه طارق ليس هو الجزء الكبير من البلاد، بل هناك جهات شاسعة في الغرب والشرق لم تفتح، والشمال أيضاً والمسلمون في وسط هذه البلاد لم يؤمن عليهم الخطر.

ولما رأى موسى بن نصير حالة المسلمين في الأندلس بادر بنفسه لإتمام الفتح، فجاء من شمال افريقية بجيش كبير من المسلمين فتح غرب الأندلس بنفسه وأرسل ابنه عبد العزيز إلى شرق الأندلس، فصالح أهلها على الجزية، كما سيأتي، وفتح موسى شمال الأندلس مع طارق بن زياد، حتى همّ موسى بفتح كل أوروبا.

وجاء فتح موسى في الأندلس تتويجاً لما بدأه مولاه طارق بن زياد، وتحقيقاً لنشر الإسلام على جزء من أوروبا ربما يكون بداية لفتح القارة الأوروبية كلها فيها بعد.

وبهذا تم فتح الأندلس، وعلت راية الإسلام فيها، وزاد في سلطان

المسلمين مثل افريقية^(١) على يد القائد الكبير موسى بن نصير رحمه الله. ثالثاً: إن الفتح الذي تحقق في بلاد الأندلس للمسلمين - وتمت فيه سيطرة المسلمين على الجزيرة - كان فتحاً عظيماً لسرعته وكثرة إنجازاته الدعوى. إن أهل هذه البلاد التي دخلت تحت حكم المسلمين كانت غالبيتهم من النصارى، وهناك اليهود والوثنيون كما تقدم، فكان من الطبيعي أن يدعوهم المسلمون إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب، وإلى أيهم أجابوهم قبلوا منهم.

فإن أجابوهم إلى الإسلام قبلوا منهم وتركوهم، وكان دور المسلمين هو تعليم هؤلاء الداخلين في الإسلام تعاليم الإسلام كاملة شاملة. وإن أجابوهم إلى الجزية، قبلوا منهم، وكفلوا لهم الحماية والأمن والإستقرار والحرية تحت حكم المسلمين.

ومن نابذهم الحرب حاربوه حتى تتحقق للمسلمين إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

وكان أهل الأندلس في أول أمرهم ينطلقون من منطلق القوة والغرور، ولهذا نابذوا المسلمين الحرب، ولما توالى عليهم الهزائم، فمنهم من آمن ودخل في الإسلام، فأصبح كأحد المسلمين، وكان عدد هؤلاء كثيراً جداً^(٢) ومنهم من أثر البقاء على دينه ودفن الجزية للمسلمين فقبل منه المسلمون حتى لو كان أسيراً من أسرى الحرب^(٣) لأن المسلمين لم

(١) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ٩٣.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص ١٥٥ توماس أرنولد.

(٣) جاء في نفع الطيب: إن طارق بن زياد لما حاصر مدينة استجة كثر القتل في المسلمين، وامتنعت عليهم المدينة، إلى أن ظفر طارق بن زياد بالعلاج صاحبها خارجاً لحاجته وحده إلى نهر المدينة، فوثب عليه طارق وأسرته وجاء به إلى معسكر المسلمين فلما كاشفه اعترف بأنه صاحب المدينة، فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية فوفى بما عاهد عليه) ج١ ص ٢٦٠ فهذا أكبر دليل على أن المسلمين كانوا يقومون بالدعوة إلى الإسلام أو الجزية. وأن طارق لم يقبل الجزية من هذا الرجل الأسير إلا بعد أن دعاه إلى الإسلام فلم يجب، ثم دعاه إلى الجزية فأجاب فقبل منه.

يكرهوا أحداً للدخول في الإسلام، بل تركوا لكل الناس حرية الاعتقاد في اختيارهم الإسلام أو غيره وكان دور المسلمين بعد حكمهم للبلاد، هو دور المعلم المرشد للحق المبين له للناس، ولهذا استمر دخول الناس إلى الإسلام فترة طويلة، كما سيأتي بيانه في موضعه.

فبالخلاصة: إن فتح الأندلس عسكرياً كان بداية لدعوة الناس إلى الإسلام فترة طويلة تحت رعاية المسلمين لكل شعوب المنطقة. فكانت هذه الشعوب تدخل في الإسلام بمحض إرادتها، بعد أن وضع لها الحق. وقد استمر دخولها في الإسلام زمناً طويلاً كما سيأتي بيانه في موضعه.

□ الأندلس بعد موسى بن نصير:

كما سبق القول ترك موسى بن نصير على إمارة الأندلس ولده عبد العزيز وتولى بعده على الأندلس عدة أمراء حتى قيام الدولة الأموية المستقلة بالأندلس عام ١٣٨هـ.

فظلت الأندلس تابعة لشمال افريقية خلال هذه الفترة في أغلب الأحيان. وقام ولاة الأندلس بنشر الإسلام خير قيام. حتى وصل الإسلام على أيديهم قلب أوروبا، ودوخوا دولة الإفرنجية آن ذاك، ولولا سرعة الضعف الذي أصاب الخلافة الأموية بدمشق، لتم فتح أوروبا كلها على أيدي ولاة الأندلس. إلا أن ضعف الخلافة انعكس على كل المسلمين. فتوقفت كل الفتوحات، ومنها فتوحات ولاة الأندلس في أوروبا، وقامت الفتن بالذات في الأندلس كما سيأتي بيان ذلك في موضعه.

المبحث الثالث نجاح الدعوة

فتح المسلمون كل بلاد الأندلس في فترة لا تتعدى ثلاث سنوات، ووضع فيها موسى بن نصير قواعد دولة عظيمة^(١) أصبحت من بعده منارة العلم ومنبع الحضارة في أوروبا كلها وكان فتح الأندلس من أعظم الفتوحات الإسلامية، في سرعته، وإنجازاته العظيمة، ودخول الناس في دين الله زرافات ووحداً، وتغيرت حال أهل الأندلس من الأسوء إلى الأحسن، وأصبح تحولهم إلى الإسلام عظيماً، ولهذا نجد في عصر الولاة بعد موسى بن نصير، يشكل الأندلسيون في الجيش الإسلامي-الذي فتح جنوب فرنسا-الغالبية العظمى مما يدل على سرعة تحول الناس إلى الإسلام. ولقد أزهلت وأثارت هذه السرعة إعجاب كثير من المؤرخين الغربيين حيث قال أحدهم^(٢): (في أقل من أربعة عشر شهراً قضى على مملكة القوط قضاءً تاماً، وفي عامين فقط وطدت سلطة المسلمين فيما بين البحر المتوسط وجبال البرنية، ولا يقدم لنا التاريخ مثلاً آخر اجتمعت فيه السرعة، والكمال، والرسوخ بمثل ما اجتمعت في هذا الفتح^(٣)).

من المعلوم أن الجيش الإسلامي الذي فتح الأندلس كان عدده ثلاثين ألفاً. اثني عشر ألفاً مع طارق بن زياد وقد قتل ربعهم في معركة وادي لكة^(٤) وثمانية عشر ألفاً مع موسى بن نصير وفي أقل تقدير أن ربع هذا الجيش قد استشهد في المعارك، والربع الآخر وزع في المدن

(١) مما يدل على تأسيس موسى بن نصير قواعد الدولة في الأندلس، يقال: إنه ضرب

عملة إسلامية في طليطلة ليصرف منها رواتب الجند، ينظر/ فجر الأندلس ص ١٠٠.

(٢) هو مؤرخ أمريكي معاصر يدعى: سكوت، ينظر/ نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٦٤.

(٣) نولة الإسلام في الأندلس ص ٦٤ لمحمد عبد الله عنان.

(٤) يقول المقرئ في نفع الطيب: (فجمع طارق ألفاً وخمسمائة، ثم اقتسمه أهله على

تسعة آلاف من المسلمين) ج١ ص ٢٥٩. وهذا يدل على أن الثلاثة آلاف قتلوا في

المعركة لأن عدد الجيش الإسلامي قبل المعركة كان اثني عشر ألفاً. كما تقدم.

الكثيرة لحمايتها، وتعليم الناس فيها، وهناك عدد آخر رجع إلى المشرق مع موسى بن نصير وطارق بن زياد، وهذا يدل على أن عدد الجيش الذي يصلح للجهاد بالنسبة للداخلين قد تناقص ولم يبق منه إلا القليل. ومع هذا كله نجد جهاد المسلمين في الأندلس متواصلًا، ومحاولاتهم لفتح أوروبا مستمرة، وأعداد الجيش الإسلامي متزايدة، حتى بلغ في موقعة بلاط الشهداء سبعين ألفاً^(١) مما يدل على كثرة الذين دخلوا في الإسلام من أهل الأندلس الأصليين، وتحولهم إليه بقوة وحماس. وفيما يلي بيان لأسباب نجاح الدعوة في الأندلس.

□ السبب الأول: الأحوال التي كانت سائدة في الأندلس زمن الفتح:

تقدم بيان الأحوال التي كانت سائدة في الأندلس وقت الفتح الإسلامي للأندلس، والذي يُذكر هنا هو تسلط الكنيسة الكاثوليكية في الأندلس، والطبقية الاجتماعية التي كانت آن ذاك في البلاد، وكيف ساعد ذلك لانتشار الإسلام.

١ - فالكنيسة الكاثوليكية، كانت هي السائدة في الأندلس وقت الفتح الإسلامي، وقد أصدرت قوانين تحرم على الناس أن تدين بغير المذهب الكاثوليكي واتخذت نفوذاً لدى الحكام لتنفيذ قوانينها بالقوة. وفي سبيل ذلك اضطهد المذهب الآريوسي، واليهود في الأندلس، كما حرمت على الناس مجرد التفكير أو التشكي من تصرفات القساوسة الكاثوليك مما جعل كل الطبقات تكره رجال الكنيسة المتسلطين، وفي هذا يقول توماس أرنولد: (لقد أصدر المجمع السادس في طليطلة قراراً يقضي بأن يقسم كل الملوك، بأن لا يسمحوا بانتشار أي مذهب آخر غير المذهب الكاثوليكي، وأن ينفذوا القانون بالقوة على الخارجين عليه، وقد تلا هذا القانون قانون آخر يحرم على كل شخص أن يتطرق إلى ذهنه أي شك في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة، وفي النظم الإنجيلية، وتفسير الآباء الروحيين، والمراسيم الكنيسية والقرايين المقدسة إذا ما صودرت

(١) ينظر/ بولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٩٧ محمد عبد الله عنان.

أملاكه أو حكم عليه بالسجن المؤبد ... وجلس الأساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لإقرار الشؤون الهامة في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك، وادعت لنفسها الحق في عزله إذا أبى الإذعان لقراراتهم.

واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا إليها سبيلاً لاضطهاد اليهود.. وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية^(١) لاشك أن هذه الحالة كانت تجعل الناس يتطلعون إلى من يخلصهم منها، لأنها تقضي على الضمير والإنسانية، والكنيسة لا تحترم أي ضمير حتى يومنا هذا خاصة إذا تمكنت من السلطة التي تجعلها تنفذ ماتريد. فعندما جاء الإسلام كان أول من بادر لنصرته، أو الإيمان به هم هذه الطبقات المضطهدة، فاليهود هم أول من ناصر المسلمين ورحب بهم^(٢) وأيضاً أهل المذاهب النصرانية الأخرى التي كانت تحاربها الكنيسة الكاثوليكية، وجدوا في الإسلام مخلصاً، ومعيناً، لما وجدوه في المسلمين من حسن المعاملة وحرية الديانة. وكثير منهم دخل في الإسلام حتى من كبار أساقفتهم.

ومن ذلك أسقف أشبيلية، وفي هذا يقول (توماس) بعد ذكر تقارب عقيدة المذهب الآريوسي من الإسلام: «ومن الأمثلة التي تؤيد مذهبنا إليه: تحول ثيود سكلوس Thiodisclus ذلك الرجل الأغرقي الذي خلف القديس إيزيدور Isidpre في منصب رئيس أساقفة أشبيلية، فقد اتهم بالإلحاد لقوله بأن المسيح لم يكن إلهاً باتحاده بالله وبروح القدس، وإنما كان ابن الله عن طريق التبني، لهذا قضى المجمع الديني بعزله من منصبه وبجرمانه من حقوقه الكنسية، فلجأ إلى العرب ودان بالإسلام بين ظهرانيتهم^(٣) هذه أحوال الكنيسة وكيف أدت إلى نفور الناس منها ودخولهم في الإسلام، لأنه دين الرحمة والعدالة.

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٥٤ لتوماس آرنولد.

(٢) ينظر: نفح الطيب ص ٢٦٣ و ٢٦٤.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ١٥٧.

٢ - أما الأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة آن ذاك، فهي أحوال سيئة للغاية، فالطبقات السائدة، واستغلال الإنسان للإنسان كان موجوداً، فهناك النبلاء ورجال الدين يتمتعون بأعلى السلطات وبأيديهم اقتصاد البلاد. وهناك العبيد الذين كان لسيدهم أعظم سلطة عليهم حتى الحكم بالموت، وهناك طبقة الزراع وأصحاب الحرف البسيطة الذين تقع عليهم أعظم التكاليف من الضرائب وغيره.

ولقد تقدمت الإشارة إلى هذه الطبقات. ولكن هنا بيان دخول هذه الطبقات في الاسلام.

فالغالبية العظمى من هذه الطبقات دخلت في الإسلام من جميع الفئات، لأنها وجدت في الإسلام أسمى معاني الإنسانية، فطبقة العبيد أصبحوا أحراراً، وزراع الأرض الذين كانوا مجرد عمال للنبلاء أصبحوا ملاك الأرض أحراراً في تصرفهم فيها. وحتى النبلاء وإن ذهب سلطتهم في الحكم، فهم أصبحوا أحراراً في أملاكهم الخاصة^(١) وفي ديانتهم مما رغبتهم في الإسلام.

قال توماس: «كان هؤلاء الأرقاء الذين وصلوا إلى الحضيض أول من تدين بالإسلام في أسبانيا. كما اعتنقت هذا الدين الجديد كثير من أشرف المسيحيين عن عقيدة راسخة. أو عن بواعث أخرى. ويضاف إلى ذلك عدد كبير من أهالي الطبقات الدنيا والوسطى الذين دانوا بالاسلام عن إيمان ثابت متحولين إليه من ديانتهم القديمة التي أهمل رجالها مصالحهم، ولم يحفلوا بتلقيهم أصولها، وانصرفوا إلى مطامع الدنيا، فساموهم الخسف ونهبوا أملاكهم، وبعد أن تحول هؤلاء الأسبان إلى الإسلام ظهروا بمظهر الغيور لدينهم الجديد»^(٢) فتحمسوا لنشره والجهاد في سبيل ذلك. هكذا كانت أحوال الأندلس، وقد ساعدت هذه الأحوال إلى تحول كثير من الناس إلى الإسلام.

(١) ينظر: المجلد في تاريخ الأندلس ص ٥١ عبد الحميد العبادي.

(٢) الدعوة إلى الاسلام ص ١٥٥ توماس أرنولد.

□ السبب الثاني: سماحة المسلمين:

إن المسلمين لما فتحوا بلاد الأندلس عاملوا أهلها معاملة حسنة، وهذه هي طبيعة المسلمين الأوائل في كل البلاد التي فتحوها، مما كان له الأثر الكبير في ترغيب الناس على الإسلام، وفيما يلي ذكر لبعض الأمثلة من سماحة المسلمين في معاملة أهل الأندلس.

□ الوفاء بالعهد:

إن من أوامر الإسلام وأسسها الثابتة: الوفاء بالعهد، قال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم»^(١) ولقد أمر الرسول ﷺ بالوفاء بالعهد فقال: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده، ولا يحلها، حتى ينقضي أمدها»^(٢) ولقد وعد ﷺ عدم الوفاء بالعهد من كبائر الذنوب التي لا ينفع معها أي اعتذار. ولا حجة يوم القيامة، فقال: «ومن نكث العهد ومات ناكثاً للعهد جاء يوم القيامة لا حجة له»^(٣) وإن الغادر يفضحه الله يوم القيامة

(١) النحل جزء من الآية ٩١.

(٢) جزء من حديث رواه أبو داود والترمذي وهو قوله: (عن سليم بن عامر - رجل من حمير - قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، فإذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أوبرنون، وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، وفاء لا غدر فنظروا- فإذا عمر بن عبسة رضي الله عنه، فأرسل إليه معاوية، فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى ينقضي أمرها، أو ينبذ إليهم على سواء» فرجع معاوية/ سنن أبي داود. كتاب الجهاد، باب في الامام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه. الحديث رقم ٢٥٧٩ ج٣ ص ١٩٠ تعليق عزت الدعاس، الطبعة الأولى عام ١٣٩١هـ.

ورواه الترمذي في كتاب السير - باب ماجاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة جه ص ٢٠٥، وقال: حسن صحيح/ تحفة الأحوزي للماركفوري، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

(٣) جزء من حديث رواه الامام أحمد في المسند وهو: عن عامر بن ربيعة أن النبي ﷺ قال: «إنها ستكون من بعدي أمراء يصلون الصلاة لوقتها، ويؤخرونها عن وقتها، فصلوا معهم، فإن صلوا لوقتها، وصليتموها معهم، فلكم ولهم، وإن أخروها عن

على رؤوس الخلائق، ولهذا قال ﷺ: «إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان»^(١) بل قد أخبر ﷺ أن من لم يف بعهد أهل الذمة ويراعي حقهم بأنه ليس من أمة محمد ﷺ فقال: «ولا يفي لذي عهد بعهد فليس من أمتي»^(٢) وقد عدَّ رسول الله ﷺ عدم الوفاء بالعهد صفة من صفات المنافقين الذين وعدهم الله بالدرك الأسفل من النار فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(٣) فقال ﷺ في صفات المنافقين: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أنثمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٤) ولهذه المكانة العظيمة للوفاء بالعهد في الإسلام، اهتم المسلمون بالوفاء بالعهود، واعتبر المسلمون نقض العهد والغدر بالمعاهد كبيرة من الكبائر ومخاصمة للشارع^(٥).

وقتها، فصليتموها معهم فلکم وعليهم. ومن فارق الجماعة، مات ميتة جاهلية، ومن نكث العهد ومات ناكثاً للعهد، جاء يوم القيامة لا حجة له» مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٤٤٥-٤٤٦/ طبعة المكتب الإسلامي.

(١) رواه البخاري - كتاب الجزية - باب: اثم الغادر ج ٤ ص ٧٨، طبعة أسطنبول، ورواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالعهد ج ٣ ص ١٨٨، اللفظ له.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند، وهو: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من فارق الجماعة وخرج من الطاعة فمات، فميتته جاهلية، ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برأها، وفاجرهما، لا يحاش مؤمناً لإيمانه، ولا يفي لذي عهد بعهد فليس من أمتي. ومن قاتل تحت راية عمية يفضب للعصية أو يقاتل للعصية، أو يدعو إلى العصية، فقتله جاهلية» المسند ج ٢ ص ٣٠٦. وسلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني ج ٢ ص ٧٥.

(٣) النساء الآية رقم ١٤٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ج ١ ص ١٤ ومسلم كتاب الإيمان، باب خصال المنافق ج ٢ ص ٤٦ مع شرح النووي.

(٥) لقوله ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً، فاستوفى منه ولم يعطه أجره».. البخاري كتاب

وكان من طبيعة المسلمين - الذين فتحوا البلاد، وأدخلوا الناس - بإذن الله - في دين الله أفواجاً - الوفاء بالعهود، وعدم نقضها، وأمثلة في ذلك كثيرة، أما في الأندلس عند الفتح الاسلامي، فإن أول معاهدة توجد في كتب التاريخ هي: معاهدة طارق بن زياد مع أبناء (غيطشة)^(١) وذلك أن طارق بن زياد عندما التقى مع أهل الأندلس بقيادة لذريق ملكهم في معركة وادي لكة، أرسل إليه أبناء غيطشة، وكانوا من ضمن قواد جيش لذريق - يطلبون من طارق الأمان أن ينضموا إليه بمن تبعهم من الجيش، بشرط أن يرد إليهم ضياع والدهم إذا ظفر طارق، فأجابهم طارق وعاقدهم عليه، ولما أنتصر طارق أراد توثيق العهد الذي أعطاهم من الخلافة الاسلامية، فوجههم طارق إلى موسى بن نصير في افريقية مع كتاب العهد الذي أعطاهم فوصلوا إلى موسى، وهو في طريقه إلى الأندلس، فوجههم موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بالشام فلما وصلوا إلى الخليفة أكرمهم، وأنفذ لهم العهد، وعقد لكل واحد منهم سجلاً فقدموا الأندلس وحازوا ضياع والدهم وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة^(٢) فاقتموها بينهم^(٣). ولم يذكر أن المسلمين فرضوا على هذه الضياع ضرائب أو عشوراً، بل كانت صافية خالصة لهؤلاء. وهذا من حسن معاملتهم لأهل هذه البلاد.

ومن معاهدات طارق أنه حاصر أهل استجة ومعهم فل عسكر لذريق، وهم في قوة، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً، حتى كثر القتل والجراح على

البيوع، باب: اثم من باع حرأ - ج ٣ ص ٤١ طبعة اسطنبول.

(١) غيطشة هو الملك الذي كان قبل لذريق ملك الأندلس وقت الفتح الاسلامي وكان لغيطشة ثلاثة أبناء هم المنده، وارطياش، ووقلة.

ينظر: نفع الطيب للمقري ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) هي جنائن مختارة فيها كل ماكان مألوفاً في عهود الملوك من زروع وثمار، وحيوانات وخدم.

(٣) ينظر: نفع الطيب ج ١ ص ٢٥٨ و ص ٢٦٥، وتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص

المسلمين، وأقام أهل المدينة على الامتناع إلى أن ظفر طارق بالعلاج صاحبها، خارجاً إلى نهر لبعض حاجته بدون حرس، فصادف طارق فوثب عليه طارق وهو لا يعرفه فأخذه وأتى به عسكر المسلمين. ولما كاشفه اعترف بأنه أمير المدينة، فصالحه طارق على ما أحب، وضرب عليه الجزية، وخلي سبيله فوفى بما عاهد عليه^(١) ويدلنا هذا الصلح على حسن معاملة المسلمين لأهل البلاد المفتوحة، وأنهم ماجأوا ليتسلطوا على الناس وإنما جاءوا لهداية الناس سواء السبيل، إلى الاسلام الذي ارتضاه الله أن يكون دين البشرية الوحيد الذي لا يقبل الله ديناً سواه، كما يدلنا على أن المسلمين دعوا هذا الأمير الأسير إلى الإسلام أو الجزية، فأجاب إلى الجزية، ولو كان المسلمون يريدون الاستيلاء على الأرض والتسلط على الناس، لما صالحوا هذا الأسير الذي أصبح في ملكهم، بل على أقل تقدير لراهنوا عليه أهل المدينة بما يريدون، فالدعوة إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، كانت تلازم كل الفتوحات الاسلامية، لأنها منهج الإسلام. ومما يدلنا بالنص أنها كانت مطبقة في الأندلس: هو أن مغيث الرومي^(٢) لما فتح قرطبة لجأت مجموعة من حاميتها إلى كنيسة، فتحصنوا بها مدة ثلاثة أشهر تحت حصار مغيث، فلما ضاق بهم الأمر، هرب قائدهم متجهاً إلى طليطلة، ولكن تمكن مغيث من أسره، واستنزل القوم «فدعاهم إلى الاسلام أو الجزية فأبوا عليه»^(٣) فقتلهم بعد هذا الإعذار وبيان الحق.

وكانت هذه المعاهدات التي كان يعقدها مع المسلمين أهل البلاد شرطها ضمان كل الحريات لأهل البلاد، ومن ذلك ما يوجد في نص كتاب

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٦٠.

(٢) مغيث الرومي: هو مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة الرومي سبي بالمشرق من الروم وهو صغير، فأبى عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد.

شارك في فتح الأندلس مع طارق، وفتح مدينة قرطبة، وكان له عقب في قرطبة/

الاعلام للزركلي ج٨ ص ١٩٧، ونفع الطيب ج٣ ص ١٢.

(٣) نفع الطيب ج١ ص ٢٦٣.

الصلح الذي عقده عبد العزيز بن موسى بن نصير لأهل تدمير هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش، إنه نزل على الصلح، وأنه له عهد الله وذيمة نبيه ﷺ، ألا يقدم له ولا أحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينازع عن ملكه، وأنهم لا يقتلون، ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم، ولا نسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ماتعهد ونصح وأدى الذي اشترطنا عليه. وأنه صالح على سبع مدائن أريولة، وبلتنة، ولقنت، ومولة، وبلانة، ولو رقة، وأله. وأنه لا يؤوى لنا أبقاً، ولا يؤوى لنا عدواً ولا يخيف لنا أمنا، ولا يكتم خبر عدو علمه، وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة وأربعة أمداد قمح، وأربعة أمداد شعير، وأربعة أقساط الطلأ^(١) وأربعة أقساط خل، وقسطي عسل، وقسطي زيت وعلى العبد نصف ذلك. شهد على ذلك عثمان ابن أبي عبدة القرشي، وحبيب بن أبي عبدة. بن ميسرة الفهمي وأبو قائم الهذلي، وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة^(٢). فهذا الخطاب يتضمن بيان الحقوق التي ضمنها المسلمون لأهل البلاد وهي الحفاظ على أملاكهم وأرواحهم وعدم إخافتهم بتفريقهم، واحترام دينهم وعدم إكراههم على الإسلام، وعدم التعرض لدور عبادتهم. كل هذه الشروط تدل على أن المسلمين لم يكرهوا أحداً من أجل الدخول في الإسلام.

يقول توماس آرنولد : (أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام أو اضطهادهم بأي وسيلة من وسائل الاضطهاد في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي، فإننا لا نسمع عن ذلك شيئاً.)^(٣) والفضل ماشهدت به

(١) الطلأ: يطلق على معانيها: عصير العنب إذا طبخ حتى نهب ثلاثاء/ لسان العرب ج١٥ ص ١١.

(٢) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٢٥٩ والوثائق السياسية والادارية في الأندلس وشمال افريقية ص ١٢٠ محمد ماهر حمادة، وتاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١١٦.

(٣) الدعوة إلى الاسلام ص ١٥٧ توماس آرنولد.

الأعداء، فهذا رجل من غير المسلمين يعترف بحسن معاملة المسلمين لأهل الأندلس. فالمسلمون تركوا الناس أحراراً في عباداتهم ولم يتعرضوا لهم بأي أذى بل اكتفوا بعرض الإسلام وبيان محاسنه دعوة وعملاً، ولهذا فإن طارق بن زياد لما فتح طليطلة: أبقى على أهلها وترك لهم الكنائس، وترك للأخبار حرية إقامة دينهم^(١) مقابل أنصياهم لدولة الإسلام كما هو معروف.

وفي العهد الذي كتبه عبد العزيز يوجد بيان مقدار الجزية المطلوبة في السنة الواحدة، وكيف أنها قليلة، وسهلة خاصة على هؤلاء القوط الذين كان يستذلهم النبلاء، قبل الفتح الإسلامي، علماً بأن المسلمين خففوا في فرض الجزية على أهل الأندلس كثيراً وذلك بأن أعفوا منها النساء والأطفال والرقيق، والرهبان، وكل أصحاب العاهات والمعوقين، وجعلوا جمع الجزية من أهل الأندلس على يد موظفين من النصارى أنفسهم. هذا يدل على أن الجزية سهلة جداً. وفي هذا يقول توماس آرنولد: (إن سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون، نحو الديانة المسيحية كان لها أكبر الأثر، في تسهيل استيلائهم^(٢) على هذه البلاد. وإن الشكوى الوحيدة التي اشتكى منها المسيحيون، هي معاملة حكاهم الجدد لهم معاملة تختلف عن معاملة رعاياهم من غير المسيحيين، ذلك لأنه قد فرض عليهم أداء جزية الرؤوس المعتادة وهي ثمان وأربعون درهماً عن الأغنياء، وأربعة وعشرون درهماً عن أهل الطبقة الوسطى، واثنا عشرة درهماً عن العمال، لإعفائهم من الخدمة العسكرية. على أن هذه الجزية لم تفرض إلا على القادرين من الرجال، على حين أعفي منها النساء والأطفال، والرهبان، والمقعدون والعميان والمرضى والمساكين والأرقاء. هذا إلى أن جمع هذه الضرائب قد قام به الموظفون المسيحيون أنفسهم مما خفف وطأتها على الناس)^(٣).

(١) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس ص ٥١.

(٢) إن المسلمين لم يكونوا غزاة يستولون على البلاد، ويتسلطون على رقاب البشر، بل كانوا مبشرين ومحررين للإنسانية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ١٥٧.

□ نصره المظلوم:

كانت نصره المظلوم من أهم مميزات المسلمين لأن المسلمين أهل العدل فلا يظلمون ولا يقرون بين ظهرائهم مظلوم حتى يأخذوا له الحق، ولا ظالم حتى يأخذوا منه الحق. لقول الرسول ﷺ: « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »^(١).

والمسلمون في الأندلس كغيرهم يقيمون العدل في جميع أفراد المجتمع. وعلى الرغم من أن النصارى كان لهم قضاءهم الخاص بهم إلا أن المسلمين إذا رأوا ظالماً من قضاة النصارى لبني جنسهم تدخلوا من أجل إقامة العدل، ومن أمثلة ذلك قصة ساره القوطية التي اعتدى عمها (ارطباش) على تركة أبيها فضمها إلى أملاكه، فتدخل المسلمون لمنعه كما سيأتي^(٢).

ومن أمثلة منع المسلمين للظلم قصة القاضي سليمان بن أسود مع الأمير محمد ابن عبد الرحمن وهي: كان سليمان بن الأسود قاضياً على مدينة (ماردة) زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم وكان عليها محمد بن عبد الرحمن.

فقد احتبس لرجل يهودي - من تجار جليقية - مملوكة أعجبتة، واشتط اليهودي فس سومها، فدرس (الأمير) غلمانها لأختلاسها من اليهودي. وفزع اليهودي إلى سليمان بمظلمته، واستشهد بمن حول دار الإمارة ممن عرف خبرها، فأوصل سليمان إلى الأمير محمد يعرفه بما ذكره اليهودي، وماشهد به لديه، ويقبح عنده سوء الأحدثوة عنه، وسأله دفع مملوكته إليه. فأنكر الأمير محمد مازعمه اليهودي، ولواه بحقه، فأعاد القاضي إليه الرسالة يقول له: « إن هذا اليهودي الضعيف لا يقدر أن يدعي على الأمير بباطل! وقد شهد عندي أقوام من التجار، فليأمر الأمير بإنصافه » فلج الأمير ولج القاضي، فأرسل إليه سليمان ثانية يقسم بالله العظيم لئن لم يصرف إلى اليهودي جاريته، ليركب دابته من فوره، ويكون طريقه إلى الأمير والده، يعلمه الخبر ويستعفيه من قضائه. فلم يلتفت محمد إلى وصيته. فشد سليمان على نفسه وركب دابته سائراً إلى قرطبة، وكانت

(١) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب المظالم باب أعن أخاك ج ٣ ص ٩٨.

(٢) في ص ٩٠.

طريقه على باب دار الإمارة، فدخل الفتیان إلى محمد فعرفوه بسيره. فأشفق من ذلك، وأرسل خلفه فتى من ثقاته يقول له: إن الجارية قد وجد خبرها عند بعض فتياته، وقد كان أخفاها بغير أمره وهاهي حاضرة، ترد إلى اليهودي. فلحقه الرسول على ميل أو نحوه من - ماردة - وأعلمه. فقال: «والله لا أنصرف من موضعي راجعاً أو أوتي بالجارية إلى هذا المكان، ويقبضها اليهودي هاهنا، وإلا مضيت لوجهي» فأرسل محمد الجارية إليه. فلما صارت بين يديه، أرسل في اليهودي مولاها، وفي ثقات من أهل البلد، ودفعها إليه بحضرتهم^(١). وبهذا كان المسلمون ملجأ كل مظلوم سواء كان من ظلمه من غير المسلمين أم من المسلمين أنفسهم، حتى أن بعض حكام الأقاليم إذا اعتدى على أملاك النصارى ردها منه المسلمون إلى أصحابها مثل ما فعل عبد الرحمن الغافقي حيث ردَّ إلى النصارى في بعض الأقاليم كنائسهم وأملاكهم المغصوبة والتي صالحوا عليها من قبل^(٢).

هكذا كان المسلمون في نصرة المظلوم.

□ تواضع المسلمين حكاماً ومحكومين:

إن المسلمين لما فتحوا الأندلس لم يكونوا منعزلين عن المجتمع الأندلسي بل كانوا مندمجين فيه مما جعلهم أمة واحدة مع غيرهم. ولم يترفخوا عن المجتمع ويجعلوا أنفسهم سادة عليهم، كما كان يفعل حكام القوط ونبلائهم، بل كان الحاكم المسلم كغيره من أفراد المجتمع لا يفضل عنهم بشيء وأكبر دليل على ذلك تلك المصاهرات التي حصلت بين المسلمين الفاتحين وأهل البلاد المفتوحة مثل زواج عبد العزيز بن موسى وغيره من بنات ملوك الأندلس هذا الاندماج في المصاهرات جعل المسلمين قدوة لغيرهم في حسن المعاملة، وجعل الآخرين يندمجون مع المسلمين أكثر لأن من طبع البشر اقتداء المغلوب بالغالب، وخاصة إذا كان الغالب من أهل الأخلاق الحميدة كالمسلمين الأوائل. وإن الإنسان لا يتزوج ولا يزوج إلا من يراه كفوًّا له، فكان زواج المسلمين من أهل الأندلس رفع معنويات أهل البلاد وجعلهم يتحببون إلى المسلمين، ويقتدون بأخلاقهم.

(١) تاريخ قضاة الأندلس للنباي ص ٥٦.

(٢) ينظر: دولة الإسلام ص ٨٥.

كل هذه المعاملات الحسنة التي منحها المسلمون لأهل البلاد جعلتهم يقتربون من المسلمين، ويبحثون عن دين الإسلام.

□ السبب الثالث: يسر الإسلام:

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله أن يكون خاتمة الأديان السماوية كلها، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾^(١) ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٢) وهو دين يوافق فطرة الإنسان وميوله، قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٣) وقال ﷺ: «مامن مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(٤).

والإنسان إذا سلم من المؤثرات المضللة، فإنه بفطرته يوافق الإسلام، ويتقبله إذا عرض عليه لأنه دين الفطرة السليمة. وعندما فتح المسلمون الأواثل البلاد، كانوا دعاة خير بأقوالهم وأفعالهم، ويمثلون سماحة الإسلام، الذي يؤثر في القلوب ويأسرها، بقوة حجته واستقامة محجته، وسهولة تكالفيه وموافقته للفطر الإنسانية. ولهذا قال أحد النصارى: (إن من يدخل الإسلام من الأمم التي فتحها المسلمون، ورفرف عليها علم الملة المحمدية، إنما يدخله بعد أن عرف مزايا هذا الدين، واتسامه بالصدق، والبراهين المنطقية، واتفاقه مع العقل وعدم رضاه بالتقليد الأعمى، وإحاله الدائم على النظر في الآيات، فهو كالْبضاعة الجيدة يعرضها التاجر أمام المشتريين واثقاً من أنها ترضي أصحاب الأذواق الجيدة منهم، وليس مثل سواه من الأديان التي يقول أصحابها:

(١) آل عمران جزء من الآية رقم ١٩.

(٢) آل عمران الآية رقم ٨٥.

(٣) الروم الآية ٣٠.

(٤) جزء من حديث رواه البخاري: وهو: «مامن مولود إلا ويولد على الفطرة بأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء».

أنها فوق مدارك العقول؟! فإن كانت فوق مدارك العقول فلماذا كلف الله بها الناس وهم لا يعقلونها؟! إن الأفضل أن يقول هؤلاء: إنها لا تقبلها العقول، بدلاً من أن يقولوا: إنها فوق مستواها، والله حكيم لا يكلف عباده إلا بما يعقلون^(١). ويقول: (إن الجم الغفير من أهل البلاد المفتوحة كانوا ينظرون إلى سماحة الإسلام، وقوة حجته، واستقامة محجته، فيسلمون طواعية دون إكراه)^(٢) فسماحة الإسلام وموافقته للفطر السليمة كان مما سهل دخول الناس إليه بدون إكراه (وإنما لم يسلك المسلمون الفاتحون سبيل الإكراه لثقتهم إن الإسلام ينساق إلى النفوس وينفذ إلى القلوب لما فيه من أسباب الهدى والاطمئنان، ولا أدل على أنهم لم يسلكوا سبيل الإكراه، إلا بقاء اليهودية والنصرانية في بلادهم، وحرية أهلها في معابدهم وعباداتهم واملاكهم، وأرزاقهم وذلك أمر مشاهد ملموس)^(٣) فليس في الإسلام تعقيدات ولا عنت بل هو سهل ميسر مما جعل الناس تقبل إليه وتعتنقه دون أي مشقة.

□ السبب الرابع: القدوة الحسنة:

قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^(٤).
وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور»^(٥).

(١) في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين ص ٢٣ محمد عزت الطهطاوي.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤.

(٣) نفس المرجع نفس الصفحة.

(٤) الأحزاب الآية رقم ٢١.

(٥) جزء من حديث رواه أبو داود والترمذي. وهو: عن عرياض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعيш منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

سند أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة جه ص ١٣، سنن الترمذي، كتاب

لقد أمر الله المسلمين أن يتأسوا بالرسول ﷺ في كل أمورهم. كما أمر الرسول ﷺ أمته باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين. فالواجب على الأمة الإسلامية اتباع نبيها ﷺ في كل الأمور، وخاصة إنها أمة دعوة تبين الحق لغيرها، فلا بد أن يكون الحق الذي تدعوا إليه متمثلاً في نفسها، فيكون فعلها مطابق لقولها فهي أمة أسوة لغيرها في حسن خلقها، وحسن معاملتها وموافقة قولها لفعلها. وهكذا كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، حيث كانوا قدوة حسنة لغيرهم، فكم من شخص دخل في الإسلام بسبب حسن معاملة المسلمين

ولما فتح المسلمون الأندلس، كان لحسن معاملتهم الأثر الكبير في انتشار الإسلام، فإن مما ساعد على انتشار الإسلام في الأندلس واقبال الناس إليه ما يروونه على الفاتحين من تطبيق الإسلام عملياً. فإن المسلمين كانوا بأفعالهم يمثلون إسلاماً متحركاً، فكان أهل البلاد يرون أمامهم التطبيق العملي للإسلام. وكان الجيش الفاتح فيه العدد الكبير من الدعاة، وخاصة التابعين الذين تلقوا العلم من الصحابة رضوان الله عليهم. فموسى بن نصير القائد الأعلى للجيش الإسلامي في الأندلس هو من التابعين الذين تلقوا العلم من الصحابة، ومن الدعاة المهتمين بنشر الإسلام وتعليم الناس أمور الدين، فقد جاء في سيرته عندما أتم فتح افريقية (ترك خلقاً كثيراً من العرب يعلمون الناس القرآن وفرائض الإسلام) ^(١) وبهذه الخطط استطاع أن يكون من أمة البربر أعظم جيش فتح به الأندلس، ولاشك أن موسى بن نصير سار على هذا المنهج القويم - الذي اتبعه مع أهل افريقية - مع أهل الأندلس في تعليم الناس أمور الدين. ولاشك في ذلك لأن موسى من التابعين.

والتابعون كانوا هم القدوة الحسنة للناس، فهم الذين أسسوا المساجد عندما فتح المسلمون الأندلس، فإنه جاء في ترجمة حنش بن عبد الله الصنعاني ^(٢) إنه وصل مع الجيش الفاتح إلى سرقسطة، فأسس

العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ج ٧ ص ٤٣٨ (تحفة الأخواني).

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ١ ص ١١٣ لأبي الفلاح الحنبلي.

(٢) هو حنش بن عبد الله السباني الصنعاني - قرية بالشام - تابعي جليل روى عن علي وابن عمر وابن عباس، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله، دخل افريقية مجاهداً، وشهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير وتوفي سنة مائة قيل في افريقية، وقيل

جامعها، وخطط قبلة جامع البيرة، وعدل قبلة جامع قرطبة^(١). وهذا يدل على الجهود التي بذلها التابعون لنشر الإسلام، وإقامة مساجده، والتابعون هم من خير القرون التي شهد لها الرسول ﷺ بذلك في قوله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(٢) ولقد دخلت منهم الأندلس مجموعة. قال المقرئ في نفع الطيب: (وممن دخل الأندلس حنش الصنعاني، وأبو عبد الرحمن الحبلي^(٣) وابن شماسة^(٤) وعياض بن عقبة^(٥))

بسرقة بالأندلس.

ينظر: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية ج١ ص ١٢٦، ونفع الطيب ج٣ ص ٨.

(١) ينظر: نفع الطيب ج٣ ص ٨.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه وهو قوله ﷺ «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً ثم إن بعدكم قوماً يشهدون، ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السم». البخاري ج٤ ص ١٨٩، طبعة أسطنبول.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي، من التابعين الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز لتعليم أهل إفريقية، فانتفعوا به كثيراً وبث فيها علماً غزيراً وشهد فتح الأندلس من قبل مع موسى بن نصير، ثم سكن القيروان، وتوفي فيها سنة مائة/ رياض النفوس ج١ ص ٩٩، ومعالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ج١ ص ١٨٠. ونفع الطيب ج٣ ص ٩.

(٤) أبو ثمامة بكر بن سواد الجذامي تابعي جليل، روى عن جماعة من الصحابة منهم: عقبة بن عامر وسهل بن سعد، وهو من التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية، توفي سنة ١٢٨، وقيل غرق في مجاز الأندلس/ رياض النفوس ج١ ص ١١٢.

(٥) هو أبو يحيى عياض بن عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية، كان من التابعين الذين روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، سكن إفريقية، وشهد فتح الأندلس، ثم رحل إلى مصر في آخر حياته، وتوفي فيها سنة مائة، رياض النفوس ج١ ص ١٣٢، ونفع الطيب ج٣ ص ١٠.

وعلي بن رباح اللخمي^(١) وموسى بن نصير فاتح الأندلس^(٢) وحبان ابن أبي جبلة القرشي^(٣) . . . وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي^(٤) صاحب الأندلس المذكور في سلاطينها، ومحمد بن أوس بن ثابت الأنصاري^(٥)

- (١) هو علي بن رباح بن قصير اللخمي، كان فقيهاً صالحاً فاضلاً، روى عن مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم عمرو بن العاص وعبد الله ابن عمرو وأبو هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وروى عنه ابنه موسى وغيره، دخل الأندلس مع موسى بن نصير، توفي سنة مائة وأربعة عشر في المدينة وهو في طريقه إلى الحج، وقيل في إفريقية. ينظر: رياض النفوس ج١ ص ١١٩، ونفح الطيب ج٣ ص ٨.
- (٢) تقدمت ترجمته وهو يروي عن تميم الداري رضي الله عنه، كما جاء في سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٤٩٦.
- (٣) هو حبان بن أبي جبلة من التابعين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية لتعليم الناس. وكان غزا مع موسى ابن نصير الأندلس حتى وصل إلى برشلونة، ينظر: رياض النفوس ج١ ص ١١١ وينظر: نفح الطيب ج٣ ص ٩.
- (٤) عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، أبو سعيد أمير الأندلس، من كبار القادة الشجعان، أصله من غافق، من قبيلة عك في اليمن رحل إلى إفريقية، واتصل بموسى بن نصير وولده عبد العزيز، أيام إقامتهما بالأندلس، وتولى إمارة الشاطئ الشرقي بالأندلس، وتولى إمارة الأندلس كلها مرتين، أولهما بعد مقتل السمح بن مالك سنة ١٠٢هـ والثانية بعد محمد الأشجعي سنة ١١٢هـ وغزا بلاد الأندلس حتى توغل فيها، استشهد في موقعة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ.
- ينظر: في ترجمة: جذوة المقتبس ص ٢٧٤، ونفح الطيب ج٣ ص ١٥.
- (٥) محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري هو ابن الصحابي الجليل أوس بن ثابت كان من أهل الدين والفضل والمعرفة بالفقه، روى عن أبي هريرة، ودخل إفريقية سنة ٩٣هـ، وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير، وتوفي سنة ١٠٢هـ.
- ينظر: معالم الإيمان ج١ ص ١٨٩ وجذوة المقتبس ص ٤٥، والتكملة ج١ ص ٣٥٤.

وزيد بن قاصد السكسكى^(١) والمغيرة بن أبي بردة الكنانى^(٢). وعبد الله ابن المغيرة الكنانى^(٣) وحيوية بن رجاء التميمى^(٤) وعبد الجبار بن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف^(٥) ومنصور بن جزامة، وعلي بن عثمان بن خطاب^(٦) وذكر ابن حبيب^(٧) أن عدة من دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلاً، وهم الذين أسسوا قبلة المسجد الجامع

(١) زيد بن قاصد السكسكى من التابعين روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، دخل الأندلس وحضر فتحها مع موسى بن نصير. ينظر/ المقتبس في معرفة رجال الأندلس ص ٢٢١ للحميدي، والتكملة لابن الانبار ج١ ص ٢٣، ونفح الطيب ج٣ ص ٥٧.

(٢) المغيرة بن ابي بردة نشيط بن كنانة العذري الكنانى، حليف بني عبد الدار، من التابعين المجاهدين، روى عن ابي هريرة، وغزا مع موسى بن نصير الأندلس، فلما قتل يزيد بن ابي مسلم والى افريقية، أراد اهل افريقية أن يولوا المغيرة لما عرفوا من دينه فأبأ ذلك/ رياض النفوس ج١ ص ١٢٤.

(٣) عبد الله بن المغيرة بن ابي بره القرشي، من فضلاء التابعين، روى عن سفيان بن وهب الخولاني، وتولى قضاء أفريقية، زمن خلافة عمر بن عبد العزيز، فسار في اهل افريقية بسيرة اهل العدل، وأقام فيهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ: ينظر: رياض النفوس ج١ ص ١٢٦.

(٤) جيوية بن رجاء التميمي، ذكر ابن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير وأصحابه وهو من جملة التابعين/ ينظر: التكملة لابن الانبار ج١ ص ٢٨٢ ونفح الطيب ج٣ ص ١٠.

(٥) عبد الجبار بن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، جده عبد الرحمن أحد العشرة المبشرين بالجنة، دخل عبد الجبار مع موسى بن نصير الأندلس، وكان في ميسرة معسكره، ونزل باجه ثم بطليوس، ومن نسله كان الزهريون الأشراف الذين كانوا بأشبيلية. ينظر: نفح الطيب ج٣ ص ٦٤.

(٦) منصور بن جزامة وعلي بن عثمان بن الخطاب، لم أجد لهما ترجمة وأنكر المقرئ أن يكونا من التابعين، ينظر: نفح الطيب ج٣ ص ١١.

(٧) ابن حبيب هو عبد الملك بن حبيب مفتي الأندلس زمن الأمير عبد الرحمن ابن الحكم، ويعنيه المقرئ لأنه ألف كتاب في طبقات الفقهاء والتابعين، ينظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج١ ص ٣٦٢.

بقرطبة^(١).

لاشك أن عدد التابعين في الجيش الإسلامي الفاتح، كانوا أكثر من ذلك، لأن أعداداً كبيرة من الصحابة رضوان الله عليهم فتحوا افريقية، وأسلم على أيديهم أعداد كبيرة من سكان افريقية، والجيش الإسلامي الذي فتح الأندلس، كان غالبية من أهل افريقية، ومما لاشك فيه كان فيهم من التابعين. ولقد قام هؤلاء بجهود الدعوة إلى الله وتأسيس المساجد في البلاد المفتوحة، كما سيأتي فيما بعد.

وعلى العموم إن المسلمين كانوا قدوة حسنة للآخرين في تطبيقهم للإسلام، وكان أهل البلاد ينظرون إليهم نظرة احترام وإجلال وما ذلك إلا لتطبيقهم هذا الدين الحنيف، ولهذا يقول أحد القساوسة: (وكان يحببهم - يعني أهل البلاد المفتوحة - في الإسلام ما يرون عليه أهله من الاستقامة والمنهج القويم. وإن علماءه لا يدعون أنهم أقرب إلى الله من أحد من عباده، كما يزعمه علماء غيرهم من الأديان، وإن القرب من الله أو البعد عنه راجع إلى عمل العبد، لا إلى سبب آخر. وإن مصير العباد لا يتحكم فيه، نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا عالم عامل، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى)^(٢).

نعم هكذا كان المسلمون الذين أوصلوا الإسلام إلى العالم الذي فتحوه. وفتحوا قلوب الناس لهذا الدين بمعاملاتهم الحسنة وتطبيقهم العملي، حتى أقنعوا الناس بأفعالهم قبل أقوالهم، فدخلوا في دين الله، متقارئين طائعين، وأقبلوا على تعلمه، بشغف وفهم حتى ظهر من هؤلاء الداخلين الجدد علماء بارزون في علوم الإسلام في فترات وجيزة.

□ السبب الخامس: التداخل الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم في الأندلس.

دخل المسلمون الأندلس فاتحين وكانت أعدادهم كثيرة كما تقدمت

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٨٨.

(٢) في الدعوة إلى الإسلام ص ٢٤ الطهطاوي.

الإشارة إلى ذلك ثم تتابع المسلمون إلى الأندلس في أثناء الفتح وبعده، فلما انتصر طارق بن زياد في معركة وادي لكة على جيش لذريق، لحقت به أعداد كبيرة من المسلمين^(١) لأن المسلمين كانوا يتشوقون إلى الجهاد، والأندلس كانت أرض جهاد. فتتابع بعض المسلمين بالدخول إلى الأندلس بعد فتحها، ففي عهد ولاية عبد العزيز بن موسى دخلت إليه أعداد من شمال إفريقية وبلاد المشرق الإسلامي^(٢). ودخل الحر بن عبد الرحمن الثقفي^(٣) الأندلس والياً سنة ٩٧هـ ومعها أربعمئة من وجوه الناس^(٤) واستقروا في الأندلس.

كل هذه المجاميع الكبيرة التي دخلت الأندلس، ماكانت منعزلة عن المجتمع الأندلسي، بل كان المسلمون مندمجون في هذا المجتمع، وأقاموا علاقات أسرية بالزواج من أهل البلاد، فإن عبد العزيز بن موسى تزوج ابنة الملك لذريق^(٥) وتبعه كبار القادة ووجوه المسلمين^(٦) في ذلك، وبالغ المسلمون في إكرام أبناء ملوك القوط ووجهاهم مما كان له الأثر في اقترابهم من الإسلام، وبعد ذلك إعلانهم للإسلام.

ومن أمثلة ذلك إكرام أبناء غيطشة، وتقدمت الإشارة إليهم^(٧)، ولما توفي أحد أبناء غيطشة وهو (المنند) وترك بنت وابنين صغيرين، تسلط عمهم - ارطباش - على أملاك أبيهم وضمها إليه، كعادة أهل الكفر في عدم توريث الصغير والأنثى، توجهت بنت (المنند) إلى الشام لترفع قضيتها إلى

(١) ينظر: نفح الطيب ج١ ص ٢٥٩.

(٢) ينظر: نولة الاسلام في الأندلس ج١ ص ٧٢.

(٣) هو الحر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي أمير الأندلس زمن خلافة سليمان بن عبد الملك، وليها بعد أيوب بن حبيب الذي تولى بعد مقتل عبد العزيز بن موسى، واستمرت ولاية الحر حتى سنة ١٠٠هـ، ثم عزل بولاية السمح بن مالك. ينظر/ الاعلام للزركلي ج٢ ص ١٧٢ والبيان المغرب ج٢ ص ٢٥.

(٤) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٥.

(٥) قيل: أرملة لذريق، وقيل ابنته، ينظر: البيان المغرب ج٢ ص.

(٦) أمثال زياد بن النابغة التميمي. المرجع السابق.

(٧) في صفحة ٧٦.

الخليفة هشام بن عبد الملك، ولما وصلت هناك شكت إلى خليفة مظلمتها، واحتجت بالعهد المكتوب لأبيها سابقاً من الخلافة الإسلامية، فأنصفها الخليفة من عمها، وأكرمها وأقام لها محامياً قوياً يطالب بحقها، ويدفع عنها الظلم بأن زوجها بأحد المسلمين في الشام، وتوجهت مع زوجها إلى الأندلس تحمل معها كتاب الخليفة، الذي يأمر فيه واليه بأن يرد عليها أملاك أبيها، ويجريها هي وأخوانها على سنة الميراث في الإسلام^(١).

فما أعظم رعاية المسلمين لحقوق كل الطبقات التي كانت تحت حكمهم ولعل هذه المرأة قد أسلمت لأنها عرفت باسم سارة القوطية^(٢) وهو اسم إسلامي، كما أن المرأة التي تزوجها عبد العزيز بن موسى اشتهرت بأمر عاصم مما يدل على أنها اعتنقت الإسلام.

ومن أمثلة إكرام الخلفاء لأبناء وجهاء القوط. قصة عائلة قسي، أمراء الثعز الأعلى (سرقسطه) فترة حكم بني أمية في الأندلس وماقبله. إن جدهم الأعلى (قسي) كان قومس^(٣) منطقة سرقسطة زمن الحكم القوطي، فلما فتح المسلمون الأندلس لحق بالشام وأسلم على يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك، فكان ينتمي إليه ولأءً ولذلك كان بنو قسي في أول أمرهم يكونون في جملة المضرية من قبائل الأندلس^(٤).

ولاشك أن الخليفة أعطاه عهداً بولاية ماكان عليه سابقاً، لأن هذه المنطقة بقيت تحت حكم سلالاته زمناً طويلاً^(٥).

كل هذه المعاملات الحسنة التي عامل بها المسلمون أهل الأندلس كان لها الأثر الكبير في اعتناق الأندلسيين للإسلام. فعندما يرى

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٦٧ وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠.

(٣) كلمة قس Comes تعني في الأصل مرافق الملك ونديمه، ثم صارت هذه التسمية في أيام القوط بأسبانيا خاصة بولاية الكور/ ينظر: جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٢ لابن حزم الأندلسي.

(٤) ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٥٠٢.

(٥) ينظر: بولة الاسلام ج١ ص ٣٦٠.

المغلوب الغالب يعامله معاملة حسنة، وينزل على مستواه الاجتماعي فيخالطه ويصاهره، بل يدافع عن حقوقه ويكرمه، فسرعان ما يحاول المغلوب أن يقلد الغالب لأنه يراه قدوته وأسوته، ويرى فيه الكمال المطلق، فيجب أن يصل إلى درجته^(١). ودرجات المسلمين هي أعلى الدرجات. فقد فاز من قلدتهم.

هذه الأسباب وغيرها جعلت أهل الأندلس يعتنقون الإسلام، وبأعداد كبيرة لدرجة أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما طلب من عامله في الأندلس السمح بن مالك الخولاني، أن يكتب إليه بصفات الأندلس وحال المسلمين فيها، وربما همّ الخليفة بإخلاء الأندلس من المسلمين لخوفه عليهم من الأعداء. كتب إليه عامله - السمح - بأن أعداد المسلمين قد كثرت وأنهم استوطنوا في جميع أراضيتها^(٢). مما يدل على سرعة تحول الناس إلى الإسلام وشدة إقبالهم إليه.

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٦٢.

(٢) ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٨ وأخبار مجموعة ص ٢٣.

الباب الثاني

أهم مظاهر الدعوة الإسلامية في الأندلس

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: القضاء ودور القضاة في نشر الدعوة

الفصل الثاني: الحسبة والمحتسبون

الفصل الثالث: الفقهاء المستشارون ودورهم في الدعوة

□ تمهيد:

إن أي أمة لها مقياس لقوتها ومظاهر حضارتها، وأي منهج تطبقه في نظام حياتها لأبد أن تعرف مدى ملاءمته لنظام الحياة التي تعيشها، وصلاحيّة هذا المنهج. ولهذا تعيش الأمم في التجارب وقتاً طويلاً، لإيجاد نظام يتوافق مع حياتها.

وهيئات أن تصل إلى نظام يكفل لها السعادة الأبدية. ولهذا أصبحت كل الأنظمة الوضعية في تغيير مستمر في كل وقت فليس هناك نظام أو قانون له صفة الثبات والديمومة. ناهيك أن يكفل السعادة للناس.

أما الإسلام فإنه دين أختاره الله أن يكون آخر الأديان وخاتمتها، ومهيماً عليها، وأودع الله فيه خير كل الأديان السابقة.

وجعل الله فيه كل المناهج التي تكفل للإنسان الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة. فشرع فيه العبادات والمعاملات، والتشريعات التي تكفل للإنسان السعادة في الدارين.

وعندما يكون الإنسان أكثر تمسكاً بهذا الدين الإسلامي، كان أسعد الناس في الدنيا والآخرة.

ولتحقيق سعادة البشرية كلها لابد أن يطبق الإسلام في الحياة كلها، لذا شرع الجهاد لإقامة دولة الإسلام التي تطبق هذا الدين كاملاً غير منقوص، ولرفع الظلم والطغيان.

والدعوة الإسلامية عندما تحكم المجتمع فإنها تحقق، العدل والأمن، والرخاء للمجتمع. فمن أجل إقامة العدل شرع القضاء، حتى لا يوجد في المجتمع مظلوم. ولا يتعدى ظالم فيتناول دون أي رادع، والقضاء الإسلامي له أعظم المكانة في إصلاح المجتمع وسعادته، حتى أن القوانين الوضعية تتمنا أن تصل في أحكامها ووضوح قواعدها إلى ماوصل إليه القضاء الإسلامي من يوم وجوده على الأرض. ولا يمكن قوانين البشر أن تصل إلى أحكام خالق البشر. لأن القضاء الإسلامي وضعه الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى. ولهذا يمتاز القضاء الإسلامي بما امتازت به شريعته التي أخذ منها، من الثبات، والشمول

والكمال، والصلاحية لكل زمان ومكان وضمن الحق لكل أحد.
 أما القضاء في غير الإسلام، فإن مادته هي من صنع البشر الذي
 يعتريه النقص في كل شيء والعجز عن إدراك الحقائق. ولهذا دائماً
 معرض للتغيير والتبديل، والنقد والحذف والإضافة. فهو غير ثابت في
 قواعده، وغير عادل في أحكامه، وغير ملزم في مادته وجوهره. فلا مقارنة
 بينه وبين القضاء في الإسلام^(١).

والقضاء قوته مربوطة بقوة الدولة. فكلما كانت الدولة أكثر أمناً،
 واستقراراً، وأعظم حضارة. كان فيها للقضاء مرتبة عالية، ومكانة سامية،
 وحكماً منفذاً، وجانباً مرهوباً للقضاة. والقضاء من أعظم مظاهر الدولة،
 فقوته تدل على قوة الدولة، وعلو مكانها، خاصة في الإسلام، لأن الدولة
 الإسلامية من أسس إيمانها بالله تنفيذ أحكامه وتطبيق شرعه.

والقضاة في الإسلام هم السلطة المنفذة لأحكام الشريعة
 الإسلامية. وللقضاء جهات مساعده، منها ما هو متصل بالأحكام كأهل
 الشورى الذين يبينون حكم ما أشكل على القاضي، ويستنبطون أحكاماً
 لمستجدات الحياة مما يشابهها من النصوص الشرعية. أو المشاركة
 لها في العلل. فدور أهل الشورى مهم، بالنسبة للقضاة لأنهم مرجع
 القاضي في القضايا التي تحتاج إلى استنباط ونظر. وهناك مساعدون
 آخرون للقضاة من جهة المراقبة والتنفيذ.

وهم أهل الحسبة، الذين يتفقدون أحوال الناس، ويصلحون ما بينهم
 قبل الوصول إلى القضاة. ويتفقدون أحوال البلد في كل شؤون الحياة،
 فيصلحون ما فسد منها، من أمن، وبناء، وتعليم، وأمر بعروف ونهي عن منكر.
 فالقضاة وأهل الشورى وأهل الحسبة، هذه الفئات الثلاثة يمثلون
 أهم مظاهر الإسلام، ودليلاً على قوة وسيادة دولته. وفي الفصول الآتية
 ذكر لهذه الفئات الثلاثة في الأندلس، وبيان جهودها في إصلاح المجتمع
 الذي كانت تعيش فيه.

(١) ينظر: التشريع الجنائي الإسلامي ص ١٣ وما بعده لعبد القادر عودة - الطبعة الحادية

عشر عام ١٤١٢هـ نشر: مؤسسة الرسالة. بيروت.

الفصل الأول

القضاء ودور القضاة في نشر الدعوة.

وفيه مباحث

المبحث الأول: القضاء في الأندلس

المبحث الثاني: أشهر القضاة في الأندلس

المبحث الثالث: دور القضاة في الدعوة

وتحت كل مبحث مطالب

المبحث الأول

القضاء في الأندلس

وفيه مطالب

المطلب الأول: تعريف القضاء

المطلب الثاني: أهمية القضاء وعلاقته بالدعوة

المطلب الثالث: القضاء في الأندلس في عهد الولاة

المطلب الرابع: القضاء في عهد الحكم الأموي في الأندلس

المطلب الخامس: مكانة القضاة في الأندلس

المطلب السادس: اختصاصات القضاة في الأندلس

المطلب الأول تعريف القضاء

القضاء في اللغة يأتي على عدة معاني منها: الحكم، قال ابن منظور: القضاء. الحكم، وأصله قضاي لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف الزائدة طرفاً هُمزت. والجمع أقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا... قال أهل الحجاز: القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور المحكم لها... القضايا: الأحكام، واحداً قضية... وأصله القطع والفصل. يقال: قضى يقضي قضاءً فهو قاضي إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء احكامه وأمضاؤه، والفراغ منه فيكون بمضى الخلق. وقال الزهري^(١): القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله وأتم أو ختم أو أدى أداء، أو أوجب أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضى فقد قضى... القضاء الحكم والأمر^(٢).

وعلى هذا القضاء في اللغة انقطاع الشيء وتمامه والأمر به ولزومه.

□ تعريف القضاء في الاصطلاح:

القضاء في الشرع هو: الأخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام^(٣). وقيل:

(١) الصحيح الأزهري وليس الزهري كما يقول الدكتور محمد عبد الرحمن البكر في

كتابه: السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي ص ٥١.

والأزهري هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، ولد في مدينة هراة بخراسان

سنة ٢٨٢هـ وتوفي بنفس المدينة سنة ٣٧٠هـ وهو فقيه شافعي ولقد غلبت عليه اللغة

فأشتهر بها. ينظر في ترجمته وفيات الأعيان ج٤ ص ٣٣٤، نشر دار صادر بيروت.

(٢) ينظر: لسان العرب ج١٥ ص ٨٦ مادة قضا/ دار الصادر بيروت.

(٣) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناجج الأحكام ج١ ص ٨ لابن فرحون/ المطبعة

العامرية بمصر.

تبيين الحكم الشرعي والإلزام به وفصل الخصومات^(١). وهناك تعريفات أخرى تدور حول هذا المعنى^(٢). وعلى هذا يكون القضاء بيان الحكم الشرعي المستند على أصل من أصول الشريعة^(٣). والقدرة على الإلزام بهذا الحكم من أجل إنهاء القضية المتنازع عليها. فإن القاضي إذا لم يستطع الإلزام بالحكم، فهو مفتي وليس بقاضي.

المطلب الثاني

أهمية القضاء وعلاقته بالدعوة.

أولاً: أهمية القضاء:

القضاء يعتبر من ضروريات الناس، فإن أمورهم لا تستقيم بدون إقامة عدل ودفع ظلم، ولا تتحقق إقامة عدل ولا دفع ظلم بدون قضاء أو جهة يرجع إليها الناس وهي جهة القضاء، فإن العدل حصن يلجأ إليه كل مظلوم. فالقضاء لا تتحقق بدون إقامة العدل الذي أمر الله به فقال: ﴿إِن اللّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٤) وبالقضاء يتحقق العدل. وإقامة العدل تتطلب دفع ضدها، وهو الجور والظلم، والظلم قد حرمه الله تعالى على نفسه، وحرمه على عباده بقوله في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(٥)

(١) حاشية الروض المربع لابن القاسم ج٧ ص ٥٠٨ / الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

(٢) ينظر: القضاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ج١ ص ٣٨ للدكتور ناصر الطريفي.

(٣) أصول الشريعة الإسلامية هي: الكتاب والسنة والأجماع والقياس.

(٤) النحل - جزء من الآية ٩٠.

(٥) جزء من حديث طويل رواه مسلم، والامام أحمد وهو: عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني

فإن الإنسان إذا لم يكن له وازع إيماني من نفسه يمنعه من الظلم، فلا بد أن تكون هناك جهة تمنعه من الظلم، والقضاء أهم ما يمنع الظلم، ويردع الظالمين.

وإن من طبيعة بعض الناس عدم القيام بما يجب عليهم، أو التماطل في إيصال الحقوق التي يجب أن توصل إلى مستحقيها، فإن الجهة التي يلجأ إليها صاحب الحق هي جهة القضاء وسلطان القضاة، فالقضاء هو الذي يتمكن به صاحب الحق من حقه فهو طريق أداء الأمانات التي أمر الله أن تؤدي بقوله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً﴾^(١).

فإقامة العدل ودفع الظلم، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، ما تحقق كل هذه الأمور وغيرها إلا بالقضاء. ولهذا كان القضاء من مهام الأنبياء، يتولونه بأنفسهم. فقد أنزل الله عليهم الكتب لينفذوا ما جاء فيها من أحكام الله على الناس. وتكون هذه الكتب هداية للناس من بعدهم. قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين،

اطعمكم، ياعبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضربي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد، مازاد ذلك في ملكي شيئاً، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد. مانقص ذلك في ملكي شيئاً، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته، مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم جء ص ١٩٩٤، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية بالرياض عام ١٤٠٠هـ، مسند الامام أحمد، ج٥ ص ١٦٠.

(١) النساء الآية رقم ٥٨.

وأُنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ ﴿٢﴾.

فمن مهام الرسل صلوات الله وسلامه عليهم الدعوة إلى الله والحكم بين الناس بالحق الذي أنزل إليهم، وكما أن هذا هو منهجهم، فهو منهج كل أتباعهم من بعدهم.

وكان نبينا محمد ﷺ يباشر مهمة القضاء بنفسه واقتدى به خلفاؤه من بعده رضوان الله عليهم أجمعين، فكان الخليفة منهم يتولى القضاء بين الناس بنفسه، مع مشغوليّاته الأخرى بأمور الدولة.

وكان في صدر الإسلام، قيادات الجيوش الإسلامية التي فتحت البلاد، تتولى القضاء بين الناس. فكان القائد هو القاضي بين المسلمين في أغلب الأوقات.

ولما اتسعت الدولة الإسلامية، وانشغل الخلفاء بأمور الدولة الأخرى، جعلوا مهمة القضاء على العلماء الذين اتصفوا بالعلم والورع والتقوى والذين لا تأخذهم في الله لومة لائم في الحق. كل هذا يدل على أهمية القضاء، لأن القضاء فيه تصريف أمور الناس والحكم في الدماء والأبضاع، والأموال، والحلال والحرام ﴿٣﴾. فيحتاج إلى من يعرف كل هذه الأمور معرفة تامة وينفذها على كل الناس.

ثانياً: علاقة القضاء بالدعوة إلى الله عز وجل:

علاقة القضاء بالدعوة، علاقة كبيرة، فالدعوة من مهامها إقامة الناس على الحق والعدل. والقضاء أكبر مظهر من مظاهر الدعوة، لأنه تتمثل فيه قوة الدعوة، ونجاحها. فقوة القضاء الإسلامي وهيمنته لا تتحقق، إلا في ظل قوة الدولة الإسلامية، وشدة تمسكها بالإسلام، وقوة دولة الإسلام

(١) البقرة جزء من الآية رقم ٢١٣.

(٢) الحديد - جزء من الآية رقم ٢٥.

(٣) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٢ لأبي الحسن علي بن عبد الله النباهي.

تحتاج إلى دعاة أقوياء يتحملون تكاليف الدعوة باللسان والسنان. والدعوة أيضاً من مهامها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والقضاء فيه أمر بمعروف ونهي عن منكر، ومنع من ظلم وإقامة عدل، فهو أعظم ما يتحقق به قول الرسول ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه»^(١) أي تمنعه من الظلم بالأخذ على يديه، ومنعه منه. فالقضاء نصرة للمظلوم الذي هدم حقه، ونصرة للظالم الذي اعتدى على الآخرين، لأنه يمنع من الظلم الذي هو سبب للهلاك في الدنيا والآخرة.

والدعوة غاية ما تهدف إليه: هو رضى الله عز وجل في الدنيا والآخرة، والحرص على ما يصلح الناس في الدنيا والآخرة. كما أن القضاء من أهدافه الوصول إلى رضا الله، والإصلاح بين الناس بإزالة الخصومات فيما بينهم حتى تتألف القلوب، ويكون كل أفراد المجتمع أخوة متحابين^(٢). فالقضاء والدعوة كل منهما يهدف إلى أن تعم شريعة الله الأرض، ويقام فيها العدل. وكم من عدل أقامه المسلمون كان سبباً لإسلام كافر، ومن ذلك ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى بقوله: (وجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه درعه عند رجل نصراني، فأقبل به عند شريح^(٣) يخاصمه، ثم قال: هذا الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب، فقال شريح للنصراني: ماتقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال أصاب شريح، مالي بينة. فقضى شريح للنصراني، قال: فأخذها النصراني ومشى خطأ، ثم رجع فقال: أما أنا

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ج٣ ص ٩٨.

(٢) فتح الباري ج١٣ ص ١٤٦ والمغني لأبن قدامة ج١١ ص ٣٧٣.

(٣) هو شريح بن الحارث بن قيس النخعي الكوفي، ولاءه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء الكوفة واستمر على القضاء بعد عمر مدة طويلة، وله مع علي رضي الله عنه أخبار. وهو ثقة مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ويقال له صحبة مات قبل سنة ثمانين. وقيل سنة ٨٠.

ينظر: سير أعلام النبلاء ج٤ ص ١٠٠ وما بعدها.

فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء . أمير المؤمنين يدانيني إلى قاضيه؟ ويقضي عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش، وأنت منطلق إلى صفين^(١) فخرجت من بعيرك الأورق . فقال علي: أما إذ أسلمت فهي لك، وحمله على فرس . قال الشعبي^(٢) فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهروان^(٣) .

فما أعظم هؤلاء الأخيار الذين أختارهم الله أن يكونوا أصحاباً لنبيه ﷺ . وما أعظم عدالة الإسلام، وما أجمل تاريخه المشرق . أمير المؤمنين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، يرفع قضية مع رجل نصراني إلى قاضي المسلمين، وهو أعلى سلطة من القاضي، وبإمكانه أن يأخذ الدرع من الرجل، وهو يعلم أنه درعه، ولا أحد يستطيع أن يمنعه، لأن كل الأمور بيده . لكنه لا يريد أن يفعل ذلك، بل يريد أن يعلم العالم كله درساً عظيماً في العدالة الإسلامية، ويكون هذا الدرس نبزاً تهدياً به البشرية عبر التاريخ إلى الحق، وإلى نور الإسلام وعدالته الرائعة العظيمة . فأين دعاة حقوق الإنسان من أمثال هذه القضية، واليوم نرى الإنسانية تذبح في كل مكان، والحقوق مقصوبة، والدماء مهدورة .!؟

(١) صفين: موقع على شاطئ الفرات الغربي، كانت فيه الموقعة المشهورة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما . ينظر: معجم البلدان ج٣ ص ٤١٤ .

(٢) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو إمام ثقة يكنى أبا عمرو، ويعتبر من الطبقة الثالثة، مات سنة ١٠٤هـ .

ينظر: سير أعلام النبلاء ج٤ ص ٢٩٤ وما بعدها وتقريب التهذيب ص ٢٨٧ .

(٣) البداية والنهاية ج٨ ص ٤ مكتبة المعارف بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٦م . والنهروان منطقة واسعة بين بغداد وواسط من الشرق، كانت فيها الرقعة المشهورة بين علي رضي الله عنه وبين الخوارج . ينظر: معجم البلدان ج٥ ص ٣٢٤ .

المطلب الثالث

القضاء في الأندلس في عصر الولاة (٩٥هـ - ١٣٨هـ)

دخل المسلمون الأندلس فاتحين في أواخر القرن الأول الهجري، كما تقدم ذكره، وكان قواد الجيش الإسلامي هم العلماء من التابعين، أمثال موسى بن نصير القائد الأول للمسلمين في بلاد المغرب الإسلامي، وفي جملة المسلمين الفاتحين مجموعة من التابعين. كما أن غالبية الجيش الإسلامي كانت من تابعي التابعين.

والقيادة الإسلامية كانت في يد العلماء، فهم القواد، والولاة، ولهذا كان القضاء في أول الأمر على يد الولاة. فهم القواد للجيش في ميادين الجهاد وخوض معارك الفتوحات. وهم الولاة الذين يصرفون أمور الدولة ويسوسون شئونها. وهم القضاة الذين يفصلون في الخصومات ويقيمون العدل بين الناس.

ولما اتسعت البلاد، واستقر الناس على اجزائها المتباعدة، جعل الولاة يعينون نواباً يقومون بأمور الناس نيابة عن الوالي العام. وهم قضاة وولاة في آن واحد. ولهذا قال الخشني رحمه الله تعالى: (ولي الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي^(١))، فكان صاحب جهاد ورباط، وذا نجدة وبأس، ورغبة في نكابة المشركين... وكان قد اتخذ بالأندلس مدينة يقال لها: أربونة. وكان قد عرف مهدي بن مسلم بالعلم والورع، فكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها^(٢).

(١) هو عقبة بن الحجاج السلولي من أشراف بني سلول، دخل الأندلس أميراً من قبل عبيد الله بن الحباب والي إفريقية، فأقام مجاهداً فاتحاً حتى بلغ أربونة وأصبح رباط المسلمين عندها في عهده. وفتح جليقية وبنبلونة، كان إذا أسر أسيراً لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام، ويقبح له عبادة الأصنام، فأسلم عليه خلق كثير، مات في الأندلس سنة ١٢٦هـ وقيل ١٢٢هـ.

(٢) قضاء قرطبة ص ٣٨.

فيفهم من هذا النص، إن عقبة بن الحجاج لما أتخذ مدينة أربونة مقراً له لقربها من مواقع الأعداء، وشغل بجهادهم - كما هو معلوم من سيرته - استخلف من ينوب عنه في حاضرة الإمارة (قرطبة)، ونائبه هو الوالي والقاضي. كما أن عقبة نفسه هو والي المسلمين والقاضي بينهم في أربونة. وظل القضاء مرتبطاً بالوالي أكثر فترة عصر الولاة، ولهذا ذكر ابن عذاري: إن في آخر هذا العصر لما اشتد الخلاف بين المسلمين، في الأندلس ولم يتفقوا على والي مدة أربعة أشهر، وكان الخلاف مضطرب بين اليمينية والمضرية، تريد كل واحدة منهما أن يكون منها الوالي، اتفقوا خلال فترة النزاع على تقديم رجل للنظر في الأحكام فقط^(١) مما يدل على أن القضاء كان مرتبطاً بالوالي ولم ينفصل عنه.

إذ لو كان القضاء مستقلاً لما احتاجوا إلى الإتفاق لتقديم رجل منهم للقضاء في حالة الخلاف على الوالي العام.

ومع إرتباط القضاء بالولاة في هذا العهد، فإن هناك قضاة باشروا هذه الوظيفة، خلال عصر الولاة. وذلك لاتساع البلاد، وكثرة انشغال الولاة بالحروب والجهاد. واحتياج الناس إلى القضاة الذين يقيمون العدل بينهم.

وكان القاضي يختار من بين العلماء الذين اشتهروا بالعلم والورع، ولهذا كانت منزلة القضاة أعلى المنازل. وحكمهم هو النافذ بين الناس، حتى بين الفئات المتنازعة، ولا أدل على ذلك من اتفاق القبائل على رجل واحد مع وجود الفرقة بينهم. كما تقدم.

وفي هذه الفترة كان القاضي يسمى قاضي الجند، لأن المسلمين في عصر الولاة كانوا هم جنود في سبيل الله لكثرة الحروب التي كانوا يمارسونها مع الأعداء. والقاضي هو قاضيهم، فالتسمية مناسبة للوضع الذي كانوا عليه لأن القاضي سواء كان هو الوالي العام أم كان غيره

(١) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٥ واسم الرجل/ عبد الرحمن بن كثير ولم أجد له ترجمة.

فهو جندي من الجنود الإسلامية. وأهم المعالم التي تميز القضاء في عصر الولاة، وضوح قواعده وثبات أسسه مع وجود عدم الاستقرار في الحالة العامة في البلاد خلال هذه الفترة لكثرة الحروب فيها، ووضوح منهج القضاء يدل على مدى اهتمام العلماء - سواء كانوا من الولاة، أم غيرهم - على إقامة العدل بين الناس على أسس من الكتاب والسنة. ومما يدل على وضوح منهج القضاء في الأندلس كتاب مهدي بن مسلم الذي كتبه بأمر عقبة بن الحجاج عندما استخلفه على قرطبة. وجاء في كتابه بيان صفاة القاضي التي ينبغي أن يتصف بها: (عهد إليه بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع مرضاته في سر أمره وعلانيته مراقباً له، مستشعراً لخشية الله، معتصماً بحبله المتين وعروته الوثقى، موفياً بعهده، متوكلاً عليه، واثقاً به متقياً منه)^(١) ثم يبيّن أصول القضاء في الإسلام فيقول: (وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إماماً يهتدي بنورهما...) ويبيّن الكتاب ما يجب على القاضي من مشاورة العلماء فيما أشكل عليه. ومراغبة أعوانه حتى لا يحدوا عن الحق. وما يجب عليه من القعود لأصحاب الخصومات وعدم التضجر منهم، والاستماع لحججهم، والتأني في الأمور، ومقارنة الأقوال واستماع الشهود، والتحقيق في الشهادات. وبهذا يوضح كتاب مهدي بن مسلم أصول القضاء في الأندلس على عهد الولاة. كيف كانت ثابتة ومبينة.

وفي هذا العهد من حكم الأندلس كان القضاة يعتمدون في جانب الاجتهاد على فقه الإمام الأوزاعي رحمه الله^(٢). إمام أهل الشام في ذلك الوقت. هذا ما كان عليه القضاء في عهد الولاة.

(١) قضاة قرطبة ص ٣٩ وما بعدها.

(٢) الامام الأوزاعي هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد شيخ الاسلام وعالم أهل الشام، كان مولده في حياة الصحابة رضي الله عنهم إلا إنه لم يرو عنهم، كان يسكن بمحلة الأوزاع بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها. كان أفضل أهل زمانه اجتهاداً وعبادة وورعاً. له آراء في الفقه معروفة. توفي رحمه الله سنة ١٥٩هـ. ينظر: سير اعلام النبلاء ج٧ ص ١٠٧ وما بعدها.

المطلب الرابع

القضاء في عهد الحكم الأموي في الأندلس (١٣٨هـ - ٤٢٢هـ)

ما بلغ القضاة منزلة عالية مثل ما بلغوه في فترة الحكم الأموي في الأندلس من علو المكانة ورفعة المنزلة والاستقلال في الحكم، وخضوع كل الدولة لحكم القاضي.

دخل عبد الرحمن بن معاوية - مؤسس الدولة الأموية بالأندلس^(١) - الأندلس سنة ١٣٨هـ وأقام دولة الأمويين هناك. وعند دخوله كان القاضي في قرطبة يحيى بن يزيد التجيبي^(٢) فأثبتته عبد الرحمن على القضاء ولم يعزله. إلا أن تسميته تغيرت من التسمية الأولى (قاضي الجند) إلى قاضي الجماعة، فهي أول تسمية للقاضي في الأندلس. ولعل المقصود بالجماعة هم جماعة القضاة كما يقول النباهي (وإضافة لفظ القضاء إلى الجماعة جرى إلزامه بالأندلس منذ سنين إلى هذا العهد^(٣)) والظاهر أن المراد بالجماعة جماعة القضاة، إذ كانت ولا يتهم قبل اليوم غالباً من قبل القاضي بالحضرة السلطانية.^(٤)

فأول من لقب القاضي بقاضي الجماعة هو الأمير عبد الرحمن

(١) هو الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي. الملقب بعبد الرحمن الداخل. ولد بدير حمينا من دمشق سنة ١١٣هـ ونشأ هناك. وعندما قامت الدولة العباسية، وتتبع الأمويين بالقتل والتشريد هرب إلى إفريقية ثم دخل الأندلس سنة ١٣٨هـ وبويع بالأمانة يوم الجمعة الموافق عيد الأضحى من تلك السنة. واستمرت مدة إمارته في الأندلس ٣٣ سنة قضى معظمها في الحروب وإخماد الفتن من الخارج والداخل. وتوفي سنة ١٧٢هـ بعد أن أسس دولة أموية في الأندلس ورثها أحفاده من بعده.

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٨ / ٢٤٤.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) يعني عهده وهو القرن الثامن الهجري.

(٤) تاريخ قضاة الأندلس ص ٢١.

الداخل وأول من تلقب به يحيى بن يزيد ثم معاوية بن صالح^(١). واستمر الوضع بالنسبة للقضاة على ما كان عليه في عصر الولاة، من حيث الاستنباطات الفقهية على مذهب الأوزاعي، فترة حكم عبد الرحمن الداخل. وعندما تولى الحُكْم هشام بن عبد الرحمن^(٢) أصبح الحُكْم في جوانب الاجتهادات على مذهب الإمام مالك بن أنس^(٣) رحمه الله تعالى. وذلك لكثرة وجود العلماء البارزين من تلامذة الإمام مالك^(٤).

وأصبح مذهب الإمام مالك هو السائد في الأندلس، والمعول عليه في الأحكام. فكان كل من يتولى القضاء يسير على هذا المنهج، حتى لو كان هو يرى خلاف ذلك، لأن جل العلماء والمفتين كانوا من علماء هذا المذهب حتى يقال: إن القاضي منذ بن سعيد، كان يميل إلى مذهب أهل الظاهر^(٥) ومع ذلك إذا جلس في مجلس القضاء قضى بمذهب مالك^(٦) لأن أهل الشورى الذين كانت تدور عليهم الفتيا والنظر في الأحكام كانوا

(١) معاوية بن صالح ستأتي ترجمته.

(٢) هو الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولد سنة ١٣٩هـ وتولى الاماره بعد والده سنة ١٧٢هـ. وأخذ في إمارة الأندلس قرابة ثمان سنوات حيث توفي سنة ١٨٠هـ. وكان خيراً فاضلاً مؤثراً للحق، حتى لقب بالرضى.

ينظر: سير اعلام النبلاء للذهبي ج٨ ص ٢٨٣، وتاريخ علماء الأندلس ج١ ص ١٢.
(٣) الامام مالك هو: مالك بن أنس بن مالك بن ابي عامر، امام أهل المدينة صاحب المذهب المشهور، ولد عام ٩٣هـ وهو نفس العام الذي مات فيه الصحابي الجليل أنس بن مالك، ومات الامام مالك سنة ١٧٩هـ بعد أن خلف علماً كثيراً رحمه الله/ ينظر: سير اعلام النبلاء ج٨ ص ٤٨ وما بعدها.

(٤) ذكر القاضي عياض إن عدد من دخل الأندلس من تلامذة الإمام مالك الذين اشتهروا بالعلم تسعة عشر رجلاً كلهم تلقوا العلم من مالك، كان أصغرهم يحيى بن يحيى العالم المشهور. ينظر/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب الامام مالك ج١ ص ٨ وما بعدها.

(٥) أهل الظاهر هم: الذين يأخذون بظاهر نصوص الكتاب والسنة، ويعرضون عن التأويل والرأي والقياس.

(٦) ينظر: كتاب انباء الرواه على انباء النحات ج٣ ص ٣٢٥ لجلال الدين القفطي.

من علماء المالكية. ولهذا كان يقول:
 عذيري من قوم إذا ما سألتهم
 دليلاً أجابوا: هكذا قال مالك
 فإن زدت قالوا: قال سحنون مثله
 وقد كان لا تخفى عليه المسالك
 فإن قلت قال الله ضجوا وأعولوا
 علي وقالوا: أنت خصم مباحك^(١)

المطلب الخامس مكانة القضاة في الأندلس

إن القضاء في الشريعة الإسلامية له مكانة عظيمة لأنه من مهام الأنبياء ومن تبعهم، ولهذا قيل: القضاء من الوظائف الداخلة تحت الخلافة، فإما أن يتولاها الخليفة بنفسه، وإما أن يختار لها من العلماء من يراه أهلاً لهذه المهمة^(٢).
 ومهمة القاضي كانت من أعظم المهام لأنها كانت تمثل الجانب الديني في الدول الإسلامية.
 أما في الأندلس، فإن القاضي كان شخصية عظيمة لها مكانتها عند الخاصة والعامة، لا يخاف في الله لومة لائم، يقول الحق وينفذ الحق. وكان أمراء بني أمية يحترمون القضاة أشد الاحترام، وينزلون على

(١) ذكر هذه الأبيات الأستاذ عبد الحميد العبادي بك أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الفاروق.

مجلة الأزهر غرة رمضان لعام ١٣٧١هـ ولم أجدها في الكتب التي ترجمت للقاضي منذر وهي كثيرة.

(٢) ينظر: مقدمة بن خلدون ص ٢١٨ وما بعدها.

وكتاب: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٥٧ وما بعدها تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور، مع أحمد مختار وسعد زغلول.

حكمهم حتى ولو جاء الحكم على الأمير شخصياً، وإن جميع كبار رجال الدولة ينزلون على حكم القاضي. مما يدل على احترام القضاة والتمسك بالدين الإسلامي والنزول على أحكامه. ولهذا كان الإسلام عزيزاً والمسلمون أعلى الأمم خلال الحكم الأموي في الأندلس. ومن أمثلة احترام الأمراء للقضاة في الأندلس.

إن عبد الرحمن الداخل لما ظهر على يوسف الفهري ودخل قرطبة وجد فيها عيال الفهري، فأرسل إلى القاضي يحيى بن يزيد، فدفع إليه عيال الفهري وأمره بالحفاظ عليهم.

فلما خرج عبد الرحمن على أثر الفهري لما هرب إلى (ماردة) خالفه أحد أبناء الفهري بجيش إلى قرطبة، فأحتلها وظفر بجاريتين لعبد الرحمن الداخل فأخذهما. فأتاه القاضي يحيى بن يزيد فقال له: (يا لثيم عبد الرحمن ظفر ببناتك وكراثمك، فتلوم^(١) عليهن حتى نقلن إلى دارك ولم يعرض لهن، وأنت ظفرت بجاريتين لم يستحقا منه حرمة فأخذتهما؟ فتذمم الفهري وقال: والله مارأيت لواحدة منهما وجهاً، فاقبضهما، وبدأ بهما إليه^(٢)).

فهذا يدل على مكانة القضاة عند الولاة وإنهم كانوا يحترمون قولهم وينزلون على حكمهم. لأن قائد يوسف الفهري - وهو ولده عبد الرحمن - احترم قول القاضي وتنازل عن الجاريتين.

ومن أمثلة احترام أمراء بني أمية للقضاة، ما نقله ابن سعيد^(٣) في كتابه المغرب في حلي المغرب: إن القاضي مصعب بن عمران^(٤) (سجل على أحد رجال الأمير هشام بن عبد الرحمن في دار أخرجه عنها، فشكاه إلى الأمير، وطمع أن يأمره بحله، فقال الأمير: والله لو سجل علي في مقعدي

(١) تلوم: تلبث وتريث.

(٢) قضاة قرطبة ص ٤٨. وينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم ص ١٩٢.

(٣) هو: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، صاحب قلعة بني سعيد في الأندلس بالقرب من قرناطة. ينظر مقدمة المغرب في حلي المغرب.

(٤) ستأتي ترجمته.

هذا لخرجت عنه^(١) . فما أعظم إنقياد هؤلاء الأخيار للحق واتباعهم له .
وفي عهد الحكم بن هشام إن القاضي محمد بن بشير لما ولاه الحكم
القضاء ، فإن أول ما أنفذه في أحكامه التسجيل على الأمير الحكم بن
هشام^(٢) في ارجاء القنطرة^(٣) حيث سمع فيها البيئات ثم سجلها على الأمير
وأشهد عليها ثم ابتاعها ابتياعاً صحيحاً للأمير ، ولقد أنقاد الأمير لحكمه ،
بل وشكره على ذلك بقوله : (رحمه الله محمد بن بشير فقد أحسن فيما فعل
بنا ، كان في أيدينا شيء مشتبه فصححه لنا وصار حلالاً طيباً ، فطاب لنا
ملكه)^(٤) فالحكم ابن هشام مع شدته وما عرف عنه من الحزم والقوة ،
وما أتهم به في ثورة الربض^(٥) من التساهل في الدين ، فإنه كان

(١) المغرب في حلى المغرب ص ١٤٤ .

(٢) هو الأمير الأموي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . وهو الأمير الثالث من
أمراء الأندلس الأمويين ، كان مولده سنة ١٥٤هـ . وتولى إمارة الأندلس سنة ١٨٠هـ
بعد وفاة والده هشام وقد واجه عدة ثورات داخلية من أعمامه ، وقد أخذها ، وهو
المعروف بالحكم الربضي لقيام أهل الربض بقرطبة عليه وفتكه بهم وتشريدهم إلى
كل مكان وإزالة بيوتهم من الربض المذكور . توفي سنة ٢٠٦هـ .

ينظر : سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٥٣ ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج ١ ص
١٢ .

(٣) القنطرة كانت على نهر قرطبة معبراً للناس ولعل الحكم أضاف إليها بعض الشيء
من أملاك الناس من أجل توسعتها وامتدادها .

(٤) قضاة قرطبة ص ٧٥ .

(٥) لما تولى الحكم بن هشام إمارة الأندلس ، جعل السلطة كلها في يده ، وكان والده
هشام يشرك معه الفقهاء وكبار العلماء على السلطة وخاصة تلامذة الأمام مالك . ولما
رأى العلماء استئثار الحكم بالسلطة ، وعدم الأخذ برأيهم وإسرافه في الملذات :
أرادوا خلعه ، واتفقوا مع أحد شباب بني أمية أن يولوه السلطة بدلاً من الحكم ، ولكن
هذا الشاب أفسأ سرهم للحكم ، فأكتشف الحكم المؤامرة قبل نضجها فقبض على كبار
الشخصيات التي شارك في مؤامرة خلعه وأعدم من العلماء خاصة ٧٢ رجلاً ، وقيل ١٤٠
رجلاً . وكان هذا الفعل من الأمير الحكم . نُقِر عنه قلوب الناس ، وجرهم للطعن فيه
علناً ، ولما رأى الأمير هذه الجراءة من الناس أصبح يتوجس منهم خيفة ، فحصى

منقاداً للحق ومحترماً لأهله حتى أنه يقال: كان يسلط القضاء على نفسه، وهذا صحيح جداً لأن مواقفهم مع قضائهم تدل على ذلك، ومنها إن قاضيه محمد بن بشير رد شهادته لعمه^(١) فلم يغضب لردّها ولم يعزل القاضي مع إغراء عمه له في ذلك.

ومن هذه الأمثلة التي تدل على مكانة القضاة إن أحد خدم الأمير محمد بن عبد الرحمن^(٢) - الأوسط - اشتكى إلى الأمير القاضي سليمان ابن أسود لحكمه عليه وأهانتته له، وبكا الخادم أمام الأمير مستعظماً له، فقال الأمير: (يابدرون أخفض عليك، فمحكك مني تعلمه فاسألنا به حوائجك نجبك إليها، ماخلا معارضة القاضي في شيء من أحكامه، فإن ذلك باب

قصره، وكون جيشاً خاصاً بالقصر يربط أمامه، وكان غالبية من العبيد. وكان حقد الناس يزداد ضد الحكم لقتله العلماء.

وفي سنة ٢٠٢هـ حصلت مشادة بين أحد ممالك الحكم وبين صيقلية عهد إليه بصقل سيقه. فتباطأ الصيقلية، فقتله المملوك، فنارت العامة في الحال وهرعوا إلى السلاح وكان اشدهم هياجاً أهل الربض (حي أو حارة) الجنوبي، وتوجه الجميع إلى القصر يهتفون بخلع الحكم من الإمارة، وأحاطوا بالقصر، وأعملوا السيف على الحراس، فقاوم الحراس أشد المقاومة عن القصر، وخالف بعض القواد: الثائرين إلى نورهم فأضرموا فيها النار، فتراجع الثائرون عن القصر مبادرين لأطفاء الحريق فأخذتهم السيوف من كل مكان، وأمعن فيهم القتل، لمدة ثلاثة أيام، ثم أصدر الحكم أمره بإيقاف القتل، وأمر بإجلاء الثائرين من قرطبة، فتنفروا إلى الكور. وخرج بعضهم إلى مصر ثم إلى جزيرة (كريت) وحول رض قرطبة الجنوبي إلى بلقع.

ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١٣٦.

(١) ينظر في القصة: تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٨، وترتيب المدارك وتقريب المسالك ج٣ ص ٣٢٨ للقاضي عياض.

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الرضي. ولد بقرطبة سنة ٢٠٧هـ تولى الإمارة بعد أبيه عبد الرحمن سنة ٢٣٨هـ وأخذ في إمارة الأندلس أربعاً وثلاثين سنة. توفي سنة ٢٧٣هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ج٨ ص ٣٦٢.

أغلقناه، فلا نجيب إليه أحداً^(١).

كل هذه الأمثلة تدل على مكانة القضاة وعلو منزلتهم. عند الأمراء في الدولة الأموية. وإذا كانت منزلتهم مرتفعة عند الأمراء، فعند غيرهم من باب أولى. فكان كل كبار رجال الدولة يخضعون للقاضي وينقادون لحكمه. ومن أمثلة ذلك. إن القاضي سليمان بن أسود (قد جاءه رجل فتظلم عنده من صاحب المدينة، فأمر سليمان شيخاً بين يديه من أعوانه،... فقال: تغدو فتكون في طريق صاحب المدينة، عند موضع جلوس الحراس، فإذا أقبل للنزول فخذ بعنانه وتأمره عني أن يرتفع إليّ، فإنه تظلم منه عندي، فإن رجع طوعاً وإلا فأحمل العصا على دابته حتى تردها إلي كرهاً.

فوقف الشيخ على طريق صاحب المدينة حتى أتى ومعه جمل من الناس، قد ركبوا معه، فأخذ الرسول بعنانه، فذهب صاحب المدينة أن يأمر بزجره، فقال له الرسول: القاضي أرسلني فيك بسبب رجل تظلم عنده منك، فارتفع إليه، إن شئت طوعاً، وإن شئت كرهاً، فقال صاحب المدينة: بل طوعاً. فانصرف حتى أتى القاضي ونزل عليه، فنظر فيما بينه وبين الرجل المدعى عليه بالحق، ففضى بينهما بالذي ظهر له، ثم انصرف عنه^(٢).

فهذا مثال من عدة أمثلة في انقياد رجال الدولة للقضاة، واحترامهم لمكانة القضاء.

المطلب السادس

اختصاصات القضاة في الأندلس

إن اختصاصات القاضي في الشريعة الإسلامية ليست محددة تحديداً يجعل القاضي يقف عنده ولا يتعداه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ما يستفیده المتولي بالولاية لا حد له شرعاً بل يتلقى من الألفاظ والأحوال والأعراف، فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الأمكنة

(١) تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٨.

(٢) قضاة قرطبة ص ١٦٢.

والأزمة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان آخر، وبالعكس^(١) وقال النباهي رحمه الله: (إن للقضاة إقامة الحدود، والنظر في جميع الأشياء من إقامة الحقوق، وتغيير المناكر والنظر في المصالح)^(٢) ومع ذلك فقد ذكر الفقهاء اختصاصات القاضي العامة، قال الماوردي رحمه الله: (ولا تخلو ولاية القاضي من عموم أو خصوص، فإن كانت ولايته عامة مطلقة التصرف في جميع ماتضمنته، فنظره مشتمل على عشرة أحكام. أحدها فصل المنازعات وقطع التشاجر والخصومات، إما صلحاً عن تراضي، ويراعى فيه الجواز أو إجباراً بحكم باتٍ يعتبر فيه الوجوب. والثاني: استيفاء الحقوق ممن مطل بها وإيصالها إلى مستحقيها بعد ثبوت استحقاقها بالأقرار أو بينة. الثالث: ثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف بجنون أو صغر، والحجر على من يرى الحجر عليه لسفه أو فلس، حفظاً للأموال على مستحقيها وتصحيحاً لأحكام العقود فيها. الرابع: النظر في الأوقاف بحفظ أصولها وتنمية فروعها، والقبض عليها وصرفها في سبيلها. الخامس: تنفيذ الوصايا على شروط الموصي فيما أباحه الشرع ولم يحظره. السادس: تزويج الأيامي بالأكفاء إذا عد من الأولياء، ودعين إلى النكاح. السابع: إقامة الحدود على مستحقيها. الثامن: النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأقنية، وإخراج مالا يستحق من الأجنحة والأبنية. وله أن ينفرد بالنظر فيها وإن لم يحضره خصم. التاسع: تصفح شهوره وأمنائه، واختيار النائبين عنه من خلفائه في أقرارهم والتعويل عليهم مع ظهور السلامة والاستقامة، وصرفهم واستبدالٍ بهم مع ظهور الجرح والخيانة. العاشر: التسوية في الحكم بين القوي والضعيف والعدل في القضاء بين المشروف والشريف)^(٣).

وهذه الأختصاصات كانت ظاهرة بينة في قضاة الأندلس والأمثلة فيها

(١) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٦٨.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ٦.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٧٠.

كثيرة في تراجم القضاة ولم تُذكر منها هنا أمثلة لأنها محل اتفاق بين الفقهاء في الغالب في شأن القضاة ولا تدل على ميزة أهل الأندلس عن غيرهم.

وكان لقضاة الأندلس اختصاصات أخرى غير هذه المذكورة منها إن القاضي هو الذي كان يتولى الصلاة بالناس وخطبة الجمعة وهذا كثير في الأندلس^(١).

ومنها، إن القضاة في قرطبة كان لهم حق تولية القضاة في المناطق الأخرى والنظر في أحكامهم، إذا اشتكى منهم أحد^(٢).

ومنها، إن القاضي أحياناً يكلف من قبل الأمراء بأمور أخرى كالجهاد وقيادة الجيوش^(٣) وخلافة الأمير في خاصته إذا خرج للجهاد^(٤). وكان القاضي أحياناً يتولى مهام بيت المال في بعض الجهاد، ومن ذلك إن الأمير هشام بن عبد الرحمن أمر قاضيه (أسود بن سليمان)^(٥) بقبض الصدقات عند وجوبها وتفريقها على وجهها.

ومن اختصاصات القضاة: مراقبة الأهلة والتأكد من دخول شهر رمضان، وذلك جاء في ترجمة القاضي محمد بن يبقى بن زرب، إنه كان

(١) من القضاة الخطباء منذ بن سعيد البلوطي. هذا في عهد الخلفاء وقبله قضاة كثيرون.

(٢) من ذلك أن القاضي محمد بن بشير أشار بمن يولى قضاء مدينة استجه.

ينظر: قضاة قرطبة ص ٨٩ مثل (أمر الأمير الحكم بن هشام قاضي الجماعة بقرطبة بالنظر في أمر قاضي (جيان) إذ تظلم منه أهل الكورة). (المرجع السابق ص ٢٩).

(٣) مثل الفرج بن كنانة ولاء الحكم بن هشام قيادة الجيوش بسرقسطة ص ٩٥، المرجع السابق - والقاضي محمد بن عبد الله بن ابن عبس، كان يتصرف في الجهاد وتجهيز الجيوش وبناء الحصون للخليفة الناصر ص ٦٠ تاريخ قضاة الأندلس.

(٤) مثل القاضي أسلم بن عبد العزيز، كان عبد الرحمن الناصر يستخلفه في القصر إذا خرج للجهاد. ص ٢٦٦ قضاة قرطبة.

(٥) أسود بن سليمان هو والد القاضي سليمان بن أسود، وقد تولى أسود بن سليمان القضاء للأمير هشام بن عبد الرحمن. ينظر: قضاء قرطبة ص ١٨١.

يخاطب الخليفة هشام بن الحكم^(١)، وحاجبه المنصور بن أبي عامر بألفاظ الاحترام والتقدير في (كتاب ارتقاب الأهله المرسوم للقضاء في شهر رمضان ومخرجه على العاده المعروفة للاعلام فيما يصح لديه من أمرها)^(٢) كل هذا يدل على اختصاصات واسعه للقضاة في الأندلس وعدم تقيدهم بأي نوع من أنواع التقييد.

(١) هو أمير المؤمنين المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله.

ولد سنة ٣٥٤هـ وبويع بالخلافة يوم مات والده الحكم المستنصر بالله سنة ٣٦٦هـ وكان هشام طفلاً يوم بويع بالخلافة لوصاية أبيه بذلك. وتولى حجابته المنصور محمد بن أبي عامر، وأقام تحت ظل الحجابة الدولة العامرية التي استمرت حتى سنة ١٣٩٩هـ وانتهت بثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار. توفي هشام سنة ٤٠٠هـ. وقيل غير ذلك.

ينظر: سير أعلام النبلاء، ج ٨ ص ٢٧١.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٦.

المبحث الثاني أشهر القضاة في الأندلس

تقدم في المبحث الأول، القضاء في الأندلس، وفي هذا المبحث يكون الحديث على أمثلة من أشهر القضاة في الأندلس خلال الحكم الإسلامي، ويشمل الحديث عصر الولاة، وهو الذي يبدأ من الفتح الإسلامي للأندلس عام ٩٢هـ وينتهي بقيام الدولة الأموية عام ١٣٨هـ.

وأشهر القضاة خلال الحكم الأموي الذي يبدأ من عام ١٣٨هـ وينتهي بفتنة محمد بن هشام بن عبد الجبار^(١) سنة ٣٩٩هـ في شهر جمادى الأولى، وماتلى هذه الفتنة، من تمزيق البلاد ونهاية الحكم الأموي في الأندلس^(٢) وخلال هذه القرون الثلاثة تعاقب على الحكم الأموي عشر أمراء، تتفاوت مدة حكمهم من أمير لآخر، فأكثرهم حكماً بلغت مدة حكمه خمسين سنة وستة أشهر ويومين، وهو الأمير عبد الرحمن الناصر^(٣)،

(١) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ولد سنة ٣٦٦هـ بويج بالخلافة سنة ٣٩٩هـ ولقب بالمهدي. وقامت في عهده فتن كبيرة وحروب كثيرة أدت إلى قتله سنة ٤٠٠هـ وانتهت بسببها الدولة الأموية في الأندلس، وقامت على أثرها نويلات الطوائف.

ينظر: جذوة المقتبس ص ١٩ وأعمال الأعلام ص ٩٠ وما بعدها، والبيان المغرب، ج ٣ ص ٩٦ وتاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) دولة الاسلام ج ٢ ص ٦٣٢.

(٣) هو أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن. ولد سنة ٢٧٧هـ في شهر رمضان. تولى إمارة الأندلس وهو صغير سنة ٣٠٠هـ وتلقب بأمر المؤمنين سنة ٣٦٦هـ وهو أول من تلقب بهذا اللقب، توفي سنة ٣٥٠هـ.

ينظر: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٤.

وأقلهم حكماً هو الأمير: المنذر بن محمد^(١)، فإن مدة حكمه كانت سنة وإحدى عشر شهراً وخمسة عشر يوماً^(٢) والباحث في هذا المبحث يتناول، قاضياً واحداً لكل أمير، لأن عدد القضاة كبير، وكذلك قد تناولتهم كتب عدة، بالبحث إما بافراد القضاة، وإما مع مجموع العلماء في الأندلس، وعلى هذا يكون الباحث يضرب أمثلة فقط، ولضرب المثال يكفي قاضياً واحداً لكل حاكم، في خلال الحكم الأموي. أما ما قبل الحكم الأموي وهي الفترة التي امتدت من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى دخول عبد الرحمن بن معاوية وإعلان قيام دولته. فإن هذه الفترة كانت فترة الفتوحات، فالأمور لم تستقر فيها تمام الاستقرار، ولهذا لم يوجد قضاة مستقلون إلا النذر اليسير، لأن الأمة الإسلامية كانت جنوداً مجتدة مشغولة بمحاربة الكفار. هذا أمر، وأمر آخر هو أن قيادة الأمة كانت على يد العلماء من التابعين وتابعيهم، فكان القائد، هو الحاكم الشرعي بين المسلمين، وإذا غاب القائد العام إلى جهة ما أناب عنه من أهل العلم من يقوم مقامه، وقد يكون القائد مشغولاً فينصب معه قاضياً، وكان هذا القاضي يسمى: قاضي الجند، وكتب التراجم شحيحة فيما يتعلق بتراجم قضاة الجند، شأنهم في ذلك شأن كل فاتحي الأندلس أمثال طارق بن زياد، وطريف بن مالك، ومغيث الرومي، فإن هؤلاء وأمثالهم لم يعطوا حقهم في التاريخ الإسلامي، مع عظم ما قاموا به من الفتوحات الكبيرة، وقضاة الأندلس قبل الحكم الأموي، كذلك مثلهم، ولكن مما لا شك فيه أن هناك في هذه الفترة قضاة سواء كانوا هم الحكام أم كانوا غيرهم، لأن هناك جاءت في كتب التاريخ تسمية قاضي الجند^(٣) مما يدل إن للمسلمين آنذاك قضاة يقومون

(١) هو المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم. ولد سنة ٢٢٩هـ وتولى الخلافة سنة ٢٧٣هـ بعد وفاة أبيه. وتوفي سنة ٢٧٥هـ محاصراً ثورة ابن حفصون بجبل بيشتر، ثم حمل ودفن بقرطبة.

ينظر: المرجع السابق ص ١٣، وسير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٦٣.

(٢) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج ١ ص ١٤.

(٣) انظر: قضاة قرطبة ص ٤٧ وتاريخ قضاة الأندلس ص ٢١.

بإقامة العدل بينهم، وقد ذكر الخشني منهم أربعة بأعيانهم^(١) فيما يلي ترجمة اثنين منهم، من باب ضرب المثال، والله الموفق.

وذكر ترجمة القضاة على العموم يرجع إلى التقدم من حيث التاريخ، والشهرة في العلم.

□ القاضي مهاجر بن نوفل القرشي:

لم ير مثله في العبادة والورع، كان إذا اجتمع إليه الناس للتحاكم فلا يزال يذكرهم ويخوفهم بالله ويبين لهم ما يلحق المبطل من سخط الله وعقوبته، وموقفه بين يديه في القيامة ثم يذكر ما يلزم القاضي من الحساب لما يجب عليه من التحري والاجتهاد، ثم يأخذ في النوح على نفسه والبكاء، معلناً بذلك، حتى إن الناس ينصرفون عنه باكين خائفين، قد تعاطوا الحقوق بينهم^(٢). وكان لا أهل له ولا ولد، ولم يتحدد تاريخ ولادته ولا قضائه، ولا وفاته.

□ القاضي يحيى بن يزيد التجيبى:

ولاه القضاء بالأندلس عمر بن عبد العزيز، وكان رجلاً صالحاً ورعاً، وقيل ولاه غير عمر بن عبد العزيز^(٣) ودخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموي قرطبة وقام بالإمامة، والقاضي فيها يومئذ يحيى بن يزيد، فأثبتته على

(١) وهؤلاء هم، مهدي بن مسلم الذي استقضاه عقبة بن الحجاج على قرطبة، والقاضي عنتر بن فلاح، ومهاجر بن نوفل القرشي، ويحيى بن يزيد النجيبى وكل هؤلاء الأربعة لم أجد لهم ترجمة وافية في كتب التراجم إلا يحيى بن يزيد، فإنه جاء ذكره في عدة كتب، كما سيأتي في ترجمته. ينظر في ذكر هؤلاء الأربعة قضاة قرطبة للخشني ص ٣٨ وما بعدها.

(٢) قضاة قرطبة ص ٤٦. ولم أجد ترجمة وافية أكثر من هذا. لهذا القاضي الورع، ولم تذكر له أي ترجمة إلا في المرجع المتقدم، وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي. وقد رجعت إلى سير أعلام النبلاء، وكل كتب التراجم الأندلسية.

(٣) قيل ولاه حنظلة بن صفوان الكلبي والي إفريقيه. قضاة قرطبة ص ٤٨.

القضاء ولم يعزله، وما ذلك إلا لعلمه وصلاحه وورعه، وكان يحيى معتزلاً لكل الفتن ولم يغمس يده في الدماء، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن الداخل، أجاب إليها يحيى طائعاً، وكان يحيى من العلماء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهو الذي أسند إليه الأمير عبد الرحمن - عندما دخل قرطبة حفظ عيال يوسف الفهري وكذلك هذا القاضي هو الذي قام بالاحتساب على قائد يوسف الفهري عندما أخذ جاريته لعبد الرحمن الداخل كما تقدم^(١). فهذا من شجاعته في الحق، وقوة إيمانه، ووقوفه في وجه الباطل، ولهذا كان مرضياً عند كلا الطرفين المتحاربين آنذاك في الأندلس وهما يوسف بن عبد الرحمن الفهري الذي أستولى على الأندلس قبل وصول عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الداخل الذي يريد أن يقيم دولة مستقلة في الأندلس^(٢) كان يحيى بن يزيد مرضياً عند كلا الرجلين ولهذا لما حاصر الأمير عبد الرحمن يوسف الفهري في غرناطة وأضره على النزول، والمصالحة، طلب الفهري، من شروط المصالحة أن يحضر القاضي يحيى بن يزيد، فحضر، وكتب الصلح، في كتاب المقاضاة بمحضر من القاضي. واستمر على القضاء حتى توفي سنة ١٤٢هـ رحمه الله رحمة واسعة^(٣).

(١) في ص ١٠٩.

(٢) ينظر: تفاصيل هذا النزاع: في دولة الاسلام في الأندلس ج١ ص ١٤٧ وما بعدها.

(٣) ينظر ترجمته: قضاة قرطبة ص ٧ وتاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣، وتاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس ج٢ ص ١٧٤.

□ القاضي: معاوية بن صالح الحضرمي:

هو الإمام الثقة أبو عمرو وقيل: أبو عبد الرحمن، معاوية بن صالح ابن حدير بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي، كان حجة في الحفظ. ولد في حياة طائفة من الصحابة، في خلافة عبد الملك بن مروان في حدود الثمانين من الهجرة^(١).

ولد ونشأ في الشام، وتلقى العلم بها عن أشهر العلماء في زمانه، فمن شيوخه، راشد بن سعد^(٢) وأبي الزاهرية حدير بن كريب^(٣)، ومكحول^(٤) وأبي مريم الأنصاري^(٥) ويحيى بن سعيد الأنصاري^(٦) وخلق سواهم، وكان معاوية من أوعية العلم.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ج٧ ص ١٥٨.

(٢) هو التابعي الجليل راشد بن سعد المقرئ الحمصي، روى عن ثوبان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي الدرداء، وغيرهم من الصحابة. كان من أوعية العلم ثقة في الحديث، توفي سنة ١٨٠هـ.

ينظر: تهذيب التهذيب ج٣ ص ١٩٥ لابن حجر العسقلاني.

(٣) أبو الزاهرية هو حدير بن كريب الحضرمي، ويقال الحميري، الحمصي، تابعي روى عن حذيفة وأبي الدرداء وعبد الله بن عمرو وغيرهم، وروى عنه علماء كثيرون منهم معاوية بن صالح. وكان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ١٢٩هـ. المرجع السابق ٢ ص ١٩١.

(٤) هو أبو عبد الله، ويقال أبو أيوب، مكحول الشامي الفقيه الدمشقي، روى عن أبي بن كعب، وثوبان وعبادة بن الصامت وغيرهم، كان أمام أهل الشام ثقة. توفي سنة ١١٨هـ. المرجع السابق ج١٠ ص ٢٥٨.

(٥) أبو مريم الأنصاري هو عبد الرحمن بن ماعز، خادم جامع حمص قيل عنه: أنه كان مولى لأبي هريرة رضي الله عنه، روى العلم عن أبي هريرة وجابر وعلي رضي الله عنهم، وكان من الثقات (ولم أقف على تاريخ وفاته) المرجع السابق ج١٢ ص ٢٥٢.

(٦) هو يحيى بن سعيد الأنصاري المدني أبو سعيد القاضي ثقة من الطبقة الخامسة، مات سنة ١٤٤هـ.

ينظر: تهذيب التهذيب ج١١ ص ١٩٣.

* تلامذته:

لقد تلقى العلم عن معاوية بن صالح خلق كثير لا يحصى عددهم، منهم سفيان الثوري^(١) والليث بن سعد^(٢) وأبو اسحاق الرازي^(٣) والواقدي^(٤) وغيرهم.

* ثناء العلماء عليه:

قال عنه الامام أحمد بن حنبل رحمه الله: خرج من حمص قديماً وكان ثقة. وروي عن يحيى بن معين أنه ثقة، وقال النسائي: ثقة، وقال أبو زرعة^(٥): ثقة محدث.

* أعماله:

كان معاوية بن صالح من العلماء العاملين الذين أشتغلوا بتعليم الناس في أي مكان ذهبوا إليه. فقد تلقى العلم بالشام وعلم الناس هناك، ثم خرج إلى المغرب سنة خمس وعشرين ومائة، ثم دخل الأندلس فسكن

(١) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث الحافظ الفقيه الزاهد، المحدث، ولد سنة ٩٨هـ وتوفي سنة ١٦١هـ.

يراجع في ترجمته: تهذيب التهذيب ج٤ ص ١١١ وما بعدها، وتذكرة الحفاظ ج١ ص ١٩٠.
(٢) الليث بن سعد هو الفقيه المصري، كان والده من التابعين، ودرس الليث على فقهاء المدينة ومصر، وكان له مذهب فقهي خاص توفي سنة ١٧٥هـ. ينظر: تهذيب التهذيب ج٨ ص ٤١٢.

(٣) أبو إسحاق الرازي هو فرات بن خالد الضبي، روى عن الثوري وغيره، قال عنه أبو حاتم: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات، المرجع السابق ج٨ ص ٢٣٢ ولم يذكر له تاريخ وفاة.

(٤) الواقدي هو محمد بن عمرو بن واقد الأسلمي صاحب المغازي، ولد بعد العشرين ومائة، وتوفي سنة ٢٠٧هـ ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ج٩ ص ٤٥٤ وما بعدها.

(٥) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ، أبو زرعة الرازي الامام الحافظ الثقة، توفي سنة ٢٦٤هـ. ينظر: تقريب التهذيب ص ٣٧٣، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشد بسوريا - حلب - عام ١٤٠٦هـ ط١.

مدينة أشبيلية، وتصدر التعليم هناك، وخاصة في الحديث حتى قيل عنه: «إنه أول من أدخل علم الحديث الأندلس»^(١).

ولما دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وأقام بها الدولة الأموية، اتصل به معاوية بن صالح، وتولى للأمير عدة أعمال منها، كان سفيره إلى الشام، فقد أرسله الأمير ليأتيه بأخته أم الأصبغ، فأبت الانتقال من بلدها. وفي رحلته هذه حج وحدث في الحرم، وقد تلقى عنه وكتب وجوه أهل العلم^(٢) ثم رجع إلى الأندلس حاملاً معه هدايا كثيرة للأمير عبد الرحمن.

تولى قضاء الجماعة بقرطبة، والصلاة بجامعة حتى توفي سنة ١٥٨هـ وكان من المقربين لدى الأمير عبد الرحمن الملازمين له حتى في غزواته، وكان محمود السيرة في قضائه^(٣).

□ القاضي: مصعب بن عمران:

هو مصعب بن عمران بن شفي بن كعب بن كعب بن الدجن بن زيد بن عمرو ابن امرئ القيس الهمداني^(٤). كان من العرب الشاميين، وكان

(١) قضاة قرطبة ص ٥١.

(٢) إنه: لما حج في رحلته هذه دخل الحرم فقص ربه فصلى ركعتين، ثم صار إلى معارضة الحديث لمن كان معه، فقال: حدثني أبو الزاهرية عن جبير بن نغير، عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ. فسمع أهل حلق العلم في الحرم قوله، فقالوا: اتق الله ايها الشيخ ولا تكذب، فليس على ظهر الأرض أحد يحدث عن أبي الزاهرية عن جبير بن نغير عن أبي الدرداء. غير رجل لزم الأندلس يقال له: معاوية بن صالح. فقال لهم: أنا معاوية بن صالح فأنقضت الحلق كلها، واجتمعوا إليه، وكتبوا عنه في ذلك الموسم علماً كثيراً/ قضاة قرطبة ص ٥٣.

(٣) ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٥٨ وما بعدها. تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٨٩ تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج ٢ ص ١٣٧، وقضاة قرطبة للخشني ص ٥٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٦٦، وتاريخ قضاة الأندلس للنوياهي ص ٤٣، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد ج ١ ص ١٠٢.

(٤) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج ٢ ص ١٣٣.

مكتبه في جند حمص^(١) دخل الأندلس قبل الأمير عبد الرحمن الداخل، فنزل بكورة جيان ثم رحل إلى موضع قريب من قرطبة، وكان زاهداً ورعاً، فقربه الأمير هشام ابن عبد الرحمن الداخل إليه، وجعله وزيره وسميره، وذلك قبل أن يتولى الامارة، ولما احتاج الأمير عبد الرحمن إلى قاض، أشار إليه ابنه هشام بالمصعب بن عمران، فرفض مصعب قبول القضاء من الأمير عبد الرحمن، فتركه الأمير، ثم لما ولي هشام الامارة بعد أبيه، أجبره على ولاية القضاء فقبلها، وكان في قضائه من أهل العدل، والسيرة المحمودة، صلباً في الحق منفذاً له على الخاصة والعامة. وكان ورعاً، إذا غاب يوماً عن القضاء لم يأخذ أجر ذلك اليوم، وبقي قاضياً حتى توفي هشام وتولي بعده ابنه الحكم فأقره على القضاء والصلاة، وكان يؤيده ويجيز أفعاله، وينفذ أحكامه وإن وقعت بغير المحبوب، وكان مصعب بن عمران لا يقلد مذهباً، بل كان يقضي بما يراه صواباً، وكان كاتبه، محمد بن بشير، وتوفي في حياة الحكم بن هشام^(٢).

□ القاضي: محمد بن بشر:

هو أبو عبد الله محمد بن بشر بن شراحيل المعافري، أصله من (باجة) من عرب مصر. ولم تحدد كتب التاريخ ولادته، إلا أنه تربي يتيماً لقد توفي والده وهو صغير السن^(٣).

(١) المقصود بالعرب الشاميين هم الجنود الذين دخلوا الأندلس بقيادة بلج بن عبد الرحمن القشيري، وكانوا مجموعة من العرب، وقامت بينهم وبين أهل الأندلس حروب وفتن - كما سيأتي بيانه - انتهت فتنهم بولاية أبي الخطار، وقد فرق أبو الخطار جيش الشام إلى جميع كور الأندلس، وسمى كل جهة بأسم من سكنها من جنود الشام، فمثلاً: أنزل جند حمص بلبله وسماها حمص. وهكذا.

(٢) ينظر: ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الغرضي ج-٢ ص ١٣٣ وما بعدها وقضاة قرطبة ص ٦٧ وما بعدها. وتاريخ قضاة الأندلس ص ٤٥ والمغرب في حلى المغرب ج١ ص ١٤٤.

(٣) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٧.

* طلبه للعلم :

تلقى العلم بقرطبة عند مشيختها ، فأخذ منه بحظ وافر ، ثم رحل إلى المشرق فحج ثم تتلمذ على الامام مالك ، وسمع بمصر من شيوخها ، ثم رجع إلى الأندلس بعلم وافر ومعرفة تامة .

* ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى عليه كثير من العلماء ، فقال عنه ابن القوطية^(١) : (خير القضاة بالأندلس وأفضلهم وأعدلهم) وكان يحيى بن يحيى العالم المشهور من أشد الناس تعظيماً لمحمد بن بشر وأحسنهم ثناء عليه في حياته وبعد وفاته ، وكان يقول : « كان ابن بشير أهلاً أن يقتدى به »^(٢) ، وقال الخشني : « من مستفيض الأخبار التي لا يتواطأ على مثلها ، إن محمد بن بشير من عيون قضاة الأندلس ، ومن وجوه أهل القضاء بها ، وكان شديد الشكيمة ماضي العزيمة ، مؤثراً للصدق ، صلباً في الحق ، لا هواردة عنده لأهل الجرم ، ولا مداهنة في أحكام السلطان ، ولا يعبأ بجميع أهل الخدمة ، ولا بمن لاذ بالخليفة من جميع الطبقات »^(٣) .

* أعماله :

من أعماله البارزة : إنه تولى الكتابة لوالي (باجه) في حداثة سنه . ثم تولى الكتابة للقاضي مصعب بن عمران .

ثم إن الأمير الحكم بن هشام لما مات القاضي مصعب بن عمران طلب من يوليه القضاء فأشير إليه بالعالم الجليل محمد بن بشر ، فأرسل إليه ، فلما حضر ولاه القضاء بقرطبة ، فقبل القضاء بشروط منها نفاذ حكمه على

(١) ابن القوطية هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم كان جده الأعلى (عيسى بن مزاحم) مولى لعمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل . وكان ابن القوطية عالماً بالنحو واللغة والتاريخ ، توفي سنة ٣٦٧هـ ، ينظر : تاريخ علماء الأندلس ج٢ الترجمة رقم ١٣١٦ .

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ج٢ ص ٣٢٨ .

(٣) قضاة قرطبة للخشني ص ٧٥ .

كل أحد من الأمير إلى حارس السوق، وأنه إذا ظهر له العجز من نفسه استعفى وأن يكون رزقه كفافاً من مال الفيء. فكان من خير قضاة الأندلس، وكانت له طوابع مشهورة، يرسلها إلى من يطلبه، فلا يستطيع الامتناع، أياً كانت منزلته الاجتماعية. وكان أول ما أنفذ من أحكامه التسجيل على الأمير الحكم في أرجاء القنطرة^(١).

وكان لا يتردد في رد الشهادة في أدنى الريب وإن كان المدلي بها أحد أصدقائه، وكان أعظم من ذلك الأمير، فإنه قد رد شهادة الأمير الحكم لعمه، فلما قيل له في ذلك قال لمن عاتبه في ذلك: «يا عاجز ألا تعلم أنه لا بد من الأعذار في الشهادات؟ فمن كان يجترىء على الدفع في شهادة الأمير لو قبلتها؟ وإن لم أعذر بخست المشهود عليه بعض حقه» وكانت له آراء تختلف عن المذهب الذي أخذ به أهل الأندلس، وهو مذهب الامام مالك رحمه الله، فكان محمد ابن بشير لا يجيز الشهادة على الخط في غير الاحباس، ولا يرى القضاء باليمين مع الشاهد الواحد. وكان يثني عليه كثيراً يحيى بن يحيى الليثي عالم الأندلس وعاقلها، فيقول: كان ابن بشير أهلاً أن يقتدى به. وكان كثيراً ما يحكي عنه وعن الامام مالك، وكان يثني عليه الحكم بن هشام ويثق به، ولما سمع بمرضه أغتم لذلك كثيراً^(٢) وحكي عن الحكم بن هشام إنه لما سمع بمرض القاضي محمد بن بشير قام ذات ليلة عن كريمة من كرائمه، فساء ظنّها به، وبحثت عنه، فوجدته في بعض الأماكن يصلى ويدعو فلما أنصرف اعلمته بما ظنت به وبما فعلت، وبما رآته عليه من الصلاة والدعاء، فقال لها «كنت قد قلت محمد بن بشير القضاء بين المسلمين فكانت نفسي عليه طيبة، وقلبي به

(١) في ص ١١٠.

(٢) ينظر ترجمته: في قضاة قرطبة ص ٧٣ وما بعدها. وتاريخ قضاة الأندلس ص ٤٧ وما بعدها ونفع الطيب ج ٢ ص ١٤٣ وما بعدها. والمغرب في حلي المغرب ج ١ ص ١٤٤.

واثقاً، وكنت مستريحاً من أخبار الناس، وظلماتهم، لما علمت من عدله وثقته، حتى علمت في هذه العشية إنه في السياق. وإن الموت قد حضره فقلقت لذلك، وأغتمت، وقمت في هذه الساعة أدعو الله وأبتهل إليه أن يوفق لي رجلاً يكون عوضاً منه تسكن إليه نفسي، فأوليه القضاء - بين - المسلمين بعده»^(١).

وما هذه القصة إلا لمكانة هذا القاضي عند الأمير، كما تبين تحري هذا الأمير للعدل.

✽ وفاته:

توفي محمد بن بشير القاضي رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة^(٢).

□ القاضي: يحيى بن معمر:

هو يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الألثاني، نسبة إلى إلهان بن مالك، أخو همدان بن مالك، أصله من العرب الشاميين، كان من أهل اشبيلية، وكان في وقته فقيه اشبيلية وفرضيها، رحل إلى بلاد المشرق فلقى أشهب بن عبد العزيز^(٣) فسمع منه، ومن غيره من أهل العلم، وكان ورعاً، زاهداً، فاضلاً، أستقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم^(٤) فولاه قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٢٠٩هـ فكان صلباً في قضائه، لا

(١) قضاة قرطبة للخشني ص ٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ وترتيب المدارك للقاضي عياض ج ٣ ص ٣٣٩.

(٣) هو الفقيه المصري، أبو عمرو، أشهب بن عبد العزيز بن داود، من مشاهير أصحاب مالك، ولد سنة ١٤٠هـ أو سنة ١٥٠هـ وذلك بمصر، وتوفي بعد الامام الشافعي بشهر سنة ٢٠٤هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج ٢، ص ٤٤٧ والديباج المذهب لابن فرحون ج ١ ص ٩٩.

(٤) هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم الرضي. ولد سنة ١٦٤هـ في إمارة عبد الرحمن الداخل. وتولى الامارة سنة ٢٠٦هـ بعد وفاة والده الحكم. وكانت مدة إمارته على الأندلس بداية الحضارة الإسلامية الكبيرة. وقد شهدت الأندلس في عهده غزوات معادية من جهة البحر. عرفت بهجمات المجوس. توفي عبد الرحمن سنة ٢٣٨هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ج ٨/٢٦٠، وتاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٢.

يحابي أحداً، وكان قليل المدارات لفقهاء قرطبة، لا يلين لهم فيها يريدون، ولا يصغي لهم فيما يحبون، وكان إذا أشكل عليه أمر، وأختلف عليه الفقهاء، كتب إلى اصبح بن فرج^(١) وغيره من علماء مصر، فكان فقهاء الأندلس ينفرون منه، فرفعوا أمره إلى الأمير، حتى عُزل يحيى بن معمر عن القضاء، ثم أعاده الأمير مرة ثانية إلى القضاء، فلما رجع إلى القضاء أقسم أن لا يشاور أحداً من فقهاء قرطبة، حتى طلب بأستقدام عبد الملك بن حبيب من البيرة، حتى يشاوره في الأحكام فأوجب إلى ذلك، فكان هو المتفرد بفتياه، توفي سنة ٢٢٩هـ رحمه الله رحمة واسعة^(٢).

□ القاضي: سليمان أسود:

هو سليمان بن أسود بن يعيش بن سليمان بن جشيب بن المعلى بن أدريس بن محمد ابن يوسف الغافقي من أهل قرطبة يكنى أبا أيوب، ولي قضاء كورة ماردة في حياة الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ثم ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمن قضاء الجماعة بقرطبة، وكان زاهداً ورعاً لا يقبل من الأمراء أدنى هدية، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم في الحق حتى ينفذه، فهو الذي حكم على الأمير محمد في جارية يهودي. وقت كان أميراً على مارده في حياة أبيه عبد الرحمن بن الحكم، وكان سليمان بن أسود قاضياً فيها، وكان لا يجامل في الحق أي أحد، ولهذا كان يخافه كل رجال الدولة، وكان يحضر إليه الوزراء لينصف منهم إذا خاصمهم إليه أحد، ويهدد الوزراء إذا احتمى بهم أحد خوفاً من أحكام القاضي، وقد قال في ذلك

(١) هو الفقيه أصعب بن الفرغ تلميذ ابن وهب وابن القاسم وأشهب ابن عبد العزيز، تلامذة الإمام مالك، وكان أضع من رؤساء المذهب المالكي بمصر. توفي سنة ٢٥٥هـ. ينظر: الديباج المذهب ج١ ص ٩٧.

(٢) ينظر: قضاة قرطبة للخشني ص ١٠٣، وتاريخ قضاة الأندلس للنويهي ص ٤٤، وتاريخ العلماء بالأندلس لابن الفرضي ج٢ ص ١٧٢ والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي ج١ ص ١٤٧.

والمقتبس لابن حيان ص ٣٩ تحقيق الدكتور محمود علي مكي.

عن رجل أحتمى ببعض الوزراء: «قد بلغني أنه في دار الوزير مختلف مني، ولم يصح ذلك عندي فمتى صح، أرسلت من يدخل داره ويخرجه منها» وكان إذا ثبت عنده الحق نفذه وإن غاظ في ذلك كل رجال الدولة، كما في قصة القومس الذي ادعى هشام الوزير^(١)، بأنه مات على النصرانية، وقال إن تركته ينبغي أن تكون للأمير، وأشهد في ذلك كل الوزراء والفقهاء إلا القليل منهم، وعرضت الشهادات على القاضي سليمان بن أسود، فرفعها إلى الأمير بجملتها، فلما رآها الأمير قال: الشهادات كثيرة فأخبرني بما صح عندك منها، فقال سليمان بن أسود: لم يثبت عندي على القومس شيء من المكروه، وجميع الشهادات الواقعة فيه معلومة لم يرد الله بشيء منها، فقال له الوزير هشام بن عبد العزيز: سبحان الله يا قاضي شهد عندك فلان وفلان، فقال الذي صح عندي قد أعلمت به الأمير، ثم خرج التوقيع من الأمير إلى القاضي، أن أقسم مال القومس إلى ورثته فقسمه القاضي وكان مالا عظيماً.

وكان سليمان بن أسود إذا رفعت إليه مظلمة ضد رجال الدولة فتظلم منهم أحد عنده طلب من رجال الدولة البيئات على مافي أيديهم، بأنهم ملكوه بطريقة مشروعة. وكان حريصاً على حفظ أموال اليتامى، وتنفيذ البوصايا، وحفظ الأحباس، وكان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، محافظاً

(١) هو أبو خالد هشام بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله ابن الحسن بن جعد بن اسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه. فهو أموي ولأه، وقد إرتبطت أسرته بالأمويين. فجدّه الثالث (عبد الله) هو الذي ساعد عبد الرحمن الداخل في إقامة بولته. وكان والده - عبد العزيز - من وزراء الأمير عبد الرحمن بن الحكم. وتولى هشام الوزارة وعدة مناصب قبلها للأمير محمد بن عبد الرحمن وكان هو المتصرف في بولته، وقد وقع في أسر العدو سنة ٢٦٢هـ فافتداه الأمير بمال كثير فعاد في الوزارة سنة ٢٦٤هـ.

ولما تولى الأمير المنذر بن محمد بعد أبيه أمر بسجن هشام لأمره نقمها عليه ثم أمر بقتله سنة ٢٧٣هـ.

ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٥٣٣ تحقيق الدكتور/ محمود علي مكي، ودولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٣٦٣ و ٣٦٧ وما بعدها.

على أوامر الله ولم تذكر الكتب التي ترجمت له تاريخ الوفاة^(١).

□ القاضي : عامر بن معاوية اللخمي :

هو عامر بن معاوية بن عبد السلام بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوزات اللخمي، يكنى أبا معاوية، أصله من (رية)، تلقى العلم من مشيخة الأندلس، وروى عن عبد الملك بن حبيب^(٢) وغيره ثم رحل إلى الشرق وسمع من علماء القيروان ومصر والحجاز، ثم رجع إلى الأندلس، فأخذ عنه العلم جماعة منهم أحمد بن خالد^(٣) ومحمد بن مسور^(٤) وغيرهما. ولاة الأمير المنذر بن محمد القضاء، بإشارة من بقي بن مخلد، وكان خيراً فاضلاً، قال له سليمان بن أسود: (الحمد لله الذي جعل على أثرى مثلك)، ولم يزل، عامر بن معاوية قاضياً وصاحب صلاة حتى توفى المنذر، وكان في خطبته رقة تستميل القلوب وتبكي العيون. فلما تولى الأمير عبد الله بن

(١) انظر: قضاة قرطبة ص ١٥٥ وما بعدها وتاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦ والمغرب في حلى

المغرب ج١ ص ١٥١، وتاريخ العلماء والراوه للعلم بالأندلس ج١ ص ٢١٨.

(٢) عبد الملك بن حبيب ستأتي ترجمته.

(٣) أحمد بن خالد بن يزيد الأسدي من أهل جيان، يعرف بن أبي هاشم كان إمام جيان

توفي سنة ٣٦٨هـ. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج١ ص ٥٩ ترجمة رقم ١٥٣.

(٤) محمد بن مسور بن عمر بن محمد أصله يرجع إلى مولى الفضل بن العباس ابن عبد

المطلب. من أهل قرطبة روى العلم من علماء قرطبة وشور في الأحكام في أول خلافة

الناصر لدين الله. وتوفي سنة ٣٢٥هـ. تاريخ علماء الأندلس ج٢ ص ٤٦ الترجمة رقم

محمد عزله^(١) وولى مكانه النصر بن سلمة^(٢).

□ القاضي: النصر بن سلمة الكلابي:

هو النصر بن سلمة بن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي، يكنى أبا محمد، أصله من قبيرة^(٣) ولي قضاء كورة شندونة، وكان واليها الأمير عبد الله بن محمد، ولما تولى الأمير عبد الله الإمارة بعد أخيه المنذر، ولي قضاءه النصر بن سلمة، فكان يتولى القضاء والصلاة بقرطبة وكان ذا خلق حسن وسياسة طيبة. وكان يصرفه الأمير في كل شئون دولته.

وكان النصر حسن الخلق حليماً فاضلاً، عالماً، ذا فطنة وروية، وكان عالماً بعلل الوثائق مدركاً بموضع الزلل منها، يوقف الفقهاء على ذلك، فيقرون له بالاصابة ويعترفون له بفضل الإدراك. وكان في قضائه عادلاً، منفذاً للحق.

وقد أمره الأمير بالنظر في مال كان موقوفاً بالجامع فنظر فيه وجمع أهل العلم فاستشارهم، فأختلفوا عليه، فأبى النصر أن يحكم بصرفه إلى بيت المال إلا بالإجماع من أهل العلم.

ولعل هذا المال كان زائداً عن حاجة الجامع الذي وقف فيه، ولهذا اختلف فيه أهل العلم.. وكان فعل النصر هذا سبباً لكثرة الكلام فيه فعزله الأمير عبد الله عن القضاء ثم بعد مدة طويلة أعاده إلى القضاء مرة ثانية، وتصرف الحال بالقاضي النصر بن سلمة حتى تولى الوزارة، وتوفي

(١) هو الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، ولد سنة ٢٢٨هـ وتولى الإمارة بعد وفاة أخيه المنذر سنة ٢٧٥هـ وكانت مدة إمارته في الأندلس شهدت أكبر الفتن التي كادت أن تؤدي إلى نهاية الدولة الأموية. مما قام هناك من الثورات الكبيرة. توفي الأمير عبد الله سنة ٣٠٠هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٤ ص ١٥٥.

(٢) ينظر: قضاة قرطبة ص ١٨٢ وما بعدها، والمغرب في حلى المغرب ج١ ص ١٥٣، وتاريخ العلماء والرواة للعلم ج١ ص ٢٤٨.

(٣) مدينة بالأندلس تبعد عن قرطبة ثلاثين ميلاً «صفا جزيرة الأندلس للحميري» ص

سنة ٣٠٢هـ رحمه الله رحمة واسعة^(١).

□ القاضي: منذر بن سعيد البلوطي:

هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الملك بن نجيع النفزي ثم الكزني نسبة إلى فخذ من البربر يقال لهم: كزنة. ولد سنة ٢٧٣هـ في موضع قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط، وسمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى بن يحيى^(٢) وغيره، ثم رحل حاجاً سنة ٣٠٨هـ فأقام في رحلته أربعين شهراً فأخذ العلم من الحجاز ومصر، وكان مذهبه في الفقه، مذهب النظر والاحتجاج وترك التقليد، وكان عالماً باختلاف العلماء، وكان يميل إلى رأي داود بن علي بن خلف الظاهري. ولي قضاء مدينة ماردة وما والاها من مدن الجوف. ثم ولي قضاء الثغور الشرقية. ثم قدم إلى قضاء الجماعة بقرطبة وذلك سنة ٣٣٩هـ وولي الصلاة في مدينة الزهراء، فلم يزل قاضياً إلى أن توفي، ولم تحفظ له قضية جور، ولا جربت عليه في أحكامه زلة.

وكان أول ظهوره عند الخليفة الناصر، إن الناصر لدين الله لما احتفل بدخول رسول ملك الروم عليه أحب الخليفة أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه بذكر جلاله مقعدة ووصف ماتهما له من توطيد الخلافة في دولته، وأمر ابنه الحكم^(٣) بأعداد من يقوم بذلك، فلما حضر الخليفة قام بين يديه الفقهاء الذين أعددهم الحكم، ولكن لما رأوا جلاله الموقف

(١) انظر: قضاة قرطبة للخشن ص ١٨٦ وتاريخ العلماء والرواة ج٢ ص ١٥٥، المغرب في حلى المغرب ج١ ص ١٥٣، نفع الطيب ج١ ص ٣٥٣.

(٢) هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي، والده يحيى بن يحيى العالم المشهور تلميذ الأمام مالك. تلقى عبيد الله العلم من والده ثم رحل إلى المشرق حتى وصل إلى بغداد، فسمع العلم من مشاهير علماء مصر والحجاز والعراق، ثم رجع إلى الأندلس بعلم كثير، فتصدر للتعليم وكان مشاوراً في الأحكام توفي سنة ٢٩٨هـ. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج١ ص ٢٩٢ الترجمة رقم ٧٦٤.

(٣) هو أمير المؤمنين المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله. ولد سنة ٣٠٢هـ تربا في قرطبة تربية العلماء، وكان من أهل العلم والمعرفة. تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٣٥٠هـ وكان عصره من أزهى عصور الأندلس. توفي سنة ٣٦٦هـ. ينظر: سير اعلام النبلاء ج٨ ص ٢٦٩.

هابوا ولم يستطيعوا أن يخطبوا كما أريد منهم، فلما رأى منذ بن سعيد قام بنفسه وخطب خطبته المشهورة^(١) التي ذكر فيها مآثر الخليفة، وعدد فيها نعم الله على أهل الأندلس من الأمن والانتصار على الأعداء. فلما خرج الخليفة من الاحتفال سأل عنه ابنه الحكم فأخبره بأنه منذ بن سعيد، فقال: لقد أحسن ماشاء، فكان ذلك سبب اتصاله به واستعماله وكان منذ بن سعيد صلباً في الحق صارماً غير هيب لأحد، واستمر على القضاء والصلاة مدة خلافة عبد الرحمن الناصر وصدر خلافة الحكم حتى توفي سنة ٣٥٥هـ وكانت له آثار باقية في العلم وله خطب مشهورة في الوعظ والأرشاد^(٢). وسيأتي من ذلك شيء في المبحث الآتي.

□ القاضي: محمد بن إسحاق بن السليم:

هو محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة، يكنى أبا بكر ولد سنة ٣٠٢هـ وتلقى العلم في قرطبة ثم رحل إلى الشرق فتلقى العلم من مكة والمدينة ومصر ثم رجع إلى الأندلس، فأقبل على الزهد ودراسة العلم، ثم ولاة الأمير الحكم بن عبد الرحمن القضاء بعد منذر بن سعيد وكتب له بذلك كتاب عهد في تولية القضاء^(٣)، وكان حافظاً للفقهِ بصيراً بالاختلاف عالماً بالحديث ضابطاً لما رواه، متصرفاً في علم النحو واللغة، حسن الخطابة والبلاغة، وكان لين الكلمة سهل الخلق متواضعاً. فكان محبوباً لدى كل الناس مطمئنون لعدله ولم يعبه أحد إلا من طريق البطء في قضائه والتطويل في أحكامه، وكان كثيراً ما يفعل ذلك فيما يلتبس عليه، ويحتذى في ذلك طريق أحمد بن بقي القاضي، ولعل ذلك كان يفعله من أجل وصية الحكم المستنصر بالله لأنه جاء في كتاب العهد الذي كتبه لهذا القاضي، «وأمره أن لا يعجل في أحكامه، فمع العجل لا يؤمن الزلل»، وتوفي سنة ٣٦٧هـ رحمه الله رحمة واسعة^(٤).

(١) ستأتي خطبته في ملحق خاص.

(٢) انظر: تاريخ العلماء والرواة ج٢ ص ١٤٢، وقضاة قرطبة ص ٢٣٧، وتاريخ قضاة الأندلس ص ٦٦ وما بعدها ونفع الطيب ج١ ص ١٧٣ وسير اعلام النبلاء ج١٦ ص ١٧٣.

(٣) سيأتي في ملحق خاص.

(٤) انظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٥. وقضاة قرطبة ص ٢٣٨ وتاريخ العلماء والرواة

□ القاضي : محمد بن يبقى بن زرب :

هو محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد بن مسلمة، ولد سنة ٣١٧هـ. تلقى تعليمه بالأندلس على قاسم بن أصبغ^(١) ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم^(٢) ونظرائهما، وكان أحفظ أهل زمانه للمسائل الفقهية على مذهب الامام مالك وأصحابه، وكان مشاوراً زمن القاضي محمد بن إسحاق، وكان أحد صدور الفقهاء في زمانه وكان يسمى في علمه وورعه ابن القاسم، وكان له حظ كبير من علم الأعراب والفقه، جمع ذلك إلى العبادة، وسرد التلاوة للقرآن. وكان من أخطب الناس، وأحسنهم ترتيلاً لمنطقه، وأظهرهم خشوعاً في موقفه لخطبته، وأقرعهم لمن تقرعه بوعظه، لا يملك أحد من البكاء عند سماعه، يحقق قول الحسن البصري، من أن الموعظة، إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان.

تولى القضاء للخليفة هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور بن أبي عامر، وكان له مال كثير، ولما تولى القضاء جمع الفقهاء المشاورين، وكشف لهم ماله، وأخبرهم بعدده، ثم قال: «يا أصحابنا قد عرفتم مانحن به من تولى القضاء قديماً من سوء الظن به، وأخشى أن يطلق الناس على عرضي، وهذا حاصلني من المال، وعرفتم حظي من التجارة، فإن فشى من مالي مايناسب هذا فلا لوم» فدعوا له بالخير. وكان شديداً في حفظ الفقه كثير العبادة، ولهذا كان لا يحكم في شهر رمضان، بل يتفرغ فيه للعبادة، وكان حليماً صبوراً نافعاً للناس سهل الخلق سمحاً، صلباً في ذات الله رقيقاً، لم يحفظ عنه أنه قرع أحداً بسوط مدة قضائه، ولا تأخذه مع ذلك في

(١) هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك. من أهل قرطبة ولد سنة ٢٤٤هـ وتلقى العلم من علماء قرطبة ثم رحل إلى المشرق حتى وصل إلى بغداد في طلب العلم. ثم رجع إلى الأندلس، فكان معلماً لأبناء الأمراء، وغيرهم مشاوراً في الأحكام، توفي سنة ٣٤٠هـ.

تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٤٠٨ الترجمة رقم ١٠٧٠.

(٢) لم أجد له ترجمة.

الله لومة لائم، محارباً للأهل البدع بيده ولسانه وقلمه، وكان يدعوهم إلى التوبة ويحرق كتبهم على مرأى من الناس، وكان مهيب الجانب لا يجامل أحداً حتى أن المنصور بن أبي عامر، مع احترامه له، كان لا يجامله، فإنه لما بنى المنصور مدينة الزاهرة، استشار الفقهاء في التجميع فيها، فأفتى القاضي بمنع ذلك ووافق بعض الفقهاء.

توفي القاضي محمد بن يبقى سنة ٣٨١هـ في شهر رمضان، وفقده الناس وأثنوا عليه خيراً، وأظهر المنصور بن أبي عامر لموته غماً شديداً، وكتب لورثته كتاب حفظاً^(١) رحم الله الجميع رحمة واسعة.

(١) انظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٧، وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج ٢ ص

المبحث الثالث جهود القضاة في الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله عز وجل قد أوجبها الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين، ابتداءً من الأنبياء والرسل، ومروراً بكل مؤمن أتبعهم، وانقاد لما جاءوا به، ولقد ختم الله أنبياءه ورسله بأفضلهم محمد ﷺ، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وشريعته أفضل الشرائع الدينية، وجعل الدعوة إلى هذا الدين الكامل الذي جاء به محمد ﷺ، من الواجبات التي ينبغي أن تقوم بها الأمة مع نبيها ﷺ وبعده، فقال: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾^(١)، يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والأنس، آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى مادعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي^(٢). والدعوة إلى الله عز وجل من أفضل القرب إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾^(٣) وأن الدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أسباب خيرية هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾^(٤) والدعوة إلى الله ضرورية للبشرية كضرورة الطعام والشراب في هذه الحياة لأنها الشق الثاني في الإنسان، لأنها غذاء الروح، وحياة الإنسان لا تستقيم إلا بغذاء الروح والجسد، فإذا كان الطعام والشراب هو غذاء الجسد، فإن الدين الذي جاء به محمد

(١) سورة يوسف الآية ١٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٥.

(٣) سورة فصلت الآية ٢٣.

(٤) سورة آل عمران جزء من الآية ١١٠.

ﷺ هو غذاء الروح. وحاجة الناس إليه ماسة وشديدة، وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أدركوا ذلك، فقاموا بالدعوة إلى الله خير قيام، وجاهدوا في سبيلها حتى وصلت إلى معظم البشرية التي كانت تعيش في ظلمات الكفر والطغيان، فأصلحوا العالم الذي وصلت إليه دعوتهم، في عقيدته وسياسته، وفي كل شؤونه، فوفروا له الأمن، ودلوه على سبل الخير، ونصرة المظلوم والوقوف في وجه الظلمة والمعتدين ونشروا ألوية الحق والعدل، وأقاموا حضارات في مشارق الأرض ومغاربها أسست على التقوى والتوحيد والعدل والعمل الصالح، وأندحر الباطل أمامهم، فقضوا على الوثنية العربية والمجوسية الفارسية، وعلى الطغيان الصليبي الروماني، وأعادوا إلى الناس كرامتهم وحققوا فيهم العدل، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور بفضل الله عز وجل ثم بفضل جهودهم الدعوية.

والأندلس من البلاد التي شرفها الله بدعوة الإسلام على أيدي المسلمين الفاتحين الأوائل أمثال موسى بن نصير وطارق بن زياد وأبو عبد الرحمن الحبلي وغيرهم الذين نشروا الإسلام هناك، وأقاموا له دولة عظيمة ذات حضارة متميزة لم تعرفها أوروبا قبل ذلك، وهذه الدولة الإسلامية في الأندلس كانت أبعد الثغور الإسلامية في الغرب ورأس الحربة الإسلامية المغروسة في جسم القارة الأوروبية، ولهذا فقد ظلت منذ استقرار المسلمين فيها حتى نهاية دولتهم، ميداناً للصراع الذي لم ينقطع قط بين الإسلام والنصرانية، وهذا الصراع جعل الأمة الإسلامية هناك دائماً على أهبة الاستعداد في الدعوة والجهاد في سبيل الله، وخاصة في الصدر الأول من هذه الدولة الإسلامية، فكل المسلمين هناك هم أهل الدعوة والجهاد، ومن المسلمين القضاة الذين أنيطت بهم إقامة العدل وتطبيق الشرع على الناس كافة، فكانوا أسوة لغيرهم، في كل الميادين التي تمثل الإسلام، في أنفسهم وفي مجتمعهم، وفي الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله عز وجل، وفيما يلي شيء من جهادهم ودعوتهم المتواصلة، في إصلاح المسلمين ودعوة غير المسلمين إلى

الاسلام، وتعليم الناس أمور دينهم وإصلاح ذات بينهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل في كل شيء، ويكون الحديث عن جهود القضاة في الدعوة إلى الله مختصراً في جانب الجهاد والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيما يلي ذكر ذلك.

المطلب الأول جهود القضاة في الجهاد

تقدمت الإشارة بأن طبيعة بلاد الأندلس وقربها من أمم الكفر جعلت من المسلمين هناك، أمة مرابطة في سبيل الله عز وجل، تقارع ملة الكفر باللسان والسنان، ومن هذه الأمة التي كانت تقف في وجه الكفر، أهل العلم وطلاب العلم، ومنهم القضاة أهل المعرفة للحق الذين ينظر كل الناس إلى استقامتهم، ودفاعهم للحق، ولهذا كان القضاة هم أهل الصفوف الأولى في مقابلة الأعداء، وما ذلك إلا لمعرفة بثواب الجهاد في سبيل الله وما أعد الله للشهيد في سبيله عز وجل، ولكي يقتدى بهم الناس، فيجاهدوا في سبيل الله ويثبتوا أمام الكفار وقت الزحف، وإلتقاء الجيشان، فهذا معاوية بن صالح قاضي الأمير عبد الرحمن الداخل يلازم الأمير في غزواته، فكان يحيى الليل بالصلاة حتى إذا أصبح لبس قباءه وسلاحه ومضى إلى الصف حيث القتال، فوقف فيه، وكان رحمه الله من المبادرين في الجهاد المتقدمين المحمسين للناس، فإذا هتف على الجنود بالخروج، خرج معاوية بن صالح في كتيبة من جند مصر، فلا يزال واقفاً في مركزه، متوكئاً على قوسه، حتى تنجلي الحرب^(١) وكان القضاة يخرجون مع الجيش، ويقومون بتوجيه القادة ونصحهم وحث

(١) قضاة قرطبة ص ٥٤.

الجيش على القتال فهذا القاضي سعيد بن محمد بن بشير^(١) يغزو إلى أربونة مع الفقيه يحيى بن يحيى فكان القائد يشاورهما في الأمور، ويقسم الغنائم بأمرهما^(٢). وكان بعض القضاة يتولون الثغور ويجاهدون هناك ويقومون بإصلاح الأمور فهذا القاضي الفرّج بن كنانة^(٣) يغزو على جند شنونة إلى جليقية، وأن القائد الإسلامي قدمه إلى جموع النصرانية ففضهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، ثم ولاة الأمير الحكم ثغر سرقسطة فكان فيه مدة، فأخذ هناك بعض الثورات وضبط هناك وأمن الحدود وكان الفرّج ابن كنانة من خير القواد للأمير الحكم بن هشام، من الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، كما سيأتي فيما بعد. فهذا القاضي محمد بن عبد الله^(٤) كان الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله مع قيامه بالقضاء - يكلفه ببعض المهمات للأمور كالقيام بأمانات الثغور والأطراف للأشراف عليها، والاعلام بمصالحها، والبنيان لحصونها وترتيب مغازيها، وإدخال جيوشها إلى بلد الحرب، وأقامه في ذلك مقام أهل السيف من قواد الجيوش، فيقوم بذلك خير قيام بحسن تدبيره وصحيح ديانتته، وصريح

(١) هو سعيد بن محمد بن بشير القاضي المشهور الذي تقدمت ترجمته، وسعيد هذا من تلامذة يحيى بن يحيى الليثي، وكان رجلاً صالحاً عاقلاً، ولاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبيه محمد بن بشير، وتوفي رحمه الله سنة ٢١٠هـ. انظر: تاريخ العلماء والراة ج١ ص ١٩٢.

(٢) قضاة قرطبة ص ٩١-٩٢.

(٣) هو فرّج بن كنانة بن نزار بن غسان بن مالك بن كنانة الكناني من أهل شنونة يروي عن ابن القاسم وابن وهب، استقضاء الحكم بن هشام بقرطبة بعد محمد بن بشير فلم يزل قاضياً إلى سنة ٢٠٠ ثم خرج إلى الثغر قائداً (انظر: تاريخ العلماء ج١ ص ٣٩١).

(٤) هو القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ولي قضاء عدة كور بالأندلس، وكان صاحب سيرة حسنة عادلاً صارماً في الحق عالماً فاضلاً، استقضاءه الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان آخر ما ولاة قضاء البيرة، وقلده مع القضاء أمانة الكورة، والنظر على عمالها، فكانوا لا يقدمون ولا يؤخرون إلا عن رأيه، وكان لا يظلم عنده أحد، ثم نقله الناصر إلى قضاء الجماعة بقرطبة (انظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٩ وما بعدها).

مناصحته^(١). هذه حال القضاة في الأندلس لم يشغلهم أي شاغل عن الجهاد في سبيل الله، بل وكانوا يسارعون إلى الجهاد يشتاقون للشهادة في سبيله، فهذا الحسن بن عبد الله الجزامي قاضي (رية) كان من الملازمين للجهاد مع المنصور بن أبي عامر، معقوداً له اللواء على جنديته وكان الناس يرجعون على رأيه في كل الأمور، وكان كثير البدار إلى ملاقاته العدو بنفسه، وكان يجهر كثيراً عند القتال - بقول الرسول ﷺ «لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبداً»^(٢) واستشهد في إحدى الغزات مع بعض القواد، فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته، ولقضاة الأندلس مآثر عظيمة في حب الجهاد وإعزاز هذا الدين ورفع رايته، وفي سبيل ذلك كابدوا مشاق الأمور، فهذا المنصور بن أبي عامر رحمه الله يتولى عدة مناصب في الدولة الأموية أولها القضاء وآخرها إقامة دولة بأسم الحجابة لهشام بن الحكم، فاستولى على كثير من الأمصار، وبلغ الاسلام في الأندلس عز مبلغ في دولته وانهارت أمامه ممالك النصراني، بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل جهاده المتواصل، حتى توفى في سبيل الله مجاهداً أعداء الله^(٣) وكان في زمانه يقتدى به ويحذو حذوه كل مسلم، فهذا قاضيه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن زكوان، لم يتخلف عنه في غزوة من غزواته، ولا فارقه في ثلعن ولا إقامة، وكذلك كان حاله مع ولديه المظفر والمأمون^(٤). هذه إشارات من جهاد القضاة في الأندلس

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) رواه مسلم في كتاب الامارة، باب من قتل كافراً ثم سدد ج ٢ ص ٢٧ مع شرح.

(٣) انظر: نولة الاسلام في الأندلس ج ٢ ص ٢٩٧ وما بعدها وفي تفاصيل ما أحرزه المنصور بن أبي عامر ص ٥٣٥ و ٥٦٨ من نفس المرجع.

(٤) المظفر هو عبد الملك بن محمد المنصور بن أبي عامر، تولى الحجابة بعد أبيه سنة ٣٩٢هـ وقام بتدبير المملكة خير قيام حتى توفي سنة ٣٩٩هـ في شهر صفر بعد أن قضى فترة حكمه بالجهاد المتواصل ضد الكفار، وكان عمره حين وفاته ٣٥ سنة إن كانت ولادته سنة ٣٦٤هـ بقرطبة. انظر: نولة الاسلام في الأندلس ج ٢ ص ٦٠٧ وما بعدها. أما المأمون هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر أخو عبد الملك

وما كان لهم من البلاء الحسن في سبيل الله عز وجل، فما تجد ترجمة من تراجم أهل العلم في الأندلس. إلا وتجد فيها: كان من جند كذا، أو كان قائداً للجزوة الفلانية. مما يدل على أن أهل الأندلس دائماً كانوا أهل جهاد ورباط في سبيل الله عز وجل.

المطلب الثاني

جهود القضاة الدعوية في غير الجهاد

إن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، كانوا إسلاماً يتحرك على الأرض. حيث كانوا أسوة لغيرهم في كل شيء يتعلق بالإسلام. وقضاة الأندلس من هؤلاء السلف لا يختلفون عنهم في شيء مما يتعلق بالدعوة إلى الله عز وجل. فكان القاضي بالأندلس جزءاً من المجتمع الذي يعيش فيه. فهو ليس بمنعزل في زاوية ينظر في القضايا التي ترفع إليه فحسب، بل كان يعيش مجتمعه في كل شئونه، فهو إمام المسلمين في الصلوات الخمس، والجمع والأعياد وغيرها^(١) وهو القاضي الذي يفصل

المظفر، وهو الذي تولى الحجابة بعد أخيه عبد الملك، وهو الذي أنتهت الدولة العامرية على يده بسوء تدبيره بعد قضاء الله وقدره.
انظر: المرجع السابق ص ٦٢٢ وما بعدهما.

(١) من أمثلة ذلك إن القارئ كثيراً ما يجده إن القاضي كان هو الإمام في تراجم القضاة مثل، قول العتبي: «صلى بنا سعيد بن سليمان القاضي صلاة الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة» قضاة قرطبة للخشنى ص ١٣٩ هذا ما يتعلق بالجمعة والأمثلة فيه كثيرة.

أما في غير الجمعة إن القاضي سليمان بن أسود كان يأمر المؤننين أن يقيموا الصلاة ويصلوا إذا تأخر هو، كما جاء في المرجع السابق ص ١٦٧، مما يدل على أنه كان هو الإمام. ولما ولي الأمير محمد بن عبد الرحمن قضاء الجماعة رجلاً من الموالي وهو القاضي عمر بن عبد الله، تكلم بعض وجهاء الناس في ذلك، فقال الأمير: وجدت فيه مالم أجد فيكم فقالوا: أما القضاء فلا نعترض فيه.. وأما الصلاة فلا نصلي وراءه، فولى الأمير الصلاة غير القاضي/المرجع السابق ص ١٤٦.

في الخصومات، وهو المصلح الذي يصلح ويؤلف بين الناس^(١). وهو الداعي الذي يداوي قلوب الناس ويزيل أمراضها بكلامه الحسن وهو المستشار لدى الأمراء في سياسة الدولة العامة^(٢) فكان القاضي يعايش كل مشاكل المجتمع، ويضع الحلول المناسبة لكل مشكلة^(٣) وهذا الموضوع لا يتناول كل الأعمال التي كان يقوم بها القضاة في الأندلس، ولكن كل ما يذكر فيه هو بعض الأمور التي تتعلق بالدعوة إلى الله عز وجل، مما كان يقوم به القضاة آنذاك، سواء كان ما يتعلق منها بالأمور العامة لكل الناس، أم ما يتعلق منها بدعوة الأمراء ورجال الدولة. كما أن للقضاة كان دور كبير في الحفاظ على العقيدة الصحيحة، ومحاربة ما يصادها من البدع. وكما تقدم أن القضاة كانوا هم أئمة المساجد والخطباء في كل المناسبات الدينية وغيرها. وهذا جعلهم يعالجون مشاكل المجتمع في كل المناسبات. وإذا تطلب الأمر أكثر من ذلك. فلا يترددون في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفيما يلي بعض مواقفهم الدعوية:

أولاً : جهود القضاة الدعوية في إخماد الفتن :

إن بلاد الأندلس أبتليت بكثرة الفتن والحروب الداخلية التي كانت تقوم فيها من حين لآخر ومن هذه الفتن، فتنة أهل الربض بقرطبة التي قامت بين بعض الفقهاء والأمير الحكم بن هشام عام ٢٠٢هـ وكانت فتنة

(١) ومن اصلاحات القضاء: إن القاضي سعيد بن سليمان الغافقي دفع من ماله الخاص فدية لرجل ليطلق زوجته، وذلك كانا في خلاف، ورفض الزوج طلاقها إلا مخالعة، وكان ليس لها مال. (ينظر: قضاة قرطبة ص ١٣٧، الخشني).

(٢) ومن ذلك إن المنصور وابن أبي عامر كان يشاور كثيراً القاضي محمد بن يبي بن زرب. ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٥.

(٣) ومن حلولهم المناسبة إن القاضي سليمان بن أسود حضر إليه رجل يشتكي ضرر دخان فرن أحدثه جاره، فأمر سليمان صاحب الفرن أن يجعل أنبوباً في أعلى الفرن فيخرج الدخان من أعلاه فلا يضر الجار. (قضاة قرطبة ص ١٦٦).

عظيمة سفكت فيها الدماء وهدمت فيها البيوت وحتى المساجد، وشرد فيها آلاف الناس، وقتل فيها الأبرياء حتى قام القاضي الفرّج بن كنانة بأخماد هذه الفتنة بعد توفيق الله عز وجل، وذلك أن رجلاً من جيران هذا القاضي، أتهم في هذه الفتنة، وكان رجلاً زاهداً، وبسبب التهمة تسور عليه الأعوان بيته ليقتلوه، فصرخ النساء، فقال - القاضي - ما هذا؟ فقيل له: جارك فلان، أتاه الأعوان فهجموا عليه ليقتلوه، فخرج الفرّج بن كنانة إلى باب الدار، فأجتمع مع الأعوان فقال: إن جاري هذا سليم الناحية، وليس فيه مما تظنون شيئاً، فقال له المرسل مع الأعوان: (ليس هذا من شأنك ولا مما عصب بك، انظر في أحباسك وأحكامك، ودع مالا يعينك)، فغضب القاضي عند ذلك فمشى إلى الأمير - الحكم بن هشام - واستأذن عليه، فلما دخل سلم، ثم قال: (أيها الأمير أصلحك الله، إن قريشاً حاربت النبي ﷺ وناصبته العداوة، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاعتداء به لقرابتك منه)، ثم حكى له القصة وما عرض له، فأمر، بضرب الناظر في ذلك الشغب، وعفا عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان لجماعتهم، واستألفهم إلى أوطانهم^(١). فهذه الدعوة الحسنة التي اختار فيها - القاضي الفرّج بن كنانة - الأسلوب الحسن الذي يصل إلى قلب الأمير كانت سبباً من أسباب العفو وإخماد الفتنة، وتأمين الناس ومن جهود القضاة الدعوية في سبيل تأمين الناس وعدم التعرض لهم بأي أذى، إن القاضي سليمان بن أسود رحمه الله كتب إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن، كتاباً خاطب الأمير فيه بقوله: «إن ابن أبي أيوب خرج نهاراً بالسيف مشتهراً، فجرح به رجلاً وأخاف آخرين، وقد كانت لفعلته هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة فلم يقمعه عن شره والأخذ فيه على يده، ومن قبل ذلك ما كتبت إليه في عبيد الله بن عبد العزيز، إذ ظهرت دعارته، وشره، فتهاون بذلك حتى أحدث ما أحدث، واضطر فيه الأمير إلى

(١) قضاة قرطبة ص ٩٤.

ما أضرر»^(١) ففي هذا النص إن كار المنكر على كل من ارتكبه، وإبلاغ الأمراء وكل من يستطيع الإنكار باليد، وسلوك كل السبل التي تكفل الأمن والاستقرار للمسلمين، وإزالة كل المنكرات مهما كانت رتبة من ارتكبها، بل كانوا العين الساهرة في سبيل الله سداً لكل فتنة ومنكر .

ثانياً: إحتساب القضاة :

قام القضاة بالحسبة خير قيام في المجتمع الأندلسي، وفيما يلي بيان ذلك كالحسبة على الأمراء ودعوتهم الحكام ووعظهم لهم لأنشغالهم بالدنيا وتفريطهم في العبادة، وإنهماكهم في بناء الدنيا وتعميرها، فإن القضاة كانوا يقفون لهم على الحق، ليثوب الحكام إلى رشدهم، بفضل الله ثم بجهد هؤلاء الأخيار، ومن ذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله كان كلفاً بعمارة الأرض وتخليد الآثار، وعندما أقام مدينة الزهراء أنشغل بها كثيراً حتى تخلف عن حضور ثلاث جمع متواليات، فقام القاضي منذر بن سعيد البلوطي بوعظه عندما حضر في إحدى الجمع فقال: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون . . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾^(٢) ولا تقولوا: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾^(٣) فمتاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، وهي دار القرار ومكان الجزاء، ووصل ذلك بكلام جزل وقول فصل، ومضى في زم تشييد البنيان، والاستغراق في زخرفته، والإسراف في الأنفاق عليه، وذكر الآيات في ذلك فقال: قال تعالى: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير، أم من أسس بنيانه

(١) المرجع السابق ص ١٥٨.

(٢) الشعراء الآيات من ١٢٨ إلى ١٣٥.

(٣) الشعراء الآية ١٣٦.

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم^(١)، وأتى بما يشاكل المعنى في التخويف بالموت، والتحذير من مفاجأته، والدعاء إلى الزهد في هذه الدنيا الفانية، والحض على اعتزالها، والرفض لها، والندب إلى الاعراض عنها؛ والأقصار عن طلب اللذات، ونهي النفوس عن اتباع هواها، فأسهب في ذلك كله وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه، وجلب من الأحاديث والآثار ما يشاكله، حتى تذكّر من حضره من الناس، وخشعوا، ورقوا، وبكوا، ودعوا، واعلنوا في التضرع إلى الله في التوبة والابتهال في المغفرة، وأخذ الخليفة من ذلك بأوفر حظ، وقد علم أنه المقصود به، فبكى، وندم على ماسلف له، واستعاذ بالله من سخطه^(٢). وكان القاضي منذر بن سعيد رحمه الله، من أكبر الدعاة إلى الله وكان له أسلوب حسن مؤثر في نفوس الناس، فما يقوم مقاماً يذكر فيه بالله، إلا أثر فيه في نفوس الناس ولم يتمالكوا من البكاء، وهو كذلك أشدهم بكاء وخوفاً من الله، وله في ذلك مقامات عظيمة في خطبه^(٣).

١ - ومن احتسابه على الخليفة في اسرافه على المباني:

إن الخليفة الناصر لدين الله، قد أتخذ لسقف القبة، التي كانت بقصر الزهراء قراميد^(٤) مغطاة ذهباً وفضة، أنفق عليها مالا جسيماً، وقرمذ سقفها بما، يُشئت الأبصار بأشعة أنوارها، وجلس فيها يوماً إثر تمامها، لأهل مملكته، فقال لقرابته منهم من الوزراء وأهل الخدمة، مفتخراً بما صنعه من ذلك: (هل رأيتم، أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه؟) فقالوا: (لا يا أمير المؤمنين وإنك لو احد في شأنك كله، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره)

(١) التوبة جزء من الآية ١٠٩.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٩ وما بعدها بتصرف. وينظر: نفع الطبيب ج١ ص ٣٥٣.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٧ وتاريخ قضاة الأندلس ص ٧١.

(٤) القرمذ: هو كل شيء يطلى به للزينة. انظر: تاج العروس ج٢ ص ٤٦٥.

فابجه قولهم وسره. وبينما هو كذلك، إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد، واجما ناكس الرأس؛ فلما أخذ مجلسه، قال له - الخليفة - كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب، واقتداره على ابداعه؛ فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته، وقال له: (والله يا أمير المؤمنين، ماظننت أن الشيطان - لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قلبك هذا التمكين مع ماأتاك الله من فضله ونعمته، وفضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين) فانفعل الخليفة لقوله، وقال له: انظر ماتقول؟ وكيف أنزلني منازلهم؟ فقال له: نعم أليس الله يقول: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾^(١) فوجم الخليفة، وأطرق ملياً، ودموعه تتساقط خشوعاً لله سبحانه، ثم أقبل على القاضي منذر وقال له: جزاك الله - يا قاضي - عنا وعن نفسك خيراً، وعن الدين والمسلمين، أجل جزائه، وأكثر في الناس أمثالك. فالذي قلت هو الحق، وقام من مجلسه ذلك، وأمر بنقض سقف القبة، وأعاد قرمودها تراباً على صفة غيرها^(٢) فما أحسن هذا الأسلوب في تغيير المنكر، واقناع الآخرين.

٢ - الاحتساب على ذوي المكانة من رجال الدولة:

كما قام القضاة بالحسبة على الخلفاء، قاموا أيضاً بالحسبة على كبار الشخصيات فهذا القاضي عمرو بن عبد الله^(٣) يحتسب على أخي الأمير محمد بن عبد الرحمن لأنه آوى رجلاً مطلوباً عند القاضي بحق كان عليه، فقال القاضي عمرو لأخي الأمير: (ظلمت وأسأت فيما فعلت. عمدت

(١) سورة الزخرف الآية ٣٣.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي ص ٧١ وما بعدها.

(٣) هو أبو عبد الله عمرو بن عبد الله بن لبيب، كان مولى لإحدى بنات الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل. تولى القضاء الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وهو أول من تولى القضاء من الموالي، توفي سنة ٢٧٣هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ٣٦٣ رقم ٩٣٨. وقضاة قرطبة ص ١٤٦.

إلى رجل قد أخذه حكمي، فأويته وسترته، تريد أن تمنع الحق أن ينفذ عليه، إن لم تخرجه وتبرزه ليؤدي ماعليه، ويصير فيه إلى الواجب. وإلا أرسلت إليك من يسمر أبواب دارك»^(١) هكذا كان أحتسابهم على كل أحد مهما كانت منزلته .

٣ - احتساب القضاة عموماً :

كان القضاة من الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر في كل شيء . فمن أمرهم بالمعروف، ماذكر عن القاضي سليمان بن أسود، إنه كان يقول لمؤذني الجامع: (إذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها عن وقتها . وإن أحسستم أنني نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظروني، وأقيموا الصلاة وصلوا .)^(٢) .

ومن نهيم عن المنكر، ماذكر عن نفس سليمان بن أسود، إنه كتب إلى الأمير محمد يطلب منه عزل صاحب المدينة لعدم قيامه بما يجب عليه، فقال القاضي للأمير: (إن ابن أبي أيوب خرج نهاراً بالسيف مشتهداً فجرح به رجلاً، وأخاف آخرين، وقد كانت لفعلة هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة، فلم يقمعه عن شره، وأخذ فيه على يده)^(٣) فأمر الأمير بحبس الجاني. هكذا كان القضاة قائمين بالحق أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

ثالثاً: جهود القضاة في محاربة البدع .

لقد بذل القضاة جهداً كبيراً في محاربة البدع^(٤) والحفاظ على العقيدة

(١) قضاة قرطبة ص ١٥٠.

(٢) قضاة قرطبة للخشني ص ١٦٧.

(٣) نفس المرجع ص ١٥٨.

(٤) البدعة هي كل شيء محدث في الدين. قال الشاطبي: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية» كتاب الأعتصام ج١ ص ٣٧ تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت سنة ١٤٠٢هـ.

الصحيحة. لقد ظهرت في الأندلس بدع منها بدعة التشيع^(١) وظهور بدعة الخوارج^(٢). وبدعة الصوفية الباطنية، وظهور بعض المتنبيين الذين الدعوا النبوة، ونزول الوحي إليهم^(٣). ولقد تصدى أهل الأندلس لكل هذه البدع، وكان للقضاة دور كبير في محاربة البدع.

فمن محاربتهم التشيع: إنه قد ظهر في الأندلس رجل يدعى أبا الخير وكان رافضي المعتقد^(٤). وأصبح يظهر الحقد والبغض للحكام وجعل يجاهر بسب أصحاب النبي ﷺ، واحلال المحرمات كالخمر وغيرها، وكان يتظاهر بحب آل البيت، ويتمنا انتصار الفاطميين الذين كانوا يحاربون الأمويين في افريقية. وقد ثبتت عليه عدة شهادات بما نسب إليه من المنكرات، فرفع أمره إلى القاضي منذر بن سعيد، والفقيه إسحاق بن

(١) الشيعة هم الذين يفضلون علياً بن أبي طالب رضي الله عنه، على الصحابة كلهم ويقولون بإمامته بعد رسول الله ﷺ، وهم عدة فرق/ ينظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ١٤٦، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، نشر: دار الفكر (بدون تاريخ طبع).

وكان أول ظهور التشيع في الأندلس في عهد عبد الرحمن ابن معاوية الداخل على يد رجل بربري إلا أنه قضى عليه عبد الرحمن بعد حرب طويلة. ينظر: دولة الاسلام في الأندلس ج١ ص ١٦٤.

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ٣٧هـ وكفروه وناصروه العدا، فحاربهم رضي الله عنه وانتصر عليهم في موقعة النهروان المشهورة. وهم الذين يكفرون صاحب الكبيرة من المسلمين، ويبيحون الخروج على الحاكم الفاسق أو الظالم، ولا يرون الخلافة أن تكون في قريش/ ينظر: حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي ج١ ص ٩٩.

(٣) مثل الرجل الذي قتل في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم/ ينظر المقتبس ص ١٥٧ تحقيق محمود مكي.

(٤) الرافضة هم فرقة من الشيعة، ويعرفون أيضاً بالأثنى عشرية ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص ٢٩٩.

إبراهيم^(١) وصاحب الصلاة أحمد بن مطرف^(٢). وغيرهم، فقال هؤلاء المذكورون: (إنه محلد كافر قد وجب قتله، بدون ما ثبت عليه - أي ببعضه - من غير أن يعذر إليه... فأمر الخليفة الحكم المستنصر بصلبه غضباً لله عز وجل، ولكتابه العزيز ولرسوله ﷺ، ليكون تشريداً لمن ذهب إلى مذهب من مذاهبه أو ثبت عليه سبب من أسبابه)^(٣) وقد انتهت فتنته، وذلك بفضل الله، ثم بفضل جهود هؤلاء الأخيار، وعلى رأسهم القضاة، الذين كانوا لا يدخرون أي وسع في توطيد الدين، ومحاربة كل من يريد أن ينال منه شيئاً، ومحاربة كل الأفكار التي يأتي منها أدنى شر ينال من سلامة العقيدة.

ومن البدع التي حاربها القضاة في الأندلس بدعة التصوف وقد ظهر التصوف على يد رجل من أهل قرطبة يدعى محمد بن عبد الله ابن مسرة، وكان يظهر العبادة والصلاح إلا أنه كان فاسد الاعتقاد، قد تتلمذ على بعض المعتزلة في المشرق ولما رجع إلى الأندلس انقطع للعبادة، وابتعد عن الناس، وكان له تلاميذ يأتونه في مزرعته، ولما مات أظهروا مذهبهم وكان من انحرافات القول بالوعيد^(٤)، فتصدى له العلماء فألفوا الكتب في الرد عليه، وكان القضاة يتابعون كتب مذهب ابن مسرة بالحرق، ومن هؤلاء القاضي محمد بن يبقا، كان شديداً في متابعة أصحاب بن مسرة والكشف

(١) هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مرة، من أهل قرطبة، كان مقدماً في الفتيا مشاوراً في الأحكام توفي سنة ٣٥٢ بطليلة سنة وكان سنه ٧٥ سنة/ ينظر: تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ٨٧ لابن الفرضي.

(٢) هو الفقيه أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم، كان معظماً لدى الأمراء محدثاً صالحاً، وكان فاضلاً، مشاوراً في الأحكام، وكان هو المرجع في وقته. المرجع السابق ج١ ص ٥٦.

(٣) ينظر: ثلاث وثائق في محاربة البدع في الأندلس ص ٥٧ للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف.

وهذه الوثائق مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لأبن الاصبع عيسى بن سهل الأندلسي.

(٤) القول بالوعيد: هو إن صاحب الكبيرة مخلد في النار، وهو قول قال به الخوارج والمعتزلة.

عنهم، واستتابة من علم أنه يعتقد بمذهبهم وقد ألف هذا القاضي كتاباً حسناً في بابه وضعه في الرد على ابن مسرة^(١) قرىء عليه وأخذ عنه. وفي سنة ٣٥٠هـ استتاب جملة جيء بهم إليه من اتباع ابن مسرة؛ ثم خرج إلى جانب المسجد الجامع الشرقي، وقعد هناك؛ فأحرق بين يده ما وجد عندهم من كتب.

رابعاً: جهود القضاة في دعوة غير المسلمين:

ولم يكن جهود القضاة في الدعوة مقتصرة على المسلمين فحسب بل كانت هناك جهود بذلها القضاة في دعوة النصارى إلى الإسلام، انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)^(٢) وخاصة في وقت الفتن وإثارة الشبهات ضد الإسلام ونبيه ﷺ. لأن الإسلام دين التسامح، لم يجبر أحداً للدخول إليه قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾^(٣) والمسلمون عندما فتحوا الأندلس لم يكرهوا أحداً من النصارى للدخول في الإسلام، واستمر هذا التسامح عبر التاريخ مع الحكم الإسلامي في الأندلس، فكانت حرية النصارى مكفولة في كل شئونهم الخاصة بهم، ولكن هذا التسامح العظيم الذي مده المسلمون للنصارى، وازدهار حضارة

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن بجيج، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله تلقى تعليمه الأول من أبيه ومحمد بن وضاح والخشني وغيرهم ثم رحل إلى المشرق قيل: لطلب العلم، وقيل: اتهم بالزندقة فخرج فاراً، وتردد بالمشرق مدة، فاشتغل بملاقات أهل الجدل، وأصحاب الكلام، والمعتزلة، ثم انصرف إلى الأندلس فأظهر نسكاً وورعاً، واغتر الناس بظاهره، فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر الناس على سوء معتقده، وقبح مذهبه فانقبض عن من كان له إدراك وعلم، وتمادى في صحبته آخرون غلب عليهم الجهل فدانوا بنحلته .. توفي سنة ٣٦٩هـ. انظر: تاريخ العلماء والرواة ج٢ ص ٤١.

(٢) رواه البخاري ج٤ ص ٥ المكتبة الإسلامية بأسطنبول.

(٣) البقرة الآية ٢٥٦.

الإسلام، بعث في نفوس النصارى المستأمنين حقداً دفيناً فحاولوا اثارة الفتن والثورات في أقطار البلاد، وأقدموا على الموت بالمجاهرة بسبب الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، وخاصة بعض القسس المتعصبون الذين كانوا يتمتعون برعاية الإسلام لهم في قرطبة. وهذه الجريمة الشنعاء ستأتي تفاصيلها في باب عوائق الدعوة، ولكن المقصود هنا بيان موقف القضاة من هذه الفتنة ودورهم فيها. وبما أن هذه الفتنة كانت من أعظم الفتن التي من الممكن أن تستأصل النصارى، وتطهر منهم البلاد إلا أن المسلمين واجهوا هذه الفتنة بالحكمة والموعظة الحسنة، فهذا هو أحد القساوسة المتعصبين يأتي إلى القاضي ويقول له: يريد أن يتعلم أصول الإسلام ومبادئه، ولما شرح له القاضي تعاليم الإسلام، بادره بقوله في عنف وشدة: لقد كذب عليكم، وأنه كذا وكذا^(١). يعني النبي ﷺ، وتكلم فيه بكلام شنيع، ولكن القاضي لم يعاجله بالعقوبة بل أعطاه مهلة يراجع فيها نفسه، ولما تمارى أمر بسجنه.

وهاتان فتاتان شابتان تقفان أما القاضي - بتحريض من القساوسة - وتقولان: إن المسيح هو الإله الحق، وأن النبي محمداً هو نبي زائف... وأن الإسلام دين الشيطان، وحاول القاضي نصحهما، ولما أصرنا أمر بسجنهما، ثم في النهاية بالإعدام على الإصرار في الكفر والاعتداء على الإسلام^(٢).

فما أعظم الإسلام وأرحمه، وما أعظم هؤلاء العظماء، الذين بذلوا كل جهدهم لهداية الناس إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله للناس، فهؤلاء القضاة لهم السلطة العليا، والدولة دولتهم، وأمرهم منفذ بكل حال، ولكن يمدون أجنحة الرحمة لهؤلاء الذين أغواهم الشيطان، حتى يهتدوا إلى الرشد والسادار، فالإسلام دين رحمة وعلماؤه دعاة إلى هذه الرحمة.

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، لسير توماس أرنولد ص ١٦٥، مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة عام ١٩٧٠م.

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٢٧١ وما بعدها.

وكان للقضاة مواقف دعوية أخرى مع النصارى فإنهم كانوا يقومون بالدعوة إلى الإسلام بين كل الفئات، ويسجلون إسلام من أعلن إسلامه حتى ولو كان صغيراً. ويكفلونه حتى يتربى تربية إسلامية صحيحة. ومن أمثلة ذلك ما ذكر عن أحد القضاة من أنه طلب فتوى الفقهاء في غلام أسلم ثم ارتد، ونص كتابه هو: (كتب القاضي^(١) إلى عبيد الله بن يحيى: (٢) حفظك الله وابقاك أتاني - رضي الله عنك - غلام من النصارى يريد الإسلام، فأسلم على يدي وكتبت إسلامه، وأشهدت عليه، فلما كان بعد أيام، أتاني فذكر أنه بداله عن الإسلام فامتحنته فوجدته مصراً على ما قال. فانظر إليه وإلى كتاب إسلامه، وتكتب إلى برأيك فيه مفسراً إن شاء الله عز وجل). فجاءت الإجابة من الفقيه عبيد الله بن يحيى (أسأل الله أن يديم إقامة السنن بك، وأن يجزل على ذلك ثوابك. والغلام - مد الله في عمرك - في قدر مارهق ولا أظنه بلغ. فأرى أن يحمل عليه الوعيد، فإن رجع إلى الإسلام فبتوفيق الله. وبجميل نظرك^(٣) وإن أصر حبسته أياماً لعله يراجع أمر الله فإن أصر، خليته في سخط الله عز وجل، فليس بأول من أغواه الشيطان. والله أسأله لك أجزل الثواب وأعظم الأجر والسلام عليك ورحمة الله وبركاته^(٤)).

فإن هذا النص يدل على جهود القضاة في الدعوة إلى الإسلام كما يدل على عدالة الإسلام ورحمة المسلمين بغيرهم، وإنهم لا يحاكمون أو يأخذون بأحكام الشرع إلا البالغ العاقل.

وهناك قصة أخرى تدل على حسن تسامح المسلمين للنصارى وكذلك

(١) لعله هو أحد قضاة الأمير عبد الله بن محمد لأن عبيد الله بن يحيى كان مشاوراً في عهده.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الواجب أن يقال: بتوفيق الله ثم بجميل نظرك، لأن في مثل هذا العطف بضم أولى من العطف بالواو.

(٤) وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس من ٤٣، الدكتور/ محمد عبد الوهاب خلاف.

على جهود القضاة في الدعوة، وكفالة من أسلم من صغار السن وهي مثل الأولى طلب أستفتاء في صبي أسلم ثم أرتد بسبب تأثير والديه عليه: «أتاني - رحمكم الله - صبي لم يبلغ فأسلم، وصار عند رجل ضمه - ابتغاء ثواب الله عز وجل - فيه فتردد عليه أبواه، يريدان رده إلى دينهما، والگلام يأبأ، فلما كان البارحة أتاني والده، فأعلمني إن ولده يريد الرجوع إلى والديه ودينهما، فاكتبوا إلي بما يجب في ذلك».

قال ابن لبابة^(١): فهمنا ما ذكره القاضي. فإن كان الغلام قد عقل، مثل أن يكون ابن عشر سنين، أو مازاد، فليشدد عليه ويهدد ويوعد عليه. فإن لج في الرجوع إلى دينه، يرد إلى أبويه، ولم يبلغ به القتل^(٢).

فهذا يدل على أن للقضاة كانت جهوداً دعوية. وذلك إنهم لم يطلبوا بمثل هذه الفتاوى في الأمور مثل هذه التي فيها ردة عن الاسلام، إلا لكثرة من كان يسلم على أيديهم. كما أن مثل هذه القصة تدل على مدى تأثير النصارى بالمسلمين فمثل هؤلاء الصبيان ما أعلنوا اسلامهم إلا لشدة تأثيرهم بالمسلمين معاملة وأخلاقاً ودعوة.

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة الفقيه العالم، ولد سنة ٢٢٥هـ بقرطبة وتربا فيها، وتلقى تعليمه بقرطبة حتى نال أعلى الدرجات. وتولى الشورى في عهد الأمير عبد الله بن محمد، واستمر في الشورى حتى توفي في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ٣٦٤/ ينظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي الترجمة رقم ١١٨٩ ج٢ ص ٣٦.

(٢) وثائق في احكام قضاء أهل النمة ص ٤٦.

الفصل الثاني

الحسبة والمحتسبون

وفيه مباحث:

المبحث الأول : الحسبة في الأندلس.

المبحث الثاني: أشهر العلماء المحتسبين.

المبحث الثالث: دور المحتسبين في الإصلاحات.

المبحث الأول: الحسبة في الأندلس

الحسبة في الشريعة الاسلامة لها منزلة عالية، والمحتسب كانت له اختصاصات واسعة، وفي الأندلس كان يمثل مناصب مهمة، فقد كان يراقب الأسواق ويمنع الغش وكل المخالفات التي تضر بالدين وبالمجتمع. وفيما يلي الحديث عن الحسبة في الأندلس تحت المطالب التالية.

المطلب الأول تعريف الحسبة

لفظ الحسبة في اللغة له عدة معاني منها:

أولاً: طلب الأجر جاء في لسان العرب: الاحتساب طلب الأجر والاسم الحسبة بالكسر وهو الأجر. وأحتسب فلان ابناً له، إذا مات وهو كبير، وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ «من صام رمضان إيماناً وأحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه. والاحتساب من الحساب كالأعتاد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: أحتسب لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشر الفعل كأنه معتد به.

والحسبة أسم في الاحتساب كالعَد من الأعتاد. والاحتساب في الأعمال الصالحات، وعند المكروهات، هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها^(٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان جا

ص ١٤ طبعة إسطنبول.

(٢) لسان العرب جا ص ٣٠٥ مادة (حسب).

ثانياً : التدبير والنظر في الأمور :

يقال : إنه لحسن الحسبة في الأمر ، أي حسن التدبير والنظر فيه^(١) .

ثالثاً : الاختبار والامتحان . يقال : أحتسبت فلاناً أي أختبر ما عنده ،

والنساء يحتسبن ما عند الرجال لهن ، أي يختبرن .

رابعاً : طلب الشيء والبحث عنه :

يقال : ذهب فلان يحتسب الأخبار . أي يتجسسها ، ويتحسسها ويطلبها

تحسباً^(٢) .

خامساً : الانكار : يقال : أحتسب فلان على فلان : أي أنكر عليه قبيح

عمله .

سارساً : الاعتداد : يقال : فلان لا يتحسب به ، أي لا يعتد به^(٣) وهذه

المعاني كلها متقاربة ، وداخلة في الحسبة وعمل المحتسب فإن المحتسب

يمارس عمله طلباً للأجر . وينظر فيه بحسن التدبير ويختبر من يريد أن

يكلفه بالعمل ، وكذلك يختبر صدق الناس في جميع أمورهم ، ويطلب

المنكرات ويتحسسها لينكرها ، ويقطع الشرف في مهده .

* الحسبة في الأصلاح :

للحسبة عدة تعريفات في أصلاح العلماء . أشهرها تعريف الامام

الماوردي^(٤) والقاضي أبي يعلى^(٥) وهو « الحسبة هي أمر بالمعروف إذا

(١) المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(٢) لسان العرب ج١ ص ٣٠٨ .

(٣) ينظر : أساس البلاغة ص ٨٣ للجار الله الزمخشري .

(٤) الامام الماوردي هو : أبو الحسن علي بن محمد ، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ ونشأ بها

ودرس فيها الفقه الشافعي ثم رحل إلى بغداد ودرس فيها ، وتوفي فيها سنة ٤٥٠هـ

رحمه الله .

ينظر : شذرات الذهب ج٣ ص ٢٨٥ ووفيات الأعيان ج١ ص ٣٢٦ .

(٥) القاضي أبي يعلى هو : محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الفقيه العالم ولد سنة

٣٨٠هـ ونشأ فيها وتلقى التعليم من والده ومشائخ آخرين ، وتولى القضاء للدولة

العباسية ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ .

ينظر : سير اعلام النبلاء ج١٨ ص ٨٩ .

ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»^(١) وهناك تعريفات أخرى للحسبة في الاصطلاح^(٢) لكن يكتفى بالتعريف السابق لأنه أشمل التعريفات للحسبة.

- (١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٣٩١ والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٦٨ الطبعة الأولى تحقيق محمد حامد الفقي، نشر المطبعة الحلبية بمصر.
- (٢) ذكرت للحسبة عدة تعريفات للعلماء منها: أولاً: قال أبو حامد الغزالي: (الحسبة عبارة عن المنع عن المنكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر» أحياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٢٧، وقال في مكان آخر: «وهي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» المرجع السابق ص ٣١٢. ثانياً: ما ذكره ابن الخوة بقوله: «هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله واصلاح بين الناس» معالم القربى في أحكام الحسبة/ ص ٢٣. الثالث: تعريف ابن خلدون وهو قوله (وظيفة بينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٩. الرابع: تعريف حاجي خليفة، وهو: (علم باحث في الأمور الجارية بين أهل البلد في معاملاتهم اللاتي لا يتم التمد بدونها من حيث إجراؤها على قانون العدل بحيث يتم التراضي بين المتعاملين وعن سياسة العباد ينهي عن المنكر وأمر بالمعروف، بحيث لا يؤدي إلى مشاجرات وتفاخر بين العباد، وبحسب ما رآه الخليفة من الزجر والمنع. ومبادئه بعضها فقهي، وبعضها أمور استحسانية ناشئة عن رأي الخليفة) نظام الحسبة في الاسلام ص ١٣. الخامس: تعريف الدكتور/ محمد كمال الدين إمام وهو: (فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقاً للشرع الإسلامي) أصول الحسبة في الاسلام ص ١٦. السادس: تعريف الشيخ عبد العزيز بن محمد بن مرشد وه: (رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق المجتمع الاسلامي بردهم إلى مافيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضرهم وفقاً لأحجام الشرع) نظام الحسبة في الاسلام ص ١٦، وهذه التعريفات كلها عليها ملاحظات. وقد ذكر هذه الملاحظات مستوفاة فضيلة استاذنا الدكتور فضل إلهي في كتابه الحسبة ص ٧ وما بعدها، كما ذكر تعريفات غير هذه المذكورة. الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ نشر: إدارة ترجمان الاسلام - باكستان.

المطلب الثاني مكانة الحسبة

الحسبة من الواجبات الدينية التي أمر الله بها المسلمين بقوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾^(٣) قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية الأخيرة: يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اختباراً أو محنة يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمهما حيث لم تدفع وترفع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أمر الله المؤمنين أن لا يقرأ المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب»^(٤).

وقال عليه السلام: «من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٥).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه^(٦) قال: فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: أبايعك على الاسلام فشرط علي النصح لكل مسلم فبايعته على هذا^(٧) هذه الأدلة وغيرها تدل على أهمية الحسبة ومكانتها من الدين ولهذا

(١) آل عمران الآية ١٠٤.

(٢) آل عمران جزء من الآية ١١٠.

(٣) الانفال جزء من الآية ٢٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٧١.

(٥) رواء مسلم في كتاب الايمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان ج ٢ ص ٢١ مع شرح النووي.

(٦) هو جرير عبد الله البجلي صاحب جليل، كان من أهل اليمن أسلم متأخراً، وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن داعياً، وشارك في الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، مات سنة ٥١ هـ وقيل سنة ٥٤ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٣٠ وما بعدها.

(٧) رواء البخاري في كتاب الايمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة ج ١ ص ٢٠.

قال ابن خلدون^(١): الحسبة من الخطط الدينية الشرعية المندرجة تحت الامامة الكبرى، ويجب على الحاكم المسلم أن يعين لها من يراه أهلاً لهذا المنصب^(٢).

ومما تقدم يتبين للناظر إن الحسبة تجب على الأمة بالجملة ولها أهمية عظيمة ولأهميتها كان أئمة الإسلام يباشرونها بأنفسهم في صدر الاسلام، وما ذلك إلا لعموم صلاحها وجزيل ثوابها^(٣).

ولم يختلف أحد من العلماء في وجوب الحسبة على الأمة الاسلامية ولكن الخلاف جاء على نوع الوجوب هل هو وجوب عيني على كل الأمة، أم هو وجوب كفائي إذا قام به من يكفي من الأمة سقط الأثم عن الباقي. والذي يظهر أن الحسبة واجبة على الأمة الاسلامية ككل لا بد أن يقوم بها كل فرد حسب استطاعته، ولا يسقط عنها هذا الواجب إلا بتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالقيام بالأوامر وترك المنكرات، هو الذي يسقط الوجوب. وتكون كل الأمة آئمة حتى يزول المنكر القائم. وعلى هذا وجوب الحسبة مرتبط بقيام المنكر، فإذا قام به من يكفي لإزالته سقط الأثم عن الباقي وإلا كل الأمة آئمة حتى يزول المنكر. أو حتى تبذل الأمة كل مافي وسعها، فتعذر عند الله لغبة المنكرات لقوة القائمين بها^(٤).

والحسبة عند المسلمين من أهم أمور حياتهم، لأن الأمر بالمعروف من واجباتهم الدينية لقوله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون سنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها

(١) ابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الأشبيلي، ولد سنة ٧٣٢هـ بشبيلية ونشأ بتونس ثم رحل إلى الأندلس ثم إلى مصر وتولي عدة مناصب، منها قضاء المالكية بمصر، وهو صاحب التاريخ المعروف، توفي في القاهرة سنة ٨٠٨هـ ينظر: الاعلام للزركلي ج٤ ص ١٠٦.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٢.

(٣) ينظر: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة ص ١١٩، تحقيق: ليفي بروفنسال، طبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة عام ١٩٥٥م.

(٤) في أنواع وجوب الحسبة وهل هي فرض عين أم فرض كفاية وأدلة القولين/ ينظر: الحسبة تعريفها ومشروعيتها وحكمها/ الدكتور فضل إلهي ص ٤٤ وما بعدها.

تخلف من بعده خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل^(١).

فإذا تركت مجاهدة المنحرفين عن منهج الأنبياء باليد أو اللسان أو القلب، فليس لتارك المنكرات والراضي بها إيمان.

كذلك الحسبة من ضروريات حياة المسلمين، فلا تقوم حياة سعيدة للمسلمين إلا بالتعاون على البر والتقوى، وهذا لا يتأتى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح المجتمع في معاشه ومعاده، فالحسبة تنظم أسلوب الحياة، من الحفاظ على مكارم الأخلاق، والحفاظ على الدين، والمجتمع، وإزالة كل مافيه ضرر بالأمة الإسلامية. ولهذا قال ابن خلدون مبيناً لأهمية الحسبة: «الحسبة من الوظائف الدينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين أن يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل المنع من المضايقات في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الأكتار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة مايتوقع من ضررها على السابلة، والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم الصبيان المتعلمين.

ولا يتوقف حكمه على متنازع أو استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه. وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقاً، بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها، في المكاييل والموازين. وله أيضاً حمل المماطلين على الأنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينه وانفاذ حكم^(٢) ومن هذا وغيره يفهم بأن الحسبة تشمل جميع مقومات الحياة في الأمة الإسلامية.

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢

ص ٥٧ مع شرح النووي.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٢ وما بعدها.

وقد قيل: إن الاحتساب عام يتناول كل مشروع في العبادات كالآذان والإمامة وغير ذلك، أو غير العبادات كأداء الشهادات إلى غير ذلك، ولهذا قيل القضاء: باب من أبواب الحسبة^(١) وما ذلك إلا لأهمية الحسبة وشموليتها للحياة البشرية.

المطلب الثالث

نشأة نظام الحسبة في الأندلس

إن نشأة الحسبة كدعوة إلى الخير وتحذير من الشر مرتبطة بالاسلام أرتباطاً كلياً، فأين وجد الاسلام فالحسبة موجوده معه، لأنها مبنية على الدعوة إلى الخير كله. من دعوة الناس للدخول في الاسلام، ودعوة المسلمين إلى الاستقامة على شرائع الاسلام جملة وتفصيلاً، فهي منهج الرسل في الدعوة إلى الخير في جميع شئون الحياة البشرية.

ومامن بلد فتحه المسلمون إلا كان يوجد فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من أساس الدعوة إلى الاسلام وإقامة العدل بين الناس. والأندلس كغيرها من البلاد التي فتحها المسلمون، كانت تطبق فيها أحكام الشريعة الاسلامية ويؤمر فيها بالمعروف وينهى فيها عن المنكر منذ ان وطأتها أقدام الفاتحين الأوائل أمثال موسى بن نصير وطارق بن زياد رحمهما الله وغيرهما من خيار التابعين، الذين شاركوا في فتح الأندلس، وتوطيد دولة الاسلام في تلك البلاد التي كانت يوماً من الأيام مفتاح العلم والرقى إلى أوروبا كلها.

والحسبة كانت مطبقة في الأندلس - كعمل يمارسه المسلمون فيما بينهم - منذ أن دخل الاسلام هذه البلاد، وأول شاهد على الحسبة هو قيام أحد أفراد المسلمين الفاتحين بالحسبة على موسى بن نصير القائد

(١) ينظر: دائرة المعارف للبستاني ج٢ ص ٥٥٦ نشر دار المعرفة - بيروت.

الفتاح. ذكر ابن قتيبة رحمه الله^(١) «إن موسى بن نصير رحمه الله لما وغل وجاوز سرقسطة، أشد ذلك على الناس وقالوا: أين تذهب بنا، حسبنا مافي أيدينا، وكان موسى بن نصير قال حين دخل أفريقية، وذكر عقبة بن نافع: لقد غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو، والعدو عن يمينه وعن شماله وأمامه وخلفه، أما كان معه رجل رشيد، فسمعه حبيش الشيباني^(٢) قال: فلما بلغ موسى ذلك المبلغ، قام حبيش فأخذ بعنانه، ثم قال: أيها الأمير إنني سمعتك وأنت تذكر عقبة بن نافع تقول: لقد غرر بنفسه وبمن معه أما كان معه رجل رشيد؟ وأنا رشيدك اليوم، أين تذهب؟ تريد أن تخرج من الدنيا أو تلتمس أكثر وأعظم مما آتاك الله عز وجل، أعرض مما فتح الله عليك، ودوخ لك إنني سمعت من الناس ما لم تسمع، وقد ملثوا أيديهم، وأحبوا الدعة، قال: فضحك موسى ثم قال: أرشدك الله، وكثر في المسلمين مثلك، ثم أنصرف قافلاً إلى الأندلس^(٣) فهذا يدل على أن المسلمين كانوا يقومون بالحسبة فيما بينهم. كما يدل كذلك على مدى التلاحم بين الراعي والرعية، والحرص على سلامة المسلمين والرفق بهم، فإن الجيش الذي فتح الأندلس، لما أراد موسى بن نصير أن يتوغل به إلى داخل أوروبا لحقته المشقة لكثرة الأعداء الذين يواجههم، وعدم المدد الذي يأتيه من المسلمين، وطول المدة التي أخذها في الحرب، وسعة البلاد التي دخلها، كل ذلك أثر فيه، فلما رأى حبيش نفسيات الجيش وكثرة الأعداء المحيطين به، وعدم المدد السريع قام بنصيحة موسى والرجوع بالمسلمين، فقبل موسى نصيحته وشكره عليها لأنها جاءت وفقاً لتعاليم الرسول ﷺ لقواد الجهاد في كل مكان وزمان، وذلك لما روى عنه ﷺ: «كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله،

(١) ابن قتيبة هو: الفقيه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ولد سنة ٢١٣هـ وتوفي سنة ٢٧٦هـ.

له كتاب الامامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء.

(٢) حبيش الشيباني لم أجد ترجمته.

(٣) الامامة والسياسة ج٢ ص ٨٠ الطبعة الحلبية بمصر / ت ١٣٨٨هـ.

ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: أغروا بأسم الله في سبيل الله»^(١) فهذه الوصية لم تغب عن موسى ابن نصير، فعندما ذكر رجوع رفقاً بالمسلمين.

وظلت الحسبة في الأندلس يقوم بها العلماء والولاة حتى قيام الدولة الأموية في الأندلس.

ولم يكن للحسبة نظام مستقل كوظيفة من الوظائف التي لها عامل خاص إلا في ظل الحكم الأموي المستقل في الأندلس. ولعل ذلك يرجع إلى عدم استقرار الوضع في الأندلس لأن فترة حكم الولاة للأندلس تعتبر فترة حروب مستمرة، وإن المسلمين كانوا كلهم جنود في سبيل الله. لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان قائماً بينهم، والأمثلة في ذلك كثيرة منها ما ذكره الخشني في ترجمة القاضي مهاجر بن نوفل، كان يحتسب على كل من أتاه للخصومة في مجلس القضاء، وأنه من شدة تأثيره على الناس

(١) طرف من حديث رواه مسلم هو: (عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: أغروا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدأ، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال. فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها: فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن أبوا فلهم الجزية، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم. فإن هم أبوا، فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرأوك أن تجعل لهم نمة الله ونمة نبيه، فلا تجعل لهم نمة الله ولا نمة نبيه ولكن اجعل لهم نمتك ونمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا نمتكم ونم أصحابكم أهون من أن تخفروا نمة الله ونمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرأوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تأمير الامراء على البعوث، ج ١٢ ص ٣٧ مع شرح النووي.

ربما رجع عنه المتخاصمون، وقد تعاطوا بينهم الحقوق، دون أن يصدر القاضي أي حكم بينهم^(١) وكذلك قيام القاضي يحيى بن يزيد التجيبي بالاحتساب على عبد الرحمن بن يوسف الفهري^(٢).

والخلاصة إن الحسبة كانت قائمة في عهد الولاة يقوم بها العلماء كغيرها من شعائر الاسلام دون أن يخصص لها والي معين.

ولما قامت الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية فإنه لما قضى على كل منافسيه، أقام دولة متوطدة الأركان، فأنشأ خطط إدارية كالحجابه، وغير الأوضاع التي كانت قبله فسمي قاضي الجند بقاضي الجماعة، وأقام العدل، وكان العلماء لهم دور كبير في قيام دولته، حتى أن سفراءه كانوا من العلماء أمثال معاوية بن صالح الحضرمي رحمه الله.

ولعل الأمير عبد الرحمن كان يعتني كثيراً بالنظام فكانت له شرطة^(٣) تعنتي بحفظ الأمن والشرطة في الأندلس كان يتولاها العلماء ولهذا كان من مهامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ الأمن وضمان الاستقرار.

وبعد وفاة عبد الرحمن الداخل، وتولي هشام الحكم بعد أبيه أقام للحسبة نظاماً مستقلاً فعين فطيس بن سليمان^(٤) فهشام بن عبد الرحمن هو أول من جعل للحسبة نظاماً خاصاً، وكان هشام نفسه من أهل الخير والدعاة إلى الله عز وجل، مثلاً لجميع الفضائل عابداً تقياً، وكان مهتماً بنشر الاسلام أشد الاهتمام فيرسل من يثق به من الوعاظ والدعاة إلى

(١) ينظر: قضاة قرطبة ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨.

(٣) وجدت ولاية الشرطة في عهد عبد الرحمن الداخل، وكان من اختصاصها معاقبة المخالفين والخارجين على الأمير. وكان أول من تولها عبد الرحمن بن نعيم.

ينظر: أخبار مجموعة ص ٩١، طبعة مجريد (مدريد) سنة ١٨٦٧م.

(٤) ستأتي ترجمته. ص ١٦٨.

جميع أنحاء مملكته، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعين بالمدن عساً لمنع الشجار وأرتكاب الجرائم^(١) وكان هشام يقرب العلماء وأهل الخير ويوليهم المناصب في دولته، وأكثر ما كان يتأسى بسيرة عمر بن عبد العزيز في إقامة العدل وقمع الظلم، فكان يبعث إلى الكور من يتفقد أحوال الرعية وسير العمال^(٢) فهو رحمه الله كان مجتهداً في الاحتساب بنفسه^(٣) وأقام له نظاماً خاصاً واسع النطاق، فكان المحتسب له تصرف واسع وسلطة عالية، فهو المسئول عن جميع شئون المدينة الدينية والدنيوية، وكان يعد حاكماً محلياً للمدينة.

المطلب الرابع

فصل الحسبة عن الشرطة في الأندلس

إن الحسبة كان نطاقها واسعاً يشمل الشرطة والمدينة^(٤) وفي عهد

-
- (١) ينظر: قصة العرب في أسبانيا ص ٦١ لعللي الجازم/ نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٣م.
- (٢) يذكر إن أحد الرعية رفع إلى هشام مظلمة من أحد العمال، فحال بونه بعض العمال ووعده بالأنصاف قبل أن يصل إلى الأمير. فذكر ذلك للأمير هشام، فعظم ذلك عليه فقبل له: لقد انصف، فقال: إن النصفة للمظلوم لا تكون من الظالم دون تسليط الحق عليه، فبعث إلى المظلوم فأقاده من الظالم/ ينظر: أخبار مجموعة ص ١٢١.
- (٣) إن هشام كان يخرج بالأموال الكثيرة إلى المساجد في الليالي الممطرة، فيوزعها على من يجده فيها ترغيباً لعمارتها بالمصلين، ينظر: أخبار مجموعة ص ١٢١ ويذكر أنه رحمه الله كان في مشهد جنازة وهو راجع من المقابر خرج إليه كلب من دار تجاور طريق المقبرة، فقبض الكلب على ثوب هشام، فقال: يؤمر عامل قرطبة أن يلزم صاحب هذه الدار درهم طبل (أي خراج) إن اتخذ كلباً في موضع يضر فيه بالمسلمين. ثم بعد ذلك أمر بأسقاط الدرهم عنه/ ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٦١.

- (٤) صاحب المدينة كان في أول الأمر للدولة الأموية هو صاحب الشرطة كما يفهم من كلام ابن سعيد أعلاه، وكما ذكره المقري في نفع الطيب ج١ ص ٢١٨ حيث يقول: (وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة .. يعرف صاحبها في السن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل) أما فيما بعد وخاصة عند استقرار الوظائف فإن صاحب

الأمير عبد الرحمن بن الحكم فصل خطة السوق عن الشرطة قال ابن سعيد^(١): «هو الذي ميز - يعني الأمير عبد الرحمن ابن الحكم - ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردتها وصيّر لوالها ثلاثين ديناراً في الشهر، ولوالي المدينة مائة دينار»^(٢) ومن هذا يفهم إن صاحب الشرطة كان يسمى صاحب المدينة، ولعل ذلك إنه كان هو المسئول عن كل شئون المدينة فيما يتعلق بكل شئون الحياة، فهو الذي يقوم بذلك كله، وعندما تحددت الإدارات وكثرت الوظائف، أصبح لكل وظيفة عامل مستقل. وبقيت سلطة صاحب المدينة أعلى سلطة بالنسبة للشرطة والحسبة^(٣) كما أن الشرطة نفسها أنقسمت إلى ثلاثة أقسام بمرور الزمن^(٤) والحسبة أصبحت وظيفة مستقلة وأصبح صاحبها يعرف

المدينة كان يعتبر أعلى سلطة في المدينة، فهو يرأس الشرطة وغيرها، وكأنه بمثابة المحافظ في وقتنا الحاضر. وكان من اختصاصاته الإشراف على السجون وسجن المجرمين، والتحقيق في الجرائم. (ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص ٨٥. والمقتبس لابن حيان تحقيق عبد الرحمن علي حجي ص ٧٣ و٨٨، ومن اختصاصاته تنفيذ حكم القتل من أستحق ذلك. (ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ١١٤ وقضاة قرطبة ص ١٣٣)، ومن اختصاصاته: إخراج العشور من الناس، ينظر المرجع السابق ص ١٠٠ وكان يقوم ببعض الأمور الخاصة للخليفة مثل الإشراف على بعض أقاربه العاجزين (ينظر: المقتبس ص ٩٢ تحقيق عبد الرحمن حجي كما يخلف الأمير أو الخليفة في ضبط أمور المدينة إذا خرج الخليفة للجهاد) (ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٩٩/ وغير ذلك من الأختصاصات).

(١) هو: علي بن موسى وتقدمت ترجمته. ص ١٥٨

(٢) المغرب في حلى المغرب ج١ ص ٤٦.

(٣) ذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم إن صاحب المدينة كان في زمانه بمثابة المحافظ اليوم، فهو المسئول عن كل شئون المدينة. (ينظر: في تاريخ وحضارة الاسلام في الأندلس ص ٣٢٨).

(٤) الشرطة في الأندلس كان لها اختصاصات واسعة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وهشام بن عبد الرحمن والحكم بن هشام إذ كانت تشمل صاحب المدينة والسوق، ثم في عهد عبد الرحمن بن الحكم أنشأت ولاية السوق كما أنشأت الشرطة الصغرى، ولعلها كانت فرع من الشرطة التي كانت الأصل، والشرطة الصغرى أصبح

بصاحب السوق^(١) ومع ذلك كله إن علاقة الشرطة والحسبة ظلت مرتبطة مع بعضهما البعض في كثير من الأحيان ومن ذلك إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم ولي الشرطة الصغرى محمد بن الحارث بن أبي سعيد^(٢) وأضاف إليه معها حكم السوق فكان عليهما إلى أن مات^(٣) كما أن محمد بن خالد^(٤) ولي الشرطة والصلاة والسوق بقرطبة، وكان صلباً في أحكامه ورعاً فاضلاً لا تأخذه في الله لومة لائم فحُمدت سيرته وكان ينفذ أحكامه على كل أحد حتى أصحاب السلطان، حتى يقال إنه ضرب رجلاً من قرابة الأمير وحبسه ثم أطلقه فشكاه الرجل عند الأمير، فقال له الأمير: لم فعلت هذا؟ قال: لم أفعله أنا، بل فعله الأمير أعزه الله، لأنه ولاني وأمرني بنصفه الحقوق وتغيير المنكر على جميع الناس، ولم يستثنى هذا ولا غيره، فتركه السلطان وأمر أصحابه بالتحرز منه^(٥) واستمر هذا الوضع إلى آخر عهد

اختصاصاتها بعامة الناس في الأسواق وغيره، وأما الشرطة الكبرى فكانت اختصاصاتها بأهل المراتب العليا في الدولة، وكان صاحب الشرطة الكبرى يعد من كبار رجال الدولة حتى إن ولايتها كانت تعتبر ترشيحاً للوزارة/ ينظر: كتاب قرطبة في العصر الاسلامي. تاريخ وحضارة ص ٢٩٩. تأليف الدكتور/ أحمد فكري.
كما أنشأت في عهد الخلافة الأموية خطة الشرطة الوسطى ولعل اختصاصاتها كانت بالصناعات وما يشابهها لأن المنصور بن أبي عامر تولى هذه الخطة وغيرها وكان هو المسئول عن دار السكة.

ينظر: بولة الاسلام في الأندلس ج ٥ ص ٤٩٧ ومجلة الفيصل العدد ٤٢ ذي الحجة عام ١٤٤٠هـ.

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٢٨.

(٢) هو: محمد بن الحارث بن أبي سعيد (سابق) القرطبي يكنى أبا عبد الله، روى عن يحيى بن يحيى، وعبد الملك بن حبيب وغيرهما من علماء قرطبة وحج فسمع من علماء مصر ومكة، ثم رجع إلى الأندلس فولى السوق والشرطة الصغرى التي كانت بيد والده (الحارث) الذي يعتبر أول والي لها. توفي محمد بن الحارث سنة ٣٦٠هـ/ ينظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج١ ص ١٠، وترتيب المدارك ج٤ ص ٢٦٢.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٦٢ للقاضي عياض.

(٤) محمد بن خالد ستأتي ترجمته. ص ١٦٦

(٥) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١١٧.

الخلافة الأموية فإن الحكم المستنصر بالله والي أحمد بن نصر على الشرطة والسوق وقضاء كورة جيان^(١) كما أن ابنه هشام المؤيد بالله ولي أحمد بن يونس^(٢) خطة السوق والشرطة^(٣). وهكذا ظلت خطة الشرطة والسوق مرتبطين في كثير من الأحيان.

(١) ينظر: تاريخ العلماء ج١ ص ٦٢ ترجمة رقم ١٦٧ ابن الفرضي.

(٢) أحمد بن يونس الجذامي كان من طلاب الطب. وقد أثره الخليفة الحكم المستنصر بالله، وتولى خطتي الشرطة والسوق للخليفة هشام المؤيد. / ينظر: التكملة لكتاب الصلة ج١ ص ١٥.

(٣) ينظر: كتاب التكملة لابن الانبار ج١ ص ١٥.

المبحث الثاني أشهر العلماء المحتسبين

إن الحسبة من العبادات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل ولهذا كان يتسابق إليها العلماء الذين كانوا يعرفون هذا الفضل لمكانة الحسبة، ويحبون الخير للأمة.

وفي الأندلس هناك بيوتات أشتهرت بالعلم والحسبة، وخدمة الدولة الأموية في الأندلس، منهم آل عاصم^(١) وآل مرتنيل^(٢) واشتهر منهم علماء كانوا مضرب المثل في الشجاعة وقول الحق، مثل عبد الله بن محمد^(٣).

كما أن هناك علماء آخرون مارسوا عمل الحسبة منذ قيامها كولاية إدارية من إدارات الدولة. وفيما يلي ذكر بعض من أشتهر بالحسبة في فترة الحكم الأموي في الأندلس.

ويراعي في هذا الترتيب الزمن فقط. فالمقدم في التاريخ هو الذي يُذكَر أولاً.

□ فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيان، باني بيت الوزراء بني فطيس^(٤) دخل الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، فضمه

(١) آل عاصم هم: ذرية عاصم بن كعب الثقفي، المعروف بالعريان، لأنه أول من عبر نهر قرطبة أمام الأمير عبد الرحمن بن معاوية يوم دخوله قرطبة. وهو عريان فلزمه هذا اللقب. وستأتي زيادة في ترجمته عند ترجمة حفيده.

(٢) آل مرتنيل كانوا من موالي الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، واشتهر منهم مجموعة من العلماء. / ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١١٧.

(٣) عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل، كان من العلماء البارزين، كان من أهل الحسبة، توفي سنة ٢٥٦هـ / ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٣٩، وتاريخ علماء الأندلس رقم ٦٣٥ ج١ ص ٢٥١.

(٤) بيت بني فطيس أشتهر في الأندلس بخدمة الدولة الأموية، فكان منهم من تولى الوزارة كعيسى بن فطيس بن أصيغ. وغيره الذين تولوا على مناصب الدولة. ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٣١٨ تحقيق: محمود علي مكي.

إلى ابنه هشام، وكتب له حتى إذا ولي هشام الإمارة، ولي فطيس على السوق وكورة قبرة^(١) والوزارة فلما تولى الحكم بن هشام الإمارة أقر فطيس على ما كان عليه واستكتبه أيضاً. وكان لفطيس مواقف محمودية في أخماد ثورة الربيض مما يدل في ذلك الوقت أن صاحب السوق كانت له صلاحيات كبيرة ومسئوليات عالية فكان يمثل المحافظ أو وزير الداخلية في وقتنا الحاضر. فهو المسئول عن كل ما يتعلق بالمدينة، من أمن وغيره. وكان فطيس من كبار رجال الدولة في عهد الحكم بن هشام قال الرازي: «رأيت اسم فطيس في أول ديوان الأمير الحكم: أبو سليمان فطيس، خمسمائة دينار. وتوفي في آخر أيام الأمير الحكم ابن هشام»^(٢).

□ محمد بن خالد بن مرتنيل مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل.

يعرف بالأشج - قرطبي - نبيه كان من علماء قرطبة المشاهير وأعيان أهل الحسبة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أصله من موالي الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل.

(١) قبرة كورة تقع جنوبي قرطبة وشمال كورة البيرة، معجم البلدان ج ٤ ص ٣٠٥.

(٢) ينظر: الحلة السيرة لابن الأنبار ج ٢ ص ٣٦٥.

والمقتبس لابن حيان ص ٣١٨ الحاشية رقم ٢٦٧ تحقيق محمود علي مكي.

* شيوخه:

رحل فسمع من ابن القاسم^(١) وابن وهب^(٢) وأشهب^(٣) وابن نافع^(٤) ونظرائهم من المدينيين والمصريين كان الغالب عليه الفقه، ولم يكن له علم بالحديث.

* أعماله:

ولي الشرطة والصلاة والسوق بقرطبة. قيل كان يخطب عند باب المقصورة من خارج، وبيده عصا.

* صفاته:

كان ورعاً فاضلاً، صلباً في أحكامه لا تأخذه في الله لومة لائم فحمدت سيرته ولم يزل على وثيره إلى أن توفي سنة ٢٢٠هـ وقيل سنة ٢٢٤هـ. (وقد تقدمت الإشارة على شيء من احتسابه على أهل الهيآت من أقارب السلطان) وببنته بيت علم وسؤدد وصحبه السلطان^(٥).

(١) ابن القاسم هو: عبد الرحمن بن القاسم العتقي، تلميذ الإمام مالك ابن أنس رحمه الله، وصاحب الأثر الأكبر على الفقه المالكي سواء في المشرق أو المغرب، وسماعه عن مالك هو الذي جمعه سحنون بن سعيد في المدونة الكبرى. وكان رئيس المذهب المالكي بمصر حتى توفي سنة ١٩١هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ٢٤٤ والديباج المذهب ص ١٤٦.

(٢) بن وهب هو: أبو محمد عبد الله بن وهب القرشي أحد أعلام أصحاب الإمام مالك المصريين ولد سنة ١٢٤هـ وتوفي سنة ١٩٧هـ ألف الموطأ الكبير والصغير، ينظر: كتاب الديباج المذهب لابن فرحون ص ١٣٢.

(٣) أشهب هو: أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود، من مشاهير الإمام مالك، ولد بمصر سنة ١٤٠هـ وقيل سنة ١٥٠هـ وتوفي بعد الإمام الشافعي بشهر سنة ٢٠٤هـ/ ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ٢٦٢.

(٤) ابن نافع هو: (عبد الله بن نافع مولى بني مخزون المعروف: بالصائغ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: كان صاحب رأي مالك، وفقه أهل المدينة برأي مالك - له تفسير للموطأ رواه عنه يحيى بن يحيى)/ ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١٢٨.

(٥) ينظر في ترجمته: ترتيب المدارك ج٤ ص ١١٧، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي الترجمة رقم ١١٠١ ج٢ ص ٧.

□ إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل :

أبو إسحاق من أهل قرطبة.

* شيوخه :

كانت له رحلة لقي فيها علي بن معبد^(١) وعبد الملك بن هشام^(٢) ومطرف بن عبد الله صاحب الإمام مالك^(٣) ولقي سحنون بن سعيد^(٤) وروى عنه.

* أعماله :

تولى الشرطة بقرطبة للأمير محمد بن عبد الرحمن، وولي سوق قرطبة، وكان صلباً في حكمه عدلاً، وله كتاب مؤلف في تفسير القرآن.

* فقهه :

قال ابن لبابة: كان إبراهيم يذهب في الشاة إذا بقر بطنها ولم يطعم لها في الحياة، وأدركت زكاتها، أنها تؤكل، وحاج في ذلك سحنون، وكان

(١) هو أبو الحسن علي بن معبد بن شداد العبدي الرقي نزيل مصر، روى عن مالك بن أنس والليث وغيرهما، وروى عنه خلق كثير منهم إسحاق بن منصور، وعبد الرحمن ابن عبد الحكم وغيرهما. توفي بمصر سنة ٢١٨هـ/ ينظر: تهذيب التهذيب ج٧ ص ٣٨٤.

(٢) عبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين المؤرخ المشهور صاحب سيرة ابن هشام، كان عالماً بالأنساب واللغة، وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة ثم ارتحل إلى مصر وتوفي فيها سنة ٢١٣هـ وقيل سنة ٢١٨هـ. ينظر: وفيات الأعيان ج٣ ص ١٧٧.

(٣) مطرف بن عبد الله بن مطرف الهلالي، أبو مصعب، وقيل أبو عبد الله مولى أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها. وهو ابن أخت مالك بن أنس ومن أكبر تلاميذه، صحب مالك سبع عشر سنة، وتوفي سنة ٢٢٠هـ.

ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١٣٣.

(٤) سحنون بن سعيد: هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب الفقيه الحافظ صاحب المدونة الكبرى ولد سنة ١٦٠هـ تولى قضاء إفريقية، وتوفي سنة ٢٤٠هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٤٥.

ابن لبابة يعجبه ذلك.

وكان يجيز النكاح على أن يكون الصداق إجارة، وناظر في ذلك يحيى بن يحيى. قال يحيى: لا يجوز، فقال إبراهيم: إن الله قد حكاه عن نبيين: موسى وشعيب^(١).

فقال يحيى: قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجاً﴾^(٢) فلا يلزمنا شرعهما.

فقال إبراهيم: ذلك إذا أتى عن نبينا نسخ ذلك، وإلا فعلينا الاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿فبهذا هم أقتده﴾^(٣). فسكت يحيى وكان إبراهيم يذهب إلى النظر وترك التقليد.

حضر إبراهيم مع يحيى بن مزين^(٤) فسئل يحيى عن ذبيحة رميت عقدة حلقها إلى أسفل^(٥)؟ فقال يحيى: حرام لا تؤكل. فقال له إبراهيم: لا تقل حرام إنما الحرام ما حرم الله ورسوله، وأما ما اختلف العلماء فيه فلا، وقد سمعت مطرف بن عبد الله يقول: لا بأس بأكلها.

هكذا كان يميل إلى الاجتهاد وأتباع النصوص، دون التقليد ولهذا

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانية حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ القصص جزء من الآية ٢٧.

(٢) المائدة جزء من الآية ٤٨.

(٣) الأنعام جزء من الآية رقم ٩٠.

(٤) هو: يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي، من علماء المالكية، رحل إلى الشرق فدرس بمصر على أصبغ بن الفرغ، وله كتاب شرح الموطأ، وقد اشنى ابن حزم على هذا الكتاب ثناء عريضاً في رسالته فضل الأندلس التي نقلها المقري في نفح الطيب ج٣ ص ١٦٨.

ينظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الغرضي الترجمة رقم ١٥٥٨ ج٢ ص ١٧٨٢.

(٥) هي عقدة بارزة في أعلى الحلقوم، فعند الذبح يقطع أسفل منها وهي تكون مما يلي الرأس. فإذا قطع أعلى منها وأصبحت هي مما يلي أسفل الرقبة، لا يجوزون المالكية أكلها حتى اليوم.

كان الفقهاء يقفون ضده في بعض الأمور^(١). وقد توفي رحمه الله سنة ٢٤٦
في رمضان.

وقد قيل فيه:

لله در ابي إسحاق من حكم
كم غاية نالها بالعدل لم تنل
يطير من خوفه قلب المخيف إذا
بدا ويسكن قلب الخائف الوجل
لا يقطع الليل إلا بالقيام إذا
ذو اللهو قصره باللهو والجدل
للخالدين في الدنيا بدينهم
فضل على غابر الأيام لم يزل^(٢).

□ إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة بن حباب بن
مسلمة الثقفي:

من بيت علم وفقه، والده من العلماء المشهورين الذين تلقوا العلم
من أعيان المذهب المالكي أمثال ابن القاسم وأشهب وغيرهما^(٣) وجده
عاصم، هو المعروف بالعريان لأنه كان بطلاً شجاعاً، فهو أول من عبر نهر
قرطبة إلى جيش يوسف الفهري والصميل بن حاتم. بين يدي الأمير عبد
الرحمن الداخل في أول يوم دخل فيه قرطبة. وكان عاصم عندما عبر
النهر، كان عرياناً، فلزمه هذا اللقب. ومنذ ذلك الحين عرف هذا البيت
بالعلم، وخدمة الدولة الأموية.

وإبراهيم بن حسين، تلقى العلم من والده ورحل إلى المشرق فسمع

(١) تقدمت الإشارة إلى موقفهم منه عند حكمه علي بني قتيبة. ينظر: ص من هذا
الفصل.

(٢) ينظر ترجمته: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٤٢ وتاريخ علماء الأندلس رقم ١ ص ١٦.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١٢٠.

من العلماء^(١).

✽ أعماله:

تولى أحكام الشرطة والسوق للأمير محمد بن عبد الرحمن فغلب على أهل الشر، وقتل وصلب كثيراً بلا مشاورة سلطان ولا فقيه. وكان قصده من ذلك التشديد على الجماعة، لما كثر تناول أهل الفساد، ولاه الأمير على السوق، وأذن له في العقوبات دون الرجوع إلى أحد.

فكان إبراهيم إذا جيء بالفاسد المبرح قال له: أكتب وصيتك، ودعا بشهود فأشهدهم عليها، فإذا فعل هذا علم أن ذلك مقتول، ثم يأمر بصلبه، ونحوه.

□ صفاته:

كان فاضلاً معتنياً بالعلم. صلباً في الحق. قيل فيه:

لا يعذر الناس من لين جانبه

فلا يبالي بحكم الله من قتلا^(٢).

ومما يروى عن إبراهيم بن حسين من أخطاء ارتكبها في القتل إنه جاء إليه قوم بفتى من جيرانهم يشكون تطاوله، ويريدون زجره، فقال لشيخ منهم: ما يستحق عندك؟ فقال على وجه التغليظ: ما يستحق هؤلاء: وأشار إلى المصلوبين - وهم الذين صلبهم إبراهيم - فقال إبراهيم - انصرفوا، ثم قال للفتى: أكتب وصيتك. فقال له: اتق الله في فلم يبلغ ذنبي القتل. قال له بذلك شهد عليك.

وصلبه، فلما بلغ الجيران ذلك أتوه وقالوا له: لم نشهد عندك بما يوجب القتل. فقال: ألم تقل يا هذا كذا؟ قالوا: إنما قاله على المثل، قال فأثمه في رقابكم^(٣).

وهذا يعتبر خطأ كبيراً ارتكبه رحمه الله نتيجة عدم التثبت والعجلة

(١) لم يذكر في ترجمته تسمية شيوخه الذي أخذ عنهم في المشرق.

(٢) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٥٤. وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي رقم ٣ ج١ ص ١٦.

(٣) ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٥٥ وجنوة المقتبس - الترجمة رقم ٢٧١ ص ١٥٣.

في إصدار الحكم، قبل التأكد من الشهادات ولهذا قال القاضي أحمد بن محمد بن زياد^(١): (لو تحفظ إبراهيم بن حسين من مثل هذا ماصلب انساناً بغير حق)^(٢) فالواجب على الحاكم المسلم التثبت والتأني قبل إصدار أي حكم.

□ أيوب بن سليمان بن هاشم بن صالح بن عريب بن عبد الجبار المعافري:

قرطبي أصله من جيان يكنى: أبا صالح.

روى العلم عن العتبي^(٣) وأبي زيد^(٤) وعبد الله بن خالد^(٥) ويحيى بن مزين^(٦) وغيرهم.

كان إماماً في رأي مالك بن أنس، من أهل الفقه والقريحة الحسنة

(١) هو القاضي أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون، اللخمي، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالحبیب، استقضاء الخليفة الناصر لدين الله في صدر خلافته. توفي سنة ٣٣٢هـ رحمه الله/ ينظر: تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ٣٩. وقضاة قرطبة، ص ٢٤.

(٢) قضاة قرطبة ص ٢٧.

والقصة إن رجلاً شهد عند القاضي بشهادة فقال له القاضي: منذ كم عرفت هذا الأمر؟ فقال: منذ مائة سنة. فقال القاضي: كم عمرك؟ قال ستين سنة، فقال له: كيف عرفت هذا الأمر منذ مائة سنة؟ اترك عرفت قبل أن تولد بأربعين عاماً؟ فقال له: إنما قلت ذلك على المثل. فقال القاضي: إن الشهادات لا تؤدي بالمثل، ثم دعا بالسوط فقتعه به مرات، وقال: لو أن إبراهيم بن حسين تحفظ من مثل هذا ماصلب انساناً).

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) أبو زيد هو: عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى، سمع من يحيى بن يحيى في الأندلس، ورحل إلى المشرق فسمع من ابن كنانة وابن الماجشون وغيرهما، وروى عنه محمد ابن لبابة وغيره. توفي سنة ٢٥٩هـ.

ينظر: ترتيب المدارك ج٥ ص ١٤٩.

(٥) عبد الله بن خالد من أهل قرطبة روى عن أحمد بن خالد وابن أيمن وابن زياد وغيرهم. ينظر: تاريخ العلماء لابن الفرضي رقم ٧٢٢.

(٦) يحيى بن مزين تقدمت ترجمته.

والتصرف المحمود. ورعاً عفيفاً، عالماً بالمناظرة في الفقه كثير التصرف في أفانين العلم.
تولى السوق للأمير عبد الله بن محمد ثم عزل عنها وكان مشاوراً مع محمد بن عمر بن لبابة^(١).

□ أحمد بن نصر بن خالد :

ولد سنة ٢٨٨هـ يكنى أبا عمر وأصله من طليطلة. سكن قرطبة وتلقى العلم فيها من أسلم بن عبد العزيز^(٢) وأحمد بن خالد^(٣) وغيرهم من مشاهير قرطبة.

تولى عدة أعمال للخليفة الحكم المستنصر بالله، منها ولاية الشرطة، والسوق، وقضاء كورة جيان، وكذلك كان من أساتذة ابنه هشام فهو الذي علمه الموطأ^(٤) وكان الخليفة يسند إليه مهمات كثيرة منها أسند إليه توسعة سوق قرطبة وفي ذلك يذكر ابن حيان حادثتين في توسعة السوق فيقول: (نظر الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان مع صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر فيما عهد به الخليفة المستنصر بالله من تنقيط دار البرد التي بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمى، إلى دار الزوامل التي بالمصارة طرف قرطبة، وتنقيط الزوامل من مكانها هناك إلى

-
- (١) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١٤٩، وتاريخ علماء الأندلس رقم ٢٦٧ ج١ ص ١٠٢.
- (٢) هو: أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد الله بن الحسن بن جعد بن أسلم ابن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، من أهل قرطبة يكنى: أبا جعد، سمع من بقي بن مخلد ورحل إلى المشرق فسمع من العلماء. توفي سنة ٣١٩هـ.
- ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٢٨٠ ج١ ص ١٠٥.
- (٣) أحمد بن خالد بن عبد الله بن قيبيل بن يبقى الجذامي من أهل قرطبة يكنى: أبا عمر، رحل في طلب العلم حتى دخل العراق، ثم رجع إلى الأندلس وأدخل معه كتباً، توفي سنة ٣٧٨هـ.
- ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١٨٦ ج١ ص ٦٨.
- (٤) المرجع السابق رقم ١٦٧ ج١ ص ٦٣.

الدار التي بقرب المحبس عند قصر الناعورة، وإقامة حوانيت البزازين بدار البرد المخلاة لينفسح بهم سوقهم، وتتوسع صناعتهم إذ شكوا بضيقها^(١).

ويقول في مكان آخر: (أمر الخليفة المستنصر بالله، صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وإزدحامهم فيها، وهذ الحوانيت المحيفة لعرضها المضيقه لسبيلها كيما يفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين نظراً منه لكافة المسلمين وأهتبالاً بمصالحهم. فأتى ذلك على ما حد له)^(٢).

فهذا يدل على المهام العظيمة التي كان يقوم بها المحتسب أو صاحب السوق من الإصلاحات الداخلية، فهو يقوم بمهام وزير الإسكان والتخطيط في وقتنا الحاضر.

كما كان يقوم المحتسب بمهام إصلاحية أخرى مثل تفقد الناس ومعرفة أحوالهم، وأحتياجاتهم، ولأجل هذه المعرفة التامة بالناس كان الخليفة يكلفه، بتفريق الصدقات على المحتاجين. قال ابن حيان: (أخرج الخليفة المستنصر بالله مالا واسعا إلى صاحب الشرطة والسوق أحمد ابن نصر بعينه ليفرقه على الضعفاء والمساكين وأبناء السبيل شكراً لله عز وجل)^(٣) فما خص المحتسب بتفريق الصدقات إلا لمعرفته بالناس، وذلك ليس بغريب لأن المحتسب دائماً يعيش المجتمع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعرف الصالح والفاقد ويراقب تحركات الناس، يضع الحلول لكل مشكلة اجتماعية. فهو دائماً مع المجتمع، معلماً ومريباً ومراقباً، ومحافظاً على الأمن. كل ذلك قد أكسبه معرفة تامة بالمجتمع، ومعرفة ما يصلح المجتمع.

(١) المقتبس لابن حبان ص ٦٦ تحقيق عبد الرحمن علي حجي.

(٢) المرجع السابق ص ٧١.

(٣) نفس المرجع ص ٧٧.

المبحث الثالث دور المحتسبين في الإصلاحات الداخلية في الأندلس

كان للمحتسب دور كبير في إصلاح المجتمع والحفاظ على الأخلاق الإسلامية والقيم العالية. كما أن الحسبة ماكان يتولاها إلا العلماء الكبار الذين كانوا يرجع إلى قولهم في الفتوى. وكان للمحتسب الحق المطلق في معاقبة المجرمين حتى إلى درجة القتل في بعض الأحيان^(١).
والحسبة كان لها دور كبير في مراقبة الأسواق ومنع كل المحرمات وتتبع حركات العامة والسفهاء^(٢).
كما أن للمحتسبين نظاماً متعارفاً عليه في الحسبة يتدارسونه فيما بينهم كما يتدارسون الأحكام الفقهية، إذ إن الحسبة في الأندلس كانت تدخل في كل شئون الحياة للمجتمع الأندلسي^(٣). وفيما يلي بعض الأمثلة للحسبة في الأندلس تحت المطالب الآتية:

المطلب الأول مراقبة الأسواق

كان المحتسب في الأندلس يعرف بصاحب السوق، وذلك لأن أكثر نشاطه كان ينحصر في الأسواق والأماكن العامة^(٤) فكان يقوم المحتسب بالمحافظة على المصالح العامة في السوق كمنع الغش والتدليس

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢١٨.

(٢) ينظر: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ص ٣٥.

(٣) نفس المرجعين السابقين.

(٤) ينظر: الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ص ٣٥ تأليف موسى لقيال/ الطبعة الأولى ١٩٧١م.

والتطفيف، ومراقبة الأسعار في كل السلع، وكان للمحتسب أعظم هيبة عند الناس.

ففي منع الغش في الموازين والمكاييل، يقول المقري: (والعادة أن يمشي راكباً على السوق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان، للربح من الدرهم، رغيف على وزن معلوم وكذلك الثمن)^(١) ومن هذا يفهم إن جولات المحتسب كانت في الأسواق، وكان يختبر الموازين الصحيحة من غيرها لأن المحتسب له ميزان صحيح يختبر به الموازين الأخرى.

كما كان له حق التسعير للسلع، فإن اللحم كان يجري بيعه بسعر محدد مكتوب على ورقة من قبل المحتسب. وكان المحتسب يختبر أهل السوق في معاملاتهم مع الناس بطرق خفية فكان يرسل الصبي الصغير لشراء شيء محدد كاللحم أو الخبز مثلاً، فيختبر المحتسب ما اشتراه الصبي في السعر والوزن. فإذا وجد نقص في الوزن أو زيادة في السعر، فإنه يعاقب هذا التاجر الذي خالف أحكام السوق، وكان العقاب أحياناً يكون بالضرب. كما يذكر عن حسين بن عاصم^(٢) من أنه تولى أحكام السوق للأمير محمد بن عبد الرحمن (كان شديداً على أهلها في القيم، يضرب الباعة ضرباً شديداً مبرحاً)^(٣) وأحياناً يكون العقاب بالتشهير كالطواف به في الأسواق والإعلان عنه، حتى يكون معلوماً لكل الناس ليحذروه، وإذا لم ينفع معه كل هذا وتكرر منه الجرم أخرج من السوق وقد ينفي إلى

(١) نفع الطيب ج١ ص ٢١٨.

(٢) هو أبو الوليد حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة الثقفي. من أهل قرطبة تلقى تعليمه بها، وحج فسمع من ابن القاسم بمصر وأشهب بن عبد العزيز وغيرهما. تولى للأمير محمد بن عبد الرحمن أحكام السوق، وتوفي سنة ٢٦٣هـ وأبوه (عاصم) هو المعروف بالعريان/تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج١ ص ١٣٣ الترجمة رقم ٣٥١.

(٣) المقتبس لابن حيان ص ٢١٢ تحقيق الدكتور/ محمود علي مكي.

مكان آخر^(١) وكان لصاحب السوق إصدار الأحكام فإن ابراهيم بن حسين^(٢) كان والياً على سوق قرطبة فحكم على بني قتيبة بحكم خالفه فيه الفقهاء ففسخ الحكم من قبل القاضي^(٣) فدل هذا على أن المحتسب كان له الحق في إصدار الأحكام، وكانت أحكامه نافذة، إلا إذا عارضها أهل الشورى من الفقهاء .

وفي جانب مراقبة الأسواق كان المحتسب يمنع الغش في الصناعات ويضمّن الصانع ماغش فيه وذلك إما باتلافه عليه أو باخراجه من ملكه، أو بتغريمه مالا بسبب غشه. ومما يدل على ممارسة المحتسب لهذه الأشياء المذكورة، ما ذكره القاضي عياض^(٤) في ترجمة أبي صالح أيوب بن سليمان^(٥) قال: (سئل أبو صالح: ما الأصل في تضمين الصانع؟ فقال: قوله ﷺ: «لا تتلقوا السلع»^(٦) فحكم للعمامة على الخاصة فكذلك حكم هاهنا للعمامة على الخاصة لأن الصانع خاصة، والمستعملون لهم عامة^(٧). فهذا يدل على تضمين الصانع فيما بان غشهم فيه. كما يدل على كثرة مراقبة المحتسبين لأهل الصناعات. والبضائع المغشوشة، وذلك إن أبا صالح كان من المحتسبين كما تقدم في ترجمته. ومما يدل على مراقبة أهل

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢١٨ والحسبة المذهبة في بلاد المغرب ص ٣٥.

(٢) ابراهيم بن حسين تقدمت ترجمته في ص ١٧١.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٤٣.

(٤) القاضي عياض هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبي ولد رحمه الله في مدينة سبتة سنة ٤٧٦هـ وكان مواطناً أهله الأصلي بالأندلس وتنقل لطلب العلم كثيراً، ولف كثيراً من الكتب. توفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر: مقدمة ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج١ ص ١ وما بعدها.

(٥) أبو صالح تقدمت ترجمته في ص ١٧٥.

(٦) طرف من حديث رواه البخاري في كتاب البيوع. باب النهي عن تلقي الركبان وهو قوله ﷺ «لا يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا تتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق» صحيح البخاري ج٣ ص ٢٨.

(٧) ترتيب المدارك ج٥ ص ١٥٣.

الصناعات ما ذكر من أن محتسباً نبه على سوء عمل الخرازين^(١) فتألبوا عليه بعد ذلك وأرادوا إخراجه من سوقهم ومنعه من التصرف فيه. وأظهروا عقداً بأذاه لهم، وأضراره بهم وتسلطه عليهم، وأنه أهل أن يخرج من السوق. فشاور صاحب أحكام السوق: الفقهاء في ذلك، وهل يباح لهم ذلك ويسمع لهم فيه قول؟ فأفتى ابن عتاب^(٢) رحمه الله: بقوله: إنه لا سبيل لهم إليه. ولا يباح لهم القيام عليه، ولا يسمع لهم فيه. والمعترض له أولى بالخروج من السوق، وأن تخرق أعمالهم الفاسدة لغشهم بها واستحلالهم أموال المسلمين فيها^(٣).

والعادة في المحتسبين كانوا يستفتون الفقهاء فيما أشكل عليهم من أحكام أو عقوبات يوقعونها على المخالفين. وفي هذا يقول عبد الملك ابن حبيب^(٤): سألتني صاحب السوق عن رجل فجر في السوق فأمرته أن يخرج منه ولا يتركه فيه^(٥).

وكانت لأهل الأندلس أساليب كثيرة في مراقبة الصناعات وأنواعها، والفتاوى في أحكام السوق كثيرة.

والخلاصة إن المحتسبين كانت لهم مراقبة عامة للسوق في الأسعار والموازين والمكاييل، وكل ما يتعلق بمعاملة الناس، وكان للمحتسب له أن يمنع كل ما يتعلق بضرر العامة. ولو أدى هذا المنع بضرر الخاصة.

(١) الخرازون هم محترفوا الخرازة وهي صناعة الجلد والأحذية.

(٢) ابن عتاب هو: الفقيه محمد بن عتاب بن محسن ولد سنة ٢٨٣ كان شيخ أهل الشورى في وقته توفي سنة ٤٦٢، ينظر / الصلة للإبن بشكوال ج٢ ص ٥١٥ الترجمة رقم ١١٩٤.

(٣) وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس ص ٥١ وهذه الوثائق مستخرجه من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي ابن الاصمغ عيسى بن سهل الأندلسي.

تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف.

(٤) عبد الملك بن حبيب: وستأتي ترجمته.

(٥) وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس ص ٥٨ الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف.

المطلب الثاني مراقبة الأخلاق العامة

إن المحتسبين كانوا يراقبون تصرفات الناس، فيمنعون مزاولة كل خلق يخالف الإسلام ويعاقبون عليه أشد العقوبات. وفيما يلي بعض الأمثلة:
أولاً : منع شهادة الزور والمعاقبة عليها :

قال محمد بن لبابة^(١): (حضرت إبراهيم بن حسين بن خالد، قد ضرب شاهد زور عند باب الجامع أربعين سوطاً، وحلق لحيته وسخم وجهه)^(٢) فإبراهيم كان والي السوق في زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم فهو يعاقب شاهد الزور بأغلظ العقوبات لأن شهادة الزور من كبائر الذنوب كما أخبر بذلك النبي ﷺ^(٣) ولأنها من مفسدات المجتمع. فمامن مجتمع تنتشر فيه شهادة الزور إلا كانت سبب هلاكه باستحلال دمانه وأمواله بهذه الطريقة الخبيثة. فالمجتمع الطاهر هو الذي تختفي فيه أمثال هذه الظواهر المدمرة، كشهادة الزور وما شابهها.

ثانياً : منع المسكرات :

ومن المحافظة على الأخلاق وطهارة المجتمع منع الخمر والمسكرات، وكان المحتسبون يحرصون على سلامة المجتمع من هذه الرزيلة وهي الخمر. وكانوا يعاقبون عليها أشد العقوبة. ومن ذلك أن

(١) محمد بن لبابة تقدمت ترجمته.

(٢) ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٤٤.

(٣) وهو قوله عن أبي بكر رضي الله عنه. عن النبي ﷺ: «إلا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: إلا وقول الزور وشهادة الزور، إلا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلنا لا سكت» صحيح البخاري كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج٧ ص ٧٠.

محتسباً أتى برجل فيه رائحة شراب إلى القاضي أحمد بن بقي^(١) فأمر القاضي كاتبه أن يستنكهه هل هو شرب بالفعل أم أنه مجرد شك في رائحة ما؟ فأستنكهه الكاتب. فقال: نعم عليه رائحة الشراب. فأراد القاضي أن يثبت من الأمر، فقال لأصبغ بن عيسى الشقاق^(٢) وكان عنده: أستنكهه أنت، قال أصبغ: ففعلت، فقلت له: أجد رائحة، ولا أدري، إن كانت رائحة مسكر، أم لا؟ فتركه القاضي ولم يقم عليه الحد^(٣) ولعل ذلك إن المحتسب لم يأت بهذا الرجل إلا لمجرد الشك فيه لوجود الرائحة فقط دون أن يثبت عليه شرب أي مسكر، فأراد المحتسب أن يتحقق منه القاضي، وإلا لو كان شرابه وسكره ثابتاً لدى المحتسب لأقام عليه الحد لأن في ذلك الوقت كان من حق المحتسب التأديب في منكرات الأسواق، ومن حقه أن يجلد على السكر إذا ثبت بدون شك. كما أن القضاة كانوا لا يترددوا في إقامة الحدود إذا ثبت السكر، أو تحقق بالبينة. ومن ذلك أن قاضي الجماعة أحمد بن محمد^(٤) شهد عنده رجلان بأنهم يعرفون شخصاً يعصر الخمر ويبيعها ويشربها ويدخرها، ويجتمع إليه أهل الشر والفساد.

ولما كانت هذه الشهادة على قضية ذات جوانب متعددة ويترتب عليها مفسدات متعددة وكبيرة، أستشار فيها القاضي الفقهاء. فجاءت الفتوى من أهل الشورى: «فأما شرب الخمر ففيه الحد ثمانون سوطاً، وأما عصرها وبيعها، فالأدب على قدر مايردعه عن ذلك وينهاه. وأما جمع أهل الشر

(١) أحمد بن بقي بن مخلد من أهل العلم في قرطبة تولى قضاء الجماعة للخليفة عبد الرحمن الناصر وتوفي سنة ٣٢٤هـ. ينظر في ترجمته: قضاة قرطبة ص ٢٢٢ وما بعدها.

(٢) هو أصبغ بن عيسى الصفار: من أهل قرطبة، يعرف بالشقاق ويكنى: أبا القاسم وتلقى العلم من علماء قرطبة منهم إبراهيم بن محمد بن باز ومحمد بن وضاح وكان يعلم الناس. توفي سنة ٣٤٠هـ. ينظر: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس. ترجمة رقم ٢٥٣ ج١ ص ٩٥ ابن الفرضي.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ج٥ ص ٢٠٦.

(٤) هو القاضي أحمد بن محمد بن زياد، تقدمت ترجمته.

والفساد، فأكثر من ذلك من الأدب، والحبس حتى تظهر توبته»^(١). وهذا فيه الحفاظ على المجتمع وسلامته وأمنه لأن أهل الفساد إذا اجتمعوا كان شرهم أكثر، واعتداءاتهم أعظم، خاصة إذا كان الاجتماع على الشر كالخمر، التي هي أم الخبائث ومنبع كل الأشرار. ولهذا جاءت فتوى الفقهاء بالعقوبة الكبيرة على جمع أهل الفساد أكثر من عقوبة عصر الخمر وبيعها.

والخمر في المجتمع الإسلامي يجب القضاء عليها بكل وسيلة ولهذا كانت موضع اهتمام كل المسلمين في كل مجتمع. وفي الأندلس أراد الخليفة المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر. أن يأمر بالقضاء على شجرة العنب، حتى يقضي على الخمر، فقبل له: إنها تعصر من غير العنب كالتين وغيره. فعدل عن رأيه^(٢) والخمرة منبع الشر ولهذا يجب على المسلمين منعها. ومنع كل وسيلة تؤدي إليها، وعلى المحتسب معاقبة وتأديب كل من يتعاطاها حتى ولو كان من أهل الذمة، لأن أهل الذمة يجب أن لا يظهروا للمسلمين أي محرم في الإسلام حتى ولو كان عندهم حلالاً. ولهذا يجب أن يمنع المحتسب ظهور كل المنكرات حفاظاً على المسلمين.

ثالثاً: منع الاختلاط:

ومن المحافظة على الأخلاق. منع كل وسيلة تؤدي إلى فساد المجتمع وإلى أي محرم في الشرع الإسلامي. ومن ذلك الاختلاط بين الرجال والنساء من غير المحارم، والذي يقضي إلى المحرمات. فمن وظائف المحتسب منع أي إختلاط أو أي ريبة تؤدي إلى محرم. حتى إذا خرجت المرأة من بيتها لحاجة يجب أن يكون هذا الخروج مأمون العواقب، ولا يؤدي إلى محرم ولهذا قال ابن عبدون^(٣) رحمه الله: (يجب أن يحدّ - المحتسب - لهن - أي النساء - أن يغسلن في موضع مستور عن الناس، وينهي الناس والمعدّين أن يتسوروا عليهن في ذلك الموضع. ويجب أن

(١) وثائق في سنون الصبة في الأندلس ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: الحلة السيرة ج ١ ص ٢٠٣.

(٣) ابن عبدون هو: محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، لم أجد له ترجمة.

يمنع النساء أن يجلسن على ضفة الوادي إلا إن كان في موضع لا يجلس فيه الرجال^(١).

فالمجتمع الإسلامي مجتمع طاهر نقي بفضل الله عز وجل ثم فضل شريعته الإسلامية السمحاء التي يستمد منها المسلم منهج حياته وقيم أخلاقه. ورجل الحسبة في الإسلام هو الحرس لتلك القيم الإسلامية فيحافظ على سلامتها. ويقيم المعوج من البشر على منهجها.

المطلب الثالث

في مراقبة العبادات والمساجد

إن العبادات هي من أهم ما يحافظ عليه المسلم كالصلاة وغيرها من أركان الإسلام، وكان أهل الحسبة يلزمون من يرون يتهاون بصلاة الجماعة يلزمونه بالصلاة مع المسلمين في المساجد ويراقبون كل من يتهاون بشرائع الإسلام، كما كانوا يراقبون المؤذنين ويختبرونهم في أوقات الصلوات، ويراقبون المساجد ويحافظون على نظافتها، وسلامة بنيانها، ويحثون القائمين عليها بذلك كله.

والمحتسب كان يراقب أهل الأسواق في أداء الصلوات لهذا قال ابن عبدون: (يجب أن يؤمر الباعة والصبيان أن يصلوا فإن لم يفعلوا أدبوا على ذلك)^(٢) والصلاة تكون في المساجد لا في محلات البيع والشراء) إلا إذا كان هناك عذر يمنع من أتيان المساجد.

ولذا كتب محتسب إلى الفقهاء يستشيرهم في قوم أعتادوا الصلاة في محل البيع مع قرب المساجد منها فما حكم صلاتهم بقوله (الجواب رضي الله عنك في حوانيت إبتناها السلطان، فأكترهاها الناس منه لتجارتهم، وبقرب هذه الحوانيت ثلاثة مساجد فيها أئمة راتبون، وفي بعض هذه الحوانيت رجل أولع بإمامة من حوله في الظهر والعصر، يقف

(١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص ٣٢.

(٢) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص ٥٣.

رجل في وسط الحوانيت عند الصلاة، ويصيح: الصلاة يرحمكم الله، ثم ذلك الرجل يصلي بأرباب الحوانيت المجاورة له ويكل من كان فيها ممن جلس إليهم ويتركون السعي إلى تلك المساجد. أترى رحمك الله صلاته وصلاتهم جائزة؟ والأرض التي بنيت فيها لا يعرف أربابها، وبعضها يعرف ربها وحيل بينه وبينها. أم ترى أن ينهوا عن ذلك ويؤمروا بالصلاة في تلك المساجد. وكيف إن لم ينتهوا؟

فأجاب الفقيه ابن عتاب قائلاً: إذا كان كما ذكرت والأصل على ما وصفت فالتزامهم للتجارة فيها غير جائز. وشهاداتهم بذلك ساقطة، وليؤمروا بالصلاة في المساجد وينهوا عنها في حوانيتهم، فإن انتهوا فذلك من توفيق الله تعالى لهم وهدايته إياهم، وإن أبوا وأصروا وذكروا عذراً يخرجهم إلى ذلك، تركوا والله تعالى يعلم المفسد من المصلح، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾^(١) وقد كان الناس يصلون في أسواقهم ولكن كانت المساجد تبعد عنهم. وأمر هذه الأسواق حينئذ على خلاف ما وصفت. والله أسأل التوفيق للجميع برحمته^(٢).

يفهم من هذا النص إن المحتسبين كانوا لا يسمحون لأحد في السوق من ترك الصلاة مهما يكن الأمر. ولما رأى المحتسب هذه الجماعة تؤدي الصلاة جماعة في سوقها مع قرب المساجد منها، أراد أن يتثبت من الأمر هل يجوز إجبارهم إلى المساجد أم لا؟ وبالمقابل إن أرض السوق الذي يصلون فيه قد تكون مفضوية من أصحابها بأمر السلطان لإقامة السوق عليها. فقد جاءت الإجابة، بعدم جواز الإتيان في الأرض المفضوية. وإذا كان لا يجوز فيها البيع والشراء فمن باب أولى الصلاة. أما هؤلاء القوم الذين يصلون في السوق مع قرب المساجد منهم، فلا ينبغي أن يتركوا يصلون في السوق إلا إذا كان لهم عذر شرعي يبيح لهم الصلاة في السوق كخوف السرقة لأموالهم وغير ذلك.

(١) يونس الآية ٩٩.

(٢) وثائق في شئون العمران في الأندلس من ٥٠ محمد عبد الرهاب خلاف.

وفي جانب الإحتساب على نظافة المساجد، كان أهل الحسبة يمنعون كل مايؤدي إلى تلوث المساجد وعدم نظافتها حتى الدخول بالنعال إذا كان يؤدي ذلك إلى وساخة المسجد. ولهذا يقول ابن عبد الرؤوف^(١) (ويمنع من الدخول بالنعال والاقراق^(٢))، في الاقدام، ويؤمر بإزالتها وحك بعضها في بعض أو في الأرض عند أبواب المساجد، لئلا يتعلق بها أذى، وأكد ذلك بالليل^(٣) وكان المحتسبون يرفعون إلى القضاة وأهل الفتيا في إزالة الأضرار الكبيرة والتي يكون أذاها إلى المساجد بطريق غير مباشر، كنفائات البقول وغيرها والتي تنتقل إلى المساجد من الأماكن المجاورة إليه. وقد جاء في ذلك فتوى الفقهاء (فهنا - وفق الله القاضي - مرفع إليك عن مسجد الشفاء، من إنزال الناس الزرع والحطب، والبقول وغير ذلك في دكاكين المسجد فتوسخ بذلك المسجد، وتنزل أيضاً في القبلة من المسجد في فنائه الأغنام لتحلب ثم يكثر بولها، فيصير غبارها في المسجد - فالذي يجب في ذلك أن يكشف القاضي مرفع إليه بمن يثق، فإذا صح عنده ضرر ذلك قطع الضرر عن المسجد ومنع أولئك الذين يحدثونه في أفنية المسجد. قاله ابن لبابة وأصحابه^(٤)) فمثل هذه الفتوى تدل على أن المحتسبين كانوا يرفعون بالأمور التي يؤدي إنكارها إلى المنازعات - إلى القضاة وأهل الشورى. وهذا يعتبر من حكمة الدعوة وإن المطلوب ليس هو إنكار المنكر فحسب، وإنما المقصود سلامة المجتمع من كل منكر أياً كان. فرب منكر يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه، فإن أصحاب الحوانيت المجاورة للمساجد إذا أنكر عليهم المحتسب ما يكون سبباً لتلوث المساجد ربما لا يقبلون منه ذلك، فإذا جاءهم الأمر بذلك من جهة أخرى كالقضاء مثلاً كان أوقع في نفوسهم، وأخوف لهم.

(١) ابن عبد الرؤوف هو: أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، له رسالة في آداب الحسبة والمحتسب. ينظر: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص ٦٧ تحقيق: بروفنسال. مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة عام ١٩٥٥م.

(٢) لعل صوابه: القباقيب.

(٣) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ص ٧٣.

(٤) تسع وثائق في الحسبة على المساجد ص ٣٦، محمد عبد الوهاب خلاف.

ومن الإحتساب على نظافة المساجد، تفقد محلات الوضوء والتأكد من نظافتها، وكذلك التأكد من عدم أذيتها للمسجد بأن يكون موقعها بعيداً أو منقطعاً عن المسجد بأي فاصل. وفي هذا جاء من إحتساب أهل الحسبة في الأندلس إن خلافاً وقع في فتح باب ميضأة خارج المسجد أو داخله، ورفع الأمر إلى القاضي، والقاضي بدوره رفعه إلى أهل الشورى ليرى ما عندهم في ذلك قائلاً: «قام عندي - رحمكم الله - رجل من أهل مسجد عجب فذكر أن ميضأة المسجد كان بابها خارجاً عن المسجد وأنها كانت قد ردت من داخل المسجد، ثم قام أكثر الجيران فقالوا: إنه يدخل الصبيان ومن لا يجب دخوله المسجد إلى الميضأة. فردوا باب الميضأة خارجاً عن المسجد كما كان بابها فيما مضى. واستظهر القائم بالحسبة في ذلك بقوم أتى بهم، وذكر أن بعض الجيران .. أراد فتح باب الميضأة في داخل المسجد فاكتبوا إليّ بما عندكم في ذلك مما يجب علينا فعله ولا يحل لنا تركه».

فجاءت الفتوى من الفقهاء في هذه الميضأة، قال ابن لبابة رحمه الله: (فهمنا - وفقك الله - ما أردت معرفته من خبر هذه الميضأة وإني - أكرمك الله - كثيراً ما أمر بالمسجد ورأيت باب الميضأة مفتوحاً في الشارع في موضع حسن، وبلغني أنها هكذا كانت في ابتداء بنيانها، حتى رأي بعض من كان في المسجد رد الباب في داخل المسجد، فلما أستقبجه وجوه أهل المسجد، لمن يدخل الميضأة على المسجد ولا يتحفظ من الصبيان، ونال ضرر ذلك المسجد، رد الباب إلى ما كان عليه فرأيت رده نظراً للمسجد وحفظاً له. وصوناً عن دخوله ولا يتحفظ. وكذلك يجب أن يتحفظ بالمساجد ويقطع عنها كل ما يدينس قيعانها.

وقد أخبرني العتبي^(١) عن سحنون بن سعيد^(٢) إنه كتب إلى القاضي محمد بن زياد^(٣) يشير عليه ألا يعلم معلم في المسجد، فهذا المعلم يكره له التعليم في المسجد لما يخاف من قلة تحفظ الصبيان. فكيف بميضاة يختلف إليها على المسجد من لا يتحفظ من النجاسات. فصرف باب الميضاة الذي صرف إلى الشارع في الفضاء من النظر. ونسأل الله التوفيق^(٤) فهذا كله من أجل المحافظة على صيانة المساجد من كل ما يدنسها لأنها بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه سبحانه وتعالى وإن المؤمنين هم الذين يعمرونها بالبناء والعبادة، وهي ملتقى القلوب والأبدان، فلا بد أن تصان عن كل أذى.

المطلب الرابع مراقبة المعلمين والوعاظ

إن مراقبة الدين والحفاظ على سلامة مبادئ الإسلام وصحة الاعتقاد، واجب على كل المسلمين، فلا بد كل المسلمين أن يقفوا على وجه كل ثغرة من شأنها أن تمس هذا الدين أو أن تنال منه، سواء كان في جانب الاعتقاد أو أي جانب آخر من جوانب الدين، في العبادات أو المعاملات أو غير ذلك.

(١) العتبي هو: محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة بن جميل بن أبي عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه. وقيل مولى لبني عتبة بن أبي سفيان وليس منهم، من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله. ألف كتاب المستخرجة، وتوفي رحمه الله سنة ٢٥٥هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٠٤ ج٢ ص ٨.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوزان اللخمي وهو والد القاضي الحبيب أحمد بن محمد، ولاء عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة بقرطبة. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١٠٩٨ ج٢ ص ٦، وقضاة قرطبة ص ١٢٨ وما بعدها.

(٤) تسع وثائق في شؤون الحسبة في المساجد ص ٣٢.

وأهل الأندلس كانوا من أشد الناس حفاظاً على الدين والحث على التمسك به في كل صغيرة وكبيرة والإحتساب في ذلك كان قائماً فيما بينهم، حتى على العلماء وطلبة العلم ومن ذلك أن سعيد بن حسان^(١) أستاذن على العالم الجليل يحيى بن يحيى، فتعجل له الإذن، وكانت زوجة يحيى حاضرة، فدخلت جنة البيت، وتركت نعلها في البيت ولم تتمكن من أخذه لمفاجأة سعيد لها. وكانت زينت نعلها بالدرر والياقوت، وكانت من المياسير جداً. فلما رآها سعيد أنكر ذلك جداً ووبخ زوجها وقال له: هذا من السرف الذي يسأل عنه^(٢). فالعالم ينبغي أن يكون قدوة في كل شيء ولا ينبغي أن يظهر منه ما هو خلاف الأولى. بل ينبغي أن يرتفع إلى أعلى ما يأمر به الدين، ويترك بعض المباحات خوفاً من الوقوع في المحظورات، وينبغي أن تظهر فيه عزة الدين ووقاره، وعلى هذا كان يربي العلماء طلابهم، قال محمد بن لبابة: (كنت يوماً عند أبي وهب^(٣) في جنته .. إذا أستاذن عليهم هشام ابن عبد العزيز الوزير^(٤) فأذن له على تكره، ودخل ونحن نأكل خبراً أدمه من بقل الجنة، فجلس، وجعل يداعب الشيخ لظرفه، والشيخ لا ينبسط، ويقول: أبا وهب أما تدعوننا إلى طعامك؟ تخاف أن ننتهبه؟ فقال: إنه ليس

(١) هو سعيد بن حسان الصائغ مولى الأمير الحكم بن هشام من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق لتلقي العلم، فتلقى العلم من مصر والحجاز ورجع إلى الأندلس سنة ٢٠٤هـ وكان مشاوراً في الفتيا مع يحيى بن يحيى ونظرائه، وكان من أهل الفضل والتقى وكان متورعاً في فتواه، توفي سنة ٢٣٦هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١١١.

(٢) المرجع السابق ج٤ ص ١١٣.

(٣) أبو وهب هو: عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى مولى قريش قرطبي، تلقى العلم بالأندلس من يحيى بن يحيى، ورحل إلى المشرق فسمع بمصر من أصبغ وعلى بن معبد، وبالمدينة من مطرف بن عبد الله وسمع من سحنون بأفريقية، ورجع إلى الأندلس فأصبح مشاوراً في الفتيا مع الشيخ يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وغيرهما. وكان من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. توفي سنة ٢٦١هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٤٥.

(٤) هشام بن عبد العزيز كان وزيراً للأمير محمد بن عبد الرحمن ومن المقدمين عنده من جميع الوزراء. ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ٢٩١.

من الأظعمة التي توافكك. قال: وإن لم يكن فأنا أتبرك به. ومد هشام يده إلى لقمة من الخبز فغمسها في البقل، وجعل يلوكها ولا يسيغها. فلما فرغنا سأل الشيخ عن مسألة قد جاء لها، فأجابه، وقام هشام لينصرف، فتحركت لأقوم معه، فضرب الشيخ على يدي وأجلسني حتى خرج، ثم قال لي: ما أردت؟ قلت: أكرامه في مجلسك. قال: بنس ما صنعت، إن كنت تطلب العلم لله فأعزه يعزك الله، وإن كنت تطلبه للدنيا فكن خادماً من خدام هؤلاء، متصرفاً بين أيديهم، فهو أنفق لك عندهم، وأكسر لك عند ربك. فحافظت بعد ذلك على وصيته^(١) فهذه تربية من معلم لطالبه، في إعزاز العلم وإكرام الدين، والترفع به عن مقاصد الدنيا الفانية.

ومن أجل الحفاظ على الدين كانوا ينظرون فيمن يتصدر للتعليم أو الوعظ. فكان أهل الحسبة يراقبون الدعاة الذين يعظون الناس أو يعلمونهم، فلا بد أن يكون المعلم معروفاً بالعلم، وإلا لا يتقدم لتعليم الناس، وكانوا يرفعون أمر من تقدم للتعليم وهو غير معروف إلى القاضي لمنعه أو إجراء ما يراه لازماً، ومن ذلك إن القاضي أحمد بن محمد بن زياد^(٢) رفع إليه من محتسب إن قوماً يتحلقون للفتيا ومذاكرة العلم والخوض فيه، وهم ليسوا أهلاً لذلك. فرفع القاضي أمرهم إلى أهل الشورى من الفقهاء فجاءت الإجابة كما يلي: (سألتنا - وفقك الله وأعانك على ما قلدك - عن قوم يتحلقون في المسجد الجامع للفتيا ومذاكرة العلم والخوض فيه، وذكرت أن رافعاً رفع إليك أن المتحلقين فيه ليسوا بمن يستحق ذلك وأن إقامتهم واجبة إذ المساجد إنما أخذت للصلاة، وتحلقهم فيها مما يضر بالمصلين. فالذي نراه ونقول به في ذلك، والله الموفق إن المساجد وإن اتخذت للصلاة، فإن الخوض فيها في العلم وضروبه جائز من فعل الأئمة. قد جاء عن مالك رحمه الله إنه كان يتحلق إليه يوم الجمعة في مسجد النبي ﷺ حتى يخرج الإمام، فإذا خرج قطع الفتيا، واستقبل الإمام، والعلم - أكرمك الله - أفضل شيء أجمع لمذاكرته والتكلم فيه

(١) ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٤٨.

(٢) تقدمت ترجمته.

بعد كتاب الله عز وجل، وقد رأيت مساجد الأمصار يتحلق فيها الأئمة ومن دونهم من المتفقيين، ولا ينكر ذلك عليهم، ولا يقام أحدهم، وترك المتحلقين في الجامع على ما هم عليه واسع إن شاء الله عز وجل. قال بذلك عبيد الله بن يحيى^(١) وابن لبابة ومحمد بن وليد^(٢) وسعد بن معاذ^(٣).

قال القاضي^(٤): هذا الجواب على الإطلاق في ترك هؤلاء المتحلقين غير صحيح، إنما يباح ذلك إذا كان فيهم من يوثق بفهمه وعلمه ودينه، ويؤمن عليه التكلم فيما لا يحسنه، والفتوى بما لا يعلمه، فهو يتكلم معهم فيما ويبصر الجاهل مالا يفهم، فإذا كان هذا أبيض له وللمستمعين منه التحلق والتعلم في غير أوقات الصلوات، حتى لا يضرهم بالمصلين. وقد ذكر أبو البحتري^(٥) أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل المسجد فإذا رجل يخوف. فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يذكر الناس.. فأرسل إليه، فقال له: أتعرف الناس من المنسوخ؟ قال: لا، قال: فأخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه^(٦). فهذا الإحتساب على المعلمين والوعاظ وكل من يتصدر لتقديم العلم ولهذا كانوا يعرفون أهل العلم من غيرهم.

وكان الإحتساب في جانب المعلمين والوعاظ يأخذ أحياناً اتجاه مذهبي. فكان أهل الحسبة يقومون على كل من يخالف مذهب الإمام مالك لأن الغالب على أهل الحسبة هو الإلتزام بمذهب الإمام مالك، ولهذا

(١) عبيد الله بن يحيى، تقدمت ترجمته.

(٢) محمد بن وليد بن محمد بن عبد الله بن عبيد، كان مشاوراً في الأحكام، عارفاً بالشروط، توفي سنة ٣٠٩هـ.

ينظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفريحي ترجمة رقم ١١٨٠ ج٢ ص ٣٣. سعد بن معاذ بن عثمان الشعباني من أهل قرطبة وأصله من جيان يكنى أبا عمر كان حافظاً مفتياً، يتحلق إليه في الجامع ويسمع منه توفي سنة ٣٠٨هـ ينظر: المرجع السابق رقم ٥٣٧ ج١ ص ٢١١.

(٤) لعله المقصود أبو الأصبع عيسى بن سهل مؤلف الأحكام الكبرى، الذي نقل منه النص.

(٥) هو: وهب بن وهب بن وهب بن كثير القرشي الشاعر المشهور توفي سنة ٣٢٠هـ/ ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان، الترجمة رقم ٧٧٣ ج١ ص ٣٧/ دار الصادر.

(٦) تسع وثائق في شئون الحسبة ص ٣٠.

كانوا يثورون في وجه أي عالم يخالف الإمام مالك في رأيه، كما حدث لبقلي بن مخلد رحمه الله فإنه لما رجع إلى الأندلس أدخل معه مصنف ابن أبي شيبة إلى الأندلس فقام إليه أهل الحسبة وأنكروا عليه كتابه لما فيه من الخلافات الكثيرة في الآثار. وساند أهل الحسبة بعض الفقهاء من أهل الشورى مثل أصبع بن خليل، حتى أوصلوا أمره إلى الأمير، وحرصوه عليه، إلا أن الأمير محمد بن عبد الرحمن كان معروفاً برويئته وتثبته في الأمور. فأمر بإحضار بقلي بن مخلد، ونظر الأمير على كتاب (المصنف) فأمر خازن كتبه بنسخ الكتاب، وقال: (إن خزانة كتبنا لا تستغني عنه) وأمر بقلي بن مخلد أن ينشر علمه، بعد أن سمع حجته أمام الفقهاء، ومن ذلك الحين أصبح لبقلي أعلى الشأن في الأندلس^(١).

والملاحظ في الأهل الحسبة أيضاً كانوا ينكرون كل علم يجهلونه مهما كان هذا العلم ولهذا إن المحتسب محمد بن حارث أنكر على الخشني^(٢) قوله النسخ في القرآن وأمر معاونيه بملاحقته، حتى أمر بأحضاره ذات يوم، فلما حضر بين يديه أغلظ له في القول وقال: (ياعدو الله وعدو نفسه أنت القائل إن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً؟ فقال الخشني: إن الله تعالى يقول في محكمه ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(٣) فأمر بحبسه) ولما رأى صاحب المدينة (وليد بن عبد الرحمن)^(٤) ذلك

(١) ينظر/ المقتبس لابن حيان ص ٢٤٨ تحقيق الدكتور محمود علي مكي.

(٢) الخشني هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن يزيد بن الحسن الخشني، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق فحج، وتقلد العلم بالحجاز والبصرة وبغداد ومصر، ورجع الأندلس بعلم وافر، وأصبح يعلم الناس، وأراده الأمير محمد بن عبد الرحمن للقضاء فرفض. توفي سنة ٢٨٦هـ وهو ابن ٦٨ سنة. تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٣٤ ج ٢ ص ١٦.

(٣) البقرة - جزء من الآية رقم ١٠٦.

(٤) هو: وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم، أصله من موالي الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد عرفت أسرة بني غانم بخدمة الدولة الأموية فتولى كثير منهم أرقى المناصب. وتولى وليد هذا عدة مناصب للأمير محمد بن عبد الرحمن منها الوزارة، وخطة المدينة، والقيادة. وكان من أهل الخير والفضل والرعاية الصنة

أخبر الأمير محمد عبد الرحمن بما فعل صاحب السوق بالخشني، فضحك الأمير متعجباً من جهل ابن حارث وأعتدائه على العالم الجليل، ثم قال: (ياوليد لقي الخشني من ابن حارثنا عنناً ... أخرج الساعة إلى الجاهل ... ابن الحارث فعنفه أشد التعنيف، وأعلمه أنه لولا عذرنا إياه لجهله بهذا الشأن - الذي ليس بعذر لنا في تولية مثله - لعاقبناه على فعله. ومر بإطلاق محمد بن عبد السلام، ثم أعتذر لنا إليه لما نيل منه، وقل له .. يعمر مجلسه وينشر علمه)^(١).

يستخلص مما تقدم إن أهل الحسبة في الأندلس كانوا يراقبون كل من يخالف مذهبهم الذي يتمسكون به، وهو المذهب المالكي. وهذا كان هو إتجاه كل الفقهاء تقريباً. وهذا مما يؤخذ على بعض علمائهم الكبار مثل أصبغ بن خليل الذي كان ينكر كل شيء يخالف المذهب المالكي حتى ولو وافق حديثاً نبوياً. ومن ذلك ما روي عنه في إنكاره رفع اليدين في الصلاة في غير تكبيرة الإحرام. وفي هذا قال ابن الفرضي: (بلغ به التعصب لأصحابه أن أفتعل حديثاً في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام ... عن غازي بن قيس عن سلمة بن وردان^(٢) عن ابن شهاب^(٣) عن الربيع بن خثيم^(٤) عن ابن مسعود قال: صليت وراء رسول الله ﷺ، وخلف أبي بكر سنتين وخمسة أشهر وخلف عمر عشر سنين وخلف عثمان

للناس. توفي سنة ٢٧٢هـ.

ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٢٧٢ وما بعدها. والحاشية رقم ٣٤٣. تحقيق: محمود علي مكي.

- (١) ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٢٥٢ تحقيق الدكتور محمود علي مكي.
- (٢) هو: أبو يعلى المدني سلمة بن وردان الليثي، قال عنه ابن حجر: ضعيف من الطبقة الخامسة توفي سنة بضع وخمسين - ومائة - / تقريب التهذيب ص ٢٤٨.
- (٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري القرشي، الفقيه الحافظ المتقن، المتفق على جلالته، من الطبقة الرابعة. مات سنة ١٢٥هـ. المرجع السابق ص ٥٠٦.
- (٤) هو أبو يزيد الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري. ثقة عابد، تابعي مخضرم من الطبقة الثانية مات سنة ٦٣هـ وقيل قبل ذلك، المرجع السابق، ص ٢٠٦.

أثنى عشرة سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنين، فما رفع واحد منهم يديه إلا في تكبيرة الإحرام وحدها .

فوقع الشيخ في حفرة عظيمة، منها: إن الاسناد غير متفق، لأن سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع بن خيثم حرفاً قط ولا رآه. وقال: إن ابن مسعود صلى خلف علي بالكوفة خمس سنين وابن مسعود توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه^(١).

فهذا التعصب المذهبي كان ظاهراً لدى المحتسبين ضد العلماء، ولاشك في ذلك لأنه إذا ظهر من أمثال أصبغ بن خليل مع مكانته العلمية في المذهب المالكي ففي غيره من باب أولى.

المطلب الخامس

الأحتساب على المبتدعين

أما في جانب العقيدة ومحاربة البدع فإن علماء الأندلس كلهم كانوا يقفون محتسبين أمام كل من يخالف عقيدتهم. بل كانوا يقفون أمام من يخالف مذهبهم المالكي، ويحاربون أي عالم يخالف هذا المذهب مهما تكون درجته كما تقدمت الإشارة إلى ذلك^(٢) أما المبتدع المحدث في الدين ماليس منه فلا يترددون في قتله بعد أستتابته ومن ذلك أن رجلاً كان من المعلمين فالدعى النبوة، وألحد في القرآن، فأحاله عن وجهه وأولاه على غير تأويله، وقام معه خلق كثير. وكان ينهي عن قص الشارب والأظفار،

(١) تاريخ علماء الأندلس ج١ ص ٩٣ الترجمة رقم ٢٤٧.

(٢) في الصفحة ١٩٢ وما بعدها.

ويقول لا تغيروا خلق الله، فأرسل عبيد الله^(١) من جاء به فلما دخل عليه، وكاشفه، كان أول ما ابتدأه به أن دعاه إلى إتباعه فاستشار فيه عبيد الله أهل العلم عنده، فأشاروا باستتابته ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل. ففعل به ذلك فلم يتب، فأسلمه للقتل صلباً، فجعل يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فأمضى عبيد الله قتله بالفتوى، وكتب إلى الأمير بأمره فأحمد فعله^(٢). وكان عبيد الله بن يحيى والياً على الثغر وحصلت عنده في الثغر هذه الحادثة.

ومن أمثلة محاربة البدع والإحتساب عليه في الأندلس إن محمد بن عبد الله بن مسرة كان من طلبة العلم، فأتهم بالزندقة، فكثرت عليه متابعات المحتسبين فخرج فاراً من الأندلس. وتردد في المشرق مدة من الزمن، اشتغل فيها بملاقات أهل الجدل، وأصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم ثم أنصرف إلى الأندلس فأظهر نسكاً وورعاً، واغتر الناس بظاهره، وأختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر للناس سوء معتقده، فانقبض عنه من كان له فهم وإدراك. وتمادى في صحبته آخرون فنادوا بمذهبه. وشغل مذهبه كثيراً من العلماء بالردود عليه، ومتابعة أصحابه وملاحقتهم، ولعل كل هذه المتابعات والردود لم تؤد الثمرة المرجوة منها فلجأ العلماء إلى أسلوب الوعيد والتنكيل، فرفعوا إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، يطلبون منه أن يصدر قراراً حاسماً ضد عقيدة ابن مسرة واتباعه يأمر فيه جميع أهل الكور بمتابعة تعاليم ابن مسرة، واستتابة كل من يتبع تلك التعاليم، وبالفعل أصدر الخليفة خطاباً بذلك^(٣). وأستمرت متابعتهم في الأندلس حتى بعد الخليفة الناصر، كلما ظهرت منهم جماعة

(١) عبيد الله بن يحيى بن خالد كان والياً للأمير عبد الرحمن الحكم على الثغر الأعلى.

ينظر: المقتبس لابن حيان ص ١٥٧ تحقيق الدكتور/ محمود علي مكي.

(٢) المقتبس لابن حيان ص ١٥٧.

(٣) سيأتي خطاب الخليفة بكامله إن شاء الله (في ملحق خاص).

بإدراك العلماء والقضاة باستتابتهم وأحراق كتبهم^(١) وهكذا كان الإحتساب على أهل البدع.

وتقدمت الإشارة في محاربة القضاة لأهل التشيع في الأندلس حتى لدرجة القتل. كما أن للخلفاء كان دور كبير في محاربة أهل البدع.

(١) تقدم فعل القاضي محمد بن يبي بن زرب في إحراق كتب أتباع ابن مسرة، واستتابته لهم.

الفصل الثالث

الفقهاء المستشارون لدى الأمراء

ودورهم في الدعوة

المبحث الأول : أشهر الفقهاء المستشارين.

المبحث الثاني: جهود الفقهاء والمستشارين في الدعوة.

تمهيد تعريف الشورى

□ في اللغة:

جاءت الشورى في اللغة بعدة معاني منها: إستخراج الشيء وأخذه: شرت العسل استشرته: أجتنيته وأخذته من موضعه. ومنها الإعانة على الشيء، يقال: أشرني على العسل: أي أعني عليه، ومنها، حسن الهيئة، يقال: ما أحسن شوار الرجل وشارته يعني لباسه وهيئته، الشورة: الجمال الرائع. ومنها العرض شار الدابة وهو يشيرها شوراً، إذا عرضها للبيع أو التجربة، ومنها الإيماء بالشيء، يقال: أشار إليه وشور: أوماً، ويكون ذلك بالكف والعين والحاجب. ومنها إظهار الشيء الخفي والمستور. ومنها الرأي - يقال أشار عليه بالرأي. وأشار يشير: إذا وجه الرأي، ويقال: فلان جيد الشورة^(١).

وهذه المعاني كلها تعني الوصول إلى ما يطلبه الإنسان سواء كان هذا المطلوب أمراً محسوساً كاستخراج العسل، من المنحل، أم أمراً معنوياً، كاستخراج الرأي والوصول إلى الصواب.

□ الشورى في الإصطلاح:

أما الشورى في الاصطلاح فقد عرفها الراغب الاصفهاني بقوله: (التشاور والمشاورة والمشورة: إستخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض)^(٢) وقد عرفها الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس بقوله: (إن الشورى تعني تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا، واختيارها من أصحاب العقول والأفهام، حتى يتوصل إلى الصواب منها أو أصوبها وأحسنها ليعمل به حتى تتحقق أحسن

(١) لسان العرب ج٤ ص ٤٣٤ مادة (شور).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٠ المطبعة الحلبية/ تحقيق محمد سيد كيلاني.

النتائج^(١).

وعلى هذا تكون الشورى في الشريعة الاسلامية فيما ليس فيه نص شرعي، أو فيه نص أعام يحتمل عدة معاني فتكون الشورى للوصول إلى أصوب هذه المعاني.

□ مكانة الشورى:

وللشورى أهمية عظيمة في الشريعة الاسلامية، فلقد أمر الله بها نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾^(٢) فالرسول ﷺ رغم إنه ينزل عليه الوحي، أمر بالمشاورة، وما ذلك إلا ليبين الله للأمة مكانة الشورى وأهميتها سواء كانوا حكاماً أم محكومين. ولهذا كان ﷺ يشاور أصحابه في كل الأمور الهامة^(٣) وحتى الأمور الخاصة به ﷺ^(٤) ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: (مارأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من النبي ﷺ)^(٥).

ولقد ذكر العلماء أقوالاً، في هل الشورى ملزمة أم معلمة، وهذه الأقوال ليس هذا محل بسطها، والذي يراه الباحث أن الشورى ملزمة لا يجوز مخالفتها، ولهذا قال القرطبي رحمه الله: «من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه»^(٦).

□ الشورى في عهد الخلفاء الراشدين:

ولقد آتت هذه التربية ثمارها فكان أصحاب النبي ﷺ كما وصفهم الله ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾^(٧) فكان الخلفاء الراشدون يشاورون أهل

(١) النظام السياسي في الإسلام ص ٧٩. نشر دار القرآن الكريم/ بيروت.

(٢) آل عمران الآية رقم ١٥٩.

(٣) مثل مشاورته لهم ﷺ في غزوة بدر وغزوة أحد. ينظر: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢ و ج ٤ ص ١٢.

(٤) وذلك كمشاورته ﷺ على بن أبي طالب وإسامة بن زيد في حادثة الأفك. ينظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة النور ج ٦ ص ٥.

(٥) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٤٠ كتاب الأحكام.

(٦) تفسير القرطبي ج ٤، ص ٢٤٩، نشر: دار الفكر.

(٧) سورة الشورى جزء من الآية ٣٨.

العلم في الأحكام وأمور المسلمين لأن الشورى أساس الحكم في الاسلام فيما ليس فيه نص شرعي، ولهذا قال الإمام البغوي رحمه الله^(١): (وكان الأئمة يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضع الكتاب أو السنة لن يتعدوه إلى غيره اقتداء بالنبي ﷺ)^(٢).

وكانت طريقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيما يرد عليهما من القضايا، النظر في الكتاب ثم في السنة، فإن لم يجدا فيهما يجمعان كبار الصحابة وأهل العلم منهم فشاوراهم في الأمر فإذا أجمعوا على شيء قضوا به. ولهذا قال ميمون بن مهران^(٣) رحمه الله: (كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله تعالى فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به. وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة الرسول ﷺ فإن وجد فيها ما يقضي به، فإن أعياء ذلك سأل الناس: هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء، فربما قام إليه القوم فيقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإن لم يجد سنة سنّها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم، فإذا أجمع رأيهم على شيء قضى به. وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك، فإذا أعياء أن يجد ذلك في الكتاب والسنة، سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء، فإن كان لأبي بكر قضاء، قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا أجمع رأيهم على شيء قضى به)^(٤) ولقد أقتدى بهم كل حكام المسلمين من بعدهم فكانوا يشاورون أهل الحل والعقد في أمورهم،

(١) الإمام البغوي هو: أبو محمد الحسين بن مسعود الإمام الحافظ محيي السنة، ولد في بغ من بلاد خراسان، وتوفي سنة ٥١٦هـ وهو صاحب التفسير المشهور باسمه وكتاب شرح السنة.

ينظر: سير اعلام النبلاء ج١٩ ص ٤٣٩.

(٢) شرح السنة ج١٠ ص ١١٩.

(٣) ميمون بن مهران هو: أبو ايوب ميمون بن مهران الجزي الرقي الفقيه، ولد سنة ١٧هـ نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة، روى عن عمر والزبير وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم، وتوفي سنة ١١٧ (تهذيب التهذيب ج١٠ ص ٣٩١).

(٤) اعلام الموقعين ج١ ص ٤٩ الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ/ نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

ومن هؤلاء الحكام، أمراء المسلمين في الأندلس فقد اشتهروا بمشاورة العلماء في كل الأمور، والنزول على رأيهم في الأحكام الاجتهادية. وكانوا يختارونهم من العلماء الذين عُرفوا بكثرة العلم والورع ليشاوروهم في أمور الدولة^(١) وقد اشتهر مجموعة من العلماء البارزين بهذا المنصب في الأندلس كانت تصدر عن رأيهم كل شئون الدولة من أمراء وقضاة ومحتسبين. الكل يرجع إلى حكمهم وفتواهم في كل شئون الحياة. وفي المبحثين التاليين ذكر بعض تراجم هؤلاء العلماء وبيان بعض جهودهم في الدعوة.

والناظر في تراجم علماء الأندلس كثيراً ما يجد في ترجمة أكثر العلماء عبارة (وكان مشاوراً في الأحكام) ولهذا يكون الحديث عن التراجم مختصراً لا يتعدى ترجمة خمسة أشخاص اشتهروا بكثرة علمهم ورفعة منزلتهم لدى كل أهل الأندلس. ولأن المقصود ذكر أمثلة ونماذج من العلماء المشهورين بهذا النوع من التشريع والارشاد والتوجيه.

والأشخاص الذين ترد تراجمهم هم الذين كانت لهم آثار واضحة في العلم وترشيد المجتمع نحو وجهة معينة.

(١) ومن ذلك ابن ابراهيم بن محمد بن باز المتوفي سنة ٢٧٤هـ أرادته الأمير محمد بن عبد الرحمن للقضاء فأبا قبوله، وكان من أهل العلم والورع فقال له الأمير: إن لم تقبل القضاء فكن أحد الداخلين علينا الذين نشاورهم في أمورنا، فقال للمرسل إليه: إن الح علي الأمير في شيء من هذا هربت بنفسي عن هذا البلد. فتركه الأمير. ينظر: (قضاة قرطبة ص ٣٣) والشاهد: إن الأمراء كانوا يختارون أهل الشورى من كبار العلماء وأهل النزاهة والورع.

المبحث الأول أشهر الفقهاء المستشارين في الأندلس

لقد تقدمت الإشارة إلى معنى الشورى ومكانتها في الإسلام وكيف كان يمارسها المسلمون الأوائل. وفي هذا المبحث يأتي ذكر بعض أشهر الفقهاء الذين كانوا من أعلام الشورى في الأندلس. والذين كانت آثارهم العلمية لها أبلغ التأثير في المجتمع. ويكون ذكرهم على حسب تقدمهم في السن وفي الشهرة العلمية، والمكانة الرفيعة في المجتمع.

□ صعصعة بن سلام:

هو أبو عبد الله صعصعة بن سلام بن عبد الله الدمشقي العالم الفقيه ولد بالشام ونشأ بها، وتنقل لطلب العلم إلى الحجاز ومصر، ثم دخل الأندلس مجاهداً ومعلماً، ولم تذكر كتب التراجم التي ترجمت له تاريخ ولادته ولا تاريخ إنتقاله إلى الأندلس، وهو أول من أدخل علم الحديث ومذهب الإمام الأوزاعي^(١) إلى الأندلس.

* شيوخه:

روى عن الامام مالك^(٢) والامام الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز^(٣).

* تلامذته:

روى عنه بمصر: موسى بن ربيعة^(٤) وفي الأندلس عبد الملك بن حبيب^(٥)

(١) الأمام الأوزاعي تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي إمام أهل الشام بعد الأوزاعي، ولد بدمشق سنة ٩٠ وتوفي بها سنة ١٦٧هـ.

قال عنه الامام أحمد بن حنبل رحمه الله: ليس بالشام أصح حديثاً منه.

ينظر: تهذيب الكمال ج١ ص ٤٩٧، وتاريخ بن عساكر ج٧ ص ٢٩٨.

وعثمان بن أيوب^(١) وغيرهم.

✽ فقهه وعلمه :

كان من العلماء البازرين وعليه مدار الفتيا في الأندلس زمن عبد الرحمن الداخل وابنه هشام^(٢) وهو كان من علماء الحديث متفقاً على مذهب الامام الأوزاعي، وهو الذي أدخل مذهبه إلى الأندلس، وكان رحمه الله مشاوراً في الأحكام في زمن القاضي مصعب بن عمران^(٣). وكان إماماً وخطيباً بقرطبة متصدراً في التعليم. وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه الامام الأوزاعي^(٤) ويكرهه الامام مالك وأصحابه.

✽ وفاته :

توفي بقرطبة رحمه الله سنة ١٩٢هـ وقيل سنة ١٨٠هـ^(٥).

(٤) موسى بن ربيعة الجمحي لم أجد ترجمته.

(٥) هو: أبو مروان عبد الملك بن حبيب. ستأتي ترجمته إن شاء الله.

(١) هو أبو سعيد عثمان بن أيوب بن أبي الصلت، يقال: إنه من الفرس كان من أهل العلم والورع، سمع في الأندلس من صعصعة والغازي بن قيس، ورحل إلى المشرق فسمع سحنون بإفريقية واصبغ بن الفرج بمصر / تاريخ علماء الأندلس رقم ٨٨٩ ج١ ص ٣٤٥.

(٢) الأعلام للزركلي ج٣ ص ٢٩٤.

(٣) ينظر: قضاة قرطبة ص ٧٢.

(٤) غرس الأشجار في ساحات المساجد مازال يفعل في كثير من بلاد العالم الاسلامي، ومنافعه كثيرة خاصة عندما تضيق المساجد بالمصلين، ولعل بعض المتأخرين من المالكية يرجح هذا الرأي.

(٥) ينظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس رقم ٦١٠ ج١ ص ٢٤٠ وجزوة المقتبس رقم ٥١٠ ص ٢٤٤، وبغية الملتبس رقم ٨٥٣ ص ٣١١. والبداية والنهاية ج١٠ ص ٢٠٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٨ ص ٣٠٣ صورة المكتبة الطاهرية بدمشق، فهرسة الشيخ محمد بن رزق، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة، والاعلام للزركلي ج٣ ص ٢٩٤.

□ الغازي بن قيس :

هو أبو محمد الغازي بن قيس امام جليل وثقه ضابط^(١) من المعمرين أصله من الموالي. كان من المعلمين زمن دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس^(٢) ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته ولا شيئاً عن نشأته.

* شيوخه :

لاشك إن الغازي بن قيس كان من أهل العلم المتصدرين للتعليم في الأندلس، وكان نشأته كنشأة غيره من أعلام الأندلس الأولى، ولهذا لم توجد له ترجمة عن نشأته وشيوخه في الأندلس. ولكن في أوائل إمارة عبد الرحمن الداخل، رحل الغازي إلى المشرق فحج، وروى العلم من الحجاز، فأخذ القراءة من نافع بن أبي نعيم^(٣) وضبط عنه اختياره في القراءة. وروى عن الإمام مالك الموطأ وحفظه حفظاً مضبوطاً، فكان لا يسقط منه شيئاً.

وسمع من محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب^(٤) وعبد الملك بن جريج^(٥)

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص ٢ لشمس الدين ابن الجوزي.

(٢) طبقات النحويين ص ٢٥٤ للزبيدي الأندلسي.

(٣) هو: أبو رويم ويقال: أبو عبد الرحمن، نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم القاريء المدني مولى بني ليث أصله من أصبهان.

روى عن فاطمة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورحمهما الله، وزيد ابن اسلم ونافع مولى ابن عمر وغيرهم، اشتهر بالقرآن فهو إمام في القراءة وعنه أخذ القراء من كل الأمصار. توفي سنة ١٦٩هـ. ويقال غير ذلك. ينظر: تهذيب التهذيب ج١٠ ص ٤٠٧ دار الصادر.

(٤) هو أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي نئب القرشي العامري المدني روى عن خلق كثير من التابعين منهم نافع مولى بن عمر وروى عنه أيضاً جماعة كثيرون منهم الثوري وابن المبارك، وكان مولده سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٥٨هـ. المرجع السابق ج٩ ص ٣٠٣.

(٥) هو: أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، الأموي ولاء، روى عن ابيه وحكيمة بنت ربيعة وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم، وروى عنه الليث، ويحيى بن

والأوزاعي وغيرهم، ولقي من علماء اللغة الأصمعي^(١) ونظرائه^(٢) ثم رجع إلى الأندلس وهو يحمل علماً كثيراً فهو أول من أدخل الأندلس قراءة نافع المدني وموطأ الامام مالك وكان يحفظه حفظاً راسخاً.

✽ تلامذته:

لما رجع الغازي بن قيس إلى الأندلس جعل يعلم الناس القرآن والحديث والفقهاء فروى عنه ابنه عبد الله^(٣) وعبد الملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل^(٤) وعثمان بن أيوب وغيرهم.

✽ أعماله:

كان رحمه الله صدراً للعلم فأصبح رئيساً لأهل التعليم كلهم مؤدياً لأولاد الأمراء، مرجعاً لكل أهل العلم في الأندلس متقدماً عليهم مدافعاً عن حقوقهم، قال الزبيدي رحمه الله^(٥): «إن رجلاً حاكراً^(٦) بعض المؤدبين

سعيد الأنصاري، وخلق كثير كان ثقة فاضلاً، ولد سنة ٨٠هـ ومات سنة ١٤٩هـ وقيل سنة ١٥٠هـ تهذيب التهذيب ج٦ ص ٤٠٢ دار الصادر.

(١) الأصمعي هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمغ اللغوي الاخباري، ولد سنة ١٢٠هـ وقيل بعدها، توفي سنة ٢١٥هـ/ سير أعلام النبلاء ج١٠ ص ١٧٥ وما بعدها.

(٢) طبقات النحويين ص ٢٥٥ الزبيدي.

(٣) عبد الله بن الغازي، كان من أهل العلم بالعربية، والتأدية لقراءة نافع مات سنة ٢٣٠هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١١٥.

(٤) أصمغ بن خليل الأندلسي أبو القاسم من علماء الأندلس الأوائل في المذهب المالكي، ورأس المذهب في التعصب له، ومن أهل الشورى دارت عليه الفتيا في الأندلس خمسين سنة، توفي سنة ٢٧٣هـ عن عمر يناهز الثامنة والثمانين. ينظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي رقم ٢٤٧ ج١ ص ٩٣ وترتيب المدارك ج٤ ص ٢٥٠.

(٥) هو: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله بن بشر الزبيدي نسبة إلى القبيلة اليمنية، أصوله من أشبيلية، كان مشهوراً في النحو واللغة، وهو صاحب كتاب طبقات النحويين، توفي سنة ٣٧٩هـ. ينظر: مقدمة طبقات النحويين ص ٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٦) المحاكرة: اللجاجة ومنع الحق (لسان العرب ج٤ ص ٢٠٨ مادة (حكر).

في حذقه^(١) فمنعها المؤدب، فناظره في ذلك، وتعصب له المؤدبون بقرطبة وأشفقوا أن يفتح عليهم في ذلك باب المنع، فأتوا الغازي بن قيس فقالوا: ياسيدنا - تعريضاً له بالتأديب - عرض لنا كيت وكيت فقال: يغرماً صاغراً قميناً^(٢) وقضى لهم بذلك إذ هو مما جرى عليه أمر الناس^(٣).

فهذا يدل على مكانة الغازي بن قيس ومنزلته عند كل المعلمين إذ لجأوا إليه لاستخلاص حقوقهم، كما أنه كان ممن يرضى بحكمه كل الناس لمكانته العلمية.

ولأن الغازي بن قيس كان إمام الناس في القرآن فهو المقروء والعادة عند المسلمين في الغالب احترام أهل القرآن خاصة.

وكان الأمير عبد الرحمن بن معاوية يكرمه ويجله. وإن الأمير عرض عليه القضاء فأبأ عليه.

وتولى الشورى بعد وفاة صعصعة بن سلام، فكان يشاوره إلا أن التعليم هو الغالب عليه.

* صفاته:

كان رحمه الله عاقلاً نبيلاً كثير الصلاة بالليل. متهجداً بالقرآن وأثنى عليه كثير من أهل العلم الذين ذكروا سيرته. قال أصبغ: سمعته يقول: (والله ما كذبت كذبة منذ أغتسلت، ولولا إن عمر بن عبد العزيز قاله ما قلتها، وما قاله عمر فخراً ولا رياء، ولا قاله إلا ليقنتى به). وكان مخلصاً في علمه يخاف الرياء، قيل: (قصد قارئ يوماً أن يقدم من أبواب الموطأ ويؤخرها، ليرى الناس حفظ الغازي ابن قيس، فأنكر ذلك عليه، وقال: إن عدت لا تقرأ علي إنما تريد أن ترى الناس مانكن، يريد حفظه).

وكان يعظ الناس ويحثهم على الأعمال الصالحة، ويأمر بالمعروف

(١) الحنق: المهارة في كل عمل، والغلام يحذف القرآن حذقاً وحذاقاً.. ويقال لليوم الذي يختم فيه الصبي: يوم حذقة (المرجع السابق ج١ ص ٤٠ مادة (حنق) ولعله عين ما يقدم للمؤدب.

(٢) القمأ: الذلقة، قما الرجل: نل وصغر، المرجع السابق ج١ ص ١٣٤ مادة (قمأ).

(٣) طبقات النحويين ص ٢٥٦.

وينهى عن المنكر، ويصلح بين الناس. ومن أقواله في حث الناس على الأعمال الصالحة إنه كان يقول: «مامن يوم يأتي إلا ويقول: أنا خلق جديد، وعلى مايفعل في شهيد، خذوا مني قبل أن أبيد فإذا أمسى ذلك اليوم خر لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم».

*** وفاته:**

توفى رحمه الله في أيام الأمير الحكم بن هشام سنة تسع وتسعين ومائة^(١).

□ يحيى بن يحيى بن كثير:

هو الامام الكبير أبو محمد فقيه الأندلس صدر العلم في زمانه.

*** نسبه ونشأته:**

هو يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملال بن منغايا، البربري من قبيلة مصمودة البربرية الطنجية، وجده كثير يكنى: أبا عيسى هو الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد. وأسلم جد يحيى الثاني (وسلاس) على يد يزيد بن عامر الليثي، الكناني، ولهذا كان سبب انتمائه لبني ليث^(٢).

ولد يحيى سنة ١٥٢هـ ونشأ بقرطبة وتلقى بها العلم من تلامذة الامام مالك الأوائل.

*** شيوخه:**

تلقى يحيى العلم بالأندلس فسمع موطأ الامام مالك من زياد بن

(١) ينظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي رقم ١٠١٥ ج١ ص ٣٨٧ وترتيب المدارك ج٢ ص ١١٤، وطبقات النحويين ص ٢٥٤، وغاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص ٢، وجذوة المقتبس رقم ٧٤٨ ص ٣٢٤، وبغية الملتبس رقم ١٢٧٢ ص ٤٢٥، وسير اعلام النبلاء للذهبي ج٩ ص ٣٢٢، وبغية الوعاة في انباء النحاة ج٢ ص ٢٤٠ جلال الدين السيوطي.

(٢) ترتيب المدارك ج٣ ص ٣٧٩. ولم أجد ترجمة يزيد بن عامر.

عبد الرحمن^(١) ويحيى بن مضر^(٢) ثم رحل إلى المشرق فسمع من الامام مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها ، فبقي يحدث بها عن زياد .

وسمع من نافع بن أبي نعيم القاريء ، والقاسم بن عبد الله العمري^(٣) وعبد الله بن نافع^(٤) وسمع بمكة من سفيان بن عيينة^(٥) . وبمصر من الليث بن سعد^(٦) وعبد الله بن وهب ، وسمع من ابن القاسم وكتب سماعه ، ثم رجع إلى المدينة ليسمع من مالك سماع ابن القاسم فوجد مالكا عليا

(١) هو أبو عبد الله تلميذ الإمام مالك: زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمي. أحد رواة الموطأ وشيوخ يحيى بن يحيى، أرادته الأمير هشام ابن عبد الرحمن للقضاء، فهرب نفسه خوفاً من القضاء، ثم آمنه الأمير فرجع. كان يسمى فقيه الأندلس. توفي سنة ١٩٤هـ وقيل ٢٠٢هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٥٨ ج١ ص ١٨٢، وترتيب المدارك ج٣ ص ١١٦ ومابعدها.

(٢) يحيى بن مضر هو: أبو زكرياء ويقال: أبو بكر يحيى بن مضر القيسي من أهل قرطبة الذين رحلوا لطلب العلم إلى المشرق ثم أشرقت بعلمهم أرض الأندلس، سمع من سفيان الثوري والإمام مالك، قتل سنة ١٨٩هـ مع مجموعة من العلماء، كانوا قد أنكروا على الأمير الحكم بن هشام أموراً فأرادوا خلعه، فاكتشف أمرهم قبل أن يتمكنوا فقتلوا وصلبوا. ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١٢٦.

(٣) هو القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عمر بن الخطاب المعمري المتوفي ما بين عامي ١٥٠هـ و ١٦٠هـ. ينظر: تهذيب التهذيب ج٨ ص ٣٢٠.

(٤) عبد الله بن نافع الصائغ، تقدمت ترجمته في ص ١٧٠.

(٥) سفيان بن عيينة: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران بن ميمون الهلالي الكوفي سكن مكة، وقيل أباه هو المكي، روى عن عبد الملك بن عمير وإسحاق السبعي وعاصم الأحول وغيرهم، وروى عنه الأعمش والثوري وابن جريج وغيرهم، ثقة، ثبت، ولد رحمه الله سنة ١٠٧هـ وتوفي سنة ١٩٨هـ. ينظر: تهذيب التهذيب ج٤ ص ١٢٠.

(٦) الليث بن سعد هو: أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي ولاء، الإمام المصري، كان أصله من أصبهان ولد سنة ٧٤هـ وروى عن نافع وابن أبي مليكة ويحيى ابن سعيد الأنصاري وغيرهم.

توفي رحمه الله في شعبان سنة ١٧٥هـ. ينظر: تهذيب التهذيب ج٨ ص ٤٥٩.

فأقام في المدينة حتى توفي مالك رحمه الله، وحضر جنازته، وهو يعتبر من أصغر تلامذة الامام مالك، ولكنه أكبرهم علماً ومنزلة في الأندلس، لم يصل أحد منزلته فقهاً وجاهاً، مع ترفع عن الوظائف. ورجاحة عقل ودعوة مستمرة وتصدر للعلم والفتيا. وبعد وفات الإمام مالك رجع إلى الأندلس. وهو يحمل علماً عظيماً.

* تلامذته:

قدم يحيى الأندلس بعلم كثير فعادت إليه الفتيا بعد عيسى ابن دينار^(١) وتصدر للعلم فسمع منه مشائخ الأندلس في وقته منهم محمد بن العباس^(٢) ومحمد بن وضاح^(٣) وبقي بن مخلد^(٤)، وصباح بن عبد الرحمن العتقي^(٥) وولده أبو مروان عبيد الله بن يحيى^(٦) وخلق سواهم.

* فضله وعلمه:

كان رحمه الله من أهل الفضل والجاه عند السلطان، وافر الجلالة

(١) عيسى بن دينار هو: أبو محمد عيسى بن دينار بن واقد الغافقي من طبقة علماء المالكية الأولى الذين تلقوا العلم من تلامذة الامام مالك، كان عالماً زاهداً فاضلاً، رحل فسمع من أبي القاسم وغيره من تلامذة الامام مالك، ثم عاد إلى الأندلس وسكن طليطلة ثم سكن قرطبة، وكان مشاوراً في الأحكام مقدماً في العلم والفتيا، توفي سنة ٢١٢هـ. ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) هو محمد بن العباس بن وليد المعروف بابن الحداد من أهل قرطبة توفي سنة ٢٩٤هـ وقيل سنة ٣٠٤هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٤٦ ج٢ ص ٢١.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل، كان أرفع أهل زمانه درجة، رحل قبل بقي بن مخلد وشاركه في كثير من شيوخه، توفي سنة ٢٨٧هـ وكان مولده سنة ٩٩هـ ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٣٦ ج٢ ص ١٧.

(٤) بقي بن مخلد ستأتي ترجمته.

(٥) هو أبو الفصن الصباح بن عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة العتقي. روى عن يحيى بن يحيى ورحل فسمع بالقيروان من سحنون وغيره من علماء افريقيه ومصر والحجاز. توفي سنة ٢٩٤هـ. المرجع السابق رقم ٦٠٧ ج١ ص ٢٣٨.

(٦) تقدمت ترجمته. ص ٢٠٠

عظيم الهيبة نال من الرئاسة والحرمة ما لم يبلغه أحد، كان الامير عبد الرحمن بن الحكم، لا يقدم على شيء إلا برأي يحيى بن يحيى، كان أحمد بن خالد^(١) يقول: لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس من الحظوة، وعظم القدر، وجلال الذكر، ما أعطيه ليحيى بن يحيى.

كان يسمى عاقل الأندلس، لفضله وسلامة رأيه، وكان يعتبر إمام أهل بلده، حسن السمات يشبهه في سمته بسمت الإمام مالك رحمه الله.

وكان من أهل الاجتهاد والترجيح، فإنه مع أخذه بمذهب الإمام مالك كانت له آراء يخالف بها مذهب مالك، ويرجع فيها رأي غيره، من ذلك إنه كان لا يرى القنوت في الصبح ولا في سائر الصلوات، ويقول: إنما قنت رسول الله ﷺ نحواً من أربعين يوماً يدعو على قوم، ويدعو لآخرين^(٢) وكان الليث لا يقنت.

وكان لا يرى القضاء باليمين مع الشاهد، خلافاً لرأي الإمام مالك في ذلك^(٣) وكذلك يرى جواز كراء الأرض بجزء مما يخرج منها، ويقول في

(١) هو أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الحباب من أهل قرطبة من أهل العلم الحفاظ تنقل إلى بلاد عدة لطلب العلم، وكان إمام وقته في الفقه والحديث. توفي سنة ٣٢٢هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٩٤ ج١ ص ٤٢.

(٢) يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وهو: «عن عاصم قال: سألت أنس بن مالك عن القنوت فقال: قد كان القنوت. قلت: قبل الركوع أو بعده؟ قال: قبله. قال: فإن فلاناً أخبرني عنك أنك قلت: بعد الركوع فقال: كذب إنما قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهراً. أراه كان بعث قوماً يقال لهم القراء زهاء سبعين رجلاً إلى قوم مشركين نون أولئك وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فقنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو عليهم».

صحيح البخاري، كتاب الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده ج٢ ص ١٤ طبعة أسطنبول.

(٣) لعل الصواب في هذه المسألة في رأي الإمام مالك لما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد) صحيح مسلم كتاب الأفضية، باب القضاء باليمين والشاهد ج٣ ص ١٣٣٧ الحديث رقم ١٧١٢.

ذلك: هي سنة رسول الله ﷺ في خيبر^(١). وكان يرى في مسألة بعث أمينين إذا لم يوجد في أهل الزوجين حكام يصلحان لذلك.
ومن أقواله الفقهية إنه كان يقول للقضاة: (إن الحالات تتغير، فإذا عدل عندك الرجل فحكمت به، ثم تناول أمره وشهد عندك ثانية، فكلفه التعديل وأعد فيه الكشف)^(٢).

✽ وفاته:

كانت وفاته رحمه الله في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين. وقيل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين^(٣).

□ عبد الملك بن حبيب:

هو: أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة ابن الصحابي الجليل عباس بن مرداس السلمى.
فقيه الأندلس وأحد الأعلام فيها القرطبي المالكي.
✽ مولده ونشأته:

ولد في حياة الإمام مالك بعد السبعين ومائة.

✽ شيوخه:

تلقى العلم في الأندلس من العلماء الكبار، منهم الغازي ابن قيس، وزياد بن عبد الرحمن، وصعصعة بن سلام. ثم رحل إلى المشرق فسمع من

(١) ويشير إلى ما رواه البخاري من أن الرسول ﷺ: (عامل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع). صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة. باب: المزارعة بالشرط ونحوه ج٣ ص ٦٨.

(٢) قضاء قرطبة ص ٨٥.

(٣) ينظر في ترجمته: تاريخ علماء الأندلس رقم ١٥٥٦ ج٢ ص ١٧٦ وترتيب المدارك ج٣ ص ٣٧٩. وبغية الملتبس رقم ١٤٩٧ ص ٤٩٥ ووفيات الأعيان ج٦ ص ١٤٦. وجذوة المقتبس رقم ٩٠٩ ص ٣٨٢، وسير اعلام النبلاء ج١٠ ص ٥١٩، ونفع الطيب ج٢ ص ٩.

عبد الملك بن الماجشون^(١) ومطرق بن عبد الله^(٢) وأصبع بن الفرغ^(٣) وإبراهيم بن المنذر الجزامي^(٤) وغيرهم من أصحاب مالك والليث. ثم رجع إلى الأندلس وسكن إلبيرة ثم استقدمه الأمير عبد الرحمن ابن الحكم إلى قرطبة فتصدر للفتيا مع يحيى بن يحيى، ثم أنفرد بها بعد وفاة يحيى. وكان حافظاً للفقهاء.

✽ تلامذته:

سمع منه العلم مجموعة من العلماء منهم ابنه محمد وعبد الله وسعيد بن نمير، وأحمد بن راشد^(٥) وإبراهيم بن خالد^(٦) وإبراهيم بن شعيب^(٧) وبقي بن مخلد وابن وضاح وغيرهم.

* آثاره العلمية:

ألف عبد الملك كتاباً مثل كتاب الواضحة^(٨) في الفقه المالكي وهو يعتبر من أهم مراجع المالكية. وكتاب في فضل الصحابة، وكتاب في غريب الحديث وتفسير الموطأ وغير ذلك من الكتب وكان يعتبر صاحب القلم السيل في التأليف.

-
- (١) ابن الماجشون هو أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز ابن عبد الله بن أبي سلمه الماجشون التيمي المدني، من تلاميذ الإمام مالك، كان والده من علماء المدينة ومفتيها وكان عبد الملك من الفقهاء، دارت عليه الفتيا بعد أبيه، توفي سنة ٢١٣هـ وقيل سنة ٢١٤هـ.
 - ينظر: سير اعلام النبلاء ج١٠ ص ٣٥٩، وترتيب المدارك ج٣ ص ١٣٦.
 - (٢) ومطرف كذلك تقدمت ترجمته.
 - (٣) أصبع بن الفرغ: هو الفقيه المصري تلميذ ابن القاسم وابن وهب، كان من رؤساء المالكية توفي سنة ٢٥٥ بمصر. ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ١٧.
 - (٤) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة الجزامي المدني روى عن مالك وابن عيينه، كان من الحفاظ، توفي سنة ٢٣٦هـ.
 - ينظر: تهذيب التهذيب ج٢ ص ١٦٦.
 - (٥) سعيد بن نمير هو: أبو عثمان سعيد بن نمير بن سليمان الغافقي توفي سنة ٢٧٣هـ. تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٧٤ ج١ ص ١٩٢، أحمد بن راشد، لم أجد ترجمته.
 - (٦) إبراهيم بن خالد من أهل البيرة سمع من علماء الأندلس ورحل فسمع من علماء الشرق ثم عاد إلى الأندلس، وكتب عنه كثير من طلاب العلم في إلبيرة، توفي سنة ٢٦٨هـ. ينظر تاريخ علماء الأندلس رقم ٧ ج١ ص ١٧.
 - (٧) إبراهيم بن شعيب الباهلي، من أهل إلبيرة أيضاً، توفي سنة ٢٦٥هـ. المرجع السابق رقم ٦ ج١ ص ١٧.
 - (٨) كتاب الواضحة يعتبر من أهم مراجع الفقه المالكي ويتميز بسند الاستدلال، وهو لازال مخطوطاً، وتوجد منه مخطوطة بفاس في تونس.

* وفاته:

وتوفي رحمه الله سنة ٢٣٨هـ^(١).

□ بقي بن مخلد:

هو: أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي الحافظ.

* مولده ونشأته:

ولد رحمه الله سنة إحدى ومائتين هجرية في شهر رمضان ونشأ في قرطبة وتلقى تعليمه الأول بها، ثم رحل إلى المشرق. فسمع من جلة العلماء الأفاضل.

* شيوخه:

سمع بالأندلس من محمد بن عيسى الأعشى^(٢) ويحيى بن يحيى الليثي وفي المشرق روى عن الأئمة أعلام السنة منهم أبو عبد الله الإمام أحمد بن حنبل^(٣) رحمه الله وابن أبي شيبة^(٤) وأحمد بن إبراهيم

(١) ينظر في ترجمته تاريخ علماء الأندلس رقم ٨١٦ ج١ ص ٣١٢، وترتيب المدارك ج٤ ص ١٢٢، وسير أعلام النبلاء ج١٢، ص ١٠٢، ومطمح الأندلس ص ٣٦، وطبقات النحويين واللفويين ص ١٧٦.

(٢) محمد بن عيسى: هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيع المعافري المعروف بالأعشى، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق لطلب العلم في العام الذي توفي فيه الإمام مالك رحمه الله، وسمع من سفيان بن عيينه وغيره من المدنيين والعراقيين، وكان من أهل الحديث والأثر، توفي سنة ٢٢١هـ وقيل ٢٢٢هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٠٢ ج٥ ص ٧.

(٣) أحمد بن حنبل هو: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني صاحب المذهب المشهور. ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ رحمه الله وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين. ينظر: سير أعلام النبلاء ج١١ ص ١٧٧ وما بعدها.

(٤) ابن أبي شبة هو: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شبة صاحب المصنف المشهور، شيخ البخاري ومسلم المتوفي سنة ٢٣٥هـ. ينظر/ مقدمة المصنف تحقيق عامر الأعظمي: الدار السلفية بالهند.

الدورقي^(١) وغيرهم من الأعلام المشاهير الذين بلغ عددهم مائتين وأربعة وثمانين رجلاً^(٢). ثم رجع إلى الأندلس رحمه الله وهو يحمل معه علماً عظيماً، حفظاً وكتباً، وصارت الأندلس بفضل الله ثم بفضل علمه الغزير دار حديث وكانت من قبله تعتمد على الفقه المالكي، ولهذا لما رجع إلى الأندلس وهو يحمل مصنف ابن أبي شيبة، وبدأ يدرسه، قام عليه فقهاء قرطبة ومنعوه، ورفعوا أمره إلى الأمير، فطلب الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم احضاره، فسمع الأمير حجته. وحجة خصومه وما أنكروه عليه، واطلع الأمير على ما كان معه من كتب، فأعجب بعلم بقي، بما معه من كتب فقال لبقي بن مخلد: انشر علمك، وارو ما عندك، ونهاهم أن يتعرضوا له. فأصبح بقي بعد هذا يتصدر للتعليم، ونشر في الأندلس علم الحديث، ولهذا قيل عنه صارت الأندلس به وبمحمد بن وضاح^(٣) دار حديث.

* تلامذته:

روى عن بقي علماء لا يحصى عددهم منهم أسلم بن عبد العزيز،

-
- (١) احمد بن ابراهيم هو: أبو عبد الله أحمد ابراهيم بن كثير الدورقي الحافظ المجود المصنف، شيخ الامام مسلم وأبي داود، كان من الثقات الحفاظ المتقنين، توفي رحمه الله سنة ٢٤٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ج٢ ص ١٣٠.
- (٢) ينظر: طبقات المفسرين ص ٤١ لجلال الدين السيوطي.
- (٣) محمد بن وضاح تقدمت ترجمته في ص ٢١٠.

وأحمد بن خالد بن يزيد^(١) ومحمد بن قاسم بن محمد^(٢) وحسن بن سعد^(٣) وعلي بن عبد القادر^(٤) وعبد الله بن يونس المرادي^(٥) وهو آخر تلامذته الذين لازموه كثيراً، وهو الذي نشر كتبه.

* آثاره العلمية:

كان لبقلي بن مخلد رحمه الله آثار طيبة في الأندلس فهو الذي نشر علم الحديث بعد أن تجمد نشره بسبب الميل على فقه الإمام مالك، فأدخل بقي علم الآثار إلى الأندلس وأحيها من جديد في نفوس الناس. ومع هذا قد ترك آثاراً علمية من تأليفه رحمه الله فألف كتباً في التفسير والحديث وغير ذلك، قال ابن حزم رحمه الله^(٦) مثنياً على كتبه: (ومن مصنفات أبي عبد الرحمن بقلي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن، فهو

(١) تقدمت ترجمتهما.

(٢) محمد بن قاسم هو: أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن سيار مولى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين. كان من العلماء من أهل قرطبة سمع من أبيه قاسم وبقلي بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهم ورحل إلى الشرق، فسمع من علماء أفريقية والحجاز والعراق ثم رجع إلى الأندلس وأصبح من أهل الشورى في عهد الناصر. توفي سنة ٣٢٧هـ، تنظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١٢١٨ ج٢ ص ٤٨.

(٣) هو أبو علي حسن بن سعد بن إدريس بن رزين الكتامي البربري، كان من أهل العلم الراحلين لطلبه، كان من أهل الأجهاد، ولما رأى الفتيا تدور على مذهب مالك فقط ترك الشورى ولزم بيته. توفي سنة ٣٣٢هـ. ينظر: المرجع السابق رقم ٣٤١ ج١ ص ١٢٩.

(٤) هو أبو الحسن علي بن عبد القادر بن أبي شيببة الكلاعي من أهل إشبيلية سمع من ابن وضاح وغيره، وكان مشاوراً في الأحكام، توفي سنة ٣٢٥هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٩٢ ج١ ص ٣٥٦.

(٥) هو أبو محمد عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله بن عباد المرادي، يعرف بالمقبري، أصله من قبرة سمع من بقلي وغيره، وسمع منه ناس كثيرة، توفي سنة ٣٣٦هـ المرجع السابق رقم ٦٨٠ ج١ ص ٢٦٥.

(٦) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب القرطبي الأندلسي صاحب التصانيف المشهورة، كالمحلي، والفصل في المذاهب والأهواء والملل والنحل.

الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثنى فيه، إنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غير. ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته على أسماء الصحابة رضي الله عنهم، فروى فيه عن ثلاثمائة وألف صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه... وجودة شيوخه، فإنه روى عن مائتين وأربع وثمانين رجلاً ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير. وله مصنف آخر في فتاوى الصحابة والتابعين، قال عنه ابن حزم: (ومنها مصنفه في فتاوى الصحابة والتابعين، ومن دونهم الذي أربا فيه على مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرهما، وانتظم علماً عظيماً، وصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام لا نظير لها)^(١). وله مؤلفات غيرها كسيرة عمر بن عبد العزيز.

* صفاته:

كان رحمه الله خيراً فاضلاً، صواماً، قواماً مداوماً على تلاوة القرآن، مجاب الدعوة، وله أخبار في ذلك. ومن ذلك إن امرأة جاءت إليه وقالت: إن ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مال لافتدائه، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار. فقال: نعم أنصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله، قال: وأطرق الشيخ وحرك شفتيه. قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة وابنها معها، وأخذت تدعو له، وتقول: قد رجع سالماً وله حديث يحدثك به. فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم فيخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا، وعلينا قيودنا، فبينما نحن نجيء من العمل مع صاحبه الذي كان يحفظنا، انفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة ودعا فيه الشيخ - فنهض الذي كان

(١) نفع الطيب ج٢ ص ٥١٩.

يحفظني وصاح علي وقال: كسرت القيد، فقلت: لا إلا إنه سقط من رجلي، قال فتحير وأخبر صاحبه، فأحضر الحداد فقيدونني، فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أسري، فدعوا هناك رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت: نعم فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة، وقالوا: أطلقك الله فلا يمكننا تقييدك، فزودوني وأصحابوني إلى ناحية المسلمين^(١). وهذا بفضل الله ثم فضل دعاء هذا العالم التقي، والله سبحانه وتعالى يتقبل من المتقين كما أخبر بذلك ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾^(٢).

* ثناء العلماء عليه :

لقد أثنى على أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد كثير من العماء قال ابن حزم: كان خيراً لا يقلد أحداً، يأخذ في منهجه كأبي عبد الله البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري.

وقال قاسم بن أصبغ: قال لنا ابن أبي خيثمة^(٣) وذكر بقي بن مخلد: ما كنا نسميه إلا مكنسة، وهل: احتاج بلد فيه بقي بن مخلد أن يأتي إلى هنا منه أحد، وثناء العلماء فيه كثير، وما ذلك إلا جلاله قدره في العلم رحمه الله.

* وفاته :

لقد أجمعت كل المصادر التي ترجمت له تقريباً بأن وفاته كانت سنة ستة وسبعين ومائتين^(٤) رحمه الله رحمة واسعة.

(١) سير أعلام النبلاء ج٣ ص ٢٩٠.

(٢) المائدة جزء من الآية رقم ٢٧.

(٣) ابن أبي خيثمة هو: زهير بن حرب بن شداد الحرشي، النسائي البغدادي شيخ الامام البخاري والامام مسلم، وأبي داود وابن ماجه وغيرهم، كان مولده سنة ١٦٠هـ وتوفي سنة ٢٣٤هـ. ينظر: تهذيب التهذيب ج٣ ص ٣٤٢.

(٤) ينظر: في ترجمة بقي بن مخلد: تاريخ علماء الأندلس رقم ٢٨٣ ج١ ص ١٠٧ وتاريخ دمشق ج٣ ص ٤٠٥. ونفع الطيب ج٢ ص ٥١٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٤٠، وطبقات المفسرين للداودي ج١ ص ١١٦، وبغية الملتبس رقم ٥٨٤ ص ٢٢٩، وجذوة المقتبس رقم ٣٣٦ ص ١٧٧ وشذرات الذهب ج٢ ص ١٦٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١٣ ص ٢٨٥.

المبحث الثاني جهود الفقهاء المستشارين في الدعوة إلى الله

إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم ورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم^(١) فالعلماء هم القائمون بأمور الدين، وهم مرشدوا الأمة وقادتها إلى الحق والصراط المستقيم، وزعماء الملة الحنيفة وساداتها، فإليهم الاستناد في الأحكام في كل أمور الحياة، من عبادات ومعاملات، وعليهم كان الاعتماد في سياسة الدنيا وسن نظام الدولة، فكانت تتألف منهم مجالس أهل الشورى. فهم المرجع في كل شؤون الأمة، ولهذا فسر بعض العلماء أولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) فسروا (أولي الأمر) بأنهم العلماء^(٣)، وما ذلك إلا لعلّ منزلتهم وحاجت الناس إليهم، فهم النور الذي يضيء الطريق للخلق، فلا تستقيم الحياة بدونهم، ولهذا المنزلة كان الأمراء والخلفاء يجعلون أهل شورا هم العلماء، فكان القراء هم أهل مشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيوخاً كانوا أم شباباً^(٤)، وفي الأندلس - كما تقدم - إن العلماء هم أهل الشورى، فهم الذين تصدر عنهم كل التوجيهات التي يحتاج إليها الناس في أمور دينهم ودنياهم وكان أمراء الأمويين في الأندلس لا يقدمون على

(١) اقتباس من حديث رواه أبو داود وغيره في كتاب العلم الباب الأول في خبر طويل منه (وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) ج٤ ص ٥٧، صححه الالباني في صحيح سنن ابن ماجه ج١ ص ٤٣.

(٢) النساء جزء من الآية رقم ٥٩.

(٣) ينظر: تفسير بن كثير ج١ ص ٥١٦.

(٤) جاء في صحيح البخاري في كتاب الأعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول ﷺ. عن ابن عباس رضي الله عنهما: (وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً) ج٨ ص ١٤٠ طبعة اسطنبول وجاء أيضاً في كتاب التفسير في آخر سورة الأعراف ج٥ ص ١٩٦.

شيء إلا بعد مشاورة العلماء، خاصة في الأمور التي تتعلق بالأحكام. وكان للعلماء جهود كبيرة في توجيه المجتمع الأندلسي توجيهاً سليماً في دينه ودينها، وفيما يلي بيان لبعض تلك الجهود في الدعوة، والإصلاح في أمور المجتمع.

المطلب الأول

جهود أهل الشورى في التعليم

إن الجهل من أسباب هلاك الأمم وتأخرها في دينها ودينهاها، وبالعلم ترتفع الأمم وتتقدم في كل شؤونها، فالعلم من ضروريات الإنسان في هذه الحياة، وخاصة علم الشريعة الذي يعرف به كيفية عبادة الله عز وجل. ولهذا كان المسلمون يحرصون على تعليم الناس في كل البلاد التي فتحوها، والتعليم في الأندلس سيأتي الحديث عنه في الباب الرابع، والمقصود هنا إن العلماء وخاصة أهل الشورى كانت لهم جهود كبيرة في تعليم الناس، فمن ذلك:

- ١ - إن الغازي بن قيس كان معلماً ومؤيداً لأولاد الأمراء بل كان يعتبر رئيس المؤدبين في قرطبة ورأس القراء في زمانه لأنه أول من أدخل قراءة نافع المدني الأندلس^(١).
- ٢ - وإن زياد بن عبد الرحمن كان من المعلمين الأوائل ومن رواة موطأ الامام مالك، ولعله هو من الأوائل الذين حملوا الموطأ إلى الأندلس^(٢) وكان رحمه الله مع مكانته لدى الأمراء مؤثراً للزهد مكرماً لطلاب العلم مهتماً بهم. قال يحيى ابن يحيى: (كنت أحضر مجلس زياد ابن عبد الرحمن، فقال لي: يا ابن أخي إن كنت تطلب العلم فخذ من شعرك وأصلح من ثوبك). ولما رأى اهتمام يحيى بن يحيى بالعلم ونبوغه فيه قال له: (إن العلماء الذين أخذنا عنهم العلم ما زالوا

(١) ينظر: طبقات النحويين ص ٢٥٥.

(٢) ينظر: ترتيب المدارك ج ٣ ص ١١٦.

موجودين فحري بك أن تأخذ منهم»، ونصحه بالسفر واستلف له مالا لذلك^(١) فسافر يحيى وأخذ العلم من الامام مالك وغيره.

٣ - وكان عبد الملك بن حبيب عندما (يخرج من الجامع يخرج خلفه نحو من ثلاثمائة بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب) هذا غير الدروس المرتبة التي كان يقوم بها والتي كانت مرتبة. قيل عنه: إنه (قد رتب الدول عليه كل يوم ثلاثين دولة، لا يقرأ فيها عليه شيء إلا تواليه وموطأ مالك)^(٢).

وهكذا كانوا يبذلون العلم يفرغون كل جهودهم لنشره حتى أضحت الأندلس مأوى طلاب العلم من كل جهة.

المطلب الثاني

جهودهم في الأمر بالمعروف ونصح الأمراء

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الدينية، قال الله عز وجل: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^(٣) فقد أمر الله عباده أن يقوموا بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام الدين، ولا يكون صلاح المجتمع إلا به، ولهذه المكانة العظيمة كان من مهام الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، قال ابي حامد الغزالي رحمه الله: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة الذي أبتعث له النبيين أجمعين)^(٤) وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهو من

(١) ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ٣٨٠.

(٢) المرجع السابق ج٤ ص ١٢٤.

(٣) آل عمران الآية ١٠٤.

(٤) إحياء علوم الدين ج٢ ص ٣٠٦.

الدين)^(١) ولقد جعله الله الفارق بين صفات المؤمنين، وصفات المنافقين، فقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله﴾^(٢)، قال القرطبي رحمه الله: (فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الاسلام والقتال عليه)^(٣) ولهذه المكانة العظيمة قام العلماء في كل مكان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع الخاصة والعامة في جميع البلاد، ومن العلماء الذين قاموا بهذه المهمة، أهل الشورى في الأندلس.

□ جهود الفقهاء في نصح الأمراء:

قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة ثلاثاً قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٤).

وأمثالاً لهذا الحديث الشريف وغيره، كان العلماء يقومون بالنصح لكل أحد، وخاصة الأمراء الذين بيدهم الأمر والنهي لأن بصلاحتهم صلاح المجتمع. فكانوا يحرصون على نصحتهم وتوجيههم، وبيان الحق لهم.

ومن ذلك إن زياد بن عبدالرحمن (دخل على الأمير هشام بن عبدالرحمن وهو قد غضب على شخص من خاصته، أوصل إليه كتاباً كرهه، فأمر بقطع يده. فقال له زياد: أصلح الله الأمير، فإن مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه / (إن من كظم غيظاً يقدر على انفاذه، ملأه الله أمناً وإيماناً يوم القيامة)^(٥)، فسكن غضب الأمير وقال له: أالله أن مالكاً حدثك بهذا؟ قال زياد:

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩ لشيخ الاسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

(٢) التوبة جزء من الآية ٧١.

(٣) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٤٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: الدين النصيحة ج ٢ ص ٣٦ مع شرح النووي.

(٥) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً. ج ٤ ص ١٣٨ وفيه راو مجهول.

الله إن مالكا حدثني به فأمر الأمير أن يمسك عن يد الخادم وعفا عنه^(١).
فما أعظم هذه الموعظة الحسنة التي أتت ثمارها، وما أحسن أسلوبها، فإن الواعظ أو الناصح إذا أستحسن أسلوب المخاطبة وأختار أقرب الطرق الموصلة إلى القلوب حتى يؤثر على الموعوظ، كانت النتيجة طيبة مرضية. فإن زياد رحمه الله لم يقل للأمير: لا تفعل، أو أن هذا الفعل لا جوز ونحو ذلك، ولكنه أكتفى بذكر الرواية التي أختارها لهذا الموقف، وجمع فيها بين قول محبوبين لدى المنصوح، وهو قول النبي ﷺ، وقول مالك الذي كان محبباً لدى الأمير هشام. حتى أثر فيه بهذا الأسلوب الحسن.

ومن نصحهم للأمرء إن الأمير محمد بن عبد الرحمن سأل الفقيه أبا وهب عبد الأعلى بن وهب عن مسائل من الورع، فقال له عبد الأعلى: (أدل الأمير على باب من الورع هو أعود عليه من هذا. فقال: وما هو؟ قال يطلب أهل الربض ويرد عليهم غصوباتهم وما أخذلهم أو قيمته)^(٢).

وهذا من أعظم النصح للإنسان، وهو التخلص من الظلم في هذه الدنيا قبل الآخرة، قبل أن يكون لا درهم ولا دينار، وإنما هي الحسنات والسيئات، ولهذا قال ﷺ: «إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة»^(٣).

وقوله ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصوم وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»^(٤) ولهذا الأحاديث وغيرها أخلص النصح الفقيه عبد الأعلى رحمه الله للأمير، وهو يستطيع أن يتخلص من

(١) ترتيب المدارك ج٣ ص ١١٨.

(٢) ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٤٧.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: إنما الكرم قلب المؤمن. ج٧ ص

(٤) صحيح مسلم - كتاب البر ج١٥ ص ١٣٦ مع شرح النووي.

المظالم في هذه الدنيا. ومواقف العلماء في النصح للأمراء كثيرة، ومنها إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله وقع على جارية له في نهار رمضان. فندم على فعله، وسأل العلماء، فقال له يحيى بن يحيى مبادراً للعلماء: يصوم الأمير حفظه الله شهرين متتابعين، فسكت العلماء الحاضرون، فلما خرجوا من مجلس الأمير، قالوا ليحيى: مالك لم تفتته بمذهبنا عن مالك أنه مخير بين العتق والصوم والأطعام؟ قال: لو فتحنا له هذا الباب لسهّل عليه أن يطأ كل يوم، ويعتق رقبة، فحملته على أصعب الأمور لئلا يعود^(١). وهذه الفتوى نظر فيها يحيى بن يحيى رحمه الله جانب تأديب الأمير وحمله على احترام العبادات وعدم التساهل فيها. ولم ينظر فيها رحمه الله إلى ثواب العتق، ولا مصلحة المملوك. هكذا كانوا رحمهم الله أهل نصح وتوجيه للأمراء وغيرهم.

المطلب الثالث

جهود الفقهاء المستشارين في النظر في مصالح الناس

كان العلماء من أهل الشورى ينظرون في مصالح الناس، ويحرصون على كل أمورهم الدينية والدنيوية، فكانوا يختارون القضاة الصالحين لإقامة العدل بين الناس. ومن ذلك إن الأمير المنذر بن محمد استشار الوزراء فيمن يوليه القضاء، أشاروا عليه بزياد بن محمد^(٢) فاستشار الأمير المنذر بقي بن مخلد العالم الجليل في زياد بن محمد. فقال: نعم

(١) ينظر: وفيات الأعيان ج٦ ص ١٤٥.

(٢) هو أبو عبد الرحمن زياد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن، فهو حفيد زياد ابن عبد الرحمن المعروف بشبطين تلميذ الإمام مالك، كان من تلامذة يحيى بن يحيى، توفي سنة ٢٧٣هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٦٠ ج١ ص ١٨٤.

الحدث، ولكن أشار بغيره، أشار بعامر بن معاوية^(١) ولم يرض بزياد بن محمد^(٢) والمشاورون في ولاية القضاء كثيرون، وكانوا يختارون أفضل ما يجدونه من العلماء. ومع ذلك كله فإن الناس إذا تظلموا من القاضي فإن أهل الشورى كانوا يحاكمون القاضي، وينظرون في أمره ومن ذلك إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أراد أن يولي القضاء يحيى بن يحيى، فأبأ، وقال: (المكان الذي أنا به لما تريدون خير لكم، إنه إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني فنظرت عليه، وإن كنت القاضي، فتظلم الناس مني من تجلسون للنظر علي؟ من هو أعلم مني، أو من هو دوني في العلم؟)^(٣).
فهذا النص يدل على أن أهل الشورى كان لهم الحكم على القضاة إذا تظلم منهم الناس.

ومن النظر في المصالح العامة إنهم كانوا يفتون بإزالة كل مافيه ضرر للعامة، وإنهم كانوا يكتبون إلى الأمير لإزالة كل مافيه ضرر بالمسلمين أو منعه، ومن ذلك إنهم كتبوا إلى الأمير في شئون المراكب قائلين: (إن قوماً من النواتية^(٤) أستعدوا مركباً لإجازة الناس على نهر قرطبة في مرسى بالمش، وغيرها من المراسي، وإنهم أقاموا لأنفسهم في جملة المراكب، حالة لا يؤمن أن تكون سبباً لهلاك الناس، ولا يجد الناس بدأ لإجازة النهر إلى ضياعهم، ومنازلهم، وذلك إنهم جعلوها دولا فتوقف المراكب، ويفرد مركب واحد للإجازة فيشحن حتى يكاد يكفى، إلا أن الله تعالى يدفع، وصاروا يركبون غرراً، وكشفنا الذي يجب عليك النظر به في هذا. وأنت بما جعل الله إليك حائط للعامة وناظر لهم في مصالحهم، وقد قال الامام مالك رحمه الله: للسلطان أن ينظر للناس فيما يصلحهم في

(١) هو أبو معاوية عامر بن معاوية بن عبد السلام اللخمي روى عن عبد الملك ابن حبيب وغيره تولى قضاء الجماعة للأمير منذر بن محمد، توفي سنة ٢٣٧هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٦٣٠ ج١ ص ٢٤٨ وقضاة قرطبة ص ١٨٢.

(٢) قضاة قرطبة ص ٣٥.

(٣) قضاة قرطبة ص ٣٠.

(٤) النواتية هم الملاحون الذين يديرون السفن.

دينهم ودنياهم.

وهذا من أوجب ما يجب فيه نظرك، فأمنع - رضي الله عنك - من ذلك منعاً شديداً، حتى تباح المراكب، ويقطع بذلك ما يخاف على المسلمين من ركوب الغرر^(١).

فهذا من النظر في مصالح الناس العامة وإزالة ما يخاف عليهم من الضرر. ومن النظر على المصالح العامة فتواهم بقتل الكلاب التي تكون في الحواضر خوفاً من ضررها على الناس، وذلك إن أحد المحتسبين كتب إليهم يستفتيهم في شأن الكلاب، فقالوا: (فهمنا - وفقك الله - ما كشفت عنه في أمر الكلاب المتخذة في الحضر، فإنها ربما آذت وعقرت، وأحدثت من جراح الصبيان ما يكون ضرراً وماشكي إليك من ذلك وكثرت به الشكوى ممن أبتلي بها، فالذي يجب في ذلك وفقك الله أن تأمر بقتلها إلا ما كان من كلب صيد أو زرع أو ماشية)^(٢). وأفتوا في كلب أتخذ في الحضر وعض صيباً، بالضمان على صاحب الكلب وبقتل الكلب. وذلك عندما سألهم أحد القضاة قال أبو صالح^(٣): (فهمت - أكرم الله القاضي - مسألة صاحب الكلب، فأما الكلب فيقتل لأنه متخذ في غير موضع إتخاذ الكلاب، وإن أصاب الصبي شيء ضمنه متخذ الكلب حيث لا يجوز له إتخاذه لتعديه في ذلك بما لم يجز له)^(٤) ومن نظرهم في المصالح العامة إن عبد الملك بن حبيب أمر الأمير عبد الرحمن بن الحكم أن يبني سوراً على مدينة أشبيلية عندما هاجمتها سفن المجوس^(٥) وذلك حفاظاً على المسلمين، فنفذ الأمير بناء السور^(٦) ونظر الفقهاء في مصالح المسلمين كان عاماً وشاملاً للعبادات والمعاملات وغير ذلك، ففي جانب العبادات إن

(١) وثائق في شئون الحسبة في الأندلس ص ٩٦.

(٢) وثائق في شئون الحسبة ص ١٠٠.

(٣) أبو صالح هو أيوب بن سليمان وقد تقدمت ترجمته.

(٤) وثائق في سنون الحسبة ص ١٠٣.

(٥) سيأتي الحديث عن المجوس وأصلهم.

(٦) ينظر: البيان المغرب ج ٢ ص ٨٧.

عبد الملك بن حبيب رحمه الله طلب من الأمير أن يبرز الناس في صلاة الاستسقاء إلى مصلى المصارة لأنه أرفق بهم بدلاً من مصلى الربض الذي كانوا يبرزون إليه من قبل وبيئاً ما كان يلحقهم من الضرر في البروز إلى المصلى القديم، ومالهم الآن في المصلى الجديد من الراحة والإيجابيات قائلًا: (إن البروز إلى مصلى المصارة المتصل بالبلد أرفق للناس، وأحوط على ازدحامهم في القنطرة، فقد صح عندي أن جماعة منهم هلكوا يوم الاستسقاء غرقاً في النهر حيث رسب بهم قارب أثقلوه. وقد نزلوا فيه ليازاً من ضيق القنطرة. فهذا كله مزعج ومخيف.

فمصلى المصارة أرفق بالناس كافة، فإن من حركته منهم إراقة أو انتقضت به طهارته تقارب عليه شط النهر، فدب الناس من قرب، ونال حاجته بسرعة، ومن طلب منهم التستر لنشأته أمكنه الاستجنان بداخل الجنات الملاقية للمصارة فتبرى فيها من غير بعد عن مصلاه. فصوب الأمير رأيه، وانصرف البروز للاستسقاء إلى مصلى المصارة الذي اختاره عبد الملك^(١). هكذا كان حرصهم على مصالح الناس الدينية والدنيوية. فكانوا أهل خير، ويحبون الخير لكل أحد.

المطلب الرابع

جهود الفقهاء في إخماد الفتن الداخلية

إن بلاد الأندلس كانت تظهر فيها بين الحين والآخر فتن مزقت المسلمين وأنهكت قواهم ورغبت فيهم الأعداء، وسفكت بين المسلمين دماء كثيرة بسبب هذه الفتن، وكان العلماء يبذلون كل الجهود لأخماد هذه الفتن، وتوحيد صفوف المسلمين، وإزالة كل أسباب الفرقة والخلاف. ومن هؤلاء: العلماء الذين كانوا يبذلون كل الجهود الدعوية لأخماد

(١) المقتبس لابن حبان ص ١٨٤ تحقيق محمود علي مكي.

الفتن سعيد بن عبدوس^(١) فإنه كان من تلامذة الامام مالك ومن الساكنين لمدينة طليطلة، وكانت هذه المدينة تثور من حين لآخر ضد حكام المسلمين في قرطبة، فبذل سعيد رحمه الله كل جهوده حتى تم له أن يعقد بين أهل مدينته وبين الحكم بن هشام سلماً خمدت بسببه الفتنة التي كانت قائمة^(٢).

ولمكانة العلماء لدى الناس، وتأثير دعوتهم في قلوبهم، كان الأمراء يختارون الفقهاء، للمفاوضات في أخمار الفتن أو كتابة العهود بين الأمير وبين الثائرين عليه، ومن ذلك إن الأمير محمد بن عبد الرحمن، لما قامت في عهده فتنة بين المضربة واليمينية في مدينة باجة. أرسل إلى الفقيه عبد الله بن محمد^(٣) ليصلح بين القبيلتين، فلما حضر الفقيه إلى بيت الوزارة، خرجت إليه وصية الأمير بالتوجه إلى باجة لأصلاح الفتنة بين القبيلتين فأعذر الفقيه بعدم معرفته من هو هناك من أعيان القبيلتين، ولكن أمر بأن يكتب إلى القاضي لمعرفة ذلك^(٤).

ومن جهودهم في إخمار الفتن. إن الأمير عبد الله بن محمد لما ثار عليه إبراهيم بن حجاج^(٥) في اشبيلية، أرسل إليه مع من أرسل الفقيه محمد بن غالب^(٦) فقام خير قيام بمهمته فأخمد الثورة بإقناع الثائر ووضع كل الشروط التي ترضي الطرفين^(٧) وهكذا كان الفقهاء يسعون في مصالح الأمة ويسهرون في وضع الحلول المناسبة لأخمار كل فتنة.

(١) سعيد بن عبدوس مولى الأمير عبد الرحمن الداخل، وقيل مولى هشام ابن عبد الرحمن من تلامذة الامام مالك، كان مفتي طليطلة من أهل الخير والصلاح، توفي سنة ١٨٠هـ. تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٧١ ج١ ص ١٩١ وترتيب المدارك ج٣ ص ١١٣.

(٢) ترتيب المدارك ج٣ ص ١١٣.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل من كبار علماء المالكية بالأندلس، توفي سنة ٢٥٦هـ، ينظر: تاريخ علماء الاندلس ج١ ص ٢٥١.

(٤) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٣٩.

(٥) إبراهيم بن حجاج كان أحد الثائرين على الأمير عبد الله في مدينة اشبيلية.

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن غالب. يعرف بابن الصفار، كان من أهل العلم والشورى مع محمد ابن لبابة وعبيد الله بن يحيى، توفي سنة ٢٩٥هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٤٨ ج٢ ص ٢٢.

(٧) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٤٦٨ ج٥ ص ١٥٨.

المطلب الخامس جهاد الفقهاء المستشارين

إن الأندلس كانت أرض جهاد ورباط ولهذا كان يذهب إليها كل من يتقرب إلى الله بهذه العبادة الجليلة، وكان العلماء في طليعة المجاهدين لأنهم قدوة الناس في كل شيء ومن ذلك الجهاد في سبيل الله فإن الفقيه يحيى بن يحيى رحمه الله كان كثيراً ما يخرج في الجهاد وكانت تقسم الغنائم برأيه ومشورته^(١) وإنه كان لا يتخلف عن الجهاد، يجاهد الأعداء وينصح ويوجه المسلمين، ومن نصحه للقواد إنه حضر غزوة أربونة وانتصار المسلمين فيها، قال القائد عبد الملك بن معيث^(٢) ليحيى بن يحيى: يا أبا محمد أردت أن أكرمكما أنت وصاحبك قلت له بماذا؟ قال بأن أسمعكما سماعاً حسناً^(٣) قال: قلت له أنت والله تريد هواننا، لا إكرامنا، قال: قال لي: يا أبا محمد لا تظن ذلك، فوالله ما كان رأي من قبلك: أن يبالغ في إكرامهم، حتى يفعل ذلك بهم، قال: قلت له: لا جزاهم الله خيراً عن أنفسهم، ولا عنك فقد خانوا الله ورسوله، قال يحيى فاحتشم وكف^(٤).

هكذا كان نصحهم لقواد المسلمين وتوجيههم على الخير. وكان يحيى لا يتخلف عن الجهاد إلا عندما كبرت سنه. ومن ذلك إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم خرج للجهاد وأستخلف على قرطبة ابنه محمد. وفي أثناء خروجه طلب من ابنه أن يستنفر إليه من بقى من الناس، فجمع محمد كل أهل قرطبة وأبلغهم طلب الأمير. فقال يحيى بن يحيى: «نعم أصلح الله الأمير الواجب علينا الخوف إلى الامام أصلحه الله وأيده، والبدار إلى اللحاق به، وأن لا يعتذر في ذلك منا إلا معتذر قد أنزل الله في كتابه عذره، لا سواه. فقبل للناس: قوموا وانظروا إلى جهازكم فإن

(١) ينظر: قضاة قرطبة ص ٩٢.

(٢) هو عبد الملك بن معيث الرومي فاتح قرطبة.

(٣) يعني أن يسمعه شيئاً من الشعر الغنائي.

(٤) قضاة قرطبة ص ٩٢.

موعدكم يوم كذا . فقام الناس، وتأخر يحيى بن يحيى قليلاً مع الأمير محمد، فلما ذهب الناس قال له: قد يرى الأمير ضعفي على النفر لشيخي ووهني، وإن مثلي لا يستطيع الغزو ولكني أبعث ابني عبد الله في مثل العدة التي كنت أغزو بها فإنه إن شاء الله أغنى وأجدي مني، فإن رأى الأمير سيدي أن يكتب إلى الامام بعذري ومكان طويتي فعل، فكرهت أن أعتذر بحضور الملا لثلاً أوجد لمن ليس له عذري سبيلاً إلى الاعتذار، فشكر له الأمير فعله، وكتب بعذره^(١) هكذا كانوا لا يتخلفون عن الجهاد إلا بعذر.

وكان العلماء أشد الناس حرصاً على الشهادة، والتعبد لله بالجهاد، وكان من هؤلاء الذين يحرصون على الجهاد، العتبي، ويحيى بن الحجاج^(٢) الذي استشهد في سنة ٢٦٣هـ وكان يحيى ابن القصير ملازماً له وصديقه في كل حياته، وكان معه يوم استشهد وبقي بعده، وكان يحرص أن يلحق به شهيداً في سبيل الله، حتى خرج الناس للجهاد سنة ٢٦٤هـ فلما التقا الجمعان أحكم يحيى أمره وسلم متاعه إلى رفقائه وودعهم، وتقدم أمام الصفوف طالباً للشهادة، فرزقها بعد أن أبلى في العدو بلاءً ظاهراً^(٣) هكذا كان العلماء رحمهم الله قدوة حسنة في كل شيء وفي الجهاد وطلب الشهادة خاصة.

(١) المقتبس لابن حيان ص ١٨٠ تحقيق محمود علي مكي.

(٢) يحيى بن حجاج من أهل طليطلة سمع من يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار ورحل فسمع من سحنون وغيره. استشهد سنة ٢٦٣هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١٥٦٠ ج٢ ص ١٧٩.

يحيى بن قصير من أهل طليطلة كان ملازماً ليحيى بن حجاج، المرجع السابق رقم ١٥٦٢ نفس الصفحة والجزء.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ج٤ ص ٢٧١.

الباب الثالث

عوائق الدعوة الإسلامية

في الأندلس

الفصل الأول : العوائق الخارجية:

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأعداء المحاربون من النصارى .

المبحث الثاني : الأعداء المحاربون من غير النصارى .

الفصل الثاني: العوائق الداخلية:

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : النزاعات السياسية .

المبحث الثاني : النزاعات العرقية .

المبحث الثالث : النصارى المستأمنين في الدولة .

□ تمهيد

واجهت الدعوة الإسلامية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة عوائق وتحديات كبيرة، واستمرت هذه العوائق والتحديات حتى نهاية الحكم الإسلامي في شبه جزيرة الأندلس في أواخر القرن التاسع الهجري. لاقا المسلمون خلال هذه الفترة الطويلة صنوفاً من المتاعب والويلات.

وكانت العوائق تختلف من وقت لآخر من حيث شدتها وضعفها، كما كانت تختلف من حيث مصدرها، ومنشأها، وعلى العموم فإنها كانت تنقسم إلى قسمين.

القسم الأول: عوائق خارجية مصدرها أعداء الإسلام من نصارى ومجوس، ومن الأهم ووقف في صفهم.

والقسم الثاني: عوائق داخلية مصدرها من داخل الأمة الإسلامية نفسها، من نزاعات سياسية للتنافس على السلطة، ونزاعات عرقية قبلية كانت تستهدف علو جنس على الآخرين.

وقد شغلت هذه النزاعات الداخلية الأمة الإسلامية بنفسها، فغفلت عن أعدائها، وضعفت قوتها بسبب الحروب التي كانت تسببها هذه النزاعات الداخلية، وبالمقابل تقوى أعداؤها، فاحتلوا أراضيها وجعلوا يتدخلون في شئونها، ويزرعون في صفوفها بذرة الشقاق والخلاف.

وفي هذا الباب بيان لبعض هذه العوائق التي وقفت في وجه الدعوة الإسلامية في الأندلس، سواء كانت عوائق خارجية أم داخلية.

الفصل الأول

العوائق الخارجية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأعداء المحاربون من النصارى:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القوط.

المطلب الثاني: الأفرنجة.

المبحث الثاني: الأعداء المحاربون من غير النصارى.

المبحث الأول الاعداء المحاربون من النصارى

إن الاسلام واجهته عوائق كبيرة وكثيرة منذ نشأته الأولى، وهذه سنة الله في الصراع بين الحق والباطل، فإن الباطل لا بقاء له مع الحق فلا بد أن يواجه الحق بكل قوة ليبقى، لأن في ظهور الحق زوال الباطل، والحق لا بد أن يزيل الباطل ليظهر، فأهل الحق لابد أن يبينوا زيف الباطل ويحاربوه بالقول والفعل حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

ولما دخل المسلمون الأندلس فاتحين داعين إلى الاسلام، واجهتهم عقبات وعوائق كثيرة، كانت تتمثل في كثرة الأمم الكافرة التي كانوا يواجهونها، وقوتها الحربية، وسعة البلاد التي يريدون نشر الاسلام فيها، فإن الأندلس هي بوابة أوروبا كلها، فإن أمام المسلمين قارة كاملة تحتاج إلى نشر الاسلام وبيانه لكل الشعوب التي تعيش فيها.

وكذلك أمام المسلمين مركز النصرانية التي حاربت الأمة الاسلامية منذ بداية الاسلام، في الشام ومصر، وشمال افريقية، مدة قرن تقريباً، ولهذا ما أن دخل المسلمون الأندلس إلا وكانت أمم الكفر كلها تستعد لمحاربة الاسلام، وفي المطالب التالية بيان الأمم التي حاربت الاسلام، ووقفات مع بعض المعارك التي خاضتها ضد الاسلام والمسلمين.

المطلب الأول القوِط

القوِط هم سكان الأندلس وحكامها وقت الفتح الاسلامي، وقد تقدم الكلام عن أصلهم وأحوالهم^(١) وهم كانوا أمة قوية وكثيرة ولها مهارة حربية، كما وصفهم موسى بن نصير رحمه الله: للخليفة سليمان بن عبد الملك عندما سأله عن أهل الأندلس حيث قال: (ملوك مترفون وفرسان لا يخيبون)^(٢) وكانت هذه الأمة تواجه المسلمين في الأندلس من أول يوم عبر فيها طارق بن زياد إلى الأندلس، فكان القوِط أكثر عدداً، وأقوى عدة، ومع ذلك كله يجاورون أماً كثيرة تجمعهم وحدة الدين فمن السهل جداً الاستنصار بهم ضد المسلمين.

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يحق الحق ويبطل الباطل، ويبين للأمة الاسلامة إن النصر من عنده ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾^(٣) سبحانه وتعالى فهزم الله القوِط شر هزيمة. في أول لقاء كبير بين المسلمين والقوِط مع كثرة القوِط، وقلة المسلمين^(٤) وقضى الله سبحانه وتعالى بهلاك القيادة القوطية في هذه المعركة الأولى^(٥) وبهلاك القيادة فقدت الأمة القوطية وحدتها وتفككت عراها، وأصبحت كل مدينة تدافع عن نفسها، ثم إن الله سبحانه وتعالى ألهم طارق بن زياد أن يتقدم إلى فتح عاصمة القوِط (طليطلة) رغم تحذير القائد الأعلى موسى بن نصير من ذلك^(٦)

(١) الباب الأول من هذا البحث.

(٢) البيان المغرب ج ٢ ص ٢١.

(٣) آل عمران جزء من الآية رقم ١٢٦.

(٤) لقد تقدمت الإشارة بأن عدد المسلمين كان اثني عشر ألفاً ولم يختلف في ذلك أحد أما عدد القوِط فقليل: مائة ألف، وقليل سبعين ألفاً، وقين أربعين ألفاً.

(٥) هي معركة وادي لكة، أو شذونة كما يسميها بذلك بعض المؤرخين.

(٦) لقد حذر موسى طارق بن زياد أن لا يتوغل في بلاد الكفر بالمسلمين، حتى يلحق به موسى، ولكن طارق رأى عدم تضييع الفرصة، والقضاء على القوم قبل أن يسترجعوا قواهم فزحف إلى طليطلة ففتحها/ ينظر: العرب والاسلام في حوض البحر الأبيض

فافتتاح طليطلة كان له أثر كبير في أنتشار الاسلام، وإضعاف قوة المقاومة القوطية.

وفي خلال سنة وأكثر بقليل أصبحت الامة القوطية ثلاثة أقسام، قسم رحب بالاسلام وشرح الله صدره للدخول فيه فأصبح من المسلمين، لأنه رأى في الاسلام عدلاً ورحمة. وقسم ثاني: رضى بحكم المسلمين مع الاحتفاظ بعقيدته النصرانية، ورضى بدفع الجزية للمسلمين، وأصبح المسلمون يراعون حقوقه ويعاملونه معاملة حسنة، وقسم ثالث: شرازم قليلة هربت إلى أقاصي البلاد واتخذت الجبال البعيدة الشاهقة مقراً لها هرباً من المسلمين، وقد وطدت هذه الشرازم نفسها لمحاربة المسلمين بكل ما أوتيت من قوة. واستطاعت فيما بعد أن تكوّن لنفسها ممالك نصرانية، أصبحت تنمو شيئاً فشيئاً، واستطاعت أن تحارب المسلمين فترة طويلة ثم تمكنت من إخراج المسلمين من الأندلس نهائياً، ومحاولة طمس كل مايتعلق بالاسلام وحضارته.

□ أسباب نشأة دولة النصارى من جديد في الأندلس:

لقد كون النصارى في شمال الأندلس أنفسهم وراء الجبال الشاهقة، على حين غفلة من المسلمين، واستطاعوا أن يكونوا دولة استطاعت أن تحارب الاسلام طول بقائه في الأندلس.

ولقد ساعد على تكوين هذه الدولة أسباب عدة - بعد قضاء الله عز وجل وقدره - وهي:

أولاً: سرعة خروج موسى بن نصير وطارق بن زياد من الأندلس.

فإن الشرازم التي فرت أمام المسلمين عندما فتحوا الأندلس، واختفت وراء الجبال وخاصة في منطقة جليقية^(١) ماكانت تغيب هذه

ص ٨٨.

(١) جليقية: هي منطقة تمتد من نهر نوييرة - الذي ينبع من الهضبة الوسطى بالأندلس - ويمصب في المحيط الأطلسي - جنوباً حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة، هذا حداها من الجنوب إلى الشمال، أما حداها من الغرب إلى الشرق، من المحيط الأطلسي إلى قشتاله، وهي بلاد البشكنس، ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٧١.

الشرازم عن بال موسى بن نصير وهو الخبير بمخاطر الجيوب الصغيرة التي تكمن على مقربة من المسلمين دون الخضوع لهم. ولهذا كان رحمه الله قد بدأ بهذه الجيوب في اتمامه لفتح افريقية^(١) وفي الأندلس قد أتم الفتح إلا منطقة جليقية التي يتمركز فيها فلول النصارى، وللقضاء على هذه الفلول. أراد موسى دخول هذه المنطقة فبينما هو يعمل في ذلك ويعد له العدة إذ أتاه مغيث الرومي رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك، يأمره بالخروج عن الأندلس، والإضراب عن التوغل فيها، فسأه ذلك إذ لم يكن في الأندلس بلد لم يدخله الإسلام إلى وقته ذلك غير جليقية، فكان شديد الحرص على افتتاحها. فلاطف موسى مغيثاً رسول الخليفة، وسأله انتظاره إلى أن يدخل جليقية ويسير معه مغيث فيكون شريكه في الأجر، ففعل حتى دخلا جليقية ففتح موسى حصن بارو^(٢) وحصن لك^(٣) فأقام موسى هناك يبث السرايا حتى بلغت سراياها أقصى جليقية، تنشر الإسلام وتزيل معالم الكفر، فبينما موسى في هذه الحال جاءه رسول آخر من الخليفة الوليد بن عبد الملك، ولعل هذا الرسول جاء بالعزم من الخليفة أن يرجع موسى، فانقطع موسى عن اتمام الفتح ورجع مع الرسولين إلى دمشق^(٤) فهذه السرعة التي دخل بها موسى أرض جليقية وسرعة خروجه منها لم تمكنه من القضاء على الكفر وتوطيد الإسلام على هذه الأماكن الوعرة. فرجع موسى قبل أن يتمكن من إخضاع النصارى أدى هذا إلى تنامي النصارى مرة أخرى ضد المسلمين.

ثانياً: الحصانة الطبيعية للمنطقة التي تكونت فيها دولة النصارى الجديدة:

فإنها مناطق تصعب المعيشة فيها، فكان سكانها قلة، ومع ذلك كانت غالبيتهم تخضع للإسلام منذ دخول موسى إليها، سواء كان هذا خوفاً أو

(١) ينظر: الامامة والسياسة ج٢ ص ٦٣. وذلك في وصف الخطة التي وضعها موسى بن

نصير لتمام فتح افريقية في خطبه في الناس عند ما تولى امارة افريقية.

(٢) حصن بارو. لم أجد له تعريف في كتب الجغرافية الموجودة.

(٣) لك مدينة تقع في أقصى شمال غرب الأندلس وتسمى Lugo جغرافية الأندلس وأوروبا

ص ٦١.

(٤) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٧٥ وما بعدها.

مداهنة للمسلمين حتى يغفلوا عنهم^(١) ولهذا وجه المسلمون كل جهودهم إلى الشرق وأهملوا هذه المنطقة.

ثالثاً: تحقير المسلمين لأمر هذه الشرازم القليلة في أول الأمر وعدم المبالاه بهم: رغم ما كان يظهر من الاعتداءات ضد المسلمين. فإن منطقة جليقية ماكانت تدخلها الجيوش الاسلامية بعد موسى بن نصير حتى ولاية عقبة بن الحجاج السلولي، وفي هذه الحقبة من الزمن تكونت بعض العصابات النصرانية وأصبحت تهدد أطراف المسلمين من جهة الغرب والشمال. فغزا عقبة بن الحجاج جليقية فافتتحها كلها إلا صخرة^(٢) بلاي^(٣) التي لجأ إليها في مجموعة من عصابته فما زال المسلمون يحاصرونهم حتى لم يبق معهم إلا ثلاثين رجلاً وما يقارب من عشرة نسوة، وكان عيشهم على العسل فقط الذي يجدونه في شقوق الصخرة، وأعيأ أمرهم المسلمين، لصعوبة موقعهم، فقالوا: ثلاثون علجاً ماعسى أن يفعلوا فتركوهم متقالمين عددهم ومحتقرين شأنهم^(٤) فما أن تراجع المسلمون عن بلاي إلا وجموع النصارى أصبحت تفد إليه من كل مكان وأختاروه ملكاً عليهم لشجاعته وبهذا ظهر أمره وأصبح خطراً على المسلمين.

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦.

(٢) صخرة بلاي تقع تقع في أقصى الشمال على المحيط الأطلسي، وكان فيها غار يأوي إليه بلاي/ ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٧٦ حاشية رقم ٣. ويقول عنها عبد الله عنان: (وقد أتبع لنا أن نزور هذه المنطقة الوعرة ونشهد الصخرة المنيعة التي تقول الرواية: إن بلايو وأصحابه امتنوا في مغارها.. والحق إننا شهدنا من الوادي الذي تشرف عليه الصخرة، والذي يقال: إن المسلمين رابطوا فيه لمحاصرة النصارى، أروع منظر يمكن تصويره من الصخور الوعرة والآكام الرفيعة المدببة، وأدركنا كيف عجز المسلمون عن اقتحام مثل هذا المعقل المنيع) دولة الاسلام ج١ ص ٢١١.

(٣) بلاي أو بلايو من الزعماء الذين فروا من المسلمين أيام الفتح، وقد استطاع أن يكون دولة تحارب المسلمين قروناً عدة توارثها من بعده عقبة، وقد اختلف في أصله، فقليل: من أصل أبناء ملوك القوط، وقيل: من أهل جليقية.

ينظر: فجر الأندلس ص ٣٦٨ وما بعدها. ودولة الاسلام ج١ ص ٢٠٨ وما بعدها.

(٤) ينظر: أخبار مجموعة ص ٢٨ ودولة الاسلام ج١ ص ٢١٠.

رابعاً: انشغال المسلمين عن جليقية - في أول الأمر - بنشر الاسلام في جنوب اوروبا، ومحاربة الدولة الافرنجية، وبعد منطقة جليقية عن طريق الحملات الاسلامية التي كانت تتجه إلى اوروبا، أو بالأحرى إلى جنوب فرنسا، فإن الدولة الافرنجية كانت تعتبر في ذلك الوقت أقوى قوة تواجه المسلمين، فكان كل اهتمام الولاة منصرفاً إليها. مما أدى إلى تنامي نصارى الشمال، والشمال الغربي، دون أن يشعر بهم المسلمون.

خامساً: ظهور الفتن والحروب داخل صفوف المسلمين، مما جعل الأمة الاسلامية تنشغل بنفسها، وتغفل أو تتغافل عن أعدائها. كل هذه الأمور ساعدت على قيام الدولة النصرانية من جديد، وجعلتها تنمو وتتقوى في أسرع وقت.

□ مقاومة دولة القوط للدولة الإسلامية:

لما تراجع المسلمون عن بلاي متقالين شأنه، قوى هذا التراجع من نفس بلاي وإلتحق به كثير من النصارى، فعظم جيشه، وكثر جموعه، فعينه النصارى ملكاً عليهم - فنزل من الجبال، وأسس مملكة نصرانية في منطقة جليقية.

ولما ظهرت داخل الأمة الاسلامية الفتن والصراعات وشغلت الأمة الاسلامية بنفسها، جعل بلاي يدفع حدوده داخل أراضي المسلمين وفي هذا يقول صاحب أخبار مجموعة: (وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة ثار أهل جليقية على المسلمين وغلظ أمر عليج يقال له بلاي.. فخرج من الصخرة وغلب على كورة واستورس^(١) إلا أن الحرب بينه وبين المسلمين القريبين منه كانت سجالاً حيث يقول: ثم غزاه المسلمون من جليقية، وغزاه أهل

(١) استورس أو اشتورش Asturias هي المنطقة الواقعة في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة. وسميت بأسم وادي يشقها. ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٧٢.

استورقة^(١) زماناً طويلاً، حتى كانت فتنة أبي الخطار^(٢) وثوابه .. هزمهم وأخرجهم عن جليقية كلها، وتنصر كل مذنب في دينه، وضعف عن الخراج، وقتل من قتل، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى استورقة، حتى استحکم الجوع، فأخرجوا أيضاً المسلمين عن استورقة وغيرها في سنة ست وثلاثين^(٣) فهذا يدل على المقاومة الشديدة التي بذلها بلاي لمحاربة المسلمين حتى خلت منهم منطقة جليقية، وساعده في ذلك فتن المسلمين الداخلية والحروب الأهلية وما خلفته من مجاعات وخراب وفرقة كلمة المسلمين، حتى أن كثيراً منهم ترك الثغور الأمامية وعاد إلى افريقية^(٤) مما أتاح للعدو الفرصة، وفتح أمامه حدود المسلمين مكشوفة، وجعل يغير عليها غارة تلو الغارة. ففي سنة ١٣٧هـ أستولى هذا العدو على مدينة (لك) وهي أقصى معاقل المسلمين في جليقية. وفي خلال زمن يسير استطاعت هذه الدولة النصرانية الناشئة أن تدفع حدودها داخل الأراضي الإسلامية، واستطاعت أن تمتد من ولاية بسكونية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. ومن خليج بسكاي، أو بسكونية شمالاً وحتى نهر دويرة جنوباً^(٥) وبهذا استطاعت أن تملك ثلث مساحة الجزيرة تقريباً، وجعلت همها الأكبر محاربة المسلمين بكل ما أوتيت من قوة، وكانت الفتن الداخلية بين المسلمين أكبر معين لهم في ذلك. ومن أمثلة ذلك إن يوسف ابن عبد الرحمن الفهري عندما انشغل بثورة قامت في الشمال، هاجم النصارى مدينة لك، وعندما أراد يوسف انقاذ المدينة المحصورة (لك) جاءه نبأ قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، فرجع إلى الجنوب لمحاربة عبد الرحمن وترك النصارى يعيشون فساداً في المسلمين، وسقطت

(١) استورقة: مدينة تقع في وسط جليقية من جهة الغرب، بالقرب من منبع نهر منهو Mino وهي بين منبع هذا النهر وبين مدينة ليون. ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٦١ و ٦٤.

(٢) أبو الخطار هو حسام بن ضرار بن سلامان الكلبي، فارس شاعر شجاع تولى إمارة الأندلس بعد عبد الملك بن قطن قتل في الفتن سنة ١٣٠هـ. ينظر: بغية الملتمس ص ٢٦١ والبيان المغرب ج ٢ ص ٣٧.

(٣) أخبار مجموعة ص ٦١.

(٤) المرجع السابق ص ٦٢ وفجر الأندلس ص ٢٠٥.

(٥) نولة الإسلام ج ١ ص ٣٥٤.

مدينة لك على يدهم^(١). وهذه المملكة النصرانية كانت ضعيفة في كل أمورها إذا قورنت بالمسلمين في الأندلس، إلا أن الفتن والحروب التي وقعت بين المسلمين مكنت النصارى من احتلال الأراضي الإسلامية والعيث في أراضي المسلمين المجاورة. وعندما قامت الدولة الأموية في الأندلس، واجهتها عدة ثورات، ومنها ثورة العلاء التي نادت بالولاء للدولة العباسية^(٢)، وانشغل عبد الرحمن الداخل بمحاربتها في جنوب الأندلس، انتهز النصارى الفرصة فعبروا نهر دويرة في جيش ضخم أستولى على مدن عدة منها شقوبية^(٣) وأبله^(٤) وضم النصارى إلى أملاكهم مناطق عدة^(٥). هذا في بداية نشأت هذه المملكة النصرانية. والظروف التي ساعدتها لمحاربة المسلمين. وسيأتي مزيد من حروبها ضد الإسلام في فصل الجهاد، إن شاء الله تعالى.

□ مملكة نافار ومقاومتها للمسلمين:

مملكة نافار أو مملكة قبائل البشكنس Vasconia تقع بلاد البشكنس في الأقصى الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الأندلسية^(٦) وكان سكانها مستقلين وفي حروب مستمرة مع دولة القوط في الأندلس والفرنجة في جنوب أوروبا، لأن كلا الدولتين كانتا تحاولان أخضاع قبائل البشكنس تحت حكمها^(٧) وكانت عاصمة البشكنس بنبلونة فتحها المسلمون في أول

(١) ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ٢١٤.

(٢) سيأتي الحديث عن ثورة العلاء.

(٣) شقوبية Segovia تقع جنوب نهر دويرة، وشمال مدينة شلمنفة وغرب مدينة سالم. ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٦٤ (الخريطة).

(٤) أبله: Avila مدينة تقع غرب مدريد الحالية. ينظر: المرجع السابق نفس الصفحة.

(٥) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٢١٥.

(٦) ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٦٤ (الخريطة).

(٧) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٥٥ ودولة الإسلام ج١ ص ١٧٣.

الفتوحات الاسلامية، وظلت تحت الحكم الاسلامي فترة من الزمن^(١)، ولما قامت الفتن في الأندلس في أواخر عهد الولاة، استردت قبائل البشكنس سلطانها على (بنبلونة) وكانت هذه القبائل لا تخضع لأي سلطان^(٢) وفي أوائل القرن الثالث الهجري كونت قبائل البشكنس مملكة نصرانية عرفت بمملكة نافار، وكانت هذه المملكة منذ نشأتها تنتقل بين حرب وسلم ومساخرات مع حكام المسلمين في الثغر الأعلى^(٣).

وكعادة النصارى كانت مملكة نافار إذا رأت قوة وطلاء من المسلمين طلبت ودهم وعقدت معهم العهود والمواثيق، وإذا رأت في المسلمين ضعفاً وتغافلاً، نقضت عهدها وأغارت على بلاد المسلمين^(٤). وهذه هي حال النصارى في كل زمان ومكان فهم أهل غدر وخيانة، ولقد حالفت هذه المملكة الصغيرة عدة تحالفات مع أعداء الإسلام الآخرين لمحاربة الإسلام في الأندلس، ولعل ذلك عندما رأت العجز من نفسها، فانضمت الى غيرها لحرب الإسلام، سواء من الداخل أو الخارج. ومن هذه التحالفات على سبيل المثال: في عام ١٧٩هـ. تحالف الجليقيون والبشكنس لمحاربة المسلمين فغزاهم المسلمون، فهزم الله أعداء الإسلام شر هزيمة^(٥).

وعندما قامت ثورة ابن حفصون^(٦) وقويت شوكته ضد المسلمين تحالف معه ملك البشكنس (نافار) ضد المسلمين^(٧) لأن ابن حفصون كان من المنافقين، ففي أول أمره كان يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ثم أظهر

(١) دولة الإسلام جا ص ٣٦١.

(٢) دولة الإسلام جا ص ١٧٣.

(٣) ينظر في مصاهرات عمال الثغر مع ملوك نافار Navar جمهرة أنساب العرب ص ٥٠٢ تحقيق عبد السلام محمد هارون.

(٤) ينظر: دولة الإسلام جا ص ٣٦٢ و ج٢ ص ٥٩٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٢٢٨ من الجزء الأول.

(٦) ستأتي ثورة ابن حفصون.

(٧) ينظر: المرجع السابق جا ص ٣٦٢.

كفره، وكان النصارى - من الداخل والخارج - يرونه منقذ النصرانية من المسلمين فكانت النصرانية كلها وراءه، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه. وكانت هذه الممالك الصغيرة في ظهورها والتي جعلت تتنامي مع مرور الزمن، كانت أكبر عائق يواجه الإسلام في الأندلس، طول بقاء الإسلام فيها، واستنزفت كل قوى المسلمين، وشغلتهم عن الدعوة، والتعليم في كثير من أطراف البلاد، لأن هؤلاء النصارى في غارات دائمة على أطراف البلاد الإسلامية.

المطلب الثاني الأفرنجية

من العوائق التي واجهت الإسلام في الأندلس دولة الأفرنجية^(١) فهي كانت العدو الثاني المباشر للمسلمين حيث كانت تجاورهم من الشرق، وكانت أعظم الدول التي تواجه الإسلام في تلك الأنحاء عدة وأعتاداً وأتساع البلاد، والاتصال بأعداء آخرين، قال عنهم موسى بن نصير رحمه الله: «هناك العدد والعدة والجلد والشدة والبأس والنجدة»^(٢) وقال عنهم

(١) كان المسلمون الأوائل يطلقون اسم الأفرنجية وبلاد الأفرنجية، على فرنسا الحالية، وكانوا يسمونها أيضاً بالأرض الكبيرة، لآتساع مناطقها وكثرة سكانها، ولهذا جاء في وصفها وبيان حدودها، فيحدها بحر الشام (البحر الأبيض) وبلاد الصقلية من الشرق، ومن الغرب: بلاد البشكنس وخليج بسكاي (المعبر عنه بالبحر المحيط) ومن الشمال: الصقلية وبلاد الانفلس، ومن الجنوب بلاد الأندلس. (ينظر: جغرافية الأندلس وأوروبا ص ١٤٣) والأفرنجية كانوا أناساً متسلطين على كل من جاورهم من الشعوب، فكانوا مع حرب دائمة في جميع الجهات، يضطهدون الشعوب ويستزلونها. ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٧٣، وجغرافية الاقليمية ص ١٤٥ وما بعدها. للدكتور/ جودة حسنين جودة.

(٢) البيان المغرب ج٢ ص ٢١.

أحد المؤرخين^(١) في حديثه عن أهل الأندلس: ويحاربون من الألفق الشرقي أمة يقال لهم الأفرنجية، هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم إذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كبيرة، هم أكثر عدداً من الجليقيين وأشد بأساً وأحد شوكة وأعظم امداداً^(٢) إن هذه الأمة الكافرة كانت تجاور الأندلس وخاص معها المسلمون حروباً طويلة منذ الفتح الاسلامي للأندلس، فإن موسى بن نصير رحمه الله عندما فتح الأندلس عبر جبال البرتات، وافتتح هناك مدناً^(٣) وكان في نيته أفتتاح كل قارة أوروبا، حتى يصل إلى دار الخلافة في الشام عن طريق البر، ولكن شاء الله أن لا يتم هذا المشروع الكبير لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، فاستدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير^(٤) فرجع موسى إلى الشام بعد أن أتم فتح الأندلس، وأداخ جزءاً من بلاد الأفرنجية وراء جبال البرتات. وهو يقول: (أما والله لو إنقادوا إلي لقدتهم إلى رومية ثم يفتحها الله على يدي إن شاء الله)^(٥).

□ دخول الاسلام لبلاد الإفرنجية:

رجع موسى بن نصير إلى الشام تاركاً ولاية الأندلس لابنه عبد العزيز وتوالى الولاية على الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى، وكان في نيتهم تتميم مشروع موسى بن نصير في فتح أوروبا كلها، فحاضوا مع الأفرنجية معارك عدة، وفتحوا أقاليم واسعة، وقد سطر الولاية في جنوب

(١) هو: إبراهيم بن القاسم القروي نسبة إلى القيروان، مؤرخ وأديب. ينظر: الأعلام للزركلي ج١ ص ٥١.

(٢) نفع الطيب ج١ ص ١٤٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٢٧٣ وبولة الاسلام ج١ ص ٥٣ وصفة جزيرة الأندلس ص ٢٧.

(٤) تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١١٧.

(٥) الامامة والسياسة لابن قتيبة ج٢ ص ٨١.

أوروبا أعظم البطولات، وقد أستشهد منهم عدد كبير في سبيل الله أمثال
السمح بن مالك الخولاني - وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي،
وأوصلوا الإسلام إلى قلب فرنسا الحالية.

وإن أول والي بعد موسى بن نصير قام بالغزو إلى بلاد الأقرنجه هو:
الحر بن عبد الرحمن الثقفي، الذي تولى إمارة الأندلس بعد أيوب بن
حبيب اللخمي. فإنه رحمه الله جهز جيشاً فعبر جبال البرتية^(١) فاخترق
الجبال وولاية سبتمانية^(٢) فافتتحها، وتابع زحفه حتى نهر الجارون، ثم
رجع إلى الأندلس. ثم تولى إمارة الأندلس بعد الحر بن عبد الرحمن
السمح ابن مالك الخولاني، وذلك بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز
رحمهما الله، فواصل السمع جهاد الأقرنجه، وكان رحمه الله - فوق
كفايته الإدارية - جندياً جريئاً وقائداً عظيماً، فلما إنتهى من مهمة التنظيم
والاصلاحات الداخلية كون جيشاً ضخماً وأخترق جبال البرتية وقواعد
سبتمانية، ووطد في تلك البلاد قواعد للإسلام، وتوغل السمع في بلاد

(١) جبال البرتية أو البرتات، ومعناها الأبواب أو الباب، وأصل الكلمة Puerta بمعنى
الباب، وسميت بهذا الاسم لأنها تحتوي على خمسة أبواب أو ممرات طويلة كانت
تستعمل للعبور، وهي الجبال الحاجزة بين الأندلس وبلاد الأقرنجه) ينظر نولة
الإسلام ج١ ص ١٧٧ الحاشية رقم ٢.

(٢) ولاية سبتمانيا، كانت تقع جنوب فرنسا الحالية، وكانت تشمل سبع مدن هي: أربونة
وكانت عاصمة هذه الولاية. ونيمة Nimes وأجد Sgde وبيزييه Beziers ولوديف
Lodeve وقرقشونه Carcassonne ومجلون Maguelan. ينظر: تاريخ المسلمين
وأثارهم ص ١٣٧.

وكانت هذه المدن المذكور عبارة عن أقسام إدارية على حسب نظام الاقطاعات
القديمة، ينظر فجر الأندلس ص ٢٤٩، وكانت هذه الولاية تعتبر من الولايات التابعة
القوط حكام الأندلس، وهي فتحت في أوائل ما فتح من منطقة غارلة.

ينظر: المرجع السابق ص ٦، ونفح الطيب ج١ ص ٢٧٣ ونولة الإسلام في الأندلس ج١
ص ٥٣.

الأفرنجية، وخاض معارك عنيفة وفض جموع الفكر، ولكنه استشهد في يوم تسعة ذي الحجة من عام ١٠٢هـ وتولى بعده قيادة الجيش عبد الرحمن الغافقي - فارتد راجعاً بالجيش على الأندلس، ثم جاءت ولاية عبسة بن سحيم الكلبي على الأندلس^(١) فشهدت بلاد الأفرنجية أعظم الفتوحات الإسلامية في عهده حتى وصل الإسلام على بعد ثلاثين كيلومتر جنوب مدينة «باريس» الحالية، وصالحه كثير من حكام النصارى في تلك البلاد، وحقق للإسلام نجاحاً عظيماً، حتى توفي سنة ١٠٧هـ إثر جراحات أصابته في إحدى المعارك^(٢). وواصل الولاة جهادهم ضد الأفرنجية حتى جاء عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، مرة ثانية والياً على الأندلس، فقام بالإصلاحات الداخلية خير قيام، وكون جيشاً عظيماً، لغزو بلاد الأفرنجية، واتجه نحو الشمال ثم عبر جبال البرتية من طريق بنبلونة، ودخل بلاد الأفرنجية، وخاض عدة معارك حتى افتتح النصف الجنوبي من فرنسا الحالية، من الشرق إلى الغرب في بضعة أشهر^(٣).

□ مقاومة الأفرنجية للإسلام:

ولما رأى الأفرنجية توغل المسلمين في أراضيهم - وهم حماة النصرانية في غرب أوروبا على نحو ماكانت الدولة الرومانية في الشرق - تأهبوا لخوض معركة فاصلة بين النصرانية والإسلام، وتنافسوا كل خلافاتهم الداخلية لمحاربة العدو الذي حل ببلادهم وهو الإسلام، وتم اللقاء بين النصرانية والإسلام في سهول أوروبا الغربية، وكانت الواقعة في السهل الواقع بين مدينتي - بواتيه - وتور. بالقرب من نهر اللوار، وكان قوام الجيش الإسلامي مابين السبعين ألفاً والثمانين ألفاً، وأما النصارى فكان لا يحصى عددهم، وإلتقا الجمعان، وثبت الفريقان، وشدد المسلمون هجماتهم تجاه العدو واستمر القتال الشديد مدة يومين، وفي اليوم الثاني قتل بطل المسلمين وقائدهم الباسل عبد

(١) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٧٥.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٧ ونولة الإسلام ج١ ص ٨٢،

(٣) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٩١.

الرحمن بن عبد الله الغافقي، وأختلت صفوف المسلمين، إلا أنهم أستطاعوا حماية عسكرهم، وفصل ظلام الليل بين الفريقين، وتراجع المسلمون إلى الورااء في جنح الظلام، ولما أصبح النصارى لم يروا شيئاً من جيش المسلمين فاقتمسوا ما وجدوه في معسكر المسلمين، ولم يتتبعوا أثرهم، خوفاً من أستدراج المسلمين لهم^(١) وهذه الواقعة كانت قوية الأثر على المسلمين، إذ كانت شديدة الوطننة على نفوسهم، سواء كان في الأندلس، أم في الخلافة الإسلامية عموماً، إلا أنها لم تكن خاتمة الفتوحات الإسلامية، ولا نهاية حروبهم مع الأفرنجة بل استمرت الفتوحات مدة طويلة بعد ذلك.

إلا أن هذه المعركة أعطت للنصارى روحاً جديدة فارتفعت بها معنوياتهم. وشجعتهم على حرب المسلمين، فأصبحت الدولة الأفرنجية توجه الضربات ضد المسلمين، وظهرت حركات التمرد في النصارى المستأمنين، فمنهم من منع الجزية، ومنهم من أظهر الحرب ضد المسلمين^(٢) وظهرت حركة استرداد البلاد من أيدي المسلمين فلما تولى عقبة بن الحجاج السلولي على الأندلس بعد عبد الملك بن قطن الفهري فلم يكن موجوداً على أيدي المسلمين من بلاد الأفرنجة التي افتتحوها سوى المقاطعات التي بجوار جبال البرنيه^(٣) إلا أن عقبة بن الحجاج رحمه الله كان رجلاً صالحاً صاحب جهاد ونكاية للعدو، تولى إمارة الأندلس خمس سنوات، قضى هذه المدة في جهاد العدو، حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة، وصار رباطهم على نهر الرون، قد اتخذ عقبة مدينة أربونة منزلاً للجهاد، وقاعدة للأعمال الحربية وحصن المسلمون في عهده أكثر المدن القريبة من بلاد العدو، وشن عقبة الغارات واستعاد عدة مدن وأخذ من مدينة ليون مقراً وشن منها الغارات، إلا أن النصارى أصبحوا يتأهبون

(١) ينظر: غزوات العرب في فرنسا من ١٣٢ الأمير شقيب أرسلان، وفجر الأندلس ص ٢٧٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٣٤.

(٣) تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ص ٨٦ علي حموده.

من جديد لمحاربة المسلمين بقيادة قائدهم السابق الذي قادهم في معركة بلاط الشهداء - شارل مارتل - وذلك بعد ولاية عقبة وتجمعت عنده النصارى من كل الجهات لقتال المسلمين، فحاصروا المسلمين في مدينة آفينيون، واستولوا عليها عنوة، واستأصلوا المسلمين، وتقدم بعد ذلك النصارى بقيادة شارل مارتل إلى أربونة، وحاصروها، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها، فتراجعوا عنها، ولكنهم خربوا كل القلاع الواقعة جنوب فرنسا الحالية^(١). ومن هذا نفهم أن المسلمين فقدوا كل البلاد التي افتتحوها في جنوب غرب أوروبا - فرنسا الحالية - ولم يبق على يدهم إلا القليل منها كأربونة، وكان السبب المباشر في خسارة المسلمين لهذه البلاد هو أنشغالهم بأنفسهم بسبب الفتن الداخلية، كما سيأتي بيانه فيما بعد، وكلما أشتدت الفتنة في الداخل كلما أشتدت معها وطنة النصارى على المسلمين. والمهم أن نصارى الأفرنجة قاموا بحملة استرداد واسعة بعد معركة بلاط الشهداء مما أدى إلى فقدان كثير من البلاد المفتوحة خلف جبال البرنية، ولم يبق منها على أيدي المسلمين إلا القليل وذلك في عهد الولاة في الأندلس. وفي سنة ١١٣٣هـ هاجم النصارى أربونة مرة أخرى بأعداد كبيرة ولكنهم فشلوا مرة أخرى في الاستيلاء عليها. ولكن أنشغال المسلمين في الأندلس بأمرهم، وعدم اهتمامهم بالثغور، أدى إلى تشجيع النصارى لمحاربة المسلمين، وكذلك أدى إلى ضعف حاميات المسلمين التي كانت تدافع عن تلك الثغور، ففي سنة ١١٤١هـ حاصر النصارى أربونة مرة ثالثة، ودافع أهلها دفاعاً مريباً، ولكن هذه المرة لم يتمكنوا من رد العدو، لأن العدو أستعمل أيدي خفية من الداخل، تمكنت من فتح أبواب الحصون، وهم النصارى المستأمنون، بهذا تمكن العدو من الاستيلاء على آخر معاقل المسلمين داخل أوروبا، وتمكنت فلول

(١) ينظر: فجر الأندلس ص ٢٨١، وتاريخ غزوات العرب ص ١٣٧، وتاريخ الأندلس على

النصارى من المسلمين في تلك الأماكن^(١). وبهذا فقد المسلمون آخر معاقلهم في جنوب فرنسا الحالية.

وبعد سقوط هذا المعقل الاسلامي، أرتفعت رايات النصرانية في منطقة جبال البرتية، وتشجع الإفرنجية لمحاربة المسلمين، وسلكوا كل الطرق لأضعاف المسلمين، وانشغل بهم المسلمون كثيراً واستنزفت قواهم في محاربتهم زمناً طويلاً، وشغل الإفرنجية جل وقت المسلمين، مما أدى إلى نماء النصارى في جليقية ونشأة دولتهم^(٢) وأصبح الإفرنجية أعواناً لكل فتنة تقوم ضد المسلمين، أو من المسلمين أنفسهم، فجعلوا يشجعون الخارجين عن الحكام المسلمين فعبروا جبال البرتية لمناصرة ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل سنة ١٨١هـ في ولاية الحكم بن هشام، ولكنهم باءوا بالفشل^(٣). وفي سنة ١٨٥هـ أرسل شرلمان ملك الأفرنجية آنذاك جيشاً إلى الأندلس لمحاربة ثغورها، فاستولى على برشلونة بعد حصار طويل دام سبعة أشهر وأسس فيها النصارى الأفرنجية إمارة تكون سداً أمام المسلمين، وخسر المسلمون أمنع ثغورهم في قاصية أسبانيا، وارتدت حدود الأندلس إلى الثغر الأعلى^(٤) بعد أن كان يتجاوز جبال البرتية^(٥).

وبعدها أصبحت الحرب سجالاتاً بين المسلمين والأفرنجية في هذه البلاد، ولكن المسلمين لم يتمكنوا من استرداد بلادهم مرة ثانية. وأصبحت هناك محالفات بين الأفرنجية وبين الجليقيين لمحاربة المسلمين، وأصبحت هجمات الأفرنجية تتكرر على بلاد المسلمين^(٦) والمسلمون أصبحوا في موقف الدفاع بدلاً من الهجوم والفتوحات الواسعة.

(١) ينظر: فجر الأندلس ص ٢٩٠ وتاريخ غزوات العرب ص ١٤٦.

(٢) ينظر: نولة الاسلام ج١ ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٨.

(٤) الثغر الأعلى: يقع في شمال الأندلس، وكانت قاعدته مدينة «سرقسطة».

(٥) نولة الاسلام ج١ ص ٢٣٢.

(٦) المرجع السابق ص ٢٣٧.

وسياتي بشيء من ذلك في جهاد المسلمين في الأندلس، وهكذا أصبح الأفرنجة عائقاً يقف أمام الإسلام ويمنع أنتشاره ويستنزف كل قوى المسلمين، وكانت سياسة التدخل في شئون المسلمين، أصل من أصول الدولة الأفرنجية^(١) ولهذا لم يتركوا أي فرصة من شأنها أن تؤدي إلى فرقة المسلمين أو أضعافهم إلا أنتهزوها.

وكانت الحروب التي يقوم بها هؤلاء البرابرة من أفرنجة وجليقيين تقضي على كل معالم الإسلام، بل وعلى المسلمين أنفسهم، فإن حروب الأفرنجة في سبتمانية ضد المسلمين كانت حروب إبادة ومحو للإسلام والمسلمين، فكلما حاصروا مدينة أبادوا المسلمين فيها ومحو كل معلم يتعلق بالإسلام^(٢). وعلى سبيل المثال أنهم عندما أستولوا على مدينة أربونة بمساعدة أهل الذمة لهم. قتلوا كل المسلمين الذين كانوا فيها، وحرقوا مساجدها ومعاهدها^(٣).

وهكذا كان نصارى جليقية الحاقدون، فإنهم إذا تغلبوا على مدينة أو حصن في بلاد المسلمين، لا يغادرونه حتى يسووه بالأرض ويبيدوا كل المسلمين، ويذكر ابن حيان عدة أمثلة من هذه الجرائم البشعة، منها على سبيل المثال: إن العدو هاجم مدينة (يابرة) في نحو ثلاثين ألفاً وذلك عام ٣٠١هـ وكان أميرها مروان بن عبد الملك فحاصرها العدو من جميع الجهات، ومنع حراسها من الوقوف على حصنها لشدة السهام التي وجهها عليهم، وهدموا جزءاً من السور ودخلوا على المسلمين داخل المدينة، فدافع المسلمون دفاعاً شديداً حتى أخرجوهم من المدينة، وقتلوا منهم عدداً كبيراً، ولكن العدو تكاثر عليهم حتى قهرهم وألجأهم إلى موضع ضيق بشرق المدينة بالقرب من سورها، فقتلوا جميعاً ولم ينج منهم إلا عشرة أشخاص فقط يقول ابن حيان: «استشهد مروان عامل يابرة قتل

(١) نولة الإسلام ج١ ص ١٧٢.

(٢) نفس المرجع ص ١١٥.

(٣) نفس المرجع ص ١٣٧.

في مسجده وسبي جميع نسائه وولده وأصيب بها من السبي ما ينيف على أربعة آلاف من النساء والمولدان وقتل داخل المدينة سبعمائة رجل، فذكر أهل الغرب انه لم تدر بالاندلس على أهل الاسلام دائرة من قبل العدو منذ سكنت، أشنع من هذه الدائرة ولا أفظع منظراً. ولقد كان الداخل إليها بعد خروج العدو بمدة ينظر الى عقرى جاثمين قد ركب بعضهم، بعضاً الرجال والنساء، قد همدت جثثهم صفاً فوق صاف في سمك قامة وقامتين صعد إلى حائط السور. فيرى منظراً موحشاً شنيعاً وهولاً هائلاً فظيماً^(١).

هذا مشهد من مشاهد الابداء التي كانت توجه ضد الاسلام والمسلمين في الاندلس وكانت مثل هذه العمليات تقلق كل أهل الاندلس وتشغلهم عن كل الواجبات الدعوية.

(١) المقتبس لابن حيان ص ٩٣ وما بعدها، نشر شالمياً.

المبحث الثاني
الأعداء المحاربون من غير النصارى:
«النورمانيون أو المجوس»

وفي نهاية الثلث الأول من القرن الثالث الهجري ظهر في الأندلس عدو خارجي جديد لم تعرفه الأندلس من قبل، وهم النورمانيون الذين تصفهم المصادر الأندلسية بالمجوس^(١) وكان ظهورهم من جهة البحر، وقد ظهوروا لأول مرة في سواحل الأندلس الغربية سنة ٢٢٩هـ في شهر ذي الحجة، وذلك في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم.

كان خطر هؤلاء على المسلمين عظيماً، إذ كان ظهورهم على غرة من المسلمين وفي وقت لم تكن فيه للمسلمين قوة بحرية كافية. وكان هؤلاء الأعداء الذين هاجموا الأندلس في ذلك الوقت - شرسين مهرة في ركوب البحر.

وأول ظهورهم كان من جهة مدينة لشبونة، في أربعة وخمسين سفينة كبيرة، ومثلها أو أكثر قوارب صغيرة، وأنحدروا إلى اشبيلية وعاثوا فيها فساداً لمدة أسبوع، وعاثوا فيما جاورها من السواحل^(٢).

ولعل اعتراض المسلمين لهم كان ضعيفاً في أول الأمر، لأن المسلمين كان كل همهم منصرف نحو الشمال والشرق وماكانوا يتوقعون في ذلك الوقت عدواً من جهة البحر. ولهذا كانت مدن الساحل مكشوفة ليس فيها أسوار ولا حامية كافية.

(١) كان هؤلاء المهاجمون يسميهم أهل الأندلس المجوس (ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٨٧، ونفع الطيب ج١ ص ١٦٧) وكان هؤلاء يأتون من الدنمارك الحالية، وقد اشتهروا بنشاط بحري، فقد هاجموا هولندا وبعض سواحل إنجلترا وسواحل إفريقيا، والأندلس وإفريقية. والمهم أن هؤلاء هاجموا الأندلس مرات عديدة كما هو بين أعلاه.

ينظر: عن المجوس: البيان المغرب ج٢ ص ٨٧، ونفع الطيب ج١ ص ٣٤٥، والتاريخ الأندلسي ص ٢٢٧.

(٢) التاريخ الأندلسي ص ٢٢٨ والبيان المغربي ج٢ ص ٨٧.

ولمفاجأة العدو للمسلمين بهذه الصورة ماكان رد المسلمين سريعاً كما ينبغي ولهذا شمل هجوم المجوس كل من أشبونة ولبلبة وقادس ومابين ذلك وشذونة، ولم يقتصر هجومهم على السواحل بل أرادوا هجوم دار الخلافة - قرطبة - فركبوا الخيل^(١) متوجهين إلى قرطبة ووقعت بينهم وبين المسلمين معارك استمرت عدة أشهر وفي الخامس والعشرين من صفر سنة ٢٣٠هـ نشبت بينهم وبين المسلمين معركة حاسمة بجانب قرية طليطلة غربي مدينة اشبيلية، فهزم المجوس بعد قتال عنيف، وقُتل منهم نحو ألف وأسر منهم نيف وأربعمائة وأحرقت من سفنهم ثلاثون سفينة، وكان من بين القتلى قائدهم، فارتد المجوس إلى سفنهم، ثم أقلعوا مرتدين إلى الجنوب والمسلمون من ورائهم يطاردونهم، ويفتدون أسرى المسلمين منهم بمختلف السلع، وخرب المجوس في عودتهم المدن التي مروا بها، انتقاماً من المسلمين، ثم غادروا شواطئ الأندلس، وبهذا انتهت مهاجمتهم الأولى للأندلس، بعد أن فاجئوها بالغزو ولكنهم أدركوا أن الأندلس ليست فريسة جاهزة يغتتمها المجوس. بل علموا إن المسلمين ليسوا كغيرهم في الحرب حيث لقنوهم أعظم درس لا ينسوه في حياتهم. وكان لهذه المفاجأة المروعة أثرها على المسلمين في الأندلس فحملتهم على الاهتمام بأمر الأسطول والتحصينات البحرية، فابتنى الأمير عبد الرحمن بن الحكم حول اشبيلية سوراً ضخماً، وأنشأ فيها داراً عظيمة لصناعة السفن الكبيرة، وحشد لها المقاتلة من شواطئ الأندلس^(٢) كان هجوم المجوس مروعاً لأهل الأندلس كلهم، عانى منه المسلمون محناً وشدائد كثيرة، وارتجت له كل ربوع الأندلس. ولما أنجلت هذه الغمة كتب الأمير إلى جميع الكور يخبرهم فيه بنعمة الله على المسلمين بجلاء الله للمجوس، وما أحل الله بالمجوس من عقاب وهزيمة^(٣).

(١) تاريخ فتح الأندلس ص ٨٦.

(٢) ينظر: التاريخ الأندلسي ص ٢٢٧ ومابعدها، والبيان المغرب ج ٢ ص ٨٧ ونوالة الاسلام في الأندلس ج ١ ص ٢٦٢. الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٧، وتاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٢٩. ونفع الطيب ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج ٢ ص ٨٨.

وبهذا انقطع الهجوم الأول للمجوس، ولكن هذا الهجوم لم ينقطع بعد هذه المدة، بل كانوا يظهرن من حين لآخر، ولهذا جاء في وصف ظهورهم كل فترة (إنه كانت تخرج من البحر - المتوسط - وكذلك الأطلس - مراكب عظام كان أهل الأندلس يسمونها القراقير^(١) وهي مراكب كبار بقلوع مربعة، تجرى إلى أمامها وإلى خلفها، وكان يخرج فيها أقوام يعرفون بالمجوس كانت لهم شدة وباس وقوة وجلد على ركوب البحر، وكانوا متى ماخرجوا خلت منهم سواحل البحر مخافة منهم. وكانوا لا يخرجون إلا على رأس ستة أعوام أو سبعة، وكانوا أقل ما يخرجون في أربعين مركباً، وربما بلغوا المئة مركب ويغلبون كل من لقوه في البحر ويسبونهم ويأسرونهم)^(٢).

وفي سنة ٢٤٥هـ هاجم المجوس سواحل الأندلس. وذلك في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان هذا الهجوم عبر خط طويل حول الجزيرة الأندلسية وكان عدد سفنهم ٦٢ سفينة، فأنحدروا جنوباً حتى الجزيرة الخضراء وأحرقوا مسجدها الجامع، ولكن هذه المرة وجد المجوس البحر محروساً بمراكب المسلمين تجري فيه من حدود الأفرنجة شرقاً إلى جليقية غرباً، فخرس المجوس عدد كبيراً من سفنهم ورجالهم، ثم رجعوا خائبين عن بلاد المسلمين ولم يستفيدوا منها بشيء^(٣). بهذا انتهى الهجوم الثاني، ولكن المجوس لم تنته محاولات هجومهم على سواحل المسلمين، فبعد سنتين من الهجوم الثاني: قاموا بهجوم يائس ثالث وذلك سنة ٢٤٧هـ ولكن هذه المرة لم يكن لهم الانبساط في البحر والأضرار بأهل السواحل كما جرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمناً لشدة ضبطها، ومع ذلك كله جاءهم عقاب من الله، فلاقوا هولاً عظيماً من البحر، فعطبت من مراكبهم أعداد كبيرة، ولاقوا من المسلمين

(١) القراقير: هي السفن الكبرى.

(٢) ينظر: التاريخ الأندلسي ص ٢٢٨ عبد الرحمن علي الحجي.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج ٢ ص ٩٦. ودولة الإسلام ج ١ ص ٢٩٦، والتاريخ الأندلسي

ص ٢٣٨ نصوص عن الأندلس ص ١١٩.

صدّات قوية، فاسرعوا بالإنصراف إلى بلدهم بالخبيبة والخزي^(١). وبعد هذا انقطعت هجماتهم عن الأندلس زمناً طويلاً، فلم يظهروا على شواطئ الأندلس إلا بعد قرن من الزمن، ففي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله ظهر المجوس مرة رابعة، وذلك سنة ٣٥٥هـ وكان ظهورهم من جهة الغرب، والتقى بهم المسلمون، ودارت بينهم حرب، وحطم المسلمون عدة من أساطيلهم، واستنقذوا ما كان معهم من الأسرى، وقتلوا منهم عدداً كبيراً، وانهزم المجوس إثر ذلك^(٢) وانقطعوا مدة خمس سنوات، ثم ظهروا سنة ٣٦٠هـ في شهر رمضان على شواطئ الأندلس، فتصدى لهم المسلمون وردوهم على أعقابهم، وبعد سنة أيضاً ظهروا في السواحل الغربية وذلك سنة ٣٦١هـ فردهم الأسطول الإسلامي على أعقابهم، وبهذا توقفت غاراتهم على الأندلس زمن الخلافة الأموية^(٣) وأن هجماتهم على الأندلس من زمن الإمارة الأموية لم تكن كبير فائدة، ولم يتمكنوا من احتلال شيء من بلاد المسلمين إلا في المرة الأولى التي وصلوا فيها على غرة من المسلمين وغفلتهم فاحتلوا إشبيلية وبعض المدن الساحلية لمدة قصيرة، وكذلك المرة الثانية أصابوا بعض الشيء من الجزيرة الخضراء، وعدم تمكنهم يرجع إلى فضل الله سبحانه وتعالى، ثم إلى قوة الأسطول الإسلامي الذي أنشأه المسلمون في الأندلس، والذي بلغت قوته في عهد الخلافة إلى مائتي سفينة^(٤) وكان يعتبر قوة ضاربة في السواحل الأندلسية، وكانت مدينة المرية أكبر قواعد المسلمين. وكان هؤلاء المجوس عاثوا فساداً في بلاد الأفرنجة، وجليقية وبلاد البشكنس، واحتلوا أجزاء من بلاد الأفرنجة، وقامت محالفات بينهم، كانت تستهدف محاربة المسلمين^(٥).

(١) البيان المغربي ج٢ ص ٩٧، والتاريخ الأندلسي ص ٢٣٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: البيان المغربي ج٢ ص ٢٣٩، والتاريخ الأندلسي ص ٣٦٠ وما بعدها وبوالة الاسلام ج٢ ص ٤٨٨.

(٣) التاريخ الأندلسي ص ٣١٢.

(٤) بوالة الاسلام ج٢ ص ٦٨٧.

(٥) ينظر: التاريخ الأندلسي ص ٣٠٧.

ولكن الله سبحانه وتعالى حفظ منها المسلمين بفضلته وكرمه ثم بفضل اهتمام المسلمين بصناعة السفن والسهر في حراسة البحر جهاداً في سبيل الله عز وجل. وهذا كان يكلف المسلمين جهداً كبيراً في الأنفس والمال، ويشغلهم عن كثير من الأمور، لاسيما أن المجوس كانوا يفاجئون المسلمين ولم يكن باستطاعة المسلمين معرفة أخبارهم ورصد تحركاتهم، إلا بعد ما يظهروا على السواحل الأندلسية، مما كان يسبب الغلق الكثير على المسلمين، وسهرهم على حراسة البحر بصفة دائمة.

هكذا عاشت الأندلس خلال الحكم الإسلامي يحدق بها الخطر من جميع الجهات، برية كانت أو بحرية، وكان المسلمون لم يهدأ لهم بال إلا عندما يتولى عليهم حاكم قوي ينزل ضربات قوة بالأعداء، فيأتون إليه مذعنين يطلبون الصلح والمهادنة، وعندما تظهر لهم أي فرصة يادروا بنقض العهود وناذبوا المسلمين العدوابة وناصبوهم الحرب.

وكانت هجمات المجوس عائقاً كبيراً من عوائق الدعوة، لما كانوا يسببونه من هدم المساجد، وتهجير المسلمين من أماكنهم، وهذا لاشك عائق كبير للدعوة، فإن المساجد هي دور العبادة، ومدرسة المسلمين التي يتلقون فيها الدروس الإسلامية، فهدم المساجد يؤدي إلى تعطيل الدعوة من خطب ودروس.

وفي الحقيقة إن الدعوة تحتاج إلى استقرار وأمن حتى تؤتي ثمارها وكان مايسببه هجوم المجوس من القلق وشغل الناس بالحرب والدفاع، يعتبر أعظم عائق للدعوة.

والخلاصة: إن هذه الدول التي واجهت المسلمين من النصارى وغيرهم، كانت أكبر عائق للدعوة، لأنها شغلت المسلمين عن التعليم والدعوة، وقد فقد فيها رعاة كبار من العلماء أمثال عبد الرحمن الغافقي وغيره. وقد أثارت في داخل صفوف المسلمين فتناً كبيرة، لأن النصارى كانوا يحرصون على شغل المسلمين بأنفسهم، حتى يتسنى للنصارى الاستيلاء على البلاد، وإبادة المسلمين المتفرين جزءاً جزءاً، وقد حصل لهم من ذلك الكثير.

الفصل الثاني

العوائق الداخلية

المبحث الأول: الصراع على السلطة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: النزاعات السياسية في عهد الولاة

المطلب الثاني: النزاعات السياسية في عهد عبد الرحمن الداخل

المطلب الثالث: النزاعات السياسية في عهد هشام بن عبد الرحمن

المطلب الرابع: النزاعات السياسية في عهد الحكم بن هشام وما بعده .

المبحث الثاني: النزاعات العرقية:

المطلب الأول: النزاعات العرقية العربية .

المطلب الثاني: النزاعات العرقية البربرية .

المطلب الثالث: ثورات المولدين العرقية .

المبحث الثالث: النصارى المستأمنين في الدولة الإسلامية:

المطلب الأول: نقض العهود، وحرب المسلمين .

المطلب الثاني: مشاركة الثوار في الحروب ضد المسلمين .

المطلب الثالث: النصارى في قرطبة .

المبحث الرابع: آثار العوائق على الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول الصراع على السلطة

إن المسلمين عندما فتحوا الأندلس كان الجيش الفاتح يتألف من العرب والبربر، والبربر كانوا هم الغالبية في الطلائع الأولى التي دخلت الأندلس مستكشفة مع طريف بن مالك، وفاتحة مع طارق بن زياد، والعرب هم الغالبية في جيش موسى بن نصير الذي جاء متمماً للفتح الذي بدأه طارق بن زياد^(١). ثم تتابع البربر والعرب إلى الأندلس بعد الفتح، إما رغبة في سكنى هذه البلاد الجديدة، وإما طلباً لثواب الجهاد، لأن الأندلس كانت تعتبر الثغر المواجه للعدو. فعبر إلى الأندلس كل من يريد الجهاد والرباط في سبيله فخرقوا البحر على كل ماقدروا عليه من مركب وقشر^(٢). وقد استوطنت هذه الفئات الأندلس، وكان العرب الذين تتابعوا إلى الأندلس وقت الفتح مع طارق وموسى أو بعدها مع كل والي وجه من الخلافة أو من والي إفريقية إلى الأندلس^(٣).

كانت الولاية فيهم دون البربر وغيرهم. فالعرب والبربر هم أول من سكن الأندلس من المسلمين ثم يأتي من بعدهم الأندلسيون الذين دخلوا في الإسلام فإن المسلمين لما فتحوا الأندلس ونشروا فيها مبادئ الإسلام، وعاملوا الناس معاملة حسنة، دخلت في الإسلام أعداد كبيرة

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٥٣. دولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٥٢.

(٢) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٣٦. والقشر هو: المركب الصغير.

(٣) تذكر كتب التاريخ أن الجيش الذي دخل مع موسى بن نصير كانت غالبية من العرب وخاصة قریش، ثم إن الحر بن عبد الرحمن الثقفي لما دخل والياً على الأندلس كان معه أربعمئة من العرب، ثم جاء بلج بن بشر سنة ١٢٤هـ فدخل الأندلس ومعه عشرة آلاف من العرب وكانوا يعرفون بالشاميين هؤلاء هم الذين دخلوا بأعداد كبيرة، أما من دخل بغير صفة الجيش فكثير. ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١١٩ وما بعدها.

من القوط وغيرهم^(١)، وكان هؤلاء هم أهل البلاد الأصليين يمثلون العنصر الثالث من المسلمين في الأندلس، وكانت الألفة والمحبة تسود المسلمين من جميع هذه الطوائف، لأن المسلمين الأوائل كانوا لا يميزون بين أي شخص دخل في الإسلام، فكل من دخل في الإسلام فهو أخوهم في الدين، وبناء على هذا حصلت المصاهرات بين المسلمين الداخلين إلى الأندلس، وبين المسلمين الأندلسيين، وبعد فترة من الزمن ظهرت أمة ممتزجة من العرب والبربر والأندلسيين، كانوا يعرفون بالمولدين، هذه الفئات هي التي كان يتألف منها المجتمع الإسلامي في الأندلس، وكان مقابل هذا المجتمع الإسلامي، هناك مجتمع النصراني الأندلسيين، الذين بقوا على دينهم، والذين كانوا يعيشون مع المسلمين، وكانت أعدادهم كبيرة وقت الفتح الإسلامي والسنوات التي تلت ذلك، ثم أصبحوا يتناقصون بالدخول إلى الإسلام، حتى أصبحوا أقلية بمرور الزمن^(٢) وكانوا يعرفون بالمستعربين لأنهم صاروا يتكلمون العربية، وكان هناك اليهود الذين تمتعوا بحريات كبيرة تحت الحكم الإسلامي، هذه هي مكونات المجتمع الأندلسي البشرية، وأمام هذا الخليط من البشر، تكتلت عناصر من القوميات وألفت بينها نوعاً من العصبية ظهرت آثارها في الصراعات السياسية والعرقية القبلية، والملاحظ أن هذه النزاعات السياسية والقبلية، ماكان مصدرها الأمة الأندلسية فحسب، بل هي أمور ظهرت في الأمة الإسلامية في المشرق، وبلغ صداها الأندلس فأثر فيها، فالنزاع السياسي في الأندلس مابداً إلا نتيجة لماكان يحدث في المشرق الإسلامي وفي قلب مركز الخلافة، فإن موسى بن نصير، عندما رجع إلى المشرق بسبب استدعاء الخليفة له، استخلف على الأندلس ولده عبد العزيز فضبط سلطانها وسدّ ثغورها، ولما تولى الخلافة سليمان بن عبد

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٢٧.

(٢) ينظر: بولة الإسلام ج١ ص ٦٢ ومابعدها، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص

الملك ، ونكب موسى بن نصير وأغرمة مبالغ من المال^(١) ثار أهل الأندلس بعبد العزيز بن موسى وقتلوه، فكانت هذه أول فتنة سياسية تقع على الأندلس حيث هزت كيانها، وبقيت بلا والي شهراً كاملاً حتى ولى أهل الأندلس على أنفسهم أيوب بن حبيب اللخمي وظهر هذه النزاعات لها أسباب يمكن ذكر أهمها تحت المطالب الآتية:

المطلب الأول

أسباب نشأة النزاعات السياسية

لقد أثرت على الأندلس أحداث توالى عليها، أدت إلى نزاعات مختلفة وحروب داخلية وذلك في فترات متفرقة من الحكم الإسلامي للبلاد الأندلسية، ففي عصر الولاة الذي دام قرابة نصف قرن أثرت على الأندلس أمور أهمها:

أولاً: بعد الأندلس عن مركز الخلافة الإسلامية في دمشق، مما جعل الأندلس لا تحظى برعاية الخلفاء وأهتمامهم إلا في عهد عمر بن العزيز رحمه الله.

ثانياً: عدم تعيين والي مستقل للأندلس من قبل الخلافة، ومراعاتها له، فإن الأندلس ظلت تابعة لشمال افريقية طيلة عهد الولاة مما جعلها تتأثر بكل أحداث شمال افريقية، فإذا عين والي في شمال افريقية تأثرت به الأندلس سلباً وإيجاباً. وكانت الأندلس تحتاج إلى والي مستقل

(١) يقال إن سليمان بن عبد الملك لما تولى الخلافة بعث في موسى وعنه، لأنه كان أمره عندما سمع بقدمه أن يستبطن حتى يموت الخليفة بن عبد الملك لأنه كان مريضاً - ولكن موسى لم يطع أمره بل أطاع أمر الخليفة الوليد، فقدم في حياة الوليد بالغنائم العظيمة فأغضب ذلك سليمان عليه، فعذبه وأغرمة مالا كثيراً، وأراد قتله، إلا أن أحد رجال الدولة ضمه إليه، وطلب أن يفديه بمال من الخليفة، ففعل سليمان، ومات موسى بن نصير فقيراً (ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٨١، والبيان المغربي ج٢ ص ٢٠ ومابعدهما، وأخبار مجموعة ص ١٩، فجر الأندلس ص ١٠٧، ونبوة الإسلام ج١ ص ٥٧).

الخلافة مباشرة لسعة بلاد الأندلس، وبعدها عن شمال إفريقية .
 ثالثاً : من الأمور التي كان لها الأثر الكبير في عدم استقرار الأندلس السياسي، قربها من الأعداء المحاربين، ومواصلة الجهاد معهم، والحروب المستمرة التي كان يستشهد فيها كثير من القواد، الذين كانوا من ولاية الأندلس، فكان عندما يستشهد قائد المسلمين في إحدى المعارك، تظهر الاضطرابات في صفوف المسلمين، حتى يأتي والي جديد من شمال افريقية . أو يختار أهل الأندلس من يتولى قيادتهم .
 رابعاً : لما قامت الدولة الأموية المستقلة في الأندلس أيضاً واجهتها نزاعات أهم أسبابها هي :

- ١ - حب الانضمام إلى الخلافة الإسلامية، وكان هذا الإتجاه تشجعه الخلافة العباسية في بغداد، ويستجيب له بعض زعماء العرب .
- ٢ - الصراع الأموي، فإن الأمويين أنفسهم ظهرت فيهم بعض النزاعات على السلطة. هذه بعض الأسباب التي أدت إلى الصراعات في الأندلس .

المطلب الثاني

النزاعات السياسية في عهد الولاة - ٩٥ - ١٣٨هـ

الناظر في تاريخ الأندلس السياسي في عهد الولاة يرى هذا العهد ينقسم إلى قسمين هما :

أولاً: عهد القوة والجهاد ووحدة الكلمة، وقهر العدو، والفتوحات المتواصلة. ويبدأ هذا العهد، من الفتح الإسلامي للأندلس وينتهي بنهاية ولاية عقبة بن الحجاج عام ١٢١هـ^(١). وكان يعتبر عصر الخير والفتوح، وما يذكر فيه من ظهور فتن ونزاعات، فهو قليل، وكانت تمليه

(١) قيل: كانت نهاية ولاية عقبة سنة ١٢١هـ أخبار مجموعة ص ٢٩ وقيل: سنة ١٢٢هـ

البيان المغرب ج٢ ص ٣٠.

فتن كثيرة، هو النزاع بين الشاميين والبلديين في الأندلس^(١).
 وسبب قيام هذا النزاع هو ظهور فتنة الخوارج في شمال افريقية
 والأندلس، ولابد من ذكر شيء مما حدث في شمال افريقية للوصول إلى
 النزاع بين أهل الشام وأهل الأندلس في الأندلس.
 دخلت عقيدة الخوارج في شمال افريقية في أواخر القرن الأول
 الهجري وبداية القرن الثاني، وتغلغلت في نفوس البربر، فقاموا بثورة عام
 ١٢٢هـ ضد الحكام الذين كانوا يحكمونهم آنذاك وكانوا من العرب، وكانت
 ثورة البربر قوية وعنيفة سحقت كل المقاومات التي قام بها الحكام
 المحليون في شمال افريقية^(٢) ولما علم الخليفة هشام بن عبد الملك بأمر
 هذه الفتنة عزل والي إفريقية عبيد الله ابن الحبحاب^(٣) وأرسل جيشاً كبيراً
 إلى شمال افريقية بقيادة كلثوم بن عياض القشيري^(٤) وعهد إليه بولاية شمال
 إفريقية، وجعل الولاية من بعده إلى ابن أخيه بلج بن بشر القشيري^(٥) وعهد

(١) اصطلاح البلديني كان يطلق على أهل الأندلس من عرب وغيرهم، الذين كانوا في
 الأندلس قبل دخول بلج بن بشر إلى الأندلس.

(٢) ينظر: أخبار مجموعة ص ٣٦. وبولة الاسلام في الأندلس ج١ ص ١١٩، وتاريخ
 المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١٥٥، وفجر الأندلس ص ١٦٤ وما بعدها.

(٣) هو عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي: أمير من الرؤساء النبلاء، كان مولى
 لبني سلول ولي مصر وشمال إفريقية والأندلس، وقام بنشر الإسلام في صقلية
 والسودان، وعزل عن ولاية إفريقية عند فتنة البربر سنة ١٢٣هـ.

ينظر: البيان المغرب ج١ ص ٥١، وقيل في عزله: إن أهل افريقيه عزلوه، وقيل عزله
 الخليفة والأول هو الصحيح.

(٤) هو: كلثوم بن عياض بن وموح بن قيس بن الأعور بن قشير، كان من كمات العرب،
 جده قيس بن الأعور شهد يوم اليرموك وقتل بيده ألف نصراني، وقطعت رجله
 يومئذ كان كلثوم من الأشراف الشجعان، ولاه هشام بن عبد الملك شمال افريقية،
 فقتل في معركة وادي سبو مع البربر بالقرب من طنجة وأستباح البربر - بقيادة
 ابي يوسف رأس الصفوية الخارجية - جميع عسكره وذلك سنة ١٢٣هـ.

ينظر: البيان المغرب ج١ ص ٥٤ وجمهرة أنساب العرب ص ٢٩٠ لابن حزم.

(٥) هو بلج بن بشر بن عياض القشيري ابن أخ كلثوم المتقدم الذكر، كان من أبطال
 العرب والقواد الشجعان، كان مشاركاً مع عمه كلثوم في حرب البربر في شمال

الظروف التي كانت تحدث عند فقد القائد لسبب ما^(١) كاستشهاده في إحدى المعارك أو عزله من قبل والي إفريقية الذي كانت الأندلس تابعة له^(٢).
 أما القسم الثاني من عهد الولاة فتبدأ من ولاية عبد الملك بن قطن الثانية^(٣) ومن ولايته بدأت الفتن والنزاعات التي هزت كيان الأمة الإسلامية في الأندلس.

والملاحظ أن النزاعات والفتن التي حدثت ليس منشؤها الأمة الإسلامية في الأندلس، ولكن ضعف الخلافة الإسلامية في الشام، وأنشغالها بنفسها وظهور بعض الفتن، وظهور الدعوة العباسية كان له أثر في ظهور النزاعات في الأندلس، وخاصة ظهور فتنة الخوارج^(٤) في شمال إفريقية كل هذه الأشياء أدت إلى ظهور الفتن في الأندلس، ولكن ضرر هذه الفتن كان أكبر على الأندلس من غيرها لقربها من الأعداء^(٥).
 والحديث عن هذه الفتن في الأندلس متشعب وكثير، والمهم هو النزاع السياسي كما ذكر سابقاً، وأكبر نزاع سياسي حدث في الأندلس وأعقبته

(١) يعلل بعض المؤرخين هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء سنة ١١٦هـ بظهور النزاعات القبلية بين المسلمين، وهذا غير صحيح.

(٢) مثل استشهاد السمح بن مالك وعبد الرحمن الغافقي وغيرهما. وذكر محمد عبد الله عنان أن بعض الولاة في هذه الفترة قد قضا بعض الوقت في إخماد الفتن، مثل الحر بن عبد الرحمن (نولة الاسلام ج١ ص ٧٣) وعبد الرحمن الغافقي، نفس المرجع ص ٨٥، وعقبة بن الحجاج ص ١١٤، وهذا نتيجة طبيعية عندما يفقد الوالي ولأن تعاقب الولاة يؤدي إلى عدم الاستقرار.

(٣) تولى عبد الملك ولايته الثانية سنة ١٢٦هـ ابن خلدون ج٤ ص ١١٩ وقيل: سنة ١٢٢هـ البيان المغرب ج٢ ص ٣٠.

(٤) الخوارج في الأصل هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحاربه في النهروان، ويطلق هذا الأسم على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة وناصبه الحرب في كل زمان. ومن عقائد الخوارج التكفير بالمعاصي. ينظر: الملل والنحل ص ١١٤ الشهرستاني.

(٥) ينظر: فجر الأندلس ص ١٤٤.

إليهما بمحاربة الخوارج ، وتوجها إلى شمال إفريقية بجيش كبير مكون من أهل الشام ومصر وإفريقية^(١) . ولما نزل إفريقية شاء الله أن يهزم الجيش الكبير على يد البربر ، ويقتل قائده الأعلى كلثوم بن عياض ، ولم يبق منه إلا عشرة آلاف بقيادة بلج^(٢) وحاصروه البربر من جميع الجهات حتى ألجأوه إلى مدينة سبتة ، وضيقوا عليه الحصار والنجدة حتى بلغ منه الجهد وطلب بلج من عبد الملك بن قطن في الأندلس المعونة والنجدة حتى ينجوا إلى الأندلس من نير البربر ، ولكن عبد الملك لم يسارع في نجده لتخوفه منه^(٣) .

وفي هذا الوقت الذي كان محاصراً فيه بلج في سبتة قامت في الأندلس ثورة بربرية على غرار ثورة إفريقية وسحقت كل مقاومات عبد الملك بن قطن وجعلت عبد الملك يفكر أن يستنجد ببلج حتى يتقوى به ضد البربر^(٤) . لأنه خاف أن يكون مصيره مصير العرب في شمال إفريقية ، فوافق بعبور بلج إلى الأندلس لمحاربة العدو المشترك ، ولكن بشرط أن يغادر بلج الأندلس بعد سنة ، فوافق بلج على الشرط ودفع على ذلك رهائن ، فأرسل إليه عبد الملك السفن والمؤن فقدم الأندلس ، وكان جيشه في حالة سيئة لطول الحصار عليه في سبتة^(٥) وشارك بلج في إخماد ثورة البربر في الأندلس وصلحت حاله^(٦) وبعد سنة من دخوله على حسب الشروط المتفق عليها طلب عبد الملك بن قطن من بلج وأصحابه مغادرة البلاد إلى إفريقية ، فوافق بلج ، لكنه طلب من عبد الملك أن يهيء له سفناً تقله من شاطيء مرسية إلى تونس ، فاعتذر عبد الملك عن طلبه بحجة أنه لا توجد له سفن إلا بالجزيرة الخضراء وليس له

إفريقية ولما هزم كلثوم، دخل بلج بما بقي من جيش الأندلس، وبعد فترة انتزع إمارة الأندلس من عبد الملك بن قطن، وتوفي سنة ١٢٥هـ متأثراً بجراحات أصابته في إحدى المعارك في حروب الفتن. ينظر: تهذيب ابن عساكر ج٣ ص ٢٩٠، ونفح الطيب ج٣ ص ٢٢ وجذوة المقتبس ص ١٨٠.

- (١) كان مجموع جيشه سبعين ألفاً ينظر: أخبار مجموعة ص ٣٦.
- (٢) المرجع السابق ص ٢٣ وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٩.
- (٣) تاريخ الأندلس السياسي والعمرائي ص ١٠٢.
- (٤) أخبار مجموعة ص ٢٨ ودولة الاسلام ج١ ص ١٢٣.
- (٥) ينظر: أخبار مجموعة ص ٢٨ ودولة الاسلام ج١ ص ١٢٣.
- (٦) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٣٦ وأخبار مجموعة ص ٤٠.

استطاعة بنقله إلى تونس، بل إلى سبته فقط. وهنا قامت الفتنة وأختلف الرأي، لأن كلا الرجلين كان يخاف من البربر في شمال افريقية، فبلج كان يخاف إذا وصل إلى سبته أن تهاجمه البربر، وعبد الملك كان يخاف إذا حول سفنه من الجزيرة الخضراء مقابل سبته إلى تدمير (مرسية) أن تهاجمه البربر من شمال افريقية، لأن سفنه هي التي كانت تحرص المضيق، ولعلها كانت قليلة لا تقبل التقسيم.

ولما رفض عبد الملك ترحيل أهل الشام إلى تونس ثاروا عليه وأخرجوه من قصر الحكم وولوا مكانه بلج، بحجة إنه كان له عهد من الخليفة بولاية افريقية، بعد عمه كلثوم^(١). والأندلس تابعة لأفريقية لهذا هو أولى بولايتها من غيره.

وفي أثناء المشادة بين عبد الملك وبلج، مات رجل من الرهائن الذين قدمهم بلج وقت عبوره، وكانوا في جزيرة أم حكيم^(٢). ادعى أنه مات عطشاً بسبب منع عامل عبد الملك في الجزيرة الماء عنهم، وانتقاماً لهذا الرجل طلبت قبيلته^(٣) من بلج قتل عبد الملك بثأره، ونزولاً لرغبتهم أمر بلج بإخراج عبد الملك من داره، وأمر بقتله^(٤)، وكان عبد الملك قد تجاوز الثمانين من عمره.

فأثار قتل عبد الملك فتنة كبيرة على بلج وأصحابه، عمت كل أرجاء الأندلس وأنقسم الناس إلى عدة أمراء^(٥)، ولكن اتفق أهل الأندلس عربهم وبربرهم لمحاربة أهل الشام الداخلين بقيادة بلج إلى الأندلس، وقامت حروب طاحنة بين الفريقين، وأثخن بلج بالجراحات في إحدى

(١) ينظر: العرب والاسلام في الحوض المغربي في البحر الأبيض المتوسط ص ١٤٦.

(٢) جزيرة أم حكيم هي جزيرة في البحر بالقرب من جبل طارق.

(٣) كان الرجل الذي مات من أشرف أهل الشام من قبيلة غسان فاتهم أهل الشام عبد الملك بن قطن بمنع الماء عن هؤلاء الرهائن، وقبيلة الرجل (غسان) من اليمانية وكانوا هم غالبية جيش بلج فنزل في رغبتهم. لخوفه من الفرقة عليه. / ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم ص ١٥٩.

(٤) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٢٣٧ والبيان المغربي ج٢ ص ٣١ وأخبار مجموعة ص ٤١.

(٥) ينظر: فتوح مصر وافريقية لابن عبد الحكم ص ٢٩٧ وأخبار مجموعة ص ٤١.

المعارك على يد عبد الرحمن بن علقمة^(١) توفي بلج على أثرها^(٢) إلا أن وفاة بلج لم تحسم الموقف لأن أهل الشام استطاعوا أن يحتفظوا بقرطبة دار الإمارة، فولوا بعد بلج: ثعلبة بن ثوابة^(٣) فحاول ثعلبة أن يضبط النظام وأن يهدأ الأوضاع ويعيد الاستقرار ولكن فلت الأمر من يده، وعمت الفتنة، حتى تعطلت الثغور وفتحت أمام الأعداء وجعل بأس المسلمين بينهم، فقامت حروب طاحنة بين البلديين والشاميين أنتصر فيها الشاميون على البلديين، وارتكب ثعلبة جرماً لم يسبق إليه من قبل، وهو بيع أسرى المسلمين الذين ظفر بهم واستباحة ذراريهم^(٤) وعندما رأى عقلاء المسلمين عظم الفتنة خشوا على المسلمين من الفناء ونهوض النصارى عليهم فطلبوا من والي إفريقية حنظلة بن صفوان^(٥) أن يرسل إليهم أميراً يجمع الكلمة، ويخمد الفتنة^(٦). فأرسل إليهم حنظلة أبا

(١) عبد الرحمن بن علقمة فارس الأندلس كان من القواد الشجعان قاد عدة حملات للفتح الإسلامي في جنوب فرنسا، وكان حاكماً لأربونة مرابطاً في سبيل الله، ولما وقع الخلاف في الأندلس بين المسلمين قتل غيلة على يد بعض أصحابه، وحمل رأسه إلى يوسف الفهري. ينظر: نفع الطيب ج٣ ص ٣٦.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٢ وبولة الإسلام ج١ ص ١٢٥.

(٣) ثعلبة بن ثوابة وقيل بن سلامة العاملي؛ وقيل الجزامي، دخل الأندلس مع بلج وتولى إمارتها بعد موت بلج ولما دخل أبو الخطار نفاه من الأندلس إلى المشرق مع من نفى، فلحق بالشام وحضر حروب مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين. ينظر/ نفع الطيب ج١ ص ٢٣٧ ج٣ ص ٢٢.

(٤) تنظر: بولة الإسلام ج١ ص ١٢٥ وفجر الأندلس ص ٢١٨ وتاريخ المسلمين وأثارهم ص ١٦١ ونفع الطيب ج٣ ص ٢٢.

(٥) حنظلة بن صفوان، يكنى أبا حفص، من القادة الشجعان، من أهل دمشق ولي مصر سنة ١٠٣هـ فعزله عنها هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ ثم أعاد إليها سنة ١١٩هـ، وتولى إمارتها من سنة ١٢٤هـ إلى سنة ١٢٩هـ. الأعلام للزركلي ج٢ ص ٣٢٣.

(٦) ينظر: فتوح مصر وأفريقية ص ٢٩٧ وأخبار مجموعة ص ٤٥ والبيان المغرب ج٢ ص ٣٤.

الخطار^(١) والياً على الأندلس، فلما قدم أبو الخطار، قام بعدة اصلاحات، فأطلق أسرى البلديين من أيدي الشاميين^(٢). واهتم برد المظالم، وإخماد الفتن، وحد من سلطة الزعماء، وأخرج جند الشام من قرطبة وفرقهم على عدة كور تمزيقاً لعصبيتهم، وأخرج ثعلبة بن سلامة ونفاه إلى شمال افريقية مع بعض الزعماء، فهدأت الأمور وسكنت الفتن، واستقر النظام، واجتمعت الكلمة.

وكان أبو الخطار رجلاً حازماً معتدلاً، فسوى بين كل الفئات في المعاملة^(٣) وبهذا هدأت الأوضاع نوعاً ما، ولكن بعد فترة من الزمن قامت عصبية قبلية، وتنازع على السلطة، وذلك عندما انتهت سلطة الدولة الأموية دولة الفتوحات وعزة الإسلام، وقامت الدولة العباسية في المشرق، قامت في الأندلس قبلية شديدة بين القيسية واليمانية^(٤) بدأت بولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٢٩هـ وانتهت بقيام الدولة الأموية المستقلة في الأندلس عام ١٣٨هـ على يد الأمير عبد الرحمن بن معاوية. وكان يوسف يميل إلى الاستقلال بالأندلس، ولكن هناك بعض الشخصيات كانوا يرون وحدة الأمة الإسلامية، من هؤلاء الرجال عامر بن عمرو، كان من القواد الكرام، فطلب من أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي سجلاً بولية الأندلس، فلما الخليفة العباسي طلبه فأرسل إليه سجلاً بولايته الأندلس، فقام بثورة ضد يوسف في شمال الأندلس، وقام بحرب ضد يوسف حتى استولى على جميع شمال الأندلس ثم انتهت بقتل عامر على يد يوسف^(٥). هذا هو النزاع السياسي في عهد الولاة مختصراً.

(١) أبو الخطار هو: حسام بن ضرار الكلبي أمير الأندلس تقدمت ترجمته.

(٢) ينظر: أخبار مجموعة ص ٤٥ ونبوة الاسلام ج١ ص ١٣٦.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٣٣ وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٣.

(٤) سياطي الحديث عن الحروب التي جرت بين القبيلتين.

(٥) ينظر: أخبار مجموعة ص فجر الأندلس ص ٢٣٥، ونبوة الاسلام ج١ ص ١٣٥.

المطلب الثالث

النزاعات السياسية في عهد عبد الرحمن الداخل

وعندما دخل إلى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية، الذي كابد المشاق حتى دخل الأندلس وملكها ثم أورث ملكها بنوه، وقامت بها دولة بني أمية نحو ثلاثمائة سنة بعد أن سقطت في المشرق الإسلامي، فلم يك في دول الإسلام أنبل منها، ولا أكثر نصراً على أهل الشرك، ولا أجمع لخلال الخير، وبهدمها ونهايتها، انهدمت الأندلس^(١) وبذل عبد الرحمن المجهود الكبير في تأسيس الدولة حتى قيل عنه (ألفى الداخل الأندلس ثغراً، قاصياً، غفراً من حلية الملك عاطلاً، فأرهب أهلها بالطاعة السلطانية ومكنهم بالسيرة الملوكية، وأخذهم بالآداب، فأكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة، فبدأ فدون الدواوين، ورفع الأواوين، وفرض الأعطية، وعقد الأولوية، وجند الأجناد ورفع العمار، وأوثق الأوتاد فأقام للملك آله، وأخذ للسلطان عدته، فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه، وتحاموا حوزته، فلم يلبث أن دانت له بلاد الأندلس واستقل له الأمر فيه)^(٢) أقام عبد الرحمن الداخل رحمه الله هذا الصرح العظيم بالأندلس، وأسس ملكه، وأوضح قواعده، بعد أن خاض فيه معارك دامية، وقضى على نزاعات سياسية وقبلية، كانت تعج بها الأندلس قبله، واستغرقت جميع فترة حكمه حتى قضى عليها، وكانت أهم النزاعات السياسية التي واجهت عبد الرحمن الداخل في الأندلس هي:

أولاً: يوسف بن عبد الرحمن الفهري، الذي كان والياً على الأندلس وقت دخول عبد الرحمن بن معاوية - الداخل - وكان يوسف الفهري يطمع بأن يستقل بحكم الأندلس ويعمل لتوطيد سلطانه في هذا القطر البعيد الذي

(١) البيان المغربي ج ٢ ص ٣٩.

(٢) نفع الطيب ج ١ ص ٣٣٦.

أصبح والياً عليه^(١). ومن أجل ذلك كان يسحق كل مخالفيه بقسوة وشدة. وكان من معارضيهِ الأقباء عامر بن عمرو^(٢) الذي ثار على يوسف في شمال الأندلس، وانتهت ثورته بأسره وابنه على يد يوسف، وقتلها مع بعض وجهاء وزعماء الثورة^(٣). وعندما انتهى يوسف من زعماء الثورة في الأندلس كان يعتقد بأن الأمر قد استقر له، ولهذا قال له وزيره الكبير - الصميل -^(٤) (هي والله لك ولولدك، إلى الدجال، من هذا ينازعك؟)^(٥) فهذه العبارات وأمثالها، تدل على طمع هؤلاء بالاستقلال وعدم خضوعهم لمركز الدولة الإسلامية آن ذلك، وكان الحفاظ على السلطة أهم شيء عندهم، ولهذا أن النصارى عندما هاجموا مدينة (لك) الحصينة وحاصروها حصاراً شديداً، وكان يوسف الفهري قد انتهى من القضاء على الثورة في الشمال، وأراد إنجاز المدينة المحصورة ولكن جاءت الأنباء بمقدم عبد الرحمن الداخل، فهول إلى الجنوب وترك المدينة المحصورة لمصيها. ^(٦) فما أقبح الحرص على الرأسة؟! فيوسف القهري كان يريد الاستقلال بالأندلس، وكانت الظروف تساعد فإنه حكم الأندلس قرابة عشر سنوات، وقضى على كل منازع له، والدولة الإسلامية في المشرق لم تستقر

(١) دولة الإسلام ج١ ص ١٣٤.

(٢) هو عامر بن عمرو بن وهب العبدي أحد رجالات قريش في الأندلس ومن القواد الكبار الذين كانوا يتولون قيادة الصوائف، حتى حصل بينه وبين يوسف الفهري خلاف فخرج من قرطبة إلى سرقسطة ودعا للعباسيين، ولكنه قتل على يد يوسف الفهري سنة ١٣٨هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ج٤ ص ٢٣.

(٣) ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ١٣٦.

(٤) الصميل هو الصميل بن حاتم بن شمر الكلابي، وجده شمر بن نبي الجوشن من أشرف الكوفة، وكان قد أشترك في قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في كربلاء ثم نزع بأسرته إلى الشام، ودخل الصميل الأندلس مع جيش بلج القشيري، وكان فارساً شجاعاً وزعيماً ذا نجدة، التفت حوله المضربة في الأندلس. / ينظر نفع الطيب ج١ ص ٢٣٧ ودولة الإسلام ج١ ص ١٢٧.

(٥) أخبار مجموعة ص ٧٧، وتاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١٨٣.

(٦) ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ٢٦٤.

بعد، لأنها كانت تمر بفترة انتقال من دولة إلى دولة أخرى، لأن الفترة التي تولى فيها يوسف إمارة الأندلس - وهي من سنة ١٢٩هـ إلى سنة ١٣٨هـ كانت تعتبر نهاية الدولة الأموية وبداية العباسية، فكل هذه الأمور كانت تساعد يوسف على الاستقلال بحكم الأندلس، ومن أجل هذا عندما سمع بعبور عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، ترك مواجهة أعداء الله، وهم يقتلون ويسبون المسلمين، وتوجه إلى عبد الرحمن حتى لا ينازعه على السلطة. ولكن عبد الرحمن الذي أراد الله له أن يقيم دولة لبني أمية في الأندلس استطاع أن يتغلب على يوسف ووزيره الكبير (الصمل) في المعركة الأولى التي ألتقى فيها الجمعان في يوم ٩ ذي الحجة من عام ١٣٨هـ والتي هرب يوسف الفهري على اثرها إلى ماردة ثم بعدها إلى إلبيرة^(١) وهذا اليوم الذي انتصر فيه عبد الرحمن كان يوم العيد الأكبر، وعندما فرَّ خصومه دخل قرطبة دون معارضة، وحمل جنده ما استطاع على الاعتدال والقناعة، وحمى أسر خصومه وحريمهم وأموالهم من العبث^(٢) وهذا العمل كان من حسن معاملته ومكارم أخلاقه الفاضلة، وفي ذلك اليوم بويع بالإمارة، وبهذا بدأ في الأندلس عهد جديد وتأسيس دولة جديدة، ولكن كان هذا العهد بداية كفاح شديد، دام كل مدة إمارة الداخل، فيوسف الفهري لما هرب، أمام عبد الرحمن، من معركة المسارة^(٣) شد قوته، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن وحاصره في غرناطة، حتى طلب الأمان واعطى ابنه رهناً، فأعطاه الأمير عبد الرحمن الأمان، فدخل قرطبة مع الأمير هو وابنيه ووزيره الصميل وكان ذلك سنة ١٣٩هـ وبهذا استقر الأمر للأمير عبد الرحمن ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله^(٤) ولكن هذا الاستقرار لم يستمر فترة طويلة لأن نفس يوسف الفهري كان لها أطماع طويلة، فلم يرض أن يكون شخصاً عادياً، بعد أن

(١) ينظر: أخبار مجموعة ص ٨٩ وما بعدها.

(٢) ينظر دولة الاسلام ج١ ص ١٥٤.

(٣) المسارة اسم مكان على قرب من قرطبة.

(٤) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٤٨.

كان حاكماً لمدة عشر سنوات، فهرب من قرطبة سنة ١٤١هـ فاجتمع إليه ما يقارب عشرون ألفاً من البربر وغيرهم، فلما رأى كثرة ما اجتمع إليه ترك ماردة إلى الأمير عبد الرحمن، ولكن لقي هزيمة كبيرة على يد أحد قواد الأمير عبد الرحمن^(١) فهرب إلى طليطلة، وفي سنة ١٤٢هـ قتل يوسف الفهري على يد أحد أصحابه غيلة وحمل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن فشكر الله على موته، وقتل عبد الرحمن ابنه الذي كان مرتهاً عنده، ومات الصميل في السجن وكان سجنه الأمير عبد الرحمن عندما فر الفهري من قرطبة^(٢). وبهذا انتهى أمر الفهري، الذي كان يعتبر أكبر المنازعين السياسيين للأمير عبد الرحمن في الأندلس.

ولكن أحد أبناء يوسف الفهري - واسمه محمد ويكنى أبا الأسود - هرب من سجن قرطبة، وأقام الثورة مرة ثانية انتقاماً من الأمير عبد الرحمن وطلباً بثأر ملك أبيه، فكانت بينه وبين الأمير عبد الرحمن معارك طويلة تمزق فيها جيش أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري، وأخرج من طليطلة التي كانت معقل ثورته، إلا أنه لم يستسلم، بل فر إلى قرية ركانة من أعمال طليطلة، وظل بها حتى توفي سنة ١٧٠هـ فخلفه على زعامة الثورة أخوه القاسم بن يوسف، فغزاه الأمير عبد الرحمن، إلا أن القاسم طلب الأمان فأمنه الأمير عبد الرحمن ونقله إلى قرطبة وأحسن إليه^(٣).

بهذا انتهت ثورة آل الفهري التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة وشغلت جل مدة إمارة عبد الرحمن الداخل.

ثانياً: من النزاعات السياسية التي واجهت الأمير عبد الرحمن الداخل في الأندلس، الدولة العباسية، فإن العباسيين رغم بعدهم من الأندلس، وانشغالهم بما عندهم من أمور الدولة، رغم ذلك كله، ماكانوا

(١) هو: عبد الملك بن عمر المرواني كان عاملاً للأمير عبد الرحمن على اشبلييه، ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٤٩.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٤٩ وأخبار مجموعة ص ٩٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم ص ٢٠٥ والبيان المغربي ج٢ ص ٥٠ وابن خلدون ج٤ ص ١٢٤، ونبوة الإسلام ج١ ص ١٩٠.

يرضون بقيام دولة مستقلة في أي قطر من أقطار الإسلام، وهذا حق فينبغي أن لا تكون دويلات من شأنها أن تضعف الدولة الإسلامية، وتشتت قواها. إلا أن انشغال العباسيين بالمشرق الإسلامي لم يجعل لهم سبيل بأن يوجهوا قوة تقضي على عوامل الفرقة والانفصال في المغرب الإسلامي، فإفريقية أصبحت مستقلة مدة من الزمن لم تخضع للعباسيين، والأندلس كذلك قامت فيها دولة أموية مستقلة، بعد أن سقطت دولة الفتوحات الإسلامية في المشرق، إلا أن العباسيين كانوا يتطلعون إلى وحدة الأمة الإسلامية تحت حكمهم، فكانوا يعهدون إلى بعض الشخصيات التي يثقون بها، بأن تقوم بالدعوة للعباسيين وتحارب من يخالف ذلك في الأقطار الإسلامية، ومن ذلك أرسل أبو جعفر المنصور داعية يدعو للعباسيين في الأندلس، وهو العلاء بن مغيث^(١) فنزل بغرب الأندلس في مدينة (باجة) ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور، ونشر أعلام العباسيين السوداء، فتبعته الأجناد، وتطلع أكثر أهل الأندلس إلى خلع الأمير عبد الرحمن بن معاوية^(٢)، فخرج إليه الأمير عبد الرحمن من قرطبة، ونزل بقرمونة فتحصن بها لما رأى قوة عدوه وكثرت، وكانت ثورة العلاء قوية، فحاصرت عبد الرحمن بقرمونة شهرين حتى ساءت أحواله، ونفذت مؤونته، وهبطت روح قواته المعنوية، إلا أن الخلل دخل في صفوف جيش العلاء من طول الحصار، حيث لم ينالوا من الأمير عبد الرحمن رغم حصارهم الشديد له، فملوا من ذلك ودخل فيهم الضعف والسامة، وعند ذلك هاجمهم الأمير عبد الرحمن بجنده القليل، فمرق جيش العلاء شر ممزق وقتل منهم نحو سبعة آلاف^(٣). وكان من بين القتلى قائدهم العلاء نفسه، وقد أرسل الأمير عبد الرحمن رأسه ولواء العباسيين إلى المشرق، فألقى أمام

(١) العلاء بن مغيث اليحصبي: قائد شجاع، كان في إفريقية حتى دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس، فكتب إليه أبو جعفر المنصور كتاباً يدعو فيه إلى الخروج على عبد الرحمن، فلبى الدعوة،/ الأعلام ج ٥ ص ٥٦.

(٢) ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٤.

(٣) ينظر: نفع الطيب ج ١ ص ٣٣٢.

سرادق أبي جعفر المنصور في مكة المكرمة، وكان أبو جعفر حاجاً في تلك السنة، فلما نظر إلى رأس قائده وعلمه قال قولته المشهورة: « الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان » يعني عبد الرحمن الداخل^(١). وبهذه الهزيمة انتهت ثورة العلاء، وكانت أخطر دعوة تواجه الأمير عبد الرحمن، لأنها كانت دعوة عامة، وليست دعوة حزب ولا قبيلة، وإنما كانت لها صبغة شرعية، ولم يك أصلح منها لجمع خصوم الأمير عبد الرحمن من سائر الأحزاب والقبائل تحت لواء واحد^(٢). وبهذا خمدت الدعوة العباسية في الأندلس مدة من الزمن، إلا أن العباسيين ماكان يغيب عن بالهم كلما ظهر لهم بطل له أطماع في إمارة ما، وطلب من العباسيين صبغة شرعية حتى يتسنى له سهولة الوصول إلى مأربه، بادرت الدولة العباسية، بإعطائه الصبغة الشرعية، ووعده بأن يكون حاكماً لأي إقليم يستولى عليه باسمهم، ولهذا بعد خمسة عشرة سنة من ثورة العلاء التي حدثت سنة ١٤٦هـ^(٣) ظهرت دعوة عباسية أخرى في شرق الأندلس، وكان زعيمها يدعى: عبد الرحمن ابن حبيب الفهري^(٤) عبر هذا الداعي من افريقية إلى الأندلس ونزل بساحل تدمير بشرق الأندلس، ودعا للخليفة العباسي، وتجمع له خلق من الناس، وأصبحت دعوته أخطر من دعوة العلاء قبله، لأنه تحالف مع قادة الثورة في شمال الأندلس^(٥) إلا أن هذا التحالف لم يستمر لاختلاف وقع بينه وبين قادة الثورة في الشمال، بل حصل بينهم قتال هزم فيه الفهري، وعاد إلى مقره بتدمير بعد أن سار إلى

(١) ينظر: البيان المغربي ج٢ ص ٥١ وما بعدها ونفع الطيب ج ٨ ص ٣٣٢.

(٢) ينظر: بولة الإسلام ج١ ص ١٦٣.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٧٧.

(٤) عبد الرحمن بن حبيب الفهري أحد زعماء الفهرية، كان مشهوراً بالصقلي لطلوه، وشقوته، وزرقة عينيه، وهو غير عبد الرحمن بن حبيب الفهري والد يوسف الفهري، لأن هذا الأخير كان متغلباً على افريقية في بداية حكم العباسيين وقتل بها سنة ٤٠هـ، الاعلام ج٤ ص ٧٤ ولم أجد له ترجمة وافية.

(٥) ستأتي ثورة الشمال في المبحث القادم إن شاء الله.

الثوار في الشمال لقتالهم، وجعل ينظم قواته، وفي ذلك الحين سار إليه الأمير عبد الرحمن وهاجمه بشدة وأحرق سفنه الراسية بالساحل حتى لا يجد سبيلاً إلى الفرار فارتد الفهري بفلوله إلى جبال بلنسية واستعصم بها، حتى اغتاله بعض اصدقائه، وحمل رأسه إلى الأمير عبد الرحمن، وانهارت بهذا دعوته وثورته وذلك سنة ١٦٢هـ^(١) وبهذا انقطعت أي محاولات من الدولة العباسية في الأندلس.

ثالثاً: إن الأمير عبد الرحمن بقضائه على خصومة الأقوياء - وهم حكام الأندلس قبله بقيادة يوسف الفهري والصميل بن حاتم، وما تلي ذلك من ثورة أبناء الفهري، ومحاولات الدولة العباسية، المتمثلة في ثورتي العلاء بن مغيث وعبد الرحمن بن حبيب الفهري - كان المنتظر أن يستقر له الوضع ويستتب الأمن في الأندلس، ولكن لم يكن كل ذلك بل إن الأندلس في أول أمر الأمير عبد الرحمن تسعرت فيها ثورات عديدة، وغدت كل قبيلة تلتف حول زعيمها ومصالحها الخاصة، وأصبحت مستقلة برأيها، وتمسكة باستقلالها المحلي، وتأبى الخضوع لأي سلطة عامة، وهؤلاء أصبحوا عقبة أمام الأمير عبد الرحمن الذي كان يهدف لإحياء دولة للإسلام قوية متماسكة تحت حكمه^(٢)، ولهذا كان الأمير عبد الرحمن يواجه أخطر النزاعات والفرق الخطيرة من أجل إقامة دولة ذات قيادة واحدة^(٣) وأهم النزاعات السياسية التي واجهت الأمير عبد الرحمن بعد الفهريين من داخل الأندلس الإسلامية، هي تتمثل فيما يأتي:

العصبية اليمينية المعروف إن الأمير عبد الرحمن منذ أن أرسل دعائه إلى الأندلس الذين يمهدون له الطريق، كانت اليمينية في الأندلس أول من استقبل دعاة عبد الرحمن ورحب بهم، بعد الأمويين، وعندما دخل الأمير عبد الرحمن الأندلس كان أول انصاره في الحروب هم اليمينية،

(١) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ١٨٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ١٥٥.

(٣) سيأتي قيام العصبية المحلية ضد الأمير عبد الرحمن.

وهم الذين عقدوا له اللواء^(١)، وقاتلوا معه يوسف والصميل يوم المسارة، ولكن هناك في بعض اليمانية نفوس لها أطماع في الرأسة والاستقلال. وكان هذا الشعور يحز في نفوس بعض مشاهير اليمانية أمثال أبو الصباح^(٢) فما إن انتصر عبد الرحمن في أول معركته مع يوسف الفهري، إلا دعا أبو الصباح قومه - عندما رأهم هم الأكثرية في جيش عبد الرحمن المنتصر - قائلاً: قد استرحنا من يوسف، فاستريحوا لنا من هذا - يعني عبد الرحمن بن معاوية الداخل - وتكون الأندلس قحطانية^(٣). ولعل هذا الشعور المفاجيء ظهر عندما منعهم الأمير عبد الرحمن التصرف على أموال وعيال يوسف الفهري عدو اليمانية الأول في الأندلس آن ذلك^(٤) وظل شعور حب الاستقلال في نفوسهم.

ولعلمهم كانوا يتوقعون المناصب العالية عندما تولى الأمير عبد الرحمن ولكنهم لما رأوا قلة مناصبهم وعزل الأمير لبعضهم، جعلوا الانتقام من الأمير عبد الرحمن هدفهم الأسمى، وأصبحوا ينضمون في صفوف كل ثائر على الأمير عبد الرحمن فكانوا أول من انضم في ثورة العلاء بن مغيث^(٥). وقاموا بعدة ثورات ضد الأمير عبد الرحمن. وكانت أولى ثوراتهم المستقلة بقيادة أبي الصباح اليحصبي، وكان من زعماء اليمانية البارزين، وكان مقره بأشبيلية وقت دخول عبد الرحمن إلى الأندلس وهو أول من رحب بالأمير، وقاتل معه يوم المسارة وكان له ثقله في تلك الموقعة لمكانته في قومه ولما عرف عنه من نجدة وشجاعة وكرم، وظهرت منه يومها بعض الكلمات التي تسيء إلى الأمير عبد الرحمن، وتنبؤ بسوء طوية أبي الصباح، إلا أن الأمير عبد الرحمن لم يعاقبه لمكانته بل أكرمه

(١) ينظر: أخبار مجموعة ص ٨٤.

(٢) أبو الصباح هو: حي بن يحيى اليحصبي زعيم من زعماء العرب اليمانية، ينظر: الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٥٩٠ ولم أجد ترجمة وافية.

(٣) ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٥٢.

(٤) أخبار مجموعة ص ٩٠.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٢.

وقربه وبالغ في إكرامه لكي يزيل كل ضغينة من قلبه، فعينه على اشبيلية والياً^(١). ثم عزله عنها لأمر ما^(٢) ولكن أبا الصباح لم يمثل الأمر بل قرر الثورة ودعا إلى الخلف، فأجابه قومه وكثير من الأجناد، فلاطفه الأمير عبد الرحمن ودعاه إلى قرطبة للتفاوض معه فقدم إليه ومعه أربعمائة فارس، فأدخله الأمير على نفسه، وقتله في داخل القصر، وصاح على أتباعه صائح قائلاً: (إن أبا الصباح قتل فمن أراد أن يلحق ببلده فليلحق آمناً) فافترق أتباعه ولم يحدث أي شيء^(٣).

وبهذا انتهت ثورة أبي الصباح، ولكن لم تنته معها المحاولات اليمنية، حيث ثار بعد أبي الصباح سعيد اليحصبي^(٤)، بمدينة (لبلة) واجتمعت إليه اليمنية وقامت بينه وبين الأمير عبد الرحمن عدة معارك انتهت بقتله^(٥)، وذلك سنة ١٤٩هـ^(٦) ثم قامت ثورة بقيادة حيوية بن ملامس الحضرمي^(٧). وذلك سنة ١٥٦هـ وعاث فساداً واجتمع له خلق كثير، ودارت بينه وبين جند الأمير معارك كثيرة، انتهت بهزيمته وقتله سنة ١٥٧هـ^(٨) بهذا انتهت النزاعات اليمنية التي كانت تواجه الأمير عبد الرحمن.

وكل ذلك يهون ولكن كانت هناك مؤامرة داخلية من البيت الأموي نفسه، وذلك أن عبد الرحمن بن معاوية منذ أن تم له الأمر في الأندلس كان يسعى إلى استقدام بني أمية إليه، فكان يدعوهم ليكونوا له عوناً، ويظلمهم برعايته، ويغدق عليهم من نعمه، ويختارهم لمختلف المناصب، ولكن

(١) أخبار مجموعة ص ١٠٥.

(٢) يقال إن العرب لما أكثروا من الثورات ضد الأمير، عزله إمانة لهم. ينظر: عبد الرحمن الداخل وسياسته الخارجية والداخلية ص ١١٢، إبراهيم ياسر خضير الدوري.

(٣) أخبار مجموعة ص ١٠٥ والبيان المغرب ج ٢ ص ٥٣.

(٤) سعيد اليحصبي يعرف بالمطري، لم أجد له ترجمة.

(٥) ينظر البيان المغرب ج ٢ ص ٥٣، والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٥٨٨.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٧) حيوية بن ملامس. لم أجد له ترجمة.

(٨) أخبار مجموعة ص ١٠٨.

كانت لبعض بني أمية روح من الحقد والحسد لعبد الرحمن وكان يشجعهم في ذلك بعض الناقلين والمنافسين الطامعين، فدبرت للأمير عبد الرحمن مؤامرتان خطيرتان أولاهما قام بها اثنان من أقطاب بني أمية هما، عبد السلام بن يزيد بن هشام، وهو ابن عم الأمير عبد الرحمن، وعبيد الله بن أبان بن معاوية، وهو ابن أخ الأمير عبد الرحمن ولما كشف أمرهم للأمير عبد الرحمن قتل كل من ابن عمه - عبد السلام - وعبيد الله بن أبان وذلك سنة ١٦٣هـ^(١). وبهذا انتهت المؤامرة الأولى، ولكن نفوس الطامعين على السلطة، لم تتوقف عن المحاولات للاستقلال بالسلطة فدبرت محاولة أخرى لسحق الأمير عبد الرحمن وذلك سنة ١٦٨هـ وكان مدبرها ابن أخ الأمير عبد الرحمن، وهو المغيرة بن الوليد بن معاوية، بمعاونة هذيل بن الصميل بن حاتم، ولما وقف الأمير على مؤامرتهم، قتلها ومن سعى معهما، ونفى أخاه الوليد إلى إفريقية مع أسرته. وكان يقول في قومه المتآمرين عليه: (ماعجبي إلا من هؤلاء القوم، سعينا فيما يضجعهم في مهاد الأمن والنعمة، وخاطرنا بحياتنا، حتى إذا بلغنا منه مطلوبنا، ويسر الله تعالى أسبابه، اقبلوا علينا بالسيوف. ولما آويناهم، وشاركناهم فيما أفردنا الله به، حتى أمنوا وردت عليهم أخلاف النعم، هزوا أعطافهم، وشمخوا بآنافهم، وسموا إلى العظمى، فنازعونا فيما منحه الله تعالى، فخذلهم الله بكفرهم النعم، إذ أطلعنا على عوراتهم، فعاجلناهم قبل أن يعاجلوننا، وأدى ذلك إلى أن ساء ظنوننا في البريء منهم وساء أيضاً ظنه فينا، وصار يتوقع من تغيرنا عليه ما نتوقع نحن منه)^(٢).

وبهذا انتهت مؤامرات الأمويين ضد عبد الرحمن. وكانت أشد المؤامرات على الأمير عبد الرحمن لأنها من قرابته الذين ما كان يتوقع منهم إلا النصر والمعاونة.

واجهت الأمير عبد الرحمن في فترة حكمه ثورات أخرى كان أهمها

(١) ينظر: بولة الإسلام ج١ ص ١٨٩.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة. والبيان المغرب ج٢ ص ٥٧.

ثورة سليمان ابن يقظان^(١) في شمال الأندلس، وثورة شقنا الذي الدعي الانتماء إلى آل البيت وكانت ثورته في شمال شرق الأندلس، وكان هذا الزعيم من البربر، فاجتمع حوله البربر، واستولى على شنت برية وجعلها مركزه، وجعل يحارب الأمير عبد الرحمن مدة عشر سنوات من عام ١٥٠ إلى عام ١٦٠هـ وانتهت بقتل الدعي الفاطمي من بعض أتباعه بعد أن عاث كثيراً، وسفك دماء الأبرياء^(٢) وسيأتي بعض تفاصيل هذه الثورة فيما بعد^(٣).
أما ثورة سليمان بن يقظان، فإنه كان والياً على برشلونة فثار بها ضد الأمير عبد الرحمن، وتبعه في الثورة الحسين بن يحيى^(٤). والي سرقسطة، وتحالفاً على قتال عبد الرحمن وخلعه.

ومما شجعهم على ذلك، انشغال عبد الرحمن بثورة الجنوب المتمثلة في اليمينية والفهرية. وطبيعة المنطقة التي كانوا فيها لأنها كانت جبلية. ولعل سليمان كان يحفزه على الثورة لأنه كان من اليمينية التي قامت ضد عبد الرحمن في الجنوب^(٥)، ودارت بين الثائر ابن يقظان وبين الأمير عبد الرحمن معارك كان النصر فيها في أول الأمر لابن يقظان فإنه أسر قائد الأمير عبد الرحمن - ثعلبة بن عبيد الجزامي^(٦) وذلك سنة ١٥٨هـ، إلا أن سليمان بن يقظان أراد أن يتقوى أكثر لخوفه من الأمير عبد الرحمن، فاتصل بملك الأفرنجية، ليستنصر به على الأمير عبد الرحمن، ويعدّه بتسليم برشلونة وسرقسطة إليه، فلبى ملك الأفرنجية دعوته، وجاء بحشوده إلى برشلونة، إلا أن هناك وقع خلاف بين الثوار أنفسهم، فرفض الحسين بن يحيى تسليم المدينة لشرلمان ملك الأفرنجية، فرجع غاضباً

(١) سليمان بن يقظان المعروف بالأعرابي، لم أجد له ترجمته.

(٢) ينظر: دولة الاسلام ج١ ص ١٦٤.

(٣) في المبحث التالي.

(٤) الحسين بن يحيى، من ولد عبادة بن الصامت الأنصاري. / ينظر: دولة الاسلام ج١ ص

١٦٨ ولم أجد له ترجمة.

(٥) ينظر: المرجع السابق ص ١٦٩ الحاشية رقم واحد.

(٦) لم أجد ترجمته.

وأسر معه سليمان، إلا أن الجيش الأفرنجي هزم أثناء عودته واستخلص منه أسرى المسلمين وعلى رأسهم سليمان بن يقظان، وكانت هزيمته على يد ولدي سليمان بن يقظان^(١). فرجع سليمان من يد ملك الأفرنجية، واستمر في ثورته حتى قتل على يد بعض أعوان الحسين بن يحيى قرينه في الثورة.

واستقل الحسين بن يحيى بالثورة في الشمال وأصبحت الحرب بينه وبين الأمير عبد الرحمن سجالاتاً، حتى قتل هو وأتباعه سنة ١٦٧هـ على يد الأمير عبد الرحمن^(٢).

وبعد كل هذه الجهود الجبارة التي بذلها الأمير عبد الرحمن لإخماد الثورات في الأندلس وتأسيس دولة أمية فيها من جديد، وقضى كل مدة حكمه من أجل إقامة هذه الدولة، مات رحمه الله سنة ١٧٢هـ بعد حكم دام ثلاثاً وثلاثين سنة، قضاه في حروب مستمرة، وعمل دؤوب من أجل إعادة أمجاد آباءه، وتأسيس دولة وضع معالم حضارتها، وضبط سلطانتها، ووضع نظام سياستها، وتركها لابنائه من خلفه بعد أن قضى على كل منابع الفتنة والخروج.

المطلب الرابع

الفزاعات السياسية في عهد هشام بن عبد الرحمن ١٧٢ - ١٨٠هـ.

أسس عبد الرحمن دولة بني أمية في الأندلس، ولكن عندما حضرته الوفاة ترك أمر الأندلس من بعده لابنائه، من غير وصاية مخصوصة لأحد معين، بل كانت وصيته لشخصين غائبين بدون أن يعين أحدهما بالأولوية للحكم. فقال - لما حضرته الوفاة لابنه عبد الله الذي كان حاضراً معه وقت الوفاة- (من سبق إليك من أخويك فارم إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك

(١) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ١٦٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٥٧ ونولة الإسلام ج١ ص ١٨٨.

هشام - وكان بما ردة - فله فضل دينه وعفته واجتماع الكلمة عليه؛ وإن سبق إليك سليمان - وكان بطليطلة- فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين إليه^(١) فقدم هشام من ماردة، قبل أخيه سليمان، وسلم إليه أخوه عبد الله وصية أبيه، وبويع بالخلافة بعد أبيه وتم له الأمر بقرطبة وماجاورها. إلا أن الأوضاع الهائلة التي تركها أبوه بعد الحروب الطويلة، لم تدم، فإن السنة الفتن، وأصحاب الثارات القديمة بدأت تظهر، ولكن الأمر الأخطر من هذا كله، إن سليمان أخوا هشام، لم يرض ببيعة أخيه هشام، بل رأى نفسه أحق بالخلافة لأبيه لكبر سنه، فأخذ البيعة لنفسه من أهل طليطلة وجعل يحشد قواته لمحاربة أخيه هشام، كما أن عبد الله الذي سلم الخلافة لهشام بوصية أبيه، أخذت نفسه تتوق إلى الإمارة، وعدم الخضوع لأخيه هشام فخرج من قرطبة إلى طليطلة ، لاحقاً بأخيه سليمان ومنضماً في صفه ضد هشام فخرج هشام مضطراً لمحاربة أخويه وذلك سنة ١٧٣هـ إلى طليطلة، ولما نزل بها أراد سليمان أن يخدع هشام ويستولي على دار الخلافة، فاستخلف أخاه عبد الله في طليطلة، وخرج متخفياً، وتوجه إلى قرطبة، ليستولي عليها في غياب أخيه هشام، حتى نزل (شقنودة)، فخرج إليه أهل قرطبة مدافعين له، وأرسل هشام على أثره ابنه عبد الملك، فانهزم سليمان، وفر إلى (ماردة) ولكن عاملها أيضاً رده خائباً، فهرب إلى (مرسية) أما عبد الله فإنه لما رأى فشل محاولات سليمان أخيه، فإنه طلب الأمان من الأمير هشام فأمنه هشام وقبل توبته، ثم أغزا هشام ابنه معاوية إلى (مرسية) لأنه كان في بعض ثغورها سليمان الذي فر إليها من قبل، فطلب سليمان الأمان، فاشترط عليه هشام الخروج من الأندلس كلها، ويعطيه مالاً، فعبر إلى افريقية بأهله، وعبر معه أخوه عبد الله، واقاما

(١) البيان المغرب ج٢ ص ٦١.

بعودة افريقية. وانتهت بذلك ثورتها^(١) وكانت أكبر فتنة تهدد دولة هشام في أول قيامها. وكان القضاء على فتنة سليمان سنة ١٧٤هـ. وقامت في شمال الأندلس ثورات أخرى كان هدفها طلب الثأر، فإن القائمين بها هم أبناء الثورة في عهد عبد الرحمن الداخل، إلا أن هشام قضى عليها سنة ١٧٥هـ وقتل قائدها مطروح بن سليمان بن يقظان^(٢) وبعد هذه الثورة هدأت الأمور لهشام وتفرغ لجهاد الأعداء، ولم تقم عليه أي ثورة إلا ثورة البربر سنة ١٧٨هـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله^(٣).

المطلب الخامس

النزاعات السياسية في عهد الحكم بن هشام، وما بعده

تولى الحكم بن هشام الحكم بعد أبيه، والأوضاع المحلية هادئة، فاستهل حكمه بجهاد الأعداء، إلا أن هذا الجهاد قطع بقيام ثورات كثيرة ضد الحكم^(٤)، استطاع الحكم أن يتغلب عليها ويستأنف الجهاد مرة أخرى.

وكانت الثورات التي واجهت الحكم هي ثورة عميه، سليمان وعبد الله اللذين نفيا إلى افريقيا سابقاً، فقد عبرا البحر إلى شرق الأندلس وكونا هناك قوة، واتصل عبد الله بملك الإفرنجة ليستنصر به ضد الحكم بن هشام وأن ملك الإفرنجة رحب بالأمر ثم تراجع خوفاً من غدر المسلمين به^(٥).

واستمرت ثورة سليمان وأخيه ضد الحكم سبع سنين حتى انتهت بقتل سليمان بعد حروب دامية، واستسلام أخيه عبد الله وطلبه الأمان من

(١) البيان المغرب ج ٢ ص ٦٢ وبولة الاسلام ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) المرجعين السابقين ص ٦٣ وص ٢٢٦.

(٣) في المبحث القادم.

(٤) سيأتي ذكرها في المبحث القادم.

(٥) ينظر: بولة الإسلام ج ١ ص ٢٢٦.

الحكم وتقديم ابنه رهينة لدى الحكم، فقبل منه الحكم^(١) وبهذا انتهت أخطر ثورة سياسية ضد الحكم من أسرته.

وقد وُطد - الحكم - الأمن في البلاد، ولما توفى خلفه ابنه عبد الرحمن بعهد منه، واستقبل عبد الرحمن عصراً جديداً، وملكاً عظيماً، أرسى أسسه أسلافه الذين سبقوه، فورث هذا الملك العظيم، وكانت أيامه أيام هدوء وسكون، كثر فيها المال، وازدهرت فيها حضارة الأندلس بجميع فنونها^(٢). ولم تحدث في أيامه نزاعات سياسية إلا قليلاً، مثل ثورة عبد الله بن عبد الرحمن (عم أبيه) فإنه ثار بكورة تدمير سنة ٢٠٧هـ في أول ولاية عبد الرحمن، وتجمع عنده خلق كثير، وحاول الاستيلاء على قرطبة ولكنه مات قبل البدء في مشروعه، وانتهت به الفتنة التي تكررت كثيراً منذ وفاة عبد الرحمن الداخل^(٣).

ولما توفى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، توالى على الأندلس من بعده ثلاثة خلفاء^(٤) اضطربت الأندلس في عهدهم على بركان من الثورات كادت أن تقضي على ملك بني أمية، وشغلت المسلمين وقتاً طويلاً حتى تولى الأمير عبد الرحمن الناصر وقضى وقتاً طويلاً في إخماد الفتن وإعادة الأمور إلى نصابها. فأمن البلاد واستأنف جهاد الأعداء، وبلغ الإسلام في عهده أعظم مبلغ وخضعت له ملوك النصراني، ووفدت إلى بلاطه، طالبة للأمان، ووطد دعائم الملك للإسلام. وتولى الملك من بعده ابنه الحكم الذي بلغت الأندلس عصرها الذهبي في العلوم في عهده فلم يداهيا في ذلك أحد، إلا أنه ارتكب خطأ كان سبباً في دمار الأندلس وتشتتها. حيث عهد بالخلافة إلى ابنه الصغير الذي لم يبلغ الحلم، مما جعل الدولة الإسلامية في الأندلس مسرحاً ومرتعاً لأصحاب الأطماع وحب الرأسة^(٥). وكان فعل الحكم يُعدُّ من سيئاته في حق الإسلام والمسلمين

(١) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٧٠ وما بعدها ونولة الإسلام ج١ ص ٢٢٣.

(٢) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٤٧.

(٣) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٢٥٥.

(٤) وهم: محمد بن عبد الرحمن وولديه: المنذر بن محمد وعبد الله بن محمد.

(٥) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج٢ ص ٥٠٩.

في الأندلس. لأنه فتح باباً للفتن والنزاعات التي كانت قد هدأت قرابة قرن من الزمن. وبسبب فعلته هذه قامت النزاعات الأموية التي أدت إلى تشتت المسلمين وتفرقهم إلى دويلات متنازعة، وقويت شوكة أعداء الإسلام فاصبحوا يقطعون أطراف البلاد، ويعيثون فساداً في الأرض^(١) وبهذا قد أدت النزاعات السياسية إلى زوال حكم بني أمية من الأندلس. كما كانت عائقاً من عوائق الدعوة الإسلامية في الأندلس وسبباً لدمار الأمة الإسلامية في الأندلس كلها.

(١) ينظر: نفح الطيب ج١ ص ٤٢٦ وما بعدها.

المبحث الثاني النزاعات العرقية

دخل المسلمون الأندلس فاتحين داعين إلى الإسلام، وهم عرب وبربر، وكانت أخوة الإسلام تربط بينهم، وروح الدعوة والجهاد في سبيل الله، تعلق بها همهم، فهم كانوا أخوة في الله سبحانه وتعالى، ألف الله بينهم بهذا الدين الحنيف.

ففتحوا البلاد، حتى عمت فتوحاتهم كل بلاد الأندلس، وامتدت بعدها إلى أوروبا. وعمل المسلمون في البلاد المفتوحة، بالرفق والاعتدال، والوفاء بالعهود، فدخل الناس في دين الله أفواجا، وعم الإسلام كل الأندلس ورفرفت رايته على جنوب فرنسا الحالية، وأصبحت كل هذه البلاد جزءاً من الأمة الإسلامية، تحكمها شريعة الإسلام، ويتوالى عليها الولاية من قبل الدولة الإسلامية.

وهكذا ظلت الأندلس فترة من الزمن تنعم بالأمن والاستقرار تحت رعاية الإسلام، حتى انقضى القرن الأول الذي جمع الله فيه الأمة الإسلامية على دين الإسلام، والذي أزال الله به عن البشرية كل عواصف الجاهلية، وجعل كلمة الأمة الإسلامية واحدة، ودستورها واحد، وهو القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، وقيادتها واحدة، وهي الأمة العربية التي أختارها الله عز وجل، فبعث منها الرسول ﷺ، واصطفها الله لصحبة الرسول وحمل راية الإسلام إلى العالم.

فما كاد ينقضي القرن الأول حتى ظهرت في الأمة الإسلامية العصبية للعرق أو الأصل، واصبحت تعصف هذه العصبية بوحدة الأمة الإسلامية، وفتحت أمام الأجناس المختلفة - التي كانت تعمل تحت لواء

الإسلام - مجالاً للتنافس والتطاحن^(١).

وليس هناك بلد من بلاد الإسلام في ذلك الوقت تضرر بهذه النعرات العرقية، أكثر من بلاد الأندلس، لقربها من أرض الحرب، والأعداء المتربصين بالأمة الإسلامية. وكان لابد لمن يقوم في الأندلس أن يكون يقظاً، ومتحدّياً، وإلا نهض إليه الأعداء، وهذا ما حصل كما سنرى.

ولما انشغلت الخلافة الإسلامية بنفسها - في دمشق - عن الأطراف للبلاد النائية، قامت في الأندلس نزاعات، وفتن شغلت المسلمين فترة من الزمن ومكنت للأعداء، حتى استردوا من أيدي المسلمين عدة أقاليم كبيرة، وكانت هذه الفتن كثيرة، ومتشعبة الغايات والأهداف، فمنها ما يراد به الاستقلال بحكم الأندلس، ومنها ما يراد به الانضمام إلى الخلافة العباسية الجديدة. ومنها ما يراد به الاستقلال بجزء معين. فهي كثيرة ومتشعبة، شغلت الأمة الإسلامية في الأندلس من ولاية عبد الملك بن قطن سنة ١٢١هـ وحتى منتصف خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله في القرن الرابع الهجري. والذي يتناوله الحديث في هذا المبحث الثورات الكبيرة التي أمتازت بالعرقية القبلية، والتي طالت مدة محاربتها في سبيل ذلك. يتناول الحديث ثلاثة تورات عرقية، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

النزاعات العرقية العربية في الأندلس

لم يكن للعرب في الأندلس أي نزاع قبلي ظاهر حتى دخل بلج بن بشر القشيري، الأندلس بجند الشام سنة ١٢٣هـ وكان وقت دخوله قد شرط عليه عبد الملك بن قطن مغادرة الأندلس بعد مدة من الزمن، وأخذ عليه العهد والرهائن بذلك. ووافق بلج على الشروط، ورفع الرهائن. فجعل عبد الملك

(١) ينظر: فجر الأندلس ص ١٤٣.

الرهائن في جزيرة أم حكيم^(١) عند أحد عماله. ولما وقع الخلاف بين عبد الملك ابن قطن، وبلج بن بشر، حصل تفريط في الرهائن، ومات منهم رجل من غسان عطشاً^(٢) وكان من أشرف دمشق^(٣).

ولما تولى بلج طلب منه الجند أن يعطيهم عبد الملك ليقتلوه بصاحبهم الذي مات في الجزيرة، فتوقف بلج في الأمر، ولكن ألح عليه الجند، وثارَت اليمن كلها على كلمة واحدة، فما كان من بلج إلا أن يلبي طلبهم، فأخرج عبد الملك من داره بقرطبة، وهو رجل قد بلغ التسعين من عمره فأخرج من داره، والثارات القديمة، تغلي في نفوس جند الشام، ويقولون لعبد الملك: (أفلت من سيوفنا يوم الحرة^(٤))، فطالبتنا بثأرها في أكل الجلود والدواب، ثم أردت إخراجنا إلى القتل ثم قتلوه، وصلبوه^(٥))، فكانت هذه أول فتنة عرقية ظاهرة تحدث في الأندلس وكانت فاتحة باب شر كبير على المسلمين هناك، فقامت الحروب الطاحنة بين أهل الشام الذين دخلوا مع بلج، وبين أهل البلد من عرب وبربر^(٦). بقيادة ابني عبد الملك (أمية وقطن) يساندهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، فارس الأندلس، واستمرت الحرب حتى جاء أبو الخطار والياً على الأندلس، من أفريقية، كما تقدم، فهدأت الأمور بعد أن طرد الزعماء الذين كان لهم بأس، وفرق جند الشام إلى الأقاليم. إلا أن عروق الفتنة لم تجتث بعد، والتعصب للقبيلة

(١) جزيرة أم حكيم: هي بالقرب من مضيق جبل طارق.

(٢) لأن الجزيرة التي كان فيها الرهائن قليلة الماء أو لا ماء فيها يصلح للشرب، ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٣٦، وتاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١٥٩.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٣٦ وأخبار مجموعة ص ٤١.

(٤) يوم الحرة وقعة كانت بين جند يزيد بن معاوية من أهل الشام وبين أهل المدينة في شرق المدينة، أستباح فيها أهل الشام المدينة ثلاثة أيام يرتكبون المنكرات، وكان ذلك سنة ٦٣هـ. وكان عبد الملك بن قطن شاهداً ذلك مع أهل المدينة، ففر إلى أفريقية/ ينظر: في تفاصيل موقعة الحرة: الكامل في التاريخ ج٤ ص ١١١ وما بعدها.

(٥) البيان المغرب ج٢ ص ٣٢ وأخبار مجموعة ص ٤٢.

(٦) أخبار مجموعة ص ٤٣ وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٢.

ما زال في النفوس، فقامت الفتنة من جديد، وأصبحت قومية بعض القواد والرؤساء ظاهرة لأدنى الأسباب، وظهر في الميدان زعيماً متعصباً للمضرية، هو الصميل بن حاتم، وكان فارساً شجاعاً ذا نجدة وبأس، والمعروف أن أبا الخطار يمينياً، فأتهم بالتعصب لليمنية ضد غيرهم، وحصل إن اختلفت رجلان أحدهما يمني والآخر مضري، واختصما إلى أبي الخطار، الوالي العام هناك، فأتهم أبو الخطار بالميل إلى اليمني، وعدم إنصاف المضري.

وما أسهل الاتهامات إذا كان في النفوس شيئاً. فجاء الصميل بن حاتم مستفسراً عن القضية، أو محامياً للذي من بني قومه - الله أعلم - إلى أبي الخطار، فتعرض للإهانة هناك^(١)، فخرج مغضباً. قد مالت عمامته، فذهب إلى داره، وبعث إلى خيار قومه يخبرهم بما لقي من أبي الخطار، ويستشيرهم في أمره وكان الصميل رجلاً مطاعاً في قومه، فقالوا له: نحن تبع لك^(٢) ولكن الصميل كان من دهات العرب في الأندلس فأراد أن يستنصر بكل من يخالف أبا الخطار في الرأي، وقال لقومه: (ما أحب أن أعرضكم للقضاعية ولا اليمانية، ولكني أدعو ألفة مرج راهط^(٣)). وأدعو لخمياً، وجذاماً، ونقدم رجلاً يكون له الاسم ولنا الحظ^(٤)). وأراد الصميل من هذا التخطيط، أن يضرب اليمنية ببعضها البعض، فقام بمراسلة الزعماء الناقلين على أبي الخطار ومنهم ثوابة بن سلامة الجذامي، وكان من اليمنية إلا أنه كان ينقم من أبي الخطار، فإنضم إلى صف الصميل، وقدمته المضرية فقامت بين الفريقين معارك طاحنة انتهت بهزيمة

(١) قيل: ضرب، وقيل شتم/ ينظر: أخبار مجموعة ص ٥٦ والبيان المغربي ج ٢ ص ٥٠.

(٢) أخبار مجموعة ص ٥٦ والبيان المغربي ج ٢ ص ٣٥.

(٣) مرج راهط، مكان قريب من دمشق، حصلت فيه معركة في خلافة مروان بن الحكم بين اليمنيين جيش مروان، والمضريين جيش عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فقتل فيها قائد المضريين وعدد كبير منهم، وانتصر اليمنيون. ينظر: الكامل ج ٤ ص ١٤٩

(٤) ينظر: أخبار مجموعة ص ٥٧ والبيان المغربي ص ٣٥.

أبي الخطار وأسره، وذلك سنة ١٢٧هـ ودخل ثوابة قرطبة وأصبح أمير الأندلس، وسجن أبا الخطار في قرطبة^(١) ثم توفي ثوابة، وكثر الخلاف بين أهل الأندلس وانقسم الناس بين المضرية واليمينية، وذلك أن أبا الخطار أخرج من السجن بواسطة أحد أعوانه^(٢) وهرب إلى لبلة، فأرادت اليمينية أن تعيده على الإمارة، فأبت ذلك المضرية^(٣) وأقامت الأندلس عدة أشهر بدون والي يجمعها، حتى تراضى الفريقان على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري ولكن قامت اليمينية مرة أخرى بقيادة أبي الخطار، ويحيى بن حريث^(٤). وذلك أن يوسف بن عبد الرحمن كان قد قطع يحيى بن حريث كورية (رية) ولعل ذلك لنوع من الصلح بين الزعماء، ولكن يوسف عزله من هذه الكورة فغضب يحيى وكاتب أبا الخطار^(٥) واتفقا على محاربة يوسف، والصميل بن حاتم، الذي كان يعتبر الوزير المباشر ليوسف والقائم بأمر دولته، فأجمعت كل اليمن تحت قيادة ابن الحريث، وهناك اشتعلت نار الحرب بين القبيلتين (وهي أول حرب كانت في الإسلام بهذه الدعوة، لم تكن حرب قبل هذه الواقعة، وهي الفتنة العظمى التي بها يخاف بوار الإسلام بالأندلس إلا أن يحفظه الله)^(٦).

(١) ينظر: أخبار مجموعة ص ٥٧ والبيان المغرب ص ٣٥.

(٢) يقول صاحب البيان المغرب: «إن قضاة قد اجتمعت وقدمت عليها، عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، فجمع مائتي رجل وأربعين فارساً، فبيت قصر قرطبة وقاتل الأحراس وهجم على السجن فأخرج أبا الخطار وهرب به إلى لبلة./ البيان المغرب ج٢ ص ٣٥.

(٣) البيان المغربي ج٢ ص ٣٥.

(٤) يحيى بن الحريث أحد زعماء الأندلس. لم أجد ترجمته.

(٥) هناك سبب آخر ذكره ابن الأثير لقيام هذه الحرب، وهو أن اليمينية والمضرية قد اتفقا على أن تكون الولاية بينهما كل سنة يتولى واحد من القبيلتين، فعلى ذلك تولى يوسف الفهري، ولما أكمل سنة - جاءت اليمينية لتتولى الحكم على حسب الاتفاق، فغدر بهم يوسف والصميل، فقتلوه على غرة) ينظر: الكامل في التاريخ ج٥ ص ١٨٣.

(٦) أخبار مجموعة ص ٥٩ ولعله يقصد في الأندلس، لأنه لم يسبق لها حرب قبلية. أما في غيرها، فحدثت حروب في الشرق.

والتقى الفريقان في الحرب البائرة سنة ١٣٠هـ على مقربة من قرطبة في مكان يسمى شقنده جنوبي قرطبة، في ملحمة لم يرى مثلها في المغرب الإسلامي بين المسلمين، انتهت بهزيمة اليمينية، وقتل أبي الخطار، وابن الحريث مع سبعين من وجهائهم^(١). وبهذا انتهت الحرب بين القبيلتين، وصفى الأمر ليوسف الفهري ظاهرياً حتى دخول عبد الرحمن بن معاوية الأموي الأندلس سنة ١٣٨هـ ولكن النفوس كان في داخلها تغلي مراجل الغضب، فإن اليمينية الذين كان الملك فيهم أرسخ كما يصفهم المقرئ في نفع الطيب^(٢) لم يرضوا بحكم المضرية، وإن هدأت الآن ثورتهم، بل كانوا يتطلعون إلى الرأس أو على الأقل إلى إزالة حكم يوسف والصميل الحالي، فهم أول من أجاب دعوة عبد الرحمن الداخل وانخرط في جيشه^(٣). وكانت الفتنة تظهر كلما وجد لها سبب بسيط، لأن العشائر العربية قد احتفظت بقبليتها حتى عهد المنصور بن أبي عامر، فهو الذي حل هذه القبلية واعتمد على القواد، الذين كانت تجتمع تحت رايتهم كل العشائر دون إنتماء لعشيرة معينة^(٤).

وفي عهد عبد الرحمن الداخل، كانت محاولات من اليمينية للإستيلاء على الحكم تقدمت الإشارة إليها في النزاعات السياسية، ولكن ما يخص بالحديث منها هنا هي ثورة سليمان بن يقظان، لأن هذه الثورة فتحت باباً جديداً للشرف في الأندلس، لم يسبق له مثل في تاريخها، وهو الاستعانة بالكفار على المسلمين، ولعل سليمان هو أول من يتحمل هذا الوزر، الذي أدى إلى بوار المسلمين بعد ثمانية قرون.

وثورة سليمان كانت سنة ١٥٧هـ وهو كان والياً على الثغر الأعلى (برشلونة) وتحالف مع والي سرقسطة، الحسين بن يحيى الأنصاري على

(١) المرجع السابق ص ٥٩، البيان المغربي ج ٢ ص ٣٨ ودولة الإسلام ج ١ ص ١٣١.

(٢) نفع الطيب ج ١ ص ٢٨٠ وما بعدها. وكان أكثر الولاة من اليمينية في الأندلس/ فجر الأندلس ص ١٥١ حسين مؤنس.

(٣) أخبار مجموعة ص ٨٣.

(٤) نفع الطيب ج ١ ص ٢٨٣ وما بعدها.

الثورة، وكان قيامه لأجل العصبية القومية وهذا مايقوله العذري: (إن سليمان بن يقظان الكلبي كان من زعماء سرقسطة، فلما ولي الثغر، بدر مولى عبد الرحمن الداخل نقله إلى قرطبة، فحرضه البعض على القيام بثأر قومه اليمانية، فخرج من قرطبة إلى سرقسطة ودخلها)^(١) ولما ثار بالثغر، أرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشاً لمحاربتة بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي، فهزمه سليمان وأسر ثعلبة ولم يكتف بهذا بل سار إلى ملك الافرنجة (شارلمان) وطلب منه النصرة ضد الأمير عبد الرحمن، ووعده بتسليم المدن التي تحت يده وأهمها (برشلونة)^(٢) فلبى ملك الإفرنجية دعوة سليمان، لأنها كانت توافق مطامعه، وتعتبر ضربة للمسلمين، بسيفهم وتوجه ملك الافرنجة إلى الأندلس، ومعه سليمان بن يقظان الداعي له، والذي وعده بتسليم (الثغر) وكان مع ملك الافرنجة جيش عظيم. فوصل إلى سرقسطة، وكان فيها الحسين بن يحيى الأنصاري، وكان سليمان وعد (شارلمان) بتسليمه هذه المدينة، ولكن فوجيء - عندما وصل إليها جيش الافرنجة - بالمقاومة التي ماكان يتوقعها، لأن الحسين الأنصاري، امتنع بالمدينة وتخوف من ملك الافرنجة، فقاومه بالمسلمين الذين كانوا معه ولما رأى شارلمان المقاومة، أرتد عن الثغر، وقبض على سليمان الداعي له، ظناً منه بأنه خدعه، وفي طريق عودته هزم جيشه على ممرات جبال البرت، على يد ابني سليمان (مطروح وعيشون) واستنقذا منه سليمان وبعض أسرى المسلمين^(٣). وبهذا فشل الاستنصار بملك الافرنجة، وكان أكبر رزية في تاريخ المسلمين في الأندلس، وأول الفتن الكبرى، التي شعر بها الثائرون أنفسهم قبل غيرهم، فامتنع (الحسين) من تسليم المدينة. ولم يسبق لها مثل في تاريخ المسلمين في الأندلس. ولعل الخلاف احتدم بين سليمان والحسين بعد هذا، فقتل سليمان غيلة^(٤). وبهذا انتهت هذه

(١) ترصيع الأخبار ص ٢٥.

(٢) ينظر: ابن خلدون ج٤ ص ١٢٤ وأخبار مجموعة ص ١١٢.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ ج٤ ص ٥ ونبوة الإسلام في الأندلس ج١ ص ١٦٨ ومابعدها.

(٤) الكامل في التاريخ ج٦ ص ٢٢ وأخبار مجموعة ص ١١٤.

العصبية اليمينية، المتمثلة في سليمان بن يقظان. ولكنها لم تنته من نفوس عرب الأندلس بعد، بل كانت تتحين الفرص، وتظهر لأدنى سبب وذلك مانجده في سبب قيام ثورة تدمير في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٠٨هـ قامت هذه الثورة وكان سببها موت رجل من مضر، قتله رجل من اليمينيين فقامت الفتنة واستفحل الشر، وقتل كثير من الفريقين وغلب على تدمير رجل من اليمينية^(١) واستمرت الفتنة حتى سنة ٢١٣هـ حيث استسلم زعيمها للأمير عبد الرحمن^(٢).

وبعد هذا هدأت الثورات القبلية العربية، لأن الأندلس أصبحت مهددة بثورات أخرى من المولدين، وهم أهل البلد الأصليين، الذين قامت ثوراتهم بعد وفاة عبد الرحمن بن الحكم، وشغلت المسلمين حيناً من الزمن حتى قضى عليها عبد الرحمن الناصر.

المطلب الثاني العرقية البربرية

تقدمت الإشارة إلى قيام ثورة البربر في شمال افريقية، وكيف كان لها صدى في الأندلس، وكيف شجع انتصار البربر في افريقية، ثورة بربر الأندلس.

والملاحظ أن البربر في الأندلس كانوا يسكنون المناطق الشمالية الغربية والغربية من الأندلس، وهي مناطق جبلية توافق طبيعة البربر^(٣)، أو أن البربر اختاروها لقربها من الأعداء، لأن البربر وقت الفتح كانوا هم غالبية جند المسلمين، وكانوا أهل جهاد وحماس لنشر الإسلام كغيرهم من المسلمين.

(١) يدعى أبو الشماخ، ولم أجد له ترجمة حتى الآن.

(٢) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٢٥٩.

(٣) ينظر: التاريخ الأندلسي ص ١٣٨ وما بعدها/ عبد الرحمن علي حجي.

ولما عظمت ثورة البربر في افريقية ودخلت فيهم دعوة الخوارج ، أراد بربر الأندلس تقليدهم للتخلص من العرب، فقامت الثورة في المناطق الجبلية والبعيدة من مركز الولاية (قرطبة)، فأخرجوا عرب جليقية والمدائن التي خلف الدروب، فلم يرع عبد الملك بن قطن إلا فلهم يقدم عليه وانضمام عرب الأطراف إلى وسط الأندلس^(١). وذلك لقلّة العرب في المناطق النائية وكثرة البربر، ولم يكتف البربر بذلك، ولكن زحفوا إلى قرطبة وطليلة ثم إلى الجزيرة (الخضراء) ليمهدوا لبربر افريقية العبور إلى الأندلس^(٢)، واضطر عبد الملك بن قطن، إلى استقدام أهل الشام بقيادة بلج من سبته إلى الأندلس والقضاء على البربر، كما تقدم وانتهت ثورة البربر الأولى التي كانت أعنف ثورة بربرية في الأندلس والتي كانت روح الخوارج ظاهرة فيها. ولكن البربر كانوا يتحينون الفرص للقيام ضد زعمائهم المسلمين العرب، وليكون لهم الحكم المستقل، فكلما ظهر لهم قائد، له مبرر الخروج على العرب، خرجوا معه، وكانت سكناهم للجبال تساعدهم على ذلك.

وفي عهد عبد الرحمن الداخل قام البربر مرة أخرى، وتحت زعامة دينية، كان زعيمها يدعى (شقنا)^(٣) وذلك في شمال شرق الأندلس عام ١٥١هـ وعمت فتنته وتجمعت تحت قيادته بربر شرق الأندلس كلها، واستولى على مدينة شنت برية^(٤) وجعلها مركزه العام، وقامت بينه وبين الأمير عبد الرحمن عدة معارك سنين عدة، ولم تنجح كل المعارك التي وجهها الأمير عبد الرحمن ضده. وكان هذا البربري يدعي أنه من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبهذا الدعوى كان يأسر قلوب الضعفاء.

ولما فشلت محاولات الأمير عبد الرحمن العسكرية ضد البربر لجأ إلى

(١) أخبار مجموعة ص ٣٨.

(٢) ينظر: دولة الإسلام في الأندلس ص ١٢٣.

(٣) شقنا أو شقيا بن عبد الواحد - أصله من بربر مكناسة، وكان فقيهاً يعلم الصبيان، فزعم أنه سليل النبي ﷺ، من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما، وتسمى بعبد الله بن محمد / دولة الإسلام ج١ ص ١٦٤ والكامل في التاريخ ج٥ ص ٦٥.

(٤) شنت برية تقع شرقي وادي الحجاره، وتسمى بالأسبانية Sanlaver. المرجع السابق (دولة الاسلام).

أسلوب آخر، وهو أن يجعل الحرب بين البربر أنفسهم، فولى أحد زعماء البربر شرق الأندلس^(١) وأصدر له عهداً بولاية الأنحاء التي غلب عليها الدعى الفاطمي^(٢) وفوض إليه أمر استخلاصها منه، وبتوليه هذا الزعيم البربري دبّ الخلاف بين البربر، وتفرق كثير من أنصار الدعى الفاطمي، ثم انتهت ثورته باغتياله على يد أحد جنوده سنة ١٦٠هـ بعد استمرارها عشر سنوات^(٣). وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن هاج البربر في كورة تاكرنا، وأغاروا على الناس، وقتلوا وسبوا. فبعث إليهم الأمير... الاجناد بعد الاعذار إليهم فقتل أكثرهم وفر سائرهم إلى طليبرة، وترجلية، وأقامت تاكرنا - وهي إقليم رنده - وبلادها خالية سبع سنين^(٤). وبهذا انتهت ثورة البربر كثورة عرقية، وإن كانت ظهرت فيما بعد ثورات بربرية نتيجة ضعف الدولة الأموية كثورة بني ذو النون في الثغر الأوسط^(٥) في عهد الفتن التي عمت الأندلس في أواخر القرن الثالث.

المطلب الثالث

ثورة المولدين

إذا كان المسلمون الذين فتحوا بلاد الأندلس، وجدت فيهم ثورات وظهرت منهم نعرات قبلية، وخاصة العرب منهم الذين حملوا راية الإسلام إلى العالم، وأخرجوا الناس - بإذن الله - من الظلمات إلى النور، إذا كان ظهور الفتن على بعض هؤلاء فمن باب أولى أن يظهر في غيرهم. والمولدون هم أهل البلاد الأصليين، الذين دخلوا في الإسلام، وولدوا تحت ظل حكم الإسلام أو كانوا خليطاً من أباء عرب وبربر وأمهات أندلسيات.

(١) وهي ماردة وقورية وعلى جميع المنطقة الواقعة بين نهر تاجه، ووادي بانه/ بولة الاسلام ج١ ص ١٦٥.

(٢) اسمه خلال الميديوني، ولم أقف على ترجمته، والاسم في المرجع السابق.

(٣) ينظر أخبار مجموعة ص ١١١ وابن الأثير ج٦ ص ١٧.

(٤) البيان المغرب ج٢ ص ٦٤.

(٥) ينظر: بولة الإسلام ج١ ص ٣٠٧.

ولم يكن لهم أي محاولة للثورات ضد المسلمين، إلا في وسط القرن الثالث الهجري، وخاصة بعد وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم، المعروف بعبد الرحمن الأوسط. فعندما تولى محمد بن عبد الرحمن، كانت بداية الفتن الكبرى التي عمت الأندلس، وكان قيام هذه الفتن في الغالب على أيدي المولدين.

كادت هذه الفتن أن تقضي على حكم المسلمين في الأندلس، وتشقت المسلمين وتفرقهم، إلى عدة فرق ودويلات، واستمرت شوكتها تمزق المسلمين زهاء نصف قرن، حتى قضى عليها عبد الرحمن الناصر، في أوائل القرن الرابع الهجري.

وقد عمت ثورة المولدين كل من شرق الأندلس، وشمالها، وغربها، ففي الشمال كانت ثورة بني (قسي)^(١) وفي الغرب كانت ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي وكان من أصل أسباني^(٢). وفي الشرق كانت ثورة ابن حفصون^(٣) وكانت أشد هذه الثورات ضرراً وأكثرها خطراً للأمة الإسلامية في الأندلس. وأطولها مدة ويخص الحديث عن ثورات المولدين

(١) وهم: موسى بن موسى وأولاده من بعده، وكان جدهم الأعلى «قسي» من أشرف القوط، وكان وقت الفتح الإسلامي، قوس comes الثغر الأعلى، فلما غزا المسلمون أراضيه طلب الصلح والأمان وسار إلى الشام، واعتنق الإسلام على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك وذلك جعله يحتفظ بمركزه تحت حكم المسلمين، وأصبح أحفاده من بعده زعماء الثغر الأعلى، وكانوا من أمجاد الزعماء والفرسان، يمتازون بالشجاعة والأقدام. ويعتزون دائماً بأصلهم القوطي، وكانت لهم دائماً علايق مصاهرة مع جيرانهم النصارى، وكان حب الأستقلال والرأسة مطبوع فيهم، فما كانوا يترددون للقيام بثورة ضد حكام المسلمين، كلما رأوا أي فرصة/ ينظر: المقتبس لابن حيان ص ١٦ نشر المستشرق أنتونيا. ودولة الإسلام ج١ ص ٣٦٠.

(٢) أصل عبد الرحمن بن مروان من جليقية ولهذا عرف بنسبته إليها، وكانت ثورته تقوم على التعصب للمولدين، والتحالف مع النصارى في جليقية ضد المسلمين/ ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم ص ٢٥٥ ودولة الإسلام ج١ ص ٣٠٦.

(٣) ابن حفصون هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن نميان بن غلوش، وأول من اعتنق الإسلام جده الرابع (جعفر) ينظر: تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١٣٤.

هذه الثورة فقط لأن عروق العنصرية كانت ظاهرة فيها.

قامت ثورة ابن حفصون في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن في جبل ببشتر بين رندة ومالقه بشرق الأندلس وكانت هذه المنطقة الجبلية مأوى العصاة، وكان قيام هذه الثورة سنة ٢٦٧هـ^(١). وقامت بينه وبين الدولة الأمية عدة معارك دامية، في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، ولكنها لم تستطع القضاء على فتنة ابن حفصون، بل تقوت شوكة هذا الثائر وعمت فتنته على جميع الفتن، وانضوى تحت لوائه كل أصحاب الشرور، وخاصة النصارى المستأمنين، أمتدت أيام هذه الفتنة حتى شملت إمارة المنذر بن محمد ثم أخيه عبد الله وجزء من إمارة الناصر، وستنزفت جزءاً كبيراً من طاقات المسلمين. وأخطر ماكانت تمثله هذه الثورة ضد المسلمين، هو احتوائها لكل المولدين وخاصة النصارى المستأمنين، حتى الذين كانوا في قرطبة أصبحوا يلجأون إليها^(٢). وتذبذب ابن حفصون في ديانتها، فإنه كان أول الأمر من المسلمين ثم أراد أن يجعل ديناً جديداً يتكون من الخليط بين الإسلام والنصرانية وفي الآخر أعلن النصرانية، وأصبح يقرب أهلها.

وهذا يدل على خبث نوايا هذا الثائر، وقبح طويته ضد الإسلام. وقد مات ابن حفصون سنة ٣٠٥هـ فأراح الله من شره المسلمين^(٣) ولكن ثورته لم تنته بل ورثها أبناؤه^(٤) وقد والت الدولة في قرطبة جهادها ضد هذه

(١) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٣٠٧.

(٢) ينظر: كتاب العرب في افريقية والأندلس حسن خليفة ص ١١٨ ويذكر من أمثلة هروب النصارى وتسربهم إلى ثورة ابن حفصون: إن الكونن سرفاندو، والذي كان عامل الأمير على أهل النمة في جلب الضرائب، هرب إلى ابن حفصون.

(٣) ينظر: المقتبس ص ١٣٨ نشر رباط تحقيق: شالميتا.

(٤) تولى قيادة الثورة بعده ابنه جعفر، ثم قتله أصحابه، وتولى بعده قيادة الشر أخوه سليمان بعد أن فر من قرطبة/ ينظر: المرجع السابق ص ١٦٨، وقتل سليمان على يد المسلمين سنة ٣١٤هـ/ نفس المرجع ص ٢٠٤ فخلفه حفص بن عمر بن حفصون حتى فتح الله معقله على المسلمين واستأمن حفص لنفسه فأمنه الخليفة. نفس المرجع ص ٢١٢.

الثورة حتى انتهت سنة خمسة عشر وثلاثمائة وهدمت مدينة بيشتر معقل
الشر وحولت إلى دمار^(١). وبنهاية هذه الثورة انتهت كل الثورات حتى
نهاية خلافة هشام بن الحكم سنة ٣٩٩هـ.

(١) ينظر: المرجع السابق ص ٢٦٥ وما بعدها.

المبحث الثالث

النصارى المستامنون في الدولة

إن المسلمين في أي بلد فتحوه كان شعارهم **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾**^(١) فكان هم المسلمين هو توضيح الحق وإظهاره للناس قولاً وعملاً دون إجبار أحد إليه.

فكانوا يدعون أهل أي بلد يريدون فتحه إلى الإسلام أولاً، فإن أجابوهم قبلوا منهم وبدأوا يعلمونهم فرائض الإسلام وأحكام الشرع. وإن أبوا الدخول في الإسلام، دعوهم إلى دفع الجزية، فإن أجابوهم وإلا حاربوهم متوكلين على الله، كما أمرهم بذلك نبيهم ﷺ^(٢).

وعندما فتح المسلمون الأندلس دخل الناس - من أهل البلاد - في دين الله أفواجا، وبقي بعض الناس على دينهم راضين بحكم الإسلام مسالمين لأهله، وهؤلاء أولتهم الأمة الإسلامية في الأندلس حسن المعاملة والرعاية الكبيرة، ولم يفرق بينهم وبين المسلمين، في الأمور الدنيوية، من حرية العبادة وحرية التملك وغير ذلك من حرية الحكم والتشريع حيث كان لأهل الذمة قضاة من أهل ملتهم يتحاكمون إليهم وكان قاضيهم يعرف بالقومس، ولهذه المعاملة الحسنة التي عامل بها المسلمون لأهل الذمة في الأندلس كان لها أثر كبير في دخول الناس في الإسلام، فكان غالبية أهل الأندلس عند الفتح الإسلامي، باقية على دينها تدفع الجزية، ويرعاها المسلمون أحسن رعاية، وبعد مرور زمن غير كثير دخلت الغالبية العظمى منهم في الإسلام حتى أصبح نصارى أهل الذمة بمرور الزمن قلة في المجتمع الإسلامي^(٣) وكان دخولهم في الإسلام مستمراً مع مرور الزمن

(١) البقرة الآية رقم ٢٥٦.

(٢) جاء في الحديث الذي رواه مسلم كيف يبدأ القائد المسلم الحرب مع الكفار، والحديث تقدم بكماله.

(٣) ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١٣٠.

كلما اتضح لهم الحق وكثر اندماجهم مع المسلمين، ولعل أهم عامل في دخولهم إلى الإسلام هو كفالة الأمن والاستقرار لهم، وعدم الاعتداء على أملاكهم حتى في وقت الفتن والقلقل داخل الأمة الإسلامية، خاصة في عصر الولاة وصدر الحكم الأموي في الأندلس.

ومما يؤيد هذا ما ذكره ابن القوطية في القصة الطويلة التي حدثت بين الصميل بن حاتم زعيم العرب المضربين في الأندلس، وإرطباش بن غيطشة والتي يفهم منها حماية المسلمين لأملك أهل الزمة حماية قوية، حتى في حالة احتياجهم إلى الأموال، وهذا هو الحق لأن المسلمين ماجأوا طالبي أموال ولا متسلطين على رقاب الناس، وإنما جاءوا لنشر الحق بين الناس، وخلاصة القصة التي ذكرها ابن القوطية، إن الصميل بن حاتم رغم جبروته وقسوته على خصومه، وهم مسلمون، مع ذلك كله جاء إلى إرطباش كبير عجم الأندلس يطلب منه شيئاً من أملاكه الخاصة برضى نفسه لحاجة الصميل وجماعته إلى ذلك^(١) فهذا أكبر دليل على احترام

(١) نص الحوار هو: (حكى الشيخ ابن لبابة رحمه الله عن أدركه من الشيوخ، أن إرطباش كان من عقلاء الرجال في أمر دنياه، وأنه دخل عليه عشرة من الشاميين فيهم أبو عثمان وعبد الله بن خالد... والصميل ابن حاتم، فسلموا وجلسوا على الكراسي المحيطة بكرسيه، فلما أخذوا مقاعدهم، وحيا بعضهم بعضاً دخل ميمون العابد جد بني حزم البوابين، وهو أحد الموالي الشاميين، فلما رآه إرطباش داخلًا قام إليه، والتزمه، وجعل يقوده إلى كرسيه الذي قام منه، وكان مصمداً بالذهب والفضة، فأبى الرجل الصالح من الجلوس عليه، وقال له: لا يحل لي هذا، فجلس على الأرض وجلس معه، ثم قال له: ماجأ بمثلك على مثلي؟ فقال ميمون: قدمنا إلى هذا البلد وظننا أن ثوانا لا يطول فيه، ولم نستعد للمقام، فحدث من الاضطراب على موالينا بالمشرق، ما نتوهم به أنا لا نعود إلى موضعنا معه، وقد وسع الله عليك، فأريد أن تعطيني ضيعة من ضياعك أعتمرها بيدي، وأودي إليك الحق منها وأخذ الحق. فقال له إرطباش، لا والله ما رضى أن أعطيك ضيعة مصانعة، ودعا بوكيل له فقال له: أذفع إليه المجشر الذي على وادي شوس ومافيه من الغنم والبقر والعبيد، وأذفع إليه القلعة بحيان، وهي القلعة المعروفة بقلعة حزم، فشكر وقام، وعاد إرطباش إلى مقعده، فقال له الصميل: يا إرطباش ما يعجزك عن سلطان أبيك إلا نفاذ

المسلمين للنصارى وكفالة الامن لهم، حتى في وقت الفتن، لأن الصميل بن حاتم لو أخذ بيديه من أملاك إرطباش الواسعة^(١) ماكان يستطيع أحد أن يمنعه لأنه كان هو الحاكم الحقيقي للأندلس في ذلك الوقت.

واستمرت هذه المعاملة الحسنة لأهل الذمة طول الحكم الإسلامي في الأندلس كما استمر دخول الأسباب في الإسلام، وكان دخولهم في الإسلام على قناعة بسماحة الإسلام وأنه الدين الحق.

وتسامح المسلمون مع أهل الذمة كان له أثر كبير في تحول النصارى إلى الإسلام، أو لزومهم التعاون مع المسلمين والرضى بحكمهم ولكن مع ذلك كله هناك مواقف عدائية وقفها النصارى المستأمنون ضد المسلمين وهي ماياتي ذكرها في المطالب التالية:

المطلب الأول

نقض العهود ومحاولة القضاء على المسلمين

إن المسلمين لما فتحوا الأندلس كانت غالبية الأندلس فتحت صلحاً، وأعطى النصارى العهود والمواثيق للمسلمين بعدم الاعتداء على

الطيبة، أدخل عليك وأنا سيد العرب بالأندلس، ويدخل أصحابي هؤلاء معي، وهم سادات الموالي بالأندلس، فلا تزيدنا من الكرامة إلا القعود على العيدان: ويدخل هذا السؤال، فتصير من إكرامه إلى حيث صرت، فقال له إرطباش: يا أبا جوشن أهل بيانك يخبروننا أن أنبهم لم يأخذك؟ ولو أخذك لم تنكر علي برّ من بررت - وكان الصميل أمياً لا يقرأ ولا يكتب، إنكم بإكرامكم من أكرم الله إنما تكرمونه عز وجل وقد روينا على المسيح عليه السلام إنه قال: من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه. فكأنما القمه حجراً فقال له القوم: دع هذا وانظر فيما قصدنا له، فحاجتنا مثل حاجة الرجل الذي قصدك فأكرمته، فقال: أنتم ملوك وليس يرضيكم إلا الكثير، فوهبهم مائة ضيعة، صار منها لكل منهم عشر ضياع). تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٠ لابن القوطية.

(١) كان لأرطباش أملاك كثيرة تصل إلى ألف ضيعة بكل مرافقها، ينظر المرجع السابق

ص ٤٠، ونفع الطيب ج١ ص ٢٥٨.

المسلمين، وعدم معاونة أي عدو للمسلمين وعدم التكتف عليه^(١) وبقي النصارى على دينهم ورضوا بدفع الجزية للمسلمين وكفل لهم المسلمون كل الحريات، ومع ذلك إن أهل الذمة لم يترددوا في محاربة المسلمين إذا رأوا الفرصة تسمح لهم بذلك، وكانوا يرتكبون أبشع الجرائم ضد المسلمين من الإيابة الجماعية والقضاء على كل ما يتصل بالإسلام، وخاصة في الأطراف التي تقرب من أرض الحرب، ومن أمثله، إن المسلمين فتحوا مدينة اشبيلية صلحاً، وترك فيها موسى بن نصير رحمه الله حامية إسلامية وتوجه إلى ماردة وهو مشغول بحصار ماردة انقض أهل اشبيلية على المسلمين المقيمين معهم، فقتلوا منهم ثمانين رجلاً، ووصل فلهم إلى موسى بن نصير بماردة، فوجه إلى اشبيلية ابنه عبد العزيز، فأعاد فتحها مرة أخرى^(٢).

فهذا يدل على خبث طوية نصارى الأندلس، وأنهم قوم يرتاحون لسفك الدماء كما تبين من تاريخهم ابتداء من هذه الحادثة، في نقض العهود. ولما فتح المسلمون جليقية، بقي جموع النصارى على دينهم مقابل الجزية البسيطة التي كانوا يؤدونها للمسلمين، ولما تقوى أمر النصارى المحاربين في جليقية، وقامت الفتنة في الأمة الإسلامية، قام النصارى المستأمنون بأعمال حربية ضد المسلمين في جليقية، وفي هذا يقول الدكتور حسين مؤنس: (وتشجع من كان في طاعة المسلمين من أهل النواحي الشمالية من الإيبيريين الرومان، فوثبوا بالعرب في نواحي جليقية وما يصاحبها)^(٣) ويقول صاحب أخبار مجموعة: (فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة هزمهم - يعني بلاي - وأخرجهم عن جليقية كلها، وتنصر كل مذبذب في دينه وضعف عن الخراج، وقتل من قتل، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى أستورقة، حتى استحکم الجوع، فأخرجوا أيضاً

(١) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ١١، وأخبار مجموعة ص ١٣.

(٢) ينظر: العرب والإسلام في الحوض المغرب من البحر الأبيض المتوسط ص ٩٥.

(٣) فجر الأندلس ص ٣٤٧.

المسلمين عن استرقعة)^(١).

ومن هذا يفهم إن النصارى المستأمنين كان لهم أكبر دور في إخراج المسلمين من جليقية وإراقة دمائهم، وسبي نساءهم وأطفالهم، ولو كان هؤلاء الذميون لزموا الحياد في أقل الأحوال، ماكان يستطيع بلاي إخراج المسلمين في أسرع وقت من جليقية، حتى تراجعت حدود الدولة الإسلامية إلى نهر (دويرة) وهذا موقف أهل الذمة في شمال الأندلس.

أما موقف أهل الذمة ضد المسلمين في جنوب فرنسا وجبال البرنية فلا يقل خطراً من موقفهم في جليقية، بل كان أعظم وأفظع في ارتكاب الجرائم ضد المسلمين.

إن المسلمين لما فتحوا جنوب أوروبا عاملوا أهل البلاد المفتوحة معاملة حسنة كعادة المسلمين في كل بلد فتحوه، وبقي أهل جنوب فرنسا الحالية على دينهم ورفعوا الجزية للمسلمين، وتمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بجميع حرياتهم، لدرجة أن أحد المؤرخين من النصارى يعلل انتصارات المسلمين في فتح جنوب فرنسا بالمعاملة الحسنة التي كان يعامل بها المسلمون أهل البلاد فيقول: (كان نجاح عنيسة - القائد المسلم - راجعاً إلى الجرأة والبراعة أكثر منه إلى القوة والكثرة، وكان لينه ورفقه وحسن معاملته للسكان عاملاً في تقوية سلطان المسلمين في جنوب فرنسا)^(٢).

ولما حصلت على المسلمين نكبة بلاط الشهداء عام ١١٤هـ، وقتل فيها قائد المسلمين عبد الرحمن الغافقي، رفعت النصرانية رأسها من جديد وقام أصحابها الذين كانوا تحت الحكم الإسلامي بثورات ضد المسلمين، فأخضعهم عبد الملك ابن قطن فترة من الزمن^(٣).

وعندما سددت الدولة الإفريقية ضد المسلمين فيما وراء جبال البرتية ضرباتها قام أهل الذمة بمؤازرتها، وعندما اضطربت أحوال

(١) أخبار مجموعة ص ٦٢.

(٢) نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٨٢.

(٣) ينظر: نفس المرجع ص ١١٣.

الأندلس الداخلية، قام أهل الذمة بثورة استولوا من خلالها على قواعد المسلمين في سبتمانية، وأنشأوا فيها مملكة صغيرة نصرانية بقيادة أحد نبلاء القوط هو الكونت أنزيموند Ansimod، ولما أسسوا مملكتهم خافوا من المسلمين فاستدعوا ملك الأفرنجية بيرن Pirane ابن كارل مارتل، فاستجاب لدعوتهم فهاجم مع هؤلاء الحلفاء الجدد، مواقع المسلمين، وفتك بهم حتى استولى على كل القواعد خلف جبال البرت ماعدا أربونة^(١).

ولما حاصر الأفرنجية مدينة أربونة قاعدة المسلمين خلف البرتات المرة الثالثة عام ١٤١هـ وكانت في عزلة تامة عن المسلمين في الأندلس، هاجمتها قوات النصارى الإفرنجية ولكنها ما استطاعت أن تستولي على المدينة لحصانتها وقوة حاميتها. ولكن الانقطاع الذي عاشته المدينة عن المسلمين في الأندلس شجع عليها الأعداء من كل الجوانب، وفي الوقت الذي كان يدافع فيه المسلمون جيوش الأفرنجية التي تحاصر المدينة، قام أهل الذمة من داخل المدينة بثورة ضد المسلمين فأعملوا فيهم السيف وفتحوا أبواب المدينة للعدو المحاصر الذي دمر المدينة وأباد المسلمين وأزال كل معالم المدينة الإسلامية^(٢) هذا هو بعض مواقف أهل الذمة النصارى من المسلمين في أطراف البلاد المفتوحة سواء في شبه جزيرة الأندلس أم وراء جبال البرنيه.

المطلب الثاني

مشاركة الثوار في الحروب ضد المسلمين

إذا كان أهل الذمة في الأطراف يرون قوة النصارى المحاربين فيقومون بالحرب ضد المسلمين في مناصرة أهل ملتهم، فإنهم كذلك لم يدخروا وسعاً في محاربة الإسلام وأهله في قلب البلاد الإسلامية في

(١) ينظر: نفس المرجع ص ١٣٣.

(٢) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج ١ ص ١٣٧ وفجر الأندلس ص ٢٩١.

الأندلس، بكل أسلوب يرويه، من شأنه أن يقضي على سلطان المسلمين، أو يضعفه، وللوصول إلى ذلك سلخوا كل السبل، ومنها: الاشتراك في الثورات ضد الحكام المسلمين، ومن ذلك انضمام كثير من النصارى المستأمنين في ثورة ابن حفصون، وهو كان شخصية غامضة في أول أمره، ثم أظهر النصرانية في آخر أمره، وكان القسس يكتنفون ثورته منذ بدايتها، لأنه كان يظهر لكل المولدين في الأندلس، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين بأنه المنتقد لهم والمدافع عن حقوقهم^(١).

وقد حارب النصارى المستأمنون المسلمين مع ثورة ابن حفصون محاربة كبيرة وكان منهم فرسان، ورماة حاذقون، ومن أمثلة ذلك إن الأمير عبد الله بن محمد عندما انتصر على ابن حفصون في حصن (بلاي)^(٢) وفر ابن حفصون إلى معقله ببشتر، وقد استحر القتل في أصحابه، وأسر منهم مجموعات كثيرة، فعرضوا على الأمير فعفى عن المسلمين وعرض الإسلام على النصارى فأبوا الدخول في الإسلام فأمر الأمير بقتلهم، فضربت أعناقهم^(٣). فهذا من مشاركاتهم في الثورات، وفي طليطلة، في عهد الأمير محمد - كان أهم محرزي الثورة من نصارى أهل الذمة وخاصة القسس الذين يحرضون الثورات ضد المسلمين، ويصورون مصير النصارى في ظل الحكم الإسلامي بأشنع الصور، ويدعون إلى القيام ضد الاضطهاد الديني - كما يصورونه - وكان لدعوتهم صدى لقيام ثورات المولدين ضد حكام المسلمين^(٤) كما كان لدعوتهم أثر كبير في ارتداد ابن حفصون زعيم أكبر الثورات، وعائلته عن الإسلام.

ومن مشاركات أهل الذمة مع ثورة ابن حفصون. إن الخليفة

(١) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ١١٤.

(٢) حصن بلاي يقع جنوب قرطبة من ناحية قبيرة، نولة الإسلام ج١ ص ٣٢٤.

(٣) ينظر: تاريخ العرب في افريقية والأندلس ص ١١٩ حسن خليفة.

(٤) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

عبد الرحمن الناصر لما حاصر (شبيش)^(١) وكان من الحصون التابعة للمارق ابن حفصون، ولما ضاق الحصار بأهله وهلكت كل مزارعهم، نادوا بالطاعة، وتبرأوا من ابن حفصون وأخرج أهل الحصن جميع رجال ابن حفصون إلى الخليفة وكان أكثرهم نصارى، فأمر الناصر بضرب أعناقهم^(٢) وقد أمر الخليفة بقتلهم لأنهم يعتبرون من أهل الحرب الناقضين للعهود لأن المسلمين آمنوهم مقابل أن لا يشاركوا في أي حرب ضد المسلمين، فمشاركتهم في حرب المسلمين قد أباحت دمهم.

وقد برز من هؤلاء فرسان اشتهروا في حرب المسلمين، ومن ذلك إن الخليفة الناصر، أعدم منهم شخص، يقول ابن حيان: (وفيها صلب - يعني سنة ٣١٣هـ - على الرصيف بباب قصر قرطبة الرامي العجمي المعروف بأبي نصر، من أصحاب المارق ابن حفصون، والذي كان ذهب له الصيت في أيام عمر بن حفصون في الحذق بالرماية وإصابة الأغراض البعيدة، قل ما يخطيء رميته، أودى بكفه خلق كثير من المسلمين واشتد الذعر منه، فأسر في هذا الوقت وجيء به إلى باب السدة، فأمر السلطان بصلبه وشكه بالسهم لسوء ما أسلفه في رجاله وغيرهم ممن حارب الأخابث الذين كان يناضل معهم، فعلق فوق جذعه في مشهد حافل من الناس استسقوا دمه، وتعاورته الرماة بالسهم حتى أصيبت مقاتله، وانتظمت جوارحه، وأتى على نفسه الخبيثة وترك كالعنفذ فوق خشبته)^(٣).

(١) حصن شبيش: كان من الحصون الواقعة في كورة البيرة، ومن الحصون التي خضعت

لسلطة ابن حفصون/ ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٦١.

(٢) المقتبس لابن حيان ص ٦٧ نشر: شماليًا مع كورينطي/ الرباط عام ١٩٧٩م.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٢.

المطلب الثالث

صور من تمرد أهل الذمة في قرطبة

إن التسامح الذي كان يوليه المسلمون لأهل الذمة ما كان له أثر في نفوس كثير من النصارى، فشاركوا في الحروب ضد المسلمين في الداخل والخارج. وكان في كل مكان يبعد عن مركز الخلافة يرفعون علم الثورة ويقاثلون المسلمين، أما في قرطبة كان من الصعب عليهم أن يقوموا بثورة قتالية، فقاموا في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم بشغب ديني والمجاهرة بالاعتداء على الإسلام وسب النبي علناً، وكان قواد هذه الفتنة القسس الكبار.

وأهم عامل كان يثير كوامن حقدهم هو ما كان يروونه مما يحيط بالحكم الإسلامي من مظاهر الإعزاز والسؤدد، وخاصة في هذا العهد، عهد عبد الرحمن بن الحكم الذي يعتبر من أزهى عصور الإمارة الأندلسية، فحاول هؤلاء القسس بإزكاء نار الفتنة داخل قرطبة، وأرادوا أن ينالوا شرف الموت في سبيل الدين. فجنّدوا مجموعات من الحمقى يجاهرون بسب النبي ﷺ، وكان هناك قس يدعي (ألوخيو) من أهم المحرضين إلى هذه الفتنة الخطيرة، فكان يحرص البسطاء أن يجاهروا بسب النبي ﷺ أمام المسلمين، فإذا أخذوا أمام القضاة كرروا سبابهم بمنتهى الاصرار والجرأة، وحاول القضاة في البداية أستعمال اللين والدعوة بالتي هي أحسن، وإقناع هؤلاء العابثين أن يعدلوا عن أقوالهم، ولكن هذه الطائفة الغاوية قد تمادت في غيها مما جعل حكام المسلمين يحكمون عليهم بالإعدام.

ويصور أحد الكتاب تمادي المتعصبين على الغي وإقدامهم إلى الموت وشناعة أقوالهم في الإسلام بقوله: (تكم - قس يدعى: بروفكتوس Pertectos - في حق النبي محمد ﷺ أمام بعض المسلمين بكلام عنيف روع مستمعيه. فأبلغوا عنه ولاة الأمور. وكان في وسع بروفكتوس أن ينجو من العقاب إذا أنكر ما قال، ولكنه بدل أن يفعل هذا كرر أمام

القاضي قوله: إن محمداً كان خادماً للشيطان^(١) فما كان من القاضي إلا أن حكم عليه بالسجن بضعة أشهر لعل هذا يصلح حاله؟ ولكنه لم ينصلح وتمادى في أقواله فحكم عليه بالأعدام. وظل وهو يساق إلى المشنقة يسب النبي ويقول: إنه مدع زان ولدته جهنم^(٢) وابتهج المسلمون بقتله واحتفل المسيحيون بدفنه احتفالاً مهيباً وعدوه من القديسين. وأشعل مقتله نيران الحقد في قلوب الطائفتين. فتألفت جماعة من المتعصبين المسيحيين بزعامة يولجوس، وجعلت هدفها سب النبي علناً، والترحيب بالقتل اعتقاداً منها بأن مصير من يقتل من أفرادها هو الجنة (بل النار بدون شك) وذهب راهب قرطبي يدعى اسحاق إلى القاضي^(٣) وعرض عليه رغبته في اعتناق الاسلام، وسر القاضي من هذا وبدأ يشرح له مبادئ الدين الإسلامي، ولكن الراهب قطع عليه شرحه وقال: إن نبيكم قد كذب عليكم وخدعكم، ألا... لأنه قد جر معه هذا العدد العظيم من البائسين إلى الجحيم، فزجره القاضي وسأله هل هو ثمل؟ فرد عليه الراهب بقوله: إنني مالك لقواي فأحكم علي بالإعدام، فأمر القاضي بسجنه، ولكنه استأذن عبد الرحمن الثاني^(٤) بأن يخرج على أن بعقله خبالاً. غير أنه أمر - مرة أخرى - بإعدامه. وبعد يومين من هذا الحادث جرؤ جندي من الفرنجة في حرس القصر على سب النبي علناً، فكان جزاؤه الإعدام. وفي يوم الأحد التالي، وقف ستة من الرهبان أمام القاضي وسبوا النبي. ولم يطلبوا لأنفسهم الإعدام فحسب بل طلبوا فوق ذلك أن يعذبوا أشد التعذيب، فحكم عليهم بالإعدام، وحذا حذوهم قس وشماس، وراهب، وابتهج لذلك أفراد الجماعة^(٥).

(١) لعنه الله بمقولته هذه.

(٢) أثبتت هذه الألفاظ مع شناعتها، لكي يقدر القارئ مقدار الجريمة التي ارتكبتها قائلها. ونستغفر الله من الاعتداء على النبي ﷺ.

(٣) لعله القاضي سعيد بن سليمان الغافقي، لأن ولايته لقضاء الجماعة كانت ما بين ٢٣٤ إلى ٢٤٠هـ وكان قيام هذه الفتنة سنة ٢٣٧هـ. ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٢٦٧.

(٤) يقصد الأمير عبد الرحمن بن الحكم.

(٥) قصة الحضارة ج٢ ص ٢٩٨ ولد نيورانت ترجمة محمد بدران.

فما أعظم حسن معاملة المسلمين لهؤلاء المعتدين على الإسلام دون سبب يدعوهم إلى ذلك، فهذا يسجن وتعرض عليه التوبة والرجوع عن قوله وذلك يطلق لخلل في عقله والأكبر من هذا وذاك أن النصارى المضادين للإسلام يحتفلون احتفالاً عظيماً بجنائزتهم من يقتل منهم، ولو حصل مثل ذلك اليوم في أي دولة من الدول لاعتبرت هؤلاء الذين يحتفلون بجنائزتهم القتل - الذي ارتكب محظوراً في قانون الدولة التي أعدمته شركاء في الجريمة نفسها. وفي أقل أحوالهم أن يزوج بهم في السجون وتفتح لهم ملفات التحقيق، أو يعدموا معه، ولقضي عليهم في أول ظهور أمرهم.

ولما رأى الأمير عبد الرحمن تماري هؤلاء المارقين أراد أن يعالج الأمر بحكمه، ولو أراد أن يقضي على النصارى لفعل ولكن هذا ليس من أخلاق المسلمين، جمع الأمير النصارى المعتدلين مع سياسة الدولة، وعقدت الكنائس مجلساً أدانت فيه هذه التصرفات التي قام بها المتعصبون. وتبرأت منهم وحرمتهم من حقوقهم الكنسية^(١). وبهذا خفت هذه الفتنة إلا أن جذورها لم تنته بل امتدت فترة من الزمن حتى ولاية الأمير عبد الرحمن الناصر.

ومما يدل على ذلك أن القسس المحرضين على الثورة والإقدام على الموت كانت دعوتهم قد أثرت على كثير من النساء^(٢) وضعفاء النفوس، كما أن كبيرهم والمحرض لهم على الموت (أولوخيو) لم يقتل إلا في عهد

(١) ينظر: الدعوة إلى الإسلام ص ١٦٦.

(٢) من النساء اللاتي غررن، وخاصة الفتيات، يقال: إن فتاة تدعى فلورا، كانت من أب مسلم وأم نصرانية، توفي أبوها وهي صغيرة، فربتها أمها على النصرانية، فأراد أخوها ردها إلى الإسلام فأصرت على الكفر عياداً بالله - وهذا من مساوئ الزواج من أهل ملة الكفر/ وأحضرت إلى القاضي، فأمر بضربها وحبسها، ولكنها قد فرت إلى بيت مسيحي والتقت بالقسس أولوجيوس Eulogius فأحبها حباً عارماً واختفت مدة من الزمن في إحدى أنبيرة النصارى، ثم زاد حماسها، وجاءت إلى القاضي هي وفتاة أخرى تدعى (مارية) وأخذتا تطعنان في الإسلام أمام القاضي فأمر بسجنهما، وحاول اقتناعهما بالرجوع عن الطعن في الإسلام، ولكن أصرتا على كفرهما، فأعدمتا) ينظر: قصة الحضارة ص ٣٠٠ وبولة الأسلام ج١ ص ٢٧٢.

الأمير محمد بعد سبع سنوات من الحوادث الأولى^(١). ومما يدل على استمرارية هذه الدعوة الياثسة أن القاضي أسلم بن عبد العزيز الذي تولى القضاء في صدر إمارة الناصر لدين الله جاءه أحد النصارى فأظهر مثل هذه الأقوال القبيحة، فلما هدده القاضي، قال: (وتتوهم أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول؟ فقال له القاضي: ومن المقتول؟ فقال له: شبهي يلقي على جسد من الأجساد فتقتله، وأما أنا فأرفع من تلك الساعة إلى السماء).

فقال له القاضي: إن الذي تدعيه من ذلك غائب عنا: والذي يخبرك به غائب عنك ولكن، ثم وجه يظهر صدقه لنا ولك. قال النصراني: وما هو؟ فالتفت القاضي إلى الأعوان، ثم قال: هاتوا السوط ثم أمر بتجريد النصراني، فجرده، ثم أمر بضربه، فلما أخذته السياط جعل يقلق ويصيح. فقال له القاضي في ظهر من تقع هذه السياط؟ قال: في ظهري.

قال القاضي: وكذلك السيف - والله - في عنقك يقع، فلا تتوهم غير ذلك^(٢) فإن هذا العمل الذي كان يقوم به أهل الذمة في قرطبة^(٣) يدل على الحقد الدفين الذي كانت تنطوي عليه نفوسهم ضد الإسلام والمسلمين، وإن كان هذا الاتجاه ليس هو اتجاه كل أهل الذمة، إلا إنه يدل على حقدهم الدفين. وإنهم لم يتركوا أي وسيلة لمحاربة الإسلام، وكل ماكانوا يظهره من الخضوع للإسلام إنما هو لحسن معاملة المسلمين لهم، وفي نفس الوقت الخوف من قوة المسلمين وبطشهم، ومع هذا الخضوع الظاهري لم يتركوا أي وسيلة في محاربة الإسلام والمسلمين، ومن ذلك القيام بالتجسس لأهل الحرب من نصارى جليقية وإفرنجة. وفي ذلك يذكر المقري قصة تدل ارتباط النصارى في قرطبة بأهل الحرب، وهي: (إن

(١) ينظر: قصة الحضارة ج٢ ص ٣٠٠.

(٢) قضاة قرطبة ص ٢١٥-٢١٦.

وقصة تدل على حسن معاملة المسلمين لهؤلاء المجرمين، الذين كانوا ينالون من الإسلام علناً.

(٣) ينظر في خلاصة قصة هذه الثورة الانتحارية: نولة الإسلام ج١ ص ٢٦٧ ومابعدها (فإنه يذكر أقوال المؤرخين النصارى في هذه الحادثة).

المنصور بن أبي عامر كان جالساً في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والرياح والمطر، فدعا بأحد الفرسان، وقال له: انهض الآن إلى فج طليارش وأقم فيه، فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي، قال: فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والرياح والمطر واقفاً على فرسه، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له، ومعه آله الحطب، فقال له الفارس: إلى أين تريد يا شيخ؟ فقال: وراء الحطب، فقال الفارس في نفسه: هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطباً، فما عسى أن يريد المنصور منه؟ قال فتركته، فسار عني قليلاً، ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته، فنهضت إلى الشيخ وقلت له: أرجع إلى مولانا المنصور، فقال له: وما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي، فقال له الفارس: لا أفعل ثم قدم به على المنصور، ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك، فقال المنصور للصقالبة: فتشوه، ففتشوه، فلم يجدوا معه شيئاً، فقال: فتشوا برذعة حماره، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعو إلى المنصور يخدمون عنده إلى أصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في إحدى النواحي الموطومة^(١) فلما انبلج الصبح أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة فضربت أعناقهم، وضربت رقبة الشيخ معهم^(٢) فهذا يدل على الارتباط الوثيق بين أهل الذمة وأهل الحرب من النصارى وأنهم كانوا يتعاونون في محاربة المسلمين. بل كان أهل الذمة أخطر في بعض الأوقات في كشف أسرار المسلمين للأعداء، أو معاونة الأعداء بل فعل كما حدث في بعض المدن.

(١) لعل صوابها: الموصوفة، أي التي وصفت في الكتاب (نفع الطيب ج١ ص ٤١١ الحاشية رقم ٢).

(٢) نفع الطيب ج١ ص ٤١١.

المبحث الرابع آثار العوائق على الدعوة الإسلامية

إن الفتن والحروب لا تأتي بخير بل تعقبها المحن والمجاعات والأمراض الفتاكة، والخوف الذي يؤدي إلى الهرب وإخلاء البلاد، وعندما قامت الفتن أدت إلى أضرار كبيرة كادت أن تؤدي إلى القضاء على المسلمين في وقت قصير إلا أن الله لطف بالمسلمين^(١) والأضرار التي أدت إليها هذه الفتن كثيرة، ولكن يذكر منها هنا ما كان له أثر مباشر على الدعوة فقط وهي كالتالي:

أولاً: انشغال المسلمين بأنفسهم وعدم الرد على غارات الأعداء المتكررة على الثغور الإسلامية، وذلك لشدة الحروب التي قامت بين المسلمين أنفسهم، فمثلاً عندما قتل عبد الملك بن قطن، وقامت الحرب بين أهل الشام وأهل الأندلس جاء عبد الرحمن بن علقمة - فارس الأندلس في وقته - من أربونة إلى قرطبة بجيش المسلمين المرابط هناك لمحاربة بلج^(٢) ولاشك إن رجوع مثل هذا الجيش الكبير^(٣) يجعل الأعداء يتمكنون بكل سهولة من بلاد الإسلام لاسيما إن النصارى الذين كانوا يحيطون بالأندلس كانوا يغتنمون كل فرصة تمكنهم من الإسلام وأهله، ولهذا كانت الفتن التي قامت في عهد الولاة هي التي أدت إلى زهاب كل مافتحه المسلمون في جنوب فرنسا الحالية^(٤) وبسبب هذه الفتن خسر المسلمون بلاداً واسعة كانت تنتشر فيها دعوة الإسلام وتظلها راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفقدوا كل ما أسسوه من مساجد ومعاهد، وكل ماله

(١) هذا في الفترة المحددة للبحث، إلا أن هذه الخلافات هي التي أدت إلى سقوط الأندلس فيما بعد.

(٢) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ١٢٤.

(٣) قيل: إن عدد جيشه كان مابين الأربعين ألفاً إلى المائة ألف. ينظر: فجر الأندلس ص ٢١٧.

(٤) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ١٣٦.

علاقة بالإسلام^(١).

وفي الشمال أدت هذه الفتن إلى نمو النصارى الذين كانوا ضعفاء وأصبحوا يغيرون على المسلمين ويحتلون بلادهم، بل إن المسلمين أخلو لهم البلاد حتى جاء النصارى واحتلوها بدون أي مقاومة. وذلك لما قامت فتنة البربر في إفريقية، قام بربر الأندلس بثورة ضد العرب في جليقية وماجاورها وأخرجوهم من تلك المناطق، وتتبعوا أثرهم إلى الوسط من البلاد بقصد القضاء على حكم العرب، كما فعل بربر إفريقية^(٢) ولكن عبد الملك بن قطن استنجد بلج وقضى على ثورة البربر وفنيت أعداد كبيرة منهم^(٣) وأعقب القضاء على البربر فتنة الشاميين والبلديين ثم بعدها قيام العصبية بين العرب أنفسهم مما شغلهم بأنفسهم عن أطراف البلاد، ثم أعقب كل ذلك مجاعة عمت أجزاء كثيرة من الأندلس^(٤) كل هذه المصائب أدت إلى إخلاء مناطق واسعة في جليقية، وذلك أن هذه البلاد كان غالبية المسلمين فيها من البربر، وأن هؤلاء أولاً أخرجوا العرب من هذه البلاد، ثم هم أنفسهم فني منهم خلق في الحروب الأهلية، وعندما عمت المجاعة الأندلس عاد كثير من البربر إلى إفريقية^(٥).

كل هذا أدى إلى إخلاء كثير من مناطق جليقية، وخاصة المنطقة الواقعة بين نهري المنهو ودويرة^(٦) هذا الإخلاء مكن النصارى بكل سهولة أن يستوطنوا هذه المناطق ويقيموا فيها مراكز أمامية ليهاجموا من خلالها بلاد المسلمين.

هذا بعض مايتعلق بالأعداء واستفادتهم من الفتن في عصر الولاة،

(١) ينظر: المرجع السابق ص ١٣٧ في استيلاء الأفرنجة على أربونة.

(٢) ينظر: أخبار مجموعة ص ٤٠.

(٣) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ١٢٤ وفجر الأندلس ٢٠٣ وأخبار مجموعة ص ٤٠.

(٤) كانت هذه المجاعة من سنة ١٣٦هـ إلى سنة ١٣٦هـ ينظر: أخبار مجموعة ص ٦٢، وفجر الأندلس ص ٢٠٤.

(٥) ينظر: فجر الأندلس ص ٢٠٦.

(٦) ينظر: المرجع السابق ص ٣٥٠.

أما في أيام الحكم الأموي، كذلك استفاد الأعداء من الفتن كثيراً من ذلك إنهم استطاعوا أن يفرقوا كلمة المسلمين بمحاولات التدخل في صفوفهم، واستمالة بعض الخارجين عن الدولة^(١) ومحاولة ضرب المسلمين بعضهم ببعض.

ولما اشتدت الفتن في أواخر القرن الثالث، تعطلت كل حملات الجهاد ضد الأعداء، مما شجع الأعداء للإغارات على بلاد المسلمين وسوم المسلمين سوء العذاب، وسقوط أجزاء من بلاد المسلمين على أيدي الكفار وجلاء كثير من المسلمين عن أماكنهم.

ثانياً: تعطيل الدعوة في كثير من الأماكن داخل الأمة الإسلامية؛ لقد أدت هذه الفتن في الأندلس إلى آثار سيئة جداً في جميع النواحي فقد هلك فيها كثير من المسلمين في المعارك الطاحنة، وفقدت الأندلس في الحروب الأهلية كثيراً من أبطالها الشجعان الذين كان لهم أثر كبير في الفتوحات وحماية الثغور أمثال عبد الرحمن بن علقمة^(٢) وعامر بن عمرو

(١) من ذلك استجابة شرلمان لدعوة سليمان بن يقظان سنة ١٦٠هـ ينظر: أخبار مجموعة ص ١١٢ وابن خلدون ج٤ ص ١٢٤، والكامل في التاريخ ج٦ ص ٥٥، ودولة الإسلام ج١ ص ١٦٩، كما حاول الأعداء استمالة بعض الثوار مثل الثائر ابن حفصون مع ملك نافار ... وتحالفت ثورة طليطلة مع ملك جليقية سنة ١٤٠هـ ضد المسلمين في قرطبة/ ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ٢٩٣، وكذلك تدخل ملك نافار مع بني قسي في الثغر الأعلى وتحريضهم ضد المسلمين. ينظر نفس المرجع ص ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) عبد الرحمن بن علقمة الأندلسي قتل في أربونة غيلة سنة ١٣٦هـ ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٨ ودولة الإسلام ج١ ص ١٣٤.

العبدري^(١) وهلاك الجيوش الكثيرة من المسلمين^(٢) ولم يتوقف الأمر على هذا الحد بل جاء الاعتداء على الأبرياء فسيبت النساء والذرية^(٣) وهدمت الحصون وهجر كثير من الناس عن أماكنهم^(٤) وقطعت الطرق وأخيف السبيل، مما أدى إلى انقطاع التجارة واستيراد السلع من مكان لآخر^(٥) وماكان يعقب كل هذه المشاكل من المجاعات والأمراض التي كانت تذهب بحياة كثير من الناس^(٦) كل هذه الأمور أدت إلى تعطيل الدعوة في كثير من الأماكن، فمثلاً إن الحصون التي تهدمت، والقرى

(١) عامر بن عمرو بن وهب بن مصعب بن زرارة بن عزيز بن عمير بن عبد مناف، وعزيز جده الرابع أخو مصعب بن عمير صاحب لواء رسول الله ﷺ في غزوة بدر وأحد، وكان عامر من زعماء الأندلس الكبار وقوامها الشجعان يتولى المغازي ويقود الجيوش في الفتوحات، ولما تولى يوسف بن عبد الرحمن الفهري عزله عن القيادة، فقام عامر بثورة ضد يوسف في سرقسطة، وأخذ سجلاً من أبي جعفر المنصور بولاية الأندلس، فحاربه يوسف حتى تمكن من أسره، ثم قتله سنة ١١٣٨هـ.

ينظر: الحلة السيرة ج ٢ ص ٣٤٤، ودولة الإسلام ج ١ ص ١٣٥.

(٢) فمثلاً في الحروب التي وقعت في عهد الولاة في المعركة التي دارت بين أهل الشام بقيادة بلج وبين الباييين بقيادة عبد الرحمن علقمة، قتل من الجانبين إحدى عشر ألفاً في اليوم الذي جرح فيه بلج/ ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤١.

وفي عهد الدولة الأموية مثلاً، كانت حروب طاحنة بين المسلمين، ففي ثورة العلاء بن مغيث قتل مع العلاء ستة ألف من أصحابه، وهذا من جانب واحد فقط/ البيان المغرب ج ٢ ص ٥٢ كما كانت تباد قرى بأكملها مثل قتل العرب في الثغر الأعلى

على يد لب بن موسى القسوي/ ينظر: نصوص عن الأندلس ص ٣١.

(٣) إن سبي الذرية واسترقاق الأحرار أول من فعله بين المسلمين هو ثعلبة بن سلامة الذي تولى الإمارة بعد بلج (ينظر: أخبار مجموعة ص ٤٥) واستمر على الفعل في حروب الفتن خاصة في نهاية القرن الثالث: عندما كثر أهل الخلاف.

(٤) ومن أمثلة ذلك قتل أهل قرية طليطلة من كورة إشبيلية على يد البربر وكل القرى المجاورة لأشبيلية حتى تركوها قفراً من أهلها. ينظر: المقتبس ص ٦٩ و ص ٥٥.

(٥) ينظر: المقتبس في أحوال قرطبة بعد المصالحة مع حاكم أشبيلية إبراهيم بن الحجاج ص ١٣١.

(٦) ينظر: نفس المرجع ص ١٢٧.

التي شردت أثناء الفتن، كان لاشك فيها مسلمون وعلماء يقومون بتعليم الناس وتوجيههم وإرشادهم، فعندما تقوم الحروب في أماكنهم، إما أن يتحولوا عنها إلى غيرها وإما أن يموتوا. وفي كلا الحالتين عطلت الدعوة، فمثلاً يوجد في بعض التراجم أشخاص من العلماء البارزين، تركوا أماكنهم بسبب الفتن. فبعض العلماء هاجر إلى قرطبة مثل إسحاق بن إبراهيم^(١) هاجر من استجه إلى قرطبة بسبب الفتن في كورته. وعفير بن مسعود الغساني هاجر من أشبيلية إلى قرطبة^(٢) ومنهم عبد الله بن هذيل الكناني الذي كان من أهل جيان فهاجر إلى قرطبة^(٣) ومنهم حباب بن زكريا كان من أهل بطليوس فهاجر إلى قرطبة عندما هاجت في بلده الفتن^(٤). ولاشك إن رحيل العلماء كان له أثر سيء في الأماكن التي كانوا يرحلون منها.

وإن هذه الفتن كانت تهدم فيها المساجد ويقتل فيها العلماء أو يسجنون، أو يهربون إلى أماكن أخرى، كل هذا يؤدي إلى تعطيل الدعوة، فمثلاً لو نظر الشخص إلى ثورة الربض التي يقول عنها ابن عذارى: (كان من أهل ربض قرطبة في هذه السنة ٢٠٢هـ مانستعيز بالله من الخذلان

(١) هو: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادي كان من أهل إستجة، كان حافظاً للرأي، كانت له رئاسة باستجة، وقدر عظيم في الفتيا، وكان متعلقاً عليه في الجامع، ورحل في الفتنة أيام الأمير عبد الله إلى قرطبة ومات بها/ تاريخ علماء الأندلس رقم ٢٣٠ ج١ ص ٨٦ ابن الفرضي.

(٢) هو أبو الحزم عفير بن مسعود بن عفير بن بشير بن فضالة بن عبد الله الغساني من أهل مورور، سكن قرطبة، كان حافظاً للغة وأخبار العرب وأيامها ومشاهد النبي ﷺ وكان مؤدباً وعاش إلى أن بلغ المائة توفي سنة ٣١٧هـ. المرجع السابق رقم ١٠٠٨ ص ٣٨٥.

(٣) هو عبد الله بن هذيل بن قضاة بن فايز بن شعيب الكناني، من أهل جيان كان من العلماء، سكن قرطبة في الفتنة وبهامات/ نفس المرجع ص ٣٦٥ رقم ٦٧٨.

(٤) هو: أبو القاسم حباب بن زكريا من أهل بطليوس، وأصله من أشبيلية وخرج عنها عند إمتياج الفتن بها، رحل إلى قرطبة وسمع من شيوخها كان من أهل الفتيا والذكاء توفي سنة ٣٣١هـ ببطلوس، المرجع السابق رقم ٣٣٤ ص ١٢٦.

في مثله، وذهاب التوفيق. واختلفت الروايات في سبب قيام الناس وهياجهم فمنهم من يقول: ان ذلك الهيج كان أصله الأشر والبطر، إذ لم تكن ثم ضرورة من إجحاف في مال، ولا انتهاك لحرمة، ولا تعسف في ملكه، والحال تدل على صحة ذلك: فإنه لم يكن على الناس وظائف، ولا مغارم، ولا سخر، ولا شيء يكون سبباً لخروجهم على السلطان. بل كان ذلك أشراً وبطراً وملاً للعافية، وطبعاً جافياً، وعقلاً غيبياً، وسعياً في هلاك أنفسهم - أعاذنا الله من الضلال والخذلان وأسباب البوار والخسران^(١). فإن هذه الفتنة ذهب فيها خلق كثير من العلماء وغيرهم، وهرب آخرون خارج قرطبة مثل يحيى بن يحيى فإنه هرب إلى طليطلة^(٢) واختفى آخرون داخل قرطبة مثل طالوت بن عبد الجبار^(٣) ومنهم من قتل وصلب مثل يحيى بن مضر القيسي مع مجموعة كبيرة من أصحابه العلماء^(٤) حتى أن حارس

(١) البيان المغرب ج٢ ص ٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١٢٧ وتاريخ افتتاح الأندلس ص ٦٨.

(٣) طالوت بن عبد الجبار المعافري كان من تلامذة الإمام مالك، اتهم في هيج الربض فأختفى عند يهودي في قرطبة لمدة سنة كاملة، وكان بينه وبين أحد وزراء الحكم صداقة، فجاء بعد السنة إلى الوزير ليشفع له عند الحكم، وعندما جاء، وشى به إلى الأمير فأمر بإحضاره وهو يتوقد غضباً عليه، فلما حضر عنده قال: الحمد لله الذي أظفرتني بك وجعل يتقرعه ويقرره بما فعل لطلوت. فقال له طالوت: أما أجدلي في هذا الوقت مثلاً أنجي من صدقك. أبغضتك لله وحده، فلم ينفعك عندي كل ما صنعت. فسكت الأمير قليلاً وأطرق برأسه، ثم رفع رأسه وقال: والله لقد أحضرتك، وما في الدنيا عذاب إلا وقد عرضته: أختار أفضله لك. وإن الذي أبغضتني من أجله قد صرفني عنك، فانصرف في أمان الله. ولما علم بخيانة وزيره له أمر بصرفه من الوزارة وطرده وقال: (رجل من أعداء الله حفظ لهذا الشيخ - فأخطر بنفسه فيه وناقضت أنت ذلك وهو من خيار أهل ملتك) فأخرجه من عنده/ ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٧٠، وترتيب المدارك ج٣ ص ٣٤٠.

(٤) كان قتل يحيى بن مضر سنة ١٨٩هـ مع مجموعة من العلماء أنكروا على الأمير أموراً فأرأبوا خلعه وانتفقوا أن يجعلوا الأمير محمد بن القاسم أحد أبناء عمومة الحكم فأفشى سرهم وتقرب إلى الأمير بدمائهم، فأمر الأمير بقتلهم وصلبهم فكان عدد من

الحكم عندما أمره بصلبهم، قام يحتسب على الحكم في حقهم ويخوفه من عذاب الله يوم القيامة قال ابن القوطية: (كان حدير بن حدير^(١) بواباً للسدة في حين هيج الربيض، وضم النفر الصالحين إلى حبس الدويرة، فأدخله الحكم على نفسه، فقال له: إذا أظلم الليل فأخرج هؤلاء المشايخ السوء وأمر بضرب رقابهم وصلبهم، فقال له: والله يامولاي، إنني لاكره لك ولنفسي أن أكون غداً أنا وأنت في زاوية من زرايا جهنم تهر إلي وأهرُّ إليك لا تنفعني ولا أنفعك. فانتهره وعزم عليه في إنفاذ ذلك، فلم يجبه. فأمر بإخراجه وإدخال ابن نادر البواب صاحبه، فنفذ ذلك على يديه^(٢). فما قام حدير بالاحتساب على الأمير إلا لمكانة العلماء عند الناس، ورجاء أن يعفو عنهم الأمير.

وقد أثرت هذه الفتنة على الدعوة فهدمت فيها المساجد مثل مسجد أمية بن عبد الملك^(٣) بل حول الحي كله إلى بلقع حتى صار فيما بعد مزرعة، وشرد أهله إلى بلاد عدة^(٤) فلا شك كل هذه الأشياء كان لها أثر سيء على الدعوة، فإن هدم المساجد من أشد مضار الدعوة الإسلامية لأنه مدرسة المسلمين الأولى، وإن العلماء الذين قتلوا أو شردوا، تركوا فراغاً كبيراً في التعليم، خاصة أن هؤلاء كانوا من أعظم العلماء في الأندلس وكانت لهم آثار بارزة في الدعوة أمثال يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار وغيرهم.

صلب منهم اثنين وسبعين رجلاً من الفقهاء وأهل الصلاح. فعظم ما فعل بهم الحكم في قلوب الناس فمزالوا يتربصون بالحكم إلى أن قاموا بالهيج سنة ٢٠٢هـ/ ينظر: ترتيب المدارك ج٣ ص ١٣٦ والبيان المغرب ج٢ ص ٧١.

(١) حدير من موالي عبد الرحمن الداخل وهو جد بيت من بيوت الموالى الذين توارثوا عدة مناصب في الدولة الأموية منهم موسى بن حدير الذي تولى الخزانة للأمير عبد الرحمن بن الحكم/ ينظر: المقتبس ص ٣٠٥ تحقيق الدكتور/ محمود علي مكي، الحاشية رقم ٢٢٥.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٧٢.

(٣) ينظر: أخبار مجموعة ص ٤٢.

(٤) تاريخ المسلمين وأثارهم ص ٢٢٤.

كل هذه الآثار السيئة إذا حدثت في ثورة الربض التي لا تتجاوز جزءاً يسيراً من قرطبة، وزمناً لا يعدو أياماً قلائل. فلا شك إن الثورات التي عمت الأندلس كان لها آثار أكبر من ذلك كله.

ومع كل هذه العوائق كان للعلماء دور كبير في إزالة الفرقة ووحدة الأمة ونبذ الخلاف والاعتصام بحبل الله وطاعة الأمراء والتكاتف لمحاربة أعداء الإسلام، فمنهم من يكتب إلى أهل الخلاف يدعوهم إلى الطاعة، ومنهم من يعظ قومه المخالفين حتى يأتي بهم إلى الأمير منقادين، ومنهم من يمنع استرقاق الأحرار الذين كانوا يؤخذون أسرى في الحروب الدامية بين المسلمين فهذا العالم يزيد بن طلحة العبسي^(١) يوجه كتاباً إلى أهل قرمونية يحضهم فيه على الطاعة فيقول: (إن أحق ما يرجع إليه الغالون، ولحق به التالون، وأثره المؤمنون، وتعاطاه بينهم المسلمون، مما ساء وسر، ونفع وضر، ما أصبح به الشمل ملتئماً، والأمر منتظماً، والسيف مغمود ورواق الأمن ممدود، وليس من ذلك أولى باحراز الثواب ولا أحرى من الدخول في الطاعة، وترك الشذوذ عن الأئمة، فإلى الله نرغب في المعونة على أحسن بصائرنا في وهي يرقعه، وشعب يلامه، وسلك ينظمه، وأن يجعل ما حضناكم عليه من اجتماع الإلف والدخول في الطاعة اختياراً يصل لنا به خير الدارين، ويحمل عنا فيه حق الخلافة المرضية التي هي من الله صلاح لهذه الأمة، وسنة متبعة جامعة لتأليف الشمل، وحقن الدماء، وتحصين الفروج والأموال)^(٢).

فإن هذا العالم يحث الخارجين على الطاعة بوجوب لزوم الجماعة، ويبين ما يترتب على طاعة الأمراء ولزوم الجماعة، من مصالح الدنيا وثواب الآخرة. وهناك عالم آخر يبذل كل ما في وسعه في دعوة قومه إلى الطاعة ونبذ الخلاف فيأت بهم إلى باب الأمير منقادين مذعنين، وهو

(١) يزيد بن طلحة من أهل اشبيلية كان من أهل البصر باللغة/ ينظر: تاريخ علماء

الأندلس رقم ١٦٠٧ ج٢ ص ١٩٥ وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٧١.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧١.

القاضي محمد بن عبد الخالق الغساني^(١) قال ابن حيان: (كتب الأمير الناصر إلى كور في أول غزوة غزاها فكان أول من استجاب لأمره وصحح طاعته أهل كورة البيرة .. وكان السبب في انقيادهم: مداخلة قاضيهم - محمد بن عبد الخالق الغساني - لهم في ذلك ووعظه إياهم ونصحه لهم، وكان فيهم مطاعاً فلم يخالفوه، وجاء بهم إلى باب السلطان بنفسه فأوسعهم كرامة)^(٢) هكذا كان العلماء دعاة خير، ولم شعث المسلمين وجمع كلمتهم.

ولما كثرت الفتن وأصبح كل متغلب على جهة يسترق الأحرار من مخالفه كان العلماء يحاربون ظاهرة استرقاق الأحرار بكل ما أوتوا من قوة، فهذا القاضي محمد بن جنادة^(٣) قاضي أشبيلية يقال عنه (كان عظيم البركة والمنفعة في ولايته، سيما في أسباب الفتنة من لطف الحيلة لأمراء كورته والسلطان، يقال: إنه خلص من بنات المولدين في فتنة العرب والموالي نحو ألف امرأة وسانهن حتى أخرجن إلى مأمهن شيئاً فشيئاً)^(٤) كما أصدر فقهاء قرطبة فتوى للحد من هذه الظاهرة الخبيثة (استرقاق الأحرار) خلاصتها إن كل من ادعى ملك مملوك في الحصون المخالفة، فإن دعواه باطلة إلا أن يثبت الملك قبل حدوث الفتنة.

ومعنى ذلك إن كل ملك يقع في الفتن باطل لأن الأصل هو الحرية وعدم الرق.

كل هذه الأمور تدل على الجهود التي كان يبذلها العلماء لإخماد الفتن ومحو كل آثارها لتكون كلمة المسلمين واحدة.

(١) محمد بن عبد الخالق لم أجد ترجمته.

(٢) المقتبس لابن حيان ج٥ ص ٥٨.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جنادة بن عبد الله بن أبي جنادة يزيد بن عمرو الألهاني، من إشبيلية. روى عن يحيى بن يحيى وغيره من علماء قرطبة ثم رحل وسمع من علماء مصر، ثم رجع وسكن إشبيلية وكان يرحل إليه لطلب العلم. استقضاه إبراهيم بن حجاج عليها. وتوفي سنة ٢٩٦هـ/ ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٥٠ ج٢ ص ٣٣.

(٤) ترتيب المدارك ج٤ ص ٤٦٩.

الباب الرابع

وسائل الدعوة وأساليبها

في الأندلس

الفصل الأول: أساليب الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الترغيب والترهيب

المبحث الثاني: القدوة الحسنة

المبحث الثالث: المعاملة الحسنة

الفصل الثاني: وسائل الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الجهاد

المبحث الثاني: المسجد

المبحث الثالث: التعليم

□ تمهيد:

إن الإسلام جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾^(١) قال سيد قطب رحمه الله وأسكنه فسيح جناته: (كتاب أنزلناه إليك: لم ينشئه أنت. أنزلناه إليك لغاية. لتخرج الناس من الظلمات إلى النور).

لتخرج هذه البشرية من الظلمات. ظلمات الوهم والخرافة. وظلمات الأوضاع والتقاليد، وظلمات الحيرة في تيه الأرباب المتفرقة، وفي اضطراب التصورات والقيم والموازن، لتخرج البشرية من هذه الظلمات كلها إلى النور. النور الذي يكشف هذه الظلمات. يكشفها في عالم الضمير، وفي الدنيا التفكير ثم يكشفها في واقع الحياة والقيم والأوضاع والتقاليد)^(٢).

ومهمة الدعوة إلى الله هي بيان هذا الإسلام وإيصاله إلى الناس كافة ليعيشوا سعادة الدارين بالإيمان بكل ما جاء في الإسلام وتطبيقه تطبيقاً حياً يمتزج مع روح الإنسان قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾^(٣) وأمة الإسلام هي الأمة التي أختارها الله لتحمل هذه الرسالة إلى كل البشرية حتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور. كما قال رباعي بن عامر رضي الله عنه: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه... ومن أبي قاتلناه أبداً حتى تقضي إلى موعود الله... الجنة لمن مات على قتال من أبي والظفر لمن بقي)^(٤).

فمهمة المسلمين هي نشر الإسلام إلى الورى، وهي مهمة شاقة

(١) سورة إبراهيم الآية رقم ١.

(٢) في ظلال القرآن ج٤ ص ٢٠٨٥.

(٣) سورة النحل الآية رقم ٩٧.

(٤) البداية والنهاية ج٧ ص ٣٩.

وصعبة، والمسلمون في سبيلها تحملوا كل الصعاب لما يرجونه من الله في ذلك من جزيل ثوابه .

ومهمة نشر الإسلام في كل زمان ومكان تحتاج إلى أساليب حكيمة تسهل إيصال الحق إلى قلوب الناس، ووسائل تحمل هذه الأساليب، وتكون الوسائل مقبولة عند المدعوين؛ وهذه الأساليب والوسائل تختلف بحسب الزمان والمكان الذي تستعمل فيه، والداعي مهمته أن يختار من الأسلوب والوسائل ما يمكنه من إيصال الحق إلى الناس الذين يدعوهم .

والمسلمون في الأندلس كانت لهم أساليب ووسائل في نشر الإسلام وإيصاله إلى كل البشر هناك . وفي هذا الباب بيان لبعض هذه الأساليب والوسائل . وهي في جملتها لا تختلف عن الوسائل والأساليب التي كان يستخدمها المسلمون في نشر الإسلام في كل البلاد التي فتحوها .

الفصل الأول أساليب الدعوة في الأندلس

في هذا الفصل بيان الأساليب التي استخدمها المسلمون لنشر الإسلام في الأندلس، وفيه ثلاثة مباحث، ولكن قبل الكلام على المباحث لابد من بيان معنى الأسلوب لغة وشرعاً :

تعريف الأسلوب: لغة وشرعاً:

فبالأسلوب في اللغة له عدة معاني منها الفن، ويقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي في فنون منه. ومنها الطريق: يقال: سلكت أسلوب فلان، أي طريقه وكلامه على أساليب حسنة. ومنها الوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء. أي في مذهب سوء^(١).

أما الأسلوب في الإصطلاح فهو: (الطريقة أو المذهب، الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله، ليحقق بذلك أهداف الدعوة)^(٢). وقيل: (هو عرض مايراد عرضه من معاني وأفكار، ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة)^(٣). والتعريفان متقاربا المعنى، وألصقهما بالدعوة التعريف الأول لأنه قيد (بتحقيق أهداف الدعوة)، فإن كل أسلوب لا يحقق أهداف الدعوة وغايتها، ليس هو من أساليب الدعوة وإن سمي أسلوباً.

-
- (١) ينظر: لسان العرب ج١ ص ٤٧٣ مادة (سلب)، والصاح للجوهري، نفس المادة ج١ ص ١٤٩ طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، تحقيق أحمد العطار.
- (٢) فقه الدعوة إلى الله ج١ ص ٢٦٥ للدكتور علي بن عبد الحليم محمود من علماء الأزهر - الطبعة الثانية ١٤١١هـ نشر دار الوفاء بمصر.
- (٣) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ومقوماتها ومناهجها ص ١٨٩ للدكتور أبو المجد السيد نوفل، الطبعة الأولى نشر مطبعة الحضارة العربية ١٣٩٧هـ بمصر.

المبحث الأول الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة الإسلامية، فإن الإنسان إما أن يقبل الشيء رغبة فيه، إذا تبين له مصالحه، ومضار ضده، وإما أن يقبله خوفاً من أحد يصيبه بما يكره إذا لم يقبل هذا الشيء المطلوب منه قبوله.

ولهذا جاء الإسلام بالترغيب والترهيب للناس.
جاء بالترغيب لمن آمن بهذا الدين وانقاد لشرعه بأن يحيه الله في هذه الدنيا حياة العز والسعادة، ويدخله الله في الآخرة جنة النعيم، وجاء بالترهيب لمن نبذ هذا الدين ولم ينقذ لأوامره ونواهيه، بأنه يحيى في هذه الدنيا حياة الضنك والضييق، ويكون مأواه في الآخرة النار، نعوذ بالله من ذلك.

وفي هذا المبحث بيان لاستعمال أسلوب الترغيب والترهيب في نشر الإسلام في الأندلس، وذلك تحت المطالب الآتية:

المطلب الأول معنى الترغيب

الرغب والرغبة: الضراعة والمسألة. وفي حديث الدعاء: (رغبة ورهبة إليك)^(١) وفي حديث أسماء بنت أبي بكر: (أتتني أمي وهي راغبة)^(٢) أي سائلة أو طالبة صلة. ورغبت إلى فلان في كذا أي سألته إيّاه. ورَغِبَ في الشيء رَغْباً ورَغْبَةً... ورَغَباً: أرادته. والرَّغِيبُ: الشيء الواسع، يقال: حوض رغيب أي واسع^(٣).

وعلى هذا فالمعنى اللغوي للرغبة في الشيء الواسع أو الكثير، ومحاولة الوصول إليه بما يراه الراغب في الشيء.
والترغيب في الشرع: (كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)^(٤).

وعلى هذا يكون الترغيب بكل ما يصل إلى قلب المدعو حتى يفهم الإسلام من مال أو جاه وغير ذلك.

(١) يشير إلى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، ورغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، اللهم أمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة وأجعلهن آخر ماتتكم به، قال: فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت: أمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: لا ونبيك الذي أرسلت».

صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: فضل من مات على وضوء. ج١ ص ٦٧.

(٢) حديث أسماء رضي الله عنها، هو: (قالت: قدمت على أمي وهي مشرقة، في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، ومدتهم، مع أبيها، فاستفتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله: إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم صليها).

صحيح البخاري، كتاب الجزية باب رقم ١٨ ج٤ ص ٧٠.

(٣) لسان العرب ج١ ص ٤٢٢ وما بعدها مادة (رغب).

(٤) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٢١.

المطلب الثاني

تأثير أسلوب الترغيب في ديار الأندلس

إن المسلمين كانوا مبشرين بهذا الدين الذي أختاره الله أن يكون خاتمه الأديان، وعماماً لكل البشرية إلى قيام الساعة. فكان دعاة المسلمين كما أمرهم رسول الله ﷺ «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»^(١). وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، فهو مشتمل على خيرى الدنيا والآخرة، فالدنيا دار العمل، والآخرة دار الجزاء، فأمر ﷺ فيما يتعلق بالدنيا بالتسهيل، وفيما يتعلق بالآخرة بالوعد بالخير والإخبار بالسرور تحقيقاً لكونه رحمه للعالمين في الدارين^(٢).

وهو وصية عظيمة لكل الدعاة في كل زمان ومكان، ليأخذوا بها في دعوتهم وتأليفهم لقلوب الناس إليها، ولهذا قال النووي رحمه الله: (وفي الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف، وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير. وفيه تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليه، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعات قليلاً قليلاً، فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المرید الدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالباً التزايد منها. ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها.

وفيه أمر الولاية بالرفق واتفاق المتشاركين في الولاية ونحوها، وهذا من المهمات^(٣). فالنوعي رحمه الله يبين ماينبغي أن يكون عليه الداعية مع غير المسلمين الراغبين إلى الإسلام، ومع عصاة المسلمين وضعفاء القلوب والولاية ورعيتهم والرعية مع ولاة أمرها.

(١) صحيح مسلم ج١٢ ص ٤٠ مع شرح النووي، كتاب الجهاد.

(٢) ينظر: عمدة القارئ ج٢ ص ٤٧.

(٣) صحيح مسلم شرح النووي ج١٢ ص ٤١.

ودعاة المسلمين في الأندلس - كغيرهم من الدعاة الأوائل في كل البلاد التي فتحها المسلمون - كانوا مبشرين، ومرغبين إلى الإسلام، حتى فتحوا القلوب إلى الإسلام قبل أن يفتحوا البلاد.

فهذا طارق بن زياد رحمه الله لما ولاه موسى بن نصير على طنجة وما جاورها من بلاد البربر، وكانت تجاوره مدينة سبته وكانت على منعة من المسلمين في أول الأمر لا اتصالها بالبحر، وسهولة وصول الإمدادات إليها من كفار الأندلس، استطاع طارق رحمه الله أن يستميل يليان حاكم سبته النصراني إلى صفوف الإسلام والمسلمين.

كان يليان على اتصال تام مع حكام الأندلس يمدونه بكل ما يريد، وموقعه (سبته) كان محصناً، ودفاعه كان محكماً، ولهذا لم يستطع المسلمون فتح معقله عندما فتحوا طنجة وماحولها، قال صاحب أخبار مجموعة: (ثم سار موسى يريد مدائن على شط البحر فيها عمال صاحب الأندلس قد غلبوا عليها وعلى ماحولها، وكان رأس تلك المدائن، مدينة يقال لها: سبته، وكان عليها وعلى ماحولها من المدائن عالج يسمى: يليان فقاتله موسى بن نصير فألفا عنده عدة وقوة ونجدة ليست تشبه ماقبلها، فلم يطلقهم موسى فرجع عنهم إلى طنجة، وجعل يجثث ماحولهم بالمغارة فلم يطلقهم، وكانت المراكب تختلف إليهم من الأندلس بالمعاش والإمداد، ومع ذلك كانوا يحبون بلادهم ويذبون عن حريمهم ذباً شديداً)^(١).

فهذه القوة التي كان يملكها يوليان، كانت تتطلب من المسلمين قوة عظيمة برية وبحرية حتى يتمكنوا من حصار سبته وفتحها، وهي الوحيدة التي وقفت في وجه الإسلام في شمال إفريقية. إلا أن القائد الحكيم، والداعية العظيم، طارق بن زياد، استطاع أن يفتح سبته سلماً، ويكون حاكمها من أعظم المناصرين في فتح الأندلس. يقول ابن عبد الحكم في

(١) أخبار مجموعة ص ٤.

مداخلة طارق ليليان: (فراسل طارق يليان ولاطفه حتى تهاديا)^(١). فكانت هذه المداخلة من طارق وإرسال هداياه إلى يليان، وبيانه له سماحة الإسلام، جعل يليان يقوم بمهمات عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين حيث كان من أسباب فتح الأندلس. كما تقدم. فهذا الترغيب وحسن المعاملة التي كان يتصف بها المسلمون قيادة ومقودين ولم يكن المسلمون قط يرهبون أحداً وهم يجدون طريقاً للوصول إليه بالترغيب وكان طارق بن زياد رحمه الله يلجأ إلى أسلوب الترغيب كثيراً في فتوحاته فكما استمال يليان إلى جانب المسلمين، استطاع أيضاً أن يثير حماس جيشه عندما عبر إلى الأندلس ولقي العدو في خطبته المشهورة والتي اشتملت على الترغيب في النصر على العدو أو الفوز بالجنة، والترهيب من الخذلان في الدنيا والآخرة.

وبخطبته العظيمة أثار حمية أصحابه ووطنوا نفوسهم على الموت^(٢). كما استطاع طارق أن يستميل إلى صفه بعض قادة القوط، بوعد إياهم بإعادة أملاكهم إليهم، عندما ينتصر على العدو، فكان هذا الوعد من طارق لهؤلاء فتحاً عظيماً للمسلمين حيث خذل هؤلاء القواد جيش القوط ومالوا إلى المسلمين طمعاً في أملاكهم التي سلبها منهم حكام القوط^(٣). وهذا يدل على أن المسلمين كانوا على علم تام بأحوال أهل البلاد وميول نفسياتهم ورغباتهم، ولهذا كان المسلمون، يستميلون كلاً بما يناسبه، فإذا كان الشخص ممن يحبون الرئاسة والحكم يضمنون له ذلك مثل ماضمنوا

(١) فتح إفريقية والأندلس ص ٧٢ لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، تحقيق الدكتور عبد الله أنيس الطباع.

(٢) ينظر: تاريخ العرب في إفريقية والأندلس ص ١٩ حسن خليفة.

(٣) ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ص ٣٠، ونفح الطيب ج١ ص ٢٥٨.

ذلك ليليان^(١) وقسي حاكم سرقسطة^(٢). وإذا كان ممن يحبون المال ألفوا قلبه بذلك، كما فعلوا بأولاد غيطشة وغيرهم حتى أتى هذا الأسلوب ثماره بتحويل كثير من النصارى إلى الإسلام.

المطلب الثالث معنى الترهيب

الترهيب في اللغة هو: التخويف، يقال: (رَهَبَ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرَهَبًا، وَرَهْبَةً: خَافَهُ.. والرَّهْبَةُ: الخوف والفرع... وأرهبه، ورهَّبَهُ، واسترهبه: أخافه وفرزعه)^(٣).

وقيل: الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب^(٤). والترهيب في الاصطلاح هو: كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله^(٥).

المطلب الرابع تأثير أسلوب الترهيب في ديار الأندلس

إن المسلمين من طبيعتهم وأساليبهم في الدعوة إلى الله الترغيب

(١) يقول الدكتور حسين مؤنس: إن يليان بعد فتح الأندلس أصبح حاكماً لسبته حتى مات، وقد دخل في الإسلام عقبه من ٥٣ فجر الأندلس.

(٢) تقدمت الإشارة إليه، وإن عقبه كانوا حكام الثغر أعلى (سرقسطة) وتنقلوا بين الطاعة والخلاف مع حكام المسلمين في قرطبة. وكانت لهم علاقات قوية مع النصارى المجاورين لهم. فكانت بينهم مصاهرات وقد ارتد بعضهم عن الإسلام. ينظر: جمهرة أنساب العرب من ٥٠٢ تحقيق عبد السلام محمد هارون.

(٣) ينظر: لسان العرب ج١ ص ٤٣٦ مادة (رهب).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٠٤.

(٥) ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٢٦.

والتبشير وليس الترهيب والتهديد، وكذلك كانوا في الأندلس لم يلجأوا إلى الترهيب بل كانوا مبشرين مما جعل الناس يرحبون بهم ويدخلون في دينهم أفواجا.

ولكن مع ذلك إن غالبية الكفار قذف الله في قلوبهم الرعب وقت الفتح الإسلامي للأندلس فهربوا أمام المسلمين في كل وجه، مصداقاً لقول الرسول ﷺ، حيث قال: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»^(١) وهذا الرعب ينصر الله به كل من تمسك بهذا الدين الإسلامي ودعا إليه فإن طارق بن زياد لما انتصر على القوط في معركة وادي لكة، وفقدت فيها قيادة القوط، قذف الله على قلوب أهل الأندلس الرعب، فارتفعوا على الحصون والقلاع، وتهاربوا من السهل إلى الجبال^(٢).

ولما عبر موسى بن نصير وفتح ما بقي من الأندلس، وتوجه إلى ثغور الأندلس المتاخمة لبلاد الأفرنجة، وطارق معه، فتحا بلاداً كثيرة، (وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفرة فلم يعارضهما أحد إلا بطلب الصلح)^(٣). هكذا كان أهل الكفر يجفلون أمام المسلمين الفاتحين خائفين منهم، وذلك إن الحروب التي كانت تعرفها البشرية في ذلك العهد كانت حروب إبادة وتخريب تحرق الأخضر واليابس، فكان أهل جزيرة الأندلس ربما توقعوا حروب المسلمين كالحروب السابقة، وخاصة في أوروبا، ولهذا كانوا يهربون أمام المسلمين، ولما تبين لهم حسن المعاملة للمسلمين، ورفعة أخلاقهم، أنسوا بهم، ورحبوا بدين الإسلام الذي يتمثل في أخلاق هؤلاء الفاتحين.

(١) طرف من حديث رواه البخاري، وهو قوله ﷺ: (عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت عامة». صحيح البخاري كتاب التيمم، باب فتيموا صعيداً طيباً ج١ ص ٨٦.

(٢) نفع الطيب ج١ ص ٢٥٩.

(٣) نفع الطيب ج١ ص ٢٧٣.

هكذا كانت طبيعة المسلمين التبشير بالإسلام والدعوة إليه والتي هي أحسن ولم يلجأوا إلى أي أسلوب من التهيب في وقت الفتح الإسلامي للأندلس. وما ذكره بعض المؤرخين، من أن طارق قطع لحوم بعض الكفار بمرأى من أسراهم وأمر بطبخها في القدور ليوهم بأنهم يأكلونها، ثم أطلق الأسرى، فأخبروا من لقوه بأن المسلمين يأكلون لحوم الناس، فهذا غير صحيح. من وجوه:

أولاً: مخالفته لتعاليم الإسلام لأن الرسول ﷺ نهى عن المثلة^(١) وهذا عين المثلة التي نهت عنها الشريعة الإسلامية، وإن الفاتحين كانوا دعاة إلى الإسلام فما كان همهم أن يهرب منهم الناس وإنما همهم أن يدخل الناس في الإسلام. وهذا الفعل يخالف هدفهم كما يخالف الشرع.

ثانياً: إن النص التاريخي الذي ذكر فيه هذا الفعل فيه تناقضات كبيرة، وهو كما جاء في كتاب تاريخ افتتاح الأندلس (فلما جاوز طارق وصار بعدوة الأندلس، كان أول ما أفتتحه مدينة قرطاجنة، بكوة الجزيرة، فأمر أصحابه بتقطيع من قتلوه من الأسراء، وطبخ لحومهم بالقدور، وعهد بإطلاق من بقي من الأسراء، فأخبر المنطلقون بذلك كل من لقوه، فملأ الله قلوبهم رعباً. ثم تقدم فلقي لذريق، فكان ماتقدم ذكره)^(٢) فهذا النص يحمل عدة متناقضات غير مخالفته لمبادئ الإسلام، وهي:

١ - جاء فيه إن أول ما فتحه طارق مدينة قرطاجنة، وهذا غير صحيح تاريخياً، وجغرافياً. لا يصح جغرافياً، لأن طارق عبر إلى الأندلس بالمضيق الذي يحمل اسمه حتى اليوم، ومدينة قرطاجنة تقع شرق الأندلس فلا يمكن أن يصل إليها طارق في أول الأمر دون أي مقاومة.

(١) كما في حديث بريدة في صحيح مسلم والذي جاء فيه: (اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، وتغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا) وقد

تقدم الحديث بتمامه في ص ١٦٢.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٣٥.

ولا يصح تاريخياً، لأن طارق أول ما فتحه الجبل المعروف باسمه ثم الجزيرة الخضراء^(١).

٢ - جاء في النص المذكور (فأمر أصحابه بتقطيع من قتلوه من الأسراء، وطبخ لحومهم بالقدر) وهذا يخالف كل معاملات المسلمين للأسرى في جميع تاريخهم الطويل لأن في عاداتهم عدم قتل الأسرى بل كان الأمر عندهم إما استرقاقهم، وإما المن عليهم، وإما مفاداتهم، أما القتل فليس من عادة المسلمين، إلا ماندر كأن يفعل الأسير ما يوجب قتله.

٣ - إن مما يخالف المقصود من هذا الفعل، إنه وقع في أول الأمر، وقبل معركة وادي لكة الحاسمة. وإن أهل الكفر لم يخافوا من المسلمين إلا بعد انتصارهم في معركة لكة وقتلهم لذريق، بل كان لذريق معه العجل التي تحمل الحبال فقط ليأسر به المسلمين لأنه كان لا يشك في الظفر بهم، لغروره بكثرة عدده، وقلة المسلمين^(٢) فأين خوف الكفار من ذلك، وأين نتيجة هذا العمل الذي يخالف الشرع ولا يصدقه الواقع!؟

فالخلاصة إن المسلمين لم يفعلوا مثل هذه الأعمال التي تخالف شرعهم ومبادئهم وأهدافهم التي جاءوا من أجلها.

والخلاصة إن أسلوب الترغيب والترهيب كان له أثر كبير في إسلام كثير من أهل البلاد، ولا غرو في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى فرض حقاً معلوماً للمؤلفة قلوبهم، حتى يدخلوا في الإسلام أو يثبتوا عليه، قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم﴾^(٣) كما أمر بأعداد العدة لإرهاب الأعداء فقال: ﴿وأعدوا لهم

(١) ينظر: في تاريخ المغرب والأندلس ص ٦٠ أحمد مختار العبادري، وفتح الطيب ج ١ ص ٢٥٧ وأخبار مجموعة ص ٧.

(٢) ينظر: الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٧٤.

(٣) التوبة جزء من الآية رقم ٦٠.

ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين
من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم^(١) فهذه الآيات وغيرها تدلنا على مكانة
الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله عز وجل.

(١) الأنفال جزء من الآية رقم ٦٠.

المبحث الثاني القدوة الحسنة

المطلب الأول تعريف القدوة

القدوُ: أصل البناء الذي يتشعب منه تصرف الاقتداء، يقال: قدوة وقدوة، لما يقتدى به... والقدوة والقدوة ماتسنتت به... والقدوة والقدوة: الأسوة. يقال: فلان قدوة يقتدى به^(١).

هذا تعريف القدوة في اللغة. أما تعريفها في الاصطلاح فهو: (طلب موافقة الغير في فعله)^(٢) والأسوة بمعنى القدوة، ولهذا قال القرطبي: (الأسوة ما يتأسى به أي يعتزى به في جميع أحواله)^(٣) وقال الشوكاني: (الأسوة أي القدوة الصالحة)^(٤).

ومما تقدم يتبين للقارئ إن القدوة والأسوة بمعنى واحد، ولكن المتتبع للقرآن الكريم يتبين له إن القدوة أعم من الأسوة، فإن الأسوة ماجاءت في القرآن الكريم إلا بأمر اتباع أهل الخير واقتفاء أثرهم، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^(٥) فهذا أمر للأمة الإسلامية باتباع النبي ﷺ في كل أمورهم.

وقال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براءؤاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا

(١) لسان العرب ج٥ ص ١٧١ مادة (قد).

(٢) فتح القدير للشوكاني ج٢ ص ١٣٧ طبعة دار الفكر - بيروت.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص ١٥٥ طبعة دار الكتاب العربي.

(٤) فتح القدير ج٤ ص ٢٧٠.

(٥) الاحزاب الآية ٢١.

بيننا وبينكم العداوة واليغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده^(١).
فإن هذه الآية فيها أمر للمؤمنين بأن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه
السلام وبالمؤمنين به في مقاطعة الكفار مهما تكن قرابتهم لأن الإيمان
يقتضي مقاطعة أعداء الله وبغضهم.

هذا في معنى الأسوة. وأما القدوة فقد جاءت في القرآن الكريم
بمعنى التأسى بأهل الخير والأمر باتباعهم في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين
هدا الله فبهدهم اقتده﴾^(٢). وقد جاءت بمعنى مجرد اتباع الغير
وتقليدهم دون روية وهداية، قال تعالى مخبراً عن أحوال أهل الكفر:
﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك فر قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا
آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾^(٣).

المطلب الثاني

مكانة القدوة في الدعوة إلى الله

إن الداعية إلى الله تعالى لاشك يؤمن بما يدعو إليه إيماناً حقيقاً،
ولابد أن يطابق الإيمان الداخلي العمل الخارجي، فهو ينبغي أن يكون
أول من يطبق في نفسه ما يدعو إليه. وإلا لم تثمر دعوته الثمرة المرجوة
منها. وأصبح كاليهود الذين قال الله فيهم: ﴿أتأمرون الناس بالبر
وتنسون أنفسكم﴾^(٤) بل يكون ممن تسعر به النار والعياذ بالله كما أخبر
بذلك المعصوم عليه السلام: «يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق
أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار
فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى

(١) الممتحنة جزء من الآية ٤.

(٢) الأنعام جزء من الآية ٨٩.

(٣) الزخرف الآية رقم ٢٣.

(٤) البقرة جزء من الآية رقم ٤٤.

قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر، وآتية»^(١) وهذا تهديد لكل الدعاة وتحذير لهم ألا يأتوا بما ينافي العمل الذي يدعون إليه .
ولقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة في كل شيء يتعلق بالإسلام الشامل الكامل . ولهذا كان الإقرار من أعدائه بدون تردد عندما قال لهم : (أرأيتم إن أخبركم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا : نعم ماجربنا عليك كذباً)^(٢) فمن صفاته التي يعرفونها سابقاً استدلوها على صدقه، فقالوا : (ماجرينا عليك كذباً) وذلك انقياداً للصدق السابق الذي كان ملازماً للنبي محمد ﷺ .
وكذلك هرقل ملك الروم استدل من صفات الرسول ﷺ على صدق نبوته قائلاً : (فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله)^(٣) ولم يستطع أن يتمالك على عواطفه حتى كاد يعلن إسلامه .

(١) رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار، ج٦ ص ٢٣١ مع الفتح، ورواه مسلم في كتاب الزهد باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ج١٨ ص ١١٨ واللفظ له، ورواه الأمام أحمد في المسند ج٥ ص ٢٠٦ .

(٢) طرف من حديث رواه البخاري وهو: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وانذر عشيرتک الاقربین ورمطک منهم المخلصین﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه، فقالوا من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي؟ قالوا: ماجربنا عليك كذباً، قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك ماجمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت: ﴿تبت يدا ابي لهب وتب﴾ (وقد تبّ) هكذا قرأها الأعمش يومئذ).

صحيح البخاري كتاب التفسير - تفسير سورة المسد - ج٦ ص ٩٤، طبعة أسطنبول .
(٣) جزء من حديث طويل رواه البخاري في قصة أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل ملك الروم، وهو: (عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآء فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: ادنوه مني وقربوا أصحابه فأجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا، عن هذا الرجل، فإن كذبتني فكذبوه. قال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم قلت: هو فينا نو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه

من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم.. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم نو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا. قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله. وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا. وكذلك الرسل، لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت: أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ماتقول حقاً، فسيمك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج. ولم أكن أظن أنه منكم، فلو اني أعلم اني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية، إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه، فإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من أتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، اسلم تسلم، يؤتك الله أجره مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين. ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون).

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب

فكان ﷺ إمام الدعوة وقدوتهم مثلاً يهتدى به وأسوة يقتدى به في كل الأمور عامة، وفي تبليغ الدعوة وأساليبها، ووسائلها خاصة. والصفات العظيمة التي كان يتمثل بها نبينا محمد ﷺ أصبحت أعظم دليل على صدق نبوته ﷺ حتى في وقتنا الحاضر. واعترف بها العدو قبل الصديق، فهذا رجل نصراني معاصر^(١) إذ يقول: (إن محمداً ليس إنساناً أي إنسان، بل هو إنسان ثري بالقيم الإنسانية والدينية التي تركت أعمق الأثر في التاريخ، إنه واحد من هؤلاء الرجال الذين خصصهم الله لدعم القيم الدينية والروحية للإنسانية. إن محمداً له من الإبداعات الإنسانية والتاريخية ما يستحق معه احترامنا وتقديرنا، وخاصة إذا أخذنا تاريخه بكل أبعاده وسعته على أنه تاريخ الخلاص... ولكي نقيم نبي الإسلام يجب علينا أن ننطلق من عامل أساسي هو: إنه بالنسبة للمسلمين ليست هناك قيم إسلامية لا تتعلق بمحمد، وطبقاً للدين الإسلامي، فإن محمداً هو الرجل الذي اختاره الله لكي ينقل قيم الإسلام... لذلك لا يمكن احترام وتقييم الإسلام والمسلمين تاركين محمداً جانباً فهو مفتاح كل القيم الدينية والإنسانية)^(٢).

فهذا الرجل نصراني، ولكنه يرى في سيرة المصطفى ﷺ كل القيم الإنسانية. وهو رسول الإسلام والداعية الأول إلى الحق بعد فساد الأمم.

وعلى كل داعية أن يقتدى بالرسول ﷺ، وأن يكون هو قدوة لما

الأصوات، وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر. فمازلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام).
صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ج ١ ص ٥ طبعة اسطنبول.
والحديث أطول من هذا ولكن أكتفيت بهذا القدر.

(١) هو الدكتور نوجاليس رئيس قسم الدراسات الفلسفية بالمعهد الإسباني العربي للثقافة/ كتاب نظرات على طريق الإسلام في الدعوة للإسلام بين غير المسلمين - تأليف المستشار محمد عزت الطهطاوي ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ وما بعدهما.

يدعوا إليه بأفعاله قبل أقواله، لأن القدوة وسيلة عملية ناجحة، تضع الداعية صورة حية لما يدعو إليه، وتجعل المدعو يقتدي بسيرة الداعي فيه النموذج الجيد لما يدعو إليه وبذلك يجذب المدعو إلى الحق الذي يدعون إليه، فالداعي الذي يطابق قوله فعله، يكون محل احترام وتقدير حتى من أعدائه، ويحاول أن يقلده كل من آمن بدعوته. أما من خالف عمله قوله يكون مناعاً للخير بدل أن يكون داعي الخير.

المطلب الثالث

تأثير القدوة الحسنة في ديار الأندلس

تقدم في الباب الأول بأن جل الجيش الإسلامي الذي فتح الأندلس كان من التابعين وتابعيهم، وكانوا رحمهم الله القدوة الحسنة للناس، وكان القائد الأعلى موسى بن نصير من أتقى الناس، مجاباً للدعوة، ظاهر الكرامات، ومن ذلك ما ذكره ابن قتيبة بقوله: (إن سليمان بن عبد الملك قال لموسى بن نصير: مالذي تفرع إليه في مكان حربك من أمور عدوك؟ قال: التوكل والدعاء إلى الله يا أمير المؤمنين. قال له سليمان: هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك؟ قال: كل هذا لم أفعله. قال: فما كنت تفعل؟ قال: كنت أنزل السهل، واستشعر الخوف والصبر، وأتحصن بالسيف والمغفر، وأستعين بالله وأرغب إليه في النصر)^(١) فهذا القائد العظيم كان يستشعر بأن النصر من عند الله، فكان القدوة في الدعاء والتضرع إلى الله والانكسار أمامه حتى أن الحصون تنذك أمامه بإذن الله عز وجل: (إن جعفر بن الأشتر)^(٢) قال: كنت فيمن غزا الأندلس مع موسى بن نصير، فحاصرنا حصناً من حصونها عظيماً بضعاً وعشرين ليلة، ثم لم نقدر عليه، فلما طال ذلك عليه، نادى فينا - موسى - أن أصبحوا على تعبئة، ووطننا إنه قد بلغه مارة من العدو وقد دنت منا، وأنه

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج٢ ص ٨١.

(٢) جعفر بن الأشتر. لم أجد له ترجمة.

يريد التحول عنهم، فأصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: أيها الناس إنني متقدم أمام الصفوف، فإذا رأيتموني قد كبرت وحملت، فكبروا واحملوا، فقال الناس: سبحان الله أترى فقد عقله؟ أم عزب عنه رأيه يأمرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل إليه؟ قال: فتقدم بين الصفوف حيث يراه الناس، ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء، والرغبة، فأطال، ونحن ركوب منتظرون تكبيره، فاستعدنا، ثم إن موسى كبر وكبر الناس، وحمل وحمل الناس، فانهدت ناحية الحصن التي تلينا فدخل الناس منها، ومارعني إلا خيل المسلمين تمرع فيها، وفتحها الله علينا فأصبنا من السبي والجواهر مالا يحصى^(١).

فإن هذا القائد كان قدوة لكل الناس هناك، فهو كان إسلاماً يتحرك أمام الخلق، إيماناً و يقيناً وصدقاً مع الله. وهذا كان شأن كل المسلمين الأوائل، الذين عمرو البلاد بالإيمان، وفتحوا قلوب الناس للإسلام الذي أشرق به الأرض وزال به عنها ظلام الكفر.

ومن أمثلة القدوة العملية التي كان يمثلها المسلمون في تطبيق الإسلام، واجتناب كل ما يخالف تعاليم الإسلام. (قال الفقيه محمد بن عمر بن لبابه رحمه الله: إنه قصد أرطباش يوماً إلى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل بن حاتم... فأجلسهم على الكراسي، وبالغ في إكرامهم، ودخل على أثرهم ميمون العابد^(٢) جد بني حزم، وكان في عداد الشاميين إلا أنه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه، فلما بصر به أرطباش قام إليه دونهم إعظاماً له، ورقاه إلى كرسيه الذي كان يجلس عليه، وكان ملبساً صفائح الذهب، وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون، وقال: لا يحل لي هذا. فقعد على الأرض، فقعد أرطباش معه عليها ثم ذكر له حاجته فقضاها له أحسن القضاء)^(٣).

(١) الإمامة والسياسة ج٢ ص ٦٤.

(٢) ميمون هذا لم أجد ترجمته، وكل ما نذكر عنه فيما أطلعت عليه، هو وصف به أنه عابد، وجد بني حزم/ ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(٣) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٦٧.

فهذا النص يبين شدة تمسك المسلمين بالإسلام الذي كانوا يدعون إليه، حتى إن النصارى يحترمونهم ويعرفون قدرهم. وإن كانت النصوص التاريخية الموجودة لا تذكر إلا القليل عن أخبار الدعاة الأوائل في الأندلس، إلا أنهم كانوا أعظم قدوة لتمسكهم الشديد بالإسلام في كل الشؤون والظروف التي كانت تمر بهم، فهذا يحيى الغزال الشاعر المشهور^(١) يسطر أعظم تاريخ في بلاط ملك الروم ويظهر عزة الإسلام وقوة إيمان المسلمين، عندما ذهب إلى القسطنطينية، سفيراً للأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم، فعندما وصل الوفد الإسلامي إلى العاصمة البيزنطية: (حدث أن كلف موظف بيزنطي - كان مقدم السفراء - بتعريف آداب البلاط والاستقبال فيه، ثم دعا السفير الإسلامي يحيى الغزال، لمقابلة الملك - توفلس -^(٢) فاشتراط هذا المسلم العزيز على الموظف المكلف بخدمته ألا يسجد للملك هو ومرافقه^(٣) وألا يخرجهما عن شيء من سنتهما، فأجابهما إلى ذلك فلما مشيا إليه قعد لهما في أحسن هيئة، وأمر بالمدخل الذي يفضى إلى مجلسه بأن يضيق ويقصر حتى لا يدخل أحد عليه إلا راکعاً. فلما وصل الوفد الإسلامي إلى الباب، فطن يحيى

(١) هو يحيى بن الحكم البكري الجباني المعروف بالغزال ولد في نحو سنة ١٥٦ كان جليلاً في العلم وكذا اشتهر بالشعر، عظيم الخدمة للأمرء، قام بعدة سفارات إلى ملوك أوروبا. توفي سنة ٢٥٠هـ. ينظر جذوة المقتبس رقم ٨٨٧ ص ٣٧٤ والمقتبس لابن حيان حاشية ٥٥ ص ٤٣٣، تحقيق: محمود علي مكي.

(٢) ملك الروم الذي عاش معاصراً للأمير عبد الرحمن بن الحكم.

(٣) كان له رفيق يسمى أيضاً يحيى بن حبيب يقول فيه في رحلته هذا:

قال لي يحيى وصرنا	بين موج كالجبال
وتولتنا رياح	من نبور وشمال
شقت الملقين وانب	تت عرى تلك الجبال
وتمطى ملك المو	ت إلينا عن حبال
فراينا الموت رأى ال	عين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا	ياصديقي رأس مال

ينظر: نفع الطيب ج٢ ص ٢٥٩.

الغزال للحيلة الصليبية الماكرة، فجلس إلى الأرض وقدم رجله وزحف على يتيه زحفة، فلما جاوز الباب، استوى قائماً. والملك قد أعدله، وأحفل في السلاح والزينة الكاملة، فما هاله ذلك، ولا ذعر منه بل قام ماثلاً بين يديه، ولسان حاله يقول: إذا كنت تريد أن نركع لك من دون الله فلا تساوى عندنا غبار النعل، ولهذا مددنا رجلنا أمامك. فانظر إلى أسفلها وهي فوقك.

ولم يملك ملك الروم إخفاء إعجابه بيحيى قائلاً لرجال دولته المحيطين به: كان الحكماء على الحق في قولهم: إن من شخصية الرسول يعرف سيده. إن هذا الأندلسي حكيم من حكماء القوم، وداهية من دهايمهم^(١). ولعله يعني الأمير عبد الرحمن الذي أرسل هذا السفير، الذي مثل الإسلام خير تمثيل وأظهر عزته في عقر دار الكفر.

ومن هنا يفهم إن المسلمين في الأندلس كانوا إسلاماً يتحرك في كل مكان، خاصة في القرون الأولى، فكانت أمم الكفر تنظر إليهم بنظرة الإعجاب والاحترام، مع الحقد الذي كان عندهم للإسلام. ولهذا إن ملك الروم أعجب برسول أمير الأندلس، حتى طلب أن ينادمه ويسامره في مجلس خمير، فامتنع السفير المسلم أن يشارك في مجلس يدار فيه شيء مما حُرِّم في الإسلام^(٢).

والخلاصة إن المسلمين كانوا هم الإسلام العملي المطبق أمام الناس، فكان كل واحد يرى فيهم الأسوة الحسنة والصدق في القول والعمل.

(١) ينظر: الإسلام في المغرب والأندلس لـ ليفي بروفنسال ص ١٠٦.

(٢) ينظر: نفع الطيب ج ٢ ص ٢٥٨.

المبحث الثالث المعاملة الحسنة

إن المعاملة الحسنة لها أعظم الأثر في النفوس، فكم من عدو أصبح صديقاً بالمعاملة الحسنة، وكم من محارب أصبح مسالماً، وكم من كافر أسلم. كل ذلك بسبب معاملة حسنة وجدها ربما من شخص كان يراه عدواً له. وفيما يلي بيان لبعض الشيء من معاملات المسلمين الحسنة في الأندلس:

المطلب الأول أهمية المعاملة الحسنة في الدعوة

إن الدعوة إلى الله عز وجل أفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾^(١). ولما كان الداعي إلى الله يواجه كل المجتمع وفيه كل المنكرات التي يريد الداعي إلى الله تغييرها، ويريد نقل المجتمع إلى دين الله الذي أمر به كل البشرية، فلا بد للداعي أن يواجه من كل فئات المجتمع أو من بعضها بما يكره، من تكذيب أو اعتداء. وهنا أمره الله أن يقابل السيئة بالحسنة، وأن يدفع خصمه بالتي هي أحسن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾^(٢).

قال سيد قطب رحمه الله في هذه الآيات: (إن النهوض بواجب الدعوة إلى الله في مواجهة التواءات النفس البشرية، وجهلها وإعزازها بما ألفت، واستكبارها أن يقال: إنها كانت على ضلالة، وحرصها على شهواتها

(١) فصلت الآية ٣٣.

(٢) فصلت الآيات ٣٤-٣٥.

وعلى مصالحتها، وعلى مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد، كل البشر أمامه سواء إن النهوض يوجب الدعوة في مواجهة هذه الظروف أمر شاق. ولكنه شأن عظيم (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله...) إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الطيب إلى السماء. ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الإستسلام لله الذي تتوارى معه الذات. فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ. ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالاعراض، أو بسوء الأدب، أو بالتلجج في الإنكار، فهو إنما يتقدم بالحسنة، فهو في المقام الرفيع، وغيره يتقدم بالسيئة، فهو في المكان الدون. (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) وليس له أن يرد بالسيئة، فإن الحسنة لا يستوي أثرها. كما لا تستوي قيمتها، مع السيئة والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر يرد النفس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجحاح إلى اللين^(١).

فعلى الداعية أن يكون كما أمره الله في هذه الآيات المتقدمة، وان يقتدي بالرسول ﷺ لأنه كان ﷺ لا يغضب لنفسه بل كان غضبه لله عز وجل كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه)^(٢) بل كان ﷺ يعفوا ويصفح حتى للذين كانوا يريدون قتله كان يعفو عنهم، فما كان منهم إلا أن يقولوا لقومهم: (جئكم من عند خير الناس)^(٣).

(١) في ظلال القرآن ج٧ ص ١٣٠ نشر: دار العربية.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم وهو: «عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت: ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها» صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب صفة النبي ﷺ ج٤ ص ١٦٧. ومسلم: كتاب الفضائل، الحديث رقم ٧٧ ج٤ ص ١٨١٣.

(٣) أصل القصة: عن جابر رضي الله عنه قال: (قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل فراوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام

كما أن بعض الأعراب يغلظون له ﷺ في القول، حتى أن الصحابة يتضايقون من تصرفات الأعراب مع الرسول ﷺ، والرسول ﷺ يقول: «إن لصاحب الحق مقالاً»^(١). فعلى الداعية أن يقتدي بالرسول ﷺ في المعاملة الحسنة لكل الخلق. وأن يعمل الداعية لكل مصالح الدعوة، وأن يكون كل جهده للدعوة، بأن يكون داعية إلى الحق بقوله وفعله وماله، كما كان النبي ﷺ، حيث كان يعطي المال الكثير من أجل مصلحة الدعوة، حتى أن الشخص المعطى كان يقول لقومه (أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر)^(٢) والمعلوم إن النفوس البشرية مجبولة على حب من أحسن إليها، وكراهة من أساء إليها، ومن هنا: يظهر أثر المعاملة الحسنة على المدعويين.

على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، وقال: من يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير أخذ: قال: اتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، ولكني اعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتى أصحابه، وقال: جئتم من عند خير الناس) أصل هذا الحديث في الصحيحين بمعنى قريب من هذا اللفظ. ذكره البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع ج ٥ ص ٥٣. ومسلم في كتاب الصلاة باب: صلاة الخوف ج ٦ ص ١٢٩ مع شرح النووي.

وقد ذكر هذا اللفظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ج ٤ ص ٨٥ وعزاه إلى البيهقي. وقد بحثته في السنن الكبرى للبيهقي ولم أجده بهذا اللفظ. بل هو موجود كما هو في لفظ مسلم. في كتاب صلاة الخوف ج ٣ ص ٢٥٩ السنن الكبرى للبيهقي. ط ١ نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند - حيدر آباد - عام ١٣٤٧هـ.

(١) طرف من حديث وهو: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغظ له، فهم أصحابه به فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً. واشتروا له بغيراً، فأعطوه إياه، وقالوا: لا نجد إلا أفضل من سنه، قال: اشتروه، فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاءً صحيح البخاري ج ٣ ص ٨٣ (أسطنبول).

(٢) طرف من حديث: هو عن أنس رضي الله عنه: «إن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي غطاءً ما يخاف الفقر» صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٠٦ الحديث رقم ٥٧.

المطلب الثاني المعاملة الحسنة في الأندلس

إن المسلمين لما فتحوا الأندلس عاملوا أهل البلاد معاملة حسنة لم يكونوا يعرفونها من قبل، فأزالوا الطبقة بين الشعوب، وأطلقوا حرياتهم في الملكية، وكفلوا لهم الأمن والاستقرار، وأقاموا بينهم العدل، وجعلوهم أحراراً في ديانتهم، وأحكامهم.

فمن الناحية الدينية: لم يتعرض المسلمون على ديانة أهل البلاد، بل تركوا لهم حرية الديانة، فكانوا أحراراً في عباداتهم وكنائسهم، وكان القسيس والرهبان يمارسون حرياتهم الدينية، دون أي مضايقات أو إخفاء، بل كانت علناً، حتى أقر النصارى أنفسهم بهذا. قال توماس آرنولد: (ولم يتعرض لهم المسلمون في إقامة شعائهم الدينية... فقد كانوا يقدمون القرابين بين دق الناقوس. وإحراق البخور وغير ذلك من الطقوس الدينية الكاثولوكية. وكذلك ترانيم المزامير وإلقاء المواعظ، والاحتفال بالاعياد المسيحية على النحو الذي كانت عليه قبل الفتح. كما سمح لهم في وقت من الأوقات أن يبنوا كنائس جديدة)^(١) وذلك في أماكنهم الخاصة بهم فقط، وليس بين المسلمين.

وإن هذه المعاملة الحسنة التي كان يلقاها النصارى لم تكن في فترة معينة أو وقت الفتح الإسلامي فحسب، بل كانت مستمرة طيلة الحكم الإسلامي في الأندلس، فما من حاكم جاء في الأندلس - خاصة فترة الحكم الأموي المستقل، وماقبله - إلا كان يعامل النصارى معاملة حسنة، ففي عهد ولاية التابعي الجليل عبد الرحمن ابن عبد الله الفافقي، إنه لما تولى على الأندلس قام بعدة إصلاحات داخلية ومنها (رد إلى النصارى وأملاكهم المغصوبة)^(٢)، وعدل نظام الجزية وفرضها على الجميع بالعدل

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٦٠.

(٢) ليس الأغتصاب من عادة المسلمين، ولكن ربما حصل تصرف من أحد الولاة في بعض الأقاليم ضد النصارى المستأمنين، وذلك عندما يحدث أي اضطراب بسبب فقد الوالي العام وهذا كان كثيراً في الأندلس.

والمساواة^(١).

ولما كثرت الفتن والحروب بين المسلمين في آخر عهد الولاة، لم يغفل المسلمون عن رعاية أهل الذمة وتفقد أحوالهم، فإن الوالي يوسف بن عبد الرحمن الفهري قام بإحصاء جديد لأهل الذمة، فأسقط الضرائب عن الأموات، وعمن دخلوا في الإسلام، وكان فعله هذا دعوة عظيمة للنصارى مما جعلهم يحبون أهل الإسلام أكثر، ويقبلون بقلوبهم إلى الإسلام^(٢).

وعندما دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأموي الأندلس، انشغل كثيراً بالحروب بينه وبين معارضيه، حتى أقام دولة عظيمة توارثها أحفاده مدة ثلاثة قرون، كانت سياسته مع النصارى لم تختلف عن سبقه من المسلمين.

فكانت سياسة الاعتدال والمعاملة الحسنة، وكان لهذا التسامح العظيم أثر كبير في تحول النصارى إلى الإسلام، وفي هذا يقول محمد محمد مرسي الشيخ متحدثاً عن عهد عبد الرحمن الداخل: (أخذ سكان إسبانيا المسيحيون يتحولون - في ظل التسامح الإسلامي - إلى الإسلام رويداً رويداً، بعد أن كانوا يشكلون عاملاً خطيراً في إثارة القلاقل أمام عبد الرحمن، فجاء تحول الغالبية العظمى منهم إلى الإسلام، وتحمسهم له، وبغضهم لما سواه عاملاً هاماً في توطيد سلطة عبد الرحمن في إسبانيا)^(٣).

هذه كانت معاملته مع أهل الذمة في داخل دولته. وكذلك كانت معاملته مع النصارى المجاورين له، فلم يحارب إلا من حاربه منهم^(٤) بل عقد معاهدة سلم مع نصارى الشمال، وأعطاهم كتاب أمان بذلك ونصه هو: (بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن، للبطارقة والرهبان والنصارى، والأندلسيين أهل قشاله، ومن تبعهم من سائر البلدان. كتاب أمان وسلام، وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا

(١) دولة الإسلام في الأندلس ج١ ص ٨٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ١٣٢.

(٣) دولة الإفرنجية وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ص ٨١.

(٤) مثل النافاريين في بنيلونة وماجاورها. ينظر دولة الإسلام ج١ ص ١٩٨.

على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ألف درع، وألف بيضة، ومثلها من الرماح، في كل عام إلى خمس سنين، كتب بمدينة قرطبة، ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة^(١).

ولاشك إن هذا العهد الذي كتبه الأمير عبد الرحمن لنصارى الشمال يدل على حسن معاملة المسلمين للنصارى حتى ولو كانوا أهل حرب، فإن المسلمين في ذلك الوقت كانوا أقوى من النصارى بكل المعايير، فبإمكانهم أن يغزوا النصارى في عقر دارهم وفي أقل الحالات أن يزججهم ويغضوا مضجعهم، ولكن المسلمين أصحاب رسالة سامية ليس همهم إلا أن يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

نعم إن المسلمين كانوا في مشاكل وحروب داخلية، وفي طور انتقال من سلطة إلى أخرى، ومع ذلك كله كانوا أقوى وأرفع شأنًا من نصارى الشمال الذين كتب معهم العهد المتقدم، ولهذا استطاع المسلمون أن يتصدوا لجيش الإفرنجية، وأن ينكب على أيديهم بأعظم هزيمة في ممرات جبال البرنية^(٢) وأن يغزوا إلى بنبلونة وما جاورها، كل ذلك يدل على قوة المسلمين.

ولما تولى السلطة هشام بن عبد الرحمن بعد أبيه، تمتع أهل الذمة في ظل حكمه بأمور جديدة في جانب التعليم، فأمر بإدخال اللغة العربية في معاهد اليهود والنصارى، فكان لهذا العمل أكبر الأثر في اعتناقهم للإسلام، بل شعر كل أهل الذمة بأنهم أمة واحدة مع المسلمين فتأثروا بجميع عاداتهم وتقاليدهم، وفي هذا يقول توماس آرنولد: (إن كثيراً من المسيحيين قد تسموا بأسماء عربية، وقلدوا جيرانهم المسلمين في إقامة بعض النظم الدينية، فاختتن كثير منهم)^(٣).

واستمرت حسن معاملة المسلمين للنصارى طيلة الحكم الإسلامي

(١) نولة الإسلام في الأندلس ص ١٩٩.

(٢) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ١٦٨ وما بعدها.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ١٦٠.

للأندلس كما تقدم، ومن ذلك أنه في الوقت الذي أندلعت فيه الفتن في الأندلس، كان الحكام المسلمون يعاملون أهل الذمة أحسن المعاملات رغم مشاركتهم في الثورات ضد المسلمين. فإن الأمير عبد الله عندما استولى على حصن بلاي الذي كان يسيطر عليه ابن حفصون، زعيم أعظم الثوار في الأندلس، فجيء بالأسرى إلى الأمير عبد الله، وهم خليط من المسلمين والنصارى، فعرض الإسلام على النصارى، فأطلق صراح من أعلن إسلامه منهم وشهد شهادة الحق، وضربت أعناق الباقين^(١).

فما أعظم نزاهة المسلمين وحسن معاملتهم، فإن هؤلاء النصارى كان من العهود التي أخذت عليهم، أن لا يحاربوا المسلمين^(٢) وهم قد شاركوا بالفعل في حرب ضد حكام المسلمين، وهذا من أعظم أسباب نقضهم للعهد، ومع ذلك إن المسلمين يعرضون عليهم الإسلام، ويتركونهم أحراراً، وليس هذا بغريب لأن المسلمين كان همهم أن يدين الناس بدين الحق فقط لا غير.

ومن حسن معاملة المسلمين للنصارى، أنهم كانوا يعاملونهم في أمور كثيرة كالمسلمين، فكانوا يتولون أعمالاً في الدولة مثل الكتابة في دواوين الإمارة^(٣) ومثل القيام ببعض المراسلات^(٤) وكان منهم مترجمين للخليفة خاصة أمام سفراء ملوك النصارى الذين كانوا يفدون إلى قرطبة^(٥)

(١) ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٩٦.

(٢) كالعهد الذي أعطاه عبد العزيز بن موسى بن نصير لأهل تدمير وما أشترطه عليهم فيه.

(٣) ولي الأمير محمد بن عبد الرحمن، القومس بن ننتيان والكتابة في الديوان والذي كان محتفظاً بدينه وكان بليغاً عالماً باللغة العربية متفنناً فيها، ولما مات كاتب الأمير - عبد الله بن محمد الأموي - قال الأمير: «لو أن قومساً أسلم ما أردنا بدلاً منه» فلما سمع ذلك أسلم وحسن إسلامه، فولاه الأمير الكتابة، وكان فيها حتى مات سنة ٢٤٦هـ. ينظر المقتبس ص ١٤٢ والحاشية رقم ٣٦٠.

(٤) إن الخليفة الناصر لدين الله أرسل إلى ملك الصقالبة (بلغاريا) اسقفاً يدعى ربيعاً، وقيل: ريفاء، ليكون سفيراً للخليفة. ينظر نولة الإسلام ج ٢ ص ٤٥٦.

(٥) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج ٢ ص ٤٨٥.

وعلى العموم إن أهل الذمة في الأندلس تمتعوا بكامل الحقوق التي كان يتمتع بها غيرهم، من الملكية والمكاسب، بل كانوا أغنى الناس في بعض الأوقات والأماكن^(١)، وكانت أحوالهم أحسن من عموم النصارى الذين كانوا يعيشون في بلاد أوروبا، وبالأخص النصارى الذين هاجروا إلى أوروبا النصرانية من بلاد أخرى. وفي هذا قال توماس أرنولد: « أولئك الذين هاجروا إلى الأراضي الفرنسية لكي يعيشوا تحت حكم المسيحيين لم يصبحوا - في الحقيقة - أحسن حالاً من إخوانهم في الدين الذين خلفوهم وراء ظهورهم، وفي سنة ٨١٢م تدخل شارلمان، لحماية المنفيين - الذين لحقوا به عند ارتداده عن أسبانيا - من عنت موظفي الإمبراطورية وإضطهادهم إياهم. وبعد ثلاث سنين لم ير (لويس التقى)^(٢) بد من اصدار مرسوم آخر لتحسن حال هؤلاء المنفيين الذين لم يلبثوا أن لجئوا إلى الشكوى مرة ثانية من الأشراف الذين اغتصبوا أراضيهم التي خصصت لهم، ولم يمض وقت طويل على محاولة القضاء على هذه المساوئ حتى عمت الشكوى من جديد، ولم تجد هذه المراسيم والأوامر الملكية التي صدرت لتحسين حال هؤلاء المنفيين أي استجابة، وسوف نصادف في العصور المتأخرة، في الجالية الإسبانية التي فرت من الحكم الإسلامي: طبقة محتقرة عوملت معاملة سيئة، ووضعت نفسها تحت رحمة بني جنسها من المسيحيين^(٣) فهذه الحالة التي وصل إليها النصارى الذين فروا من أسبانيا إلى فرنسا، لم يصل إليها إخوانهم الذين عاشوا تحت الحكم الإسلامي حتى ولا إلى أقل منها، بل كانت لهم الكرامة والحرية مما جعلهم يفتخرون صدورهم للإسلام ويعلنون إسلامهم في كل وقت. وذلك بفضل الله عز وجل ثم بفضل حسن معاملة المسلمين لهم.

(١) ينظر: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ص ٦٩، تأليف الدكتور/ رجب محمد عبد الحليم، نشر دار الكتب الإسلامية.

(٢) لويس هو الملك الأفرنجي الذي تولى الملك بعد شارلمان.

(٣) الدعوة إلى الإسلام ص ١٥٩.

إن الحكام المسلمين الذين تعاقبوا على الأندلس كانوا يعاملون أهل الذمة أحسن المعاملة، بل كانت سمة حسن المعاملة من سماتهم الدائمة التي كانت ملتزمة لهم ولم تنفك عنهم تجاه كل المخالفين لهم، سواء كانوا من غير المسلمين، أم من المسلمين المخالفين في الجهات المختلفة، حتى إن أهل الحرب كانوا يأتون إلى قرطبة في بعض الأوقات، ويحملون رفات بعض القسس الذين ماتوا أو قتلوا في قرطبة، لأجل مخالفات ارتكبوها ضد المسلمين^(١).

والذي لاشك فيه لأي أحد عرف تاريخ الأندلس خلال الحكم الأموي، يظهر له جلياً إن حكام المسلمين في ذلك العهد ماكان همهم إلا عزة الإسلام والحفاظ على وحدة المسلمين. ولهذا كانت كل حروبهم ضد المخالفين لهم. ومن أمثلة ذلك إنهم إذا ظفروا بعدوهم، فأول مايدعونه إليه هو الإسلام إذا كان من الكفار^(٢) والانضمام إلى جماعة المسلمين وترك الخلاف إذا كان من المسلمين الخارجين عن طاعة الدولة التي خرجوا عنها، ولهذا كانوا يرسلون الدعاة والمفاوضين إلى المخالفين لهم قبل إرسال الجيوش إليهم^(٣).

فإذا أصروا على الخلاف حاربوهم، ومع ذلك إذا ظفروا بهم

(١) في سنة ٢٧٠هـ أرسل ملك ليون أحد القسس إلى قرطبة من أجل طلب الصلح والهدنة، وذلك لما أحت عليه جيوش المسلمين بالهزائم، فوصل السفير إلى قرطبة ونجح في مهمته ولما رجع حمل معه رفات القس أولوخيو وصاحبته ليوكرسيا وهما قد أعدما قبل عشرين سنة من هذا التاريخ. ينظر: (بولة الإسلام ج١ ص ٣٠٣).

(٢) ومن أمثلة ذلك إن الأمير عبد الله بن محمد لما تغلب على الناثر ابن حفصون في موقعة حصن بلاي، أتى بالأسرى فأعفى عمن ظهر عذره من المسلمين، ودعا النصرى إلى الإسلام فأعفى عمن أسلم، وضرب رقاب الباقيين/ ينظر: المقتبس ص ٩٦.

(٣) ومن أمثلته إن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله أرسل إلى أهل طليطلة وفدأ من العلماء منهم الفقيه محمد بن عبد الملك بن أيمن وغيره مع مجموعة من الوجهاء، أرسلهم يدعوهم إلى الطاعة والرجوع إلى صف الجماعة، ولكن أهل طليطلة لم يقبلوا الدعوة فغزاهم الناصر./ ينظر: المقتبس ج٥ ص ٢٨٠.

أكرمهم وضمهم إلى جماعة المسلمين^(١) هكذا كانت معاملة حكام المسلمين في الأندلس لمخالفينهم مما جعلهم بفضل الله يتغلبون على كل المنازعين والمخالفين لهم، فعلى سبيل المثال في حسن معاملتهم للمخالفين، ما نقله صاحب أخبار مجموعة عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم حيث قال: (غزا ماردة سبعة أعوام ولأء، فلما كان العام السابع وأشقى بهم على العطب نظر إلى جنده قد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه، وضعف أهل ماردة عن دفاعهم، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء، فأمر بالامسك عنهم وقبض أهل العسكر عن قتالهم، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم: قد علمتم ماكان من تغلب جيشنا ورجالنا على هؤلاء الظلمة لأنفسهم، ولم يكن رفعنا مارفعناه عنهم إلا رغبة لله عز وجل فيهم وتخوفاً من قتل ولدانهم وأطفالهم، ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفح، وقد عزمنا على الانتقال عنهم، فإن أبصروا قدر يدنا في الإبقاء عليهم ومراقبة الله فيهم، وإلا كان الله من ورائهم محيطاً، وعلى الانتقام منهم قديراً، فهو الذي أيدنا وقهرهم، ونصرنا وكبتهم، فلم ينتقل إلا مرحلة حتى أتته رسلهم بطاعته والإلقاء إليه بأيديهم)^(٢).

وإن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله لما حاصر مدينة طليطلة، وضاق بأهلها الحصار وأضرت بهم المجاعة نادا مناديه قائلاً: (إن من بلغه الحصار وناله الجوع من ضعفائنا وأيتامنا وأراملنا وطبقات مساكيننا، ويمنعه من الخروج الخوف فليخرج متى شاء آمناً مطمئناً في نفسه وعياله

(١) والأمثلة في ذلك كثيرة، فما من ثائر قبض عليه حكام المسلمين في الأندلس إلا ضموه في الجيش الإسلامي، وليس أدل على حسن المعاملة والتسامح من هذا، فأبو الثورات والفتن عمر بن حفصون ضمه الأمير محمد إلى الجيش بعد ثورته الأولى ثم فر من الجيش وعاد إلى الثورة. / ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٣٠٣، كما أن الخليفة الناصر ماتغلب على جهة من الجهات الثائرة عليه إلا ضم فرسانها إلى الجيش، وبالغ في إكرامهم/ ينظر: المقتبس ج٥ ص ٥٥ و ص ٨٠ و ص ٢٧١.

(٢) أخبار مجموعة ص ١٣٨.

وماله وولده ، يقيم حيث يشاء ويمضي إلى حيث يريد لا يعرض له بأذى ولا ينال بمكروه» يقول الراوي: (فأصغى طبقات الناس من أهل المسكنة إلى ذلك منه، وطرقوا في الخروج إليه ولم تزل طوائفهم يتتابعون في ذلك ويكثرون كلما أدركهم الجهد ونالهم الحصار إلى أن دخل فيهم من لم يكن منهم، فطرق المقاتلة من فرسانه ورجاله إلى الخروج بمعنى كره الضيقة والنزوع إلى الإحسان والسعة، وكلما خرج واحد فلقي خيراً، دعا إخوانه ومعارفه إلى امتثاله ورغبتهم فيما صار إليه، فلم يزل بعضهم يجيب بعضاً حتى خرج ذوو الشوكة منا وذهب مقاتلينا، فقل منا الغذاء، وأشدت علينا البلاء وانقطعت المرافق وضافت المعاش، ووصل الجهد إلى القوي منا والضعيف، لما رأينا الموت عياناً دعونا إلى الصلح وطلبنا الأمان، فأجابنا السلطان وكتب لنا - على فرط اضطرابنا - بكل ما أردناه واشترطناه^(١) فما أعظم تسامح حكام المسلمين الأوائل في الأندلس وحسن معاملتهم لكل الخلق.

(١) المقتبس لابن حيان ج ٥ ص ٣٣١.

الفصل الثاني

وسائل الدعوة

المبحث الأول : الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثاني: المسجد.

المبحث الثالث: التعليم.

□ تمهيد:

إن كل داع إلى شيء يريد تحقيقه وإنجاحه لابد أن يتخذ أسلوباً ووسائل تحقق له هدفه وتوصله إلى ما يريد بأسهل الطرق وأقربها. والدعاة إلى الحق كذلك لهم أسلوب ووسائل تمكن الناس من فهم الحق والانقياد إليه. وقد تقدم تعريف الأسلوب فما هو تعريف الوسيلة؟

الوسيلة في اللغة: هي ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل، قال الزبيدي: (الوسيلة والواسطة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة) والوسائل والتوسيل والتوسّل: واحد^(١).

وفي الاصطلاح: هي ما يتقرب به إلى الغير^(٢).

ووسائل الدعوة هي: كل ما يستعين به الداعية من الأشياء على تبليغ الدعوة إلى الله بكل نافع مثمر^(٣).

هذا تعريف الوسائل بالاختصار^(٤) وكان للمسلمين في الأندلس وسائل لتبليغ الدعوة، وهي في جملتها لا تخرج عن وسائل المسلمين في تبليغ الدعوة خاصة في القرون الأولى. وتحت المباحث الآتية بيان لبعض الوسائل التي كان ينشر بها المسلمون الإسلام في شبه جزيرة الأندلس وماجاورها.

(١) لسان العرب ج١١ ص ٧٢٤ مادة (وسل)، وتاج العروس للزبيدي ج٨ ص ١٥٤ نفس المادة.

(٢) التعريفات للجورجاني ص ٣٠٧.

(٣) ينظر: أصول الدعوة ص ٣٠٧.

(٤) الملاحظ أن بين تعريف الأساليب والوسائل تقارب، وذلك إن الوسائل هي التي تحمل الأساليب.

المبحث الأول الجهاد في سبيل الله

المطلب الأول تعريف الجهاد

الجهاد في اللغة يشتمل على معان منها : الطاقة، والمشقة، والجهد، قال ابن منظور: الجَهد والجُهد: الطاقة.. والجَهد ما جَهد الإنسان من مرض أو أمر شاق.. الجَهد - بالفتح - المشقة. وقيل المبالغة والغاية.. والوسع والطاقة.. وجَهدَ يجهد جهداً وأجتهد كلاهما: جدًّا. وجهد دابته جهداً، وأجهدها، بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها^(١). وفي الإصطلاح هو: (الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله)^(٢) وقد عرفه بعض المعاصرين^(٣) بقوله: (هو استفراغ الوسع والطاقة، وتحمل المشقة والصبر عليها في الدعوة إلى الله تعالى حسب ماتقتضيه حال المدعو، من الحجة والبيان، وبذل الأموال، أو المحاربة بالسيف والسنان، وبكل مايمكن أن يجاهد به في كل مكان وزمان)^(٤) وهذا التعريف يعتبر شاملاً لكل أنواع الجهاد.

المطلب الثاني

فضل الجهاد ومكانته في الإسلام

لقد جاءت نصوص كثيرة في فضل الجهاد ومكانته في الإسلام منها قوله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وبأنفسهم

(١) لسان العرب ج٣ ص ١٣٣ مادة (جهد).

(٢) حاشية ابن عابدين ج٣ ص ٣٠١.

(٣) هو محقق كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق/ الشيخ ادريس محمد علي ومحمد خالد.

(٤) المرجع السابق ج١ ص ٢٠.

على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً. درجات منه، ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً^(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يارسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه. ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله^(٢) والنصوص في فضل الجهاد كثيرة، وقد استوفتها كتب السنة، والمهم في هذا أن الجهاد سبب لعزة الإسلام، وترك الجهاد ذل ومهانة، وهذا أمر مشاهد اليوم في واقع الأمة الإسلامية.

المطلب الثالث الجهاد في الأندلس

إن بلاد الأندلس كانت ميداناً للجهاد لإحاطتها بأعداء الإسلام من جميع الجهات، فالنصارى القوطيين من الشمال، ودولة الإفرنجية من الشرق، وهجمات المجوس كانت تهدد المسلمين من جميع السواحل الأندلسية. كل هذا جعل الأندلس أرض جهاد ومقارعة للأعداء، وأهلها أهل حرب ومراس في القتال. ولهذا قال المقرئ: «أعلم انه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً»^(٣).

ولهذه الميزة العظيمة التي تشرفت بها الأندلس كانت مهوى أفئدة الفرسان والشجعان من جميع بلاد المسلمين في بدايات فتحها وماتلى ذلك وخاصة قبل أستقلالها بالحكم الأموي^(٤).

(١) النساء الآية رقم ٩٥ و ٩٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص ٤٢٤ ومسلم في كتاب الامارة باب فضل الشهادة في سبيل الله ج١٣ ص ٢٤.

(٣) نفع الطيب ج١ ص ١٨٦.

(٤) ولهذا أختارها عقبة بن الحجاج عندما خيره عبيد الله بن الحبحاب الذي كان تحت ولايته المغرب الإسلامي كله من مصر إلى الأندلس. فخير عقبة بن الحجاج بين ولاية شمال إفريقية وولاية الأندلس فأختار عقبة ولاية الأندلس قائلاً: (إني أحب الجهاد

والحديث عن الجهاد في الأندلس ذو شقين هما:
الجهاد قبل الحكم الأموي المستقل في الأندلس أو بمعنى آخر: الجهاد
في عصر الولاة، والجهاد في أثناء الحكم الأموي بالأندلس.
فالجهاد في عصر الولاة تقدمت الإشارة إليه في فتوحاتهم في وسط فرنسا
الحالية حتى قاربوا مشارف باريس عاصمة فرنسا الحالية، وكادت أوروبا
أن تدخل في حوزة الإسلام تعلق فيها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله،
ويرفع في ساحاتها الأذان، ولكن قدر الله وما شاء فعل، فلو حصل انتصار
عبد الرحمن الغافقي في موقعة بلاط الشهداء لكانت أوروبا قارة
إسلامية، ثم إن المسلمين كانت تمر بهم في حروبهم هزائم كهزيمتهم في
موقعة الجسر في فارس^(١) وهزيمتهم على أيدي البربر في شمال إفريقيا^(٢)
ولكن كانوا يواصلون الجهاد، فسرعان ما انتصروا بعد الهزيمة. ولكن
ما حصل في فتح أوروبا وعدم إتمامه - بعد قضاء الله وقدره - هو الضعف
الذي أصاب الدولة الإسلامية، وقيام الدعوات التي نادت بالقضاء على
الحكم الأموي، دولة الفتوحات العظمى، فإن اشتعال الفتن الذي صاحب
فترة الضعف الذي أصابت الدولة الأموية، ثم ماتى ذلك من انتقال
الحكم من دولة إلى أخرى، وفترة توطيد الحكم العباسي كل هذا أدى
إلى شل حركة الفتح الإسلامي في جميع الجهات، منها الفتوحات في
أوروبا. إضافة إلى ما اقتصت به الأندلس من النزاعات والحروب بين
المسلمين كما أن استقلال الأندلس عن العالم الإسلامي الآخر فيما
بعد، أدى إلى عدم مواصلة الفتوحات في أوروبا الغربية لأن هذا
الاستقلال أدى إلى انقطاع إمدادات الجيوش الإسلامية التي كانت
تأتي من جميع أنحاء العالم الإسلامي. وجعل الأندلس وحدها تواجه
الأعداء.

شمال إفريقية وولاية الأندلس فأختار عقبة ولاية الأندلس قائلاً: (إني أحب الجهاد

وهي موضع الجهاد) ينظر: أخبار مجموعة ص ٢٧.

(١) موقعة الجسر كانت بين المسلمين والفرس سنة ثلاث عشر هجرية، وكانت على

شاطئ نهر الفرات الشرقي/ ينظر: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٣٨.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج ١ ص ٢٩-٣٠.

□ الجهاد خلال الحكم الأموي في الأندلس:

دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة، هارباً من مطاردة العباسيين الذين قضوا على الحكم الأموي في الشام، وقد أقام دولة عظيمة في الأندلس بعد التغلب على كل الصعوبات التي واجهته.

لقد واجهت الأمير عبد الرحمن صعوبات عظيمة ابتداء من مطاردة العباسيين وفراره إلى المغرب، ودخوله إلى الأندلس بعد أن مهد الوضع بإرساله مولاة بدر^(١) وقيام القبائل اليمانية بمناصرتة في أول الأمر. وبعد انتصاره على يوسف الفهري في يوم المصارة ودخوله قرطبة وإعلان نفسه أميراً على الأندلس في يوم الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة، واجهته صعوبات كبيرة في تأسيس دولته وإحياء تراث آبائه، أهمها الثورات الداخلية والدعوة العباسية^(٢). شغلت هذه الأحداث الأمير عبد الرحمن طوال فترة حكمه، وقد استطاع أن يتغلب عليها بفضل الله ثم بفضل شجاعته وفطنته وحكمته، واستطاع أن يقيم للأسرة الأموية دولتها من جديد وجمع فلهم إليه من جميع أنحاء البلاد الإسلامية التي تفرقوا إليها، حتى قال:

شتان من قام ذا امتعاض	منتضى الشفرتين نصلاً
فجاب قفراً، وشق بجرأ	مساميا لجة ومحلا
دبر ملكاً وشاد عزا	ومنبرا للخطاب فصلا
وجند الجند حتى أودى	ومصر المصر حين أجلى
ثم دعا أهله إليه	حيث أنتأوا أن هلم أهلاً

(١) هو: أبو النصر بدر مولى الأمير عبد الرحمن الداخل كان من أصل رومي، اتصف بالشجاعة والدهاء والحزم والفضل والوفاء، لازم عبد الرحمن بن معاوية عقب النكبة التي أصابت بني أمية، وصحبه إلى المغرب الأقصى، وفارض له أهل الأندلس حتى دخلها أميراً، وتولى له القيادة وأعمال عدة، توفي منغياً في الثغر الأعلى.

ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ج١ ص ٣٥٢.

(٢) ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ٣٥٢.

فجاء هذا طريد جوع شديد روع يخاف قتلا
فنال أمناً ونال شعباً ونال مالاً ونال أهلاً
ألم يكن حق ذا على ذا أعظم من منعم ومولى^(١)
وعندما أقام عبد الرحمن الدولة الأموية في الأندلس كان أمامه
صعوبات عظيمة، أعداء من الداخل - وقد تقدمت الإشارة إليهم -
وأعداء من الخارج وهم النصارى المحيطين بالأندلس. والذين انشغل
عنهم المسلمون كثيراً منذ فترة، فأصبحوا يتغلبون كل يوم على جزء من
أراضي المسلمين.

ولم يكن الأمير عبد الرحمن أن يغفل عن ردّ العدوان النصراني عن
الأندلس وخاصة أن النصارى أصبحوا يشنون هجوماً على بلاد
المسلمين، فأرسل الأمير عبد الرحمن حملة بقيادة مولاة بدر إلى بلاد
العدو (جليقية) فحارب الأعداء وانتصر عليهم، فأذعنوا إلى مصالحة
المسلمين ودفع الجزية لهم^(٢) فقبل الأمير صلحهم وكتب لهم كتابه
المشهور بالعهد والأمان^(٣) واستمرت الهدنة بين الطرفين إلى نهاية إمارة
عبد الرحمن الداخل.

هذا من جانب نصارى الأندلس، أما بالنسبة للدولة الأفرنجية، فإن
أطماع شارلمان كانت كبيرة في الاستيلاء على الأندلس، ومن أجل ذلك قام
بتلبية دعوة سليمان بن يقظان سنة ١٦٠هـ وكانت نيته القضاء على دولة
الإسلام في الأندلس، ولكنه لم يحقق مآربه في ذلك، لأنه لما وصل إلى
سرقسطة - التي وعده سليمان بتسليمها إياه - قد وجدها مسدودة الأبواب
على وجهه، وذلك لما تخوفه الحسين بن يحيى الانصاري - زميل سليمان
الأعرابي في الثورة - من نوايا شارلمان، فرجع شارلمان عن أسوار
سرقسطة ومعه سليمان الداعي له أسيراً، لأنه قد اتهمه بالخديعة، وتخوف

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٧ عبد الواحد المراكشي.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج ٢ ص ٥٤ والدولة العربية في إسبانيا ص ٢٠٣ لإبراهيم

بيضون. نشر دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

(٣) ينظر: دولة الإسلام ج ١ ص ١٩٩ وقد تقدم نص الكتاب.

من مهاجمة المسلمين له، ولكنه نكب وهزم جيشه في ممرات جبال البرنية على يد ابني سليمان - عيشون ومطروح - واستنقذا منه والدهما^(١).

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها جيش الأفرنجة، أثر الأفرنجة سياسة المهادنة مدة حكم الأمير عبد الرحمن^(٢).

هذا مايتصل بالجهاد في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ضد أعداء الإسلام أما بعد الأمير عبد الرحمن، فإن الجهاد كان منظماً على شكل صوائف يقودها المسلمون إلى بلاد الكفر، ولم تكن تتوقف هذه الصوائف إلا في حالة عهد وهدنة بين الطرفين، أو انشغال المسلمين بالفتن الداخلية، وهي كانت إما دفاعاً أو هجومياً أو رداً على هجوم سابق أو متوقع^(٣) وبناء على هذا اهتم المسلمون بتكوين الجيوش في جميع القطاعات البحرية والبرية حتى أن جيش المسلمين في عهد عبد الرحمن الداخل وصل إلى مائة ألف مقاتل^(٤).

ولما تولى السلطة هشام بن عبد الرحمن اهتم بالجهاد وتسيير الجيوش إلى بلاد الكفر، فأغزا إلى جليقية بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد^(٥) فانتصر على الأعداء^(٦) كما وجه جيشاً آخر إلى بلاد الأفرنجة، ففتح عدة مدن حتى وصل إلى أربونة فأعاد فتحها، ومكث هناك عدة أشهر ثم رجع محملاً بالغنائم والسبي حتى يقال إن الخمس من المغانم وصل إلى خمسة وأربعين ألفاً من الذهب. وكانت هذه الغزوة من أشهر مغازي المسلمين في عهد الإمارة ضد الأفرنجة^(٧) وكان هشام حريصاً في حماية

(١) المرجع السابق ص ١٦٨ ومابعدها.

(٢) ينظر: نفس المرجع ص ١٨٨.

(٣) ينظر: العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ص ١٢٧.

(٤) نولة الإسلام ج١ ص ١٩٩.

(٥) هو عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الرومي فاتح قرطبة.

(٦) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٦٤، والكامل لابن الأثير ج٦ ص ١٣٥، وتاريخ ابن

خلدون ج٤ ص ١٢٥.

(٧) البيان المغرب ج٢ ص ٦٤، والكامل في التاريخ ج٦ ص ١٤٦.

المسلمين - حتى أنه لم يبق في عهده أحد أسيراً في يد العدو، لما خصصه من الأموال لفداء أسرى المسلمين^(١).

ولما تولى الإمارة ابنه الحكم من بعده كان أول شيء بدأ به هو جهاد العدو، فأرسل حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد، إلى جليقية فأنزل بالأعداء أكبر هزيمة. وذلك في نفس السنة التي تولى فيها الحكم وهي سنة ١٨٠هـ^(٢).

كما استطاع أن يتصدى لجيش الأفرنجة الذي حاول أن يهاجم الأندلس من الشرق سنة ١٩٢هـ فأرسل إليه الحكم جيشاً بقيادة ابنه عبد الرحمن فهزم الله الأفرنجة على يده هزيمة نكراء^(٣) وكان الحكم شجاعاً ذا نكايه للعدو. ورغم أنه انشغل بالفتن الداخلية إلا أنه استطاع أن يحمي ثغور المسلمين، ويهزم الأعداء في عدة أماكن.

ولما مات الحكم سنة ٢٠٦ تولى السلطة ابنه عبد الرحمن، وقام بأمور الدولة خير قيام، ويعتبر عهده من أعظم عهود الإمارة من جميع النواحي، فكانت دولة الإسلام في الأندلس وصلت إلى قوة يخشى بأسها، ويخطب ودها ملوك أوروبا، فأرسل إليه ملك بيزنطا رسالة علاقات ومعاقدة، وقد بلغ الجهاد في عهده إلى أماكن عميقة داخل المياه الأوروبية وهدد أسطوله البحري أوروبا كلها^(٤)، وقد عرفت الأندلس في عهده عدو جديد الذي تمثل في الهجمات المجوسية للسواحل الأندلسية، فاهتم عبد الرحمن بمحاربتهم، وأنشأ أضخم أسطول لحماية السواحل الأندلسية^(٥) وغزا هذا الأسطول جزيرتي ميورقه ومينورقة سنة ٤٢٤هـ وذلك لما نقضوا عهد المسلمين وأضروا بمن يمر بهم من المسلمين، ثم لما غزاهم أسطول

(١) ينظر: اخبار مجموعة ص ١٢٠.

(٢) ينظر: البيان ج٢ ص ٦٩ والكامل ج ص ١٤٩.

(٣) المرجعين السابقين ص ٧٢ ص ٢٠٢.

(٤) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٨٩ وص ٩٦، وتأريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ص ١٤٩ وما بعدها/ السيد عبد العزيز سالم.

(٥) المرجع السابق ص ١٦٠.

الأمير عبد الرحمن طلبوا الأمان، فأعطاهم عبد الرحمن أمانه كعادة المسلمين في ذلك وكتب لهم بذلك عهداً^(١) هذا من جانب الجهاد في البحر. أما الجهاد في البر فقد كان عبد الرحمن مهتماً به مدة حياته كلها، فتارة يرسل قواده إلى الأعداء، وتارة يغزو بنفسه، وكان من أعظم قواده عبد الكريم بن عبد الواحد قائد أبيه من قبل ثم عبيد بن عبد الله. فأرسل عبد الرحمن إلى جليقية جيشاً بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد، فالتقى بالأعداء وهزمهم ثم صالحوه على أداء الجزية، وعدم الإضرار بالمسلمين، وفك أسرى المسلمين^(٢) كما أرسل جيشاً آخر سنة ٢٢٤هـ إلى نفس الجهة بقيادة عبيد الله، ودارت بينهم حرب شديدة انتصر فيها المسلمون^(٣).

وغزا بنفسه -الأمير عبد الرحمن- سنة ٢٢٥هـ إلى جليقية ففتح هناك حصوناً كثيرة، وبسط هناك هيبة المسلمين^(٤) وهكذا كانت غزواته متواصلة ضد النصارى في جليقية. هذا في الشمال. أما في الشرق كذلك كانت هناك غزوات ضد الأفرنجة من جهة والنافاربيين من جهة أخرى. في سنة ٢٢٩هـ أرسل ابنه محمد إلى بنبلونة عاصمة النافاريين فأوقع بهم الهزيمة وقتل غرسية ملكهم^(٥)، وفي سنة ٢٢٦هـ أرسل عبد الرحمن

(١) المقتبس ص ٤ تحقيق محمود علي مكي / طبعة دار الفكر العربي ١٣٩٣هـ.

وقد جاء في كتابه لهم: (أما بعد فقد بلغنا كتابكم: تذكرون فيه أمر وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشفيتم عليه من الهلاك. وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية عنكم، وتجديد عهدكم على ملازمة الطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهم، والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم، ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم، وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله ونمته). البيان المغرب ج ٢ ص ٨٩.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج ٢ ص ٨١ والكامل ج ٦ ص ٥٧.

(٣) المرجعين السابقين.

(٤) الكامل ج ٦ ص ٥١٦ والبيان المغرب ج ٢ ص ٨٥.

(٥) نفع الطيب ج ١ ص ٣٤٥ وابن خلدون ج ٤ ص ١٢٨-١٢٩.

قائده عبيد الله إلى الإفرنجة فالتقى هناك بأمة الكفر وانتصر عليهم انتصاراً عظيماً حتى وصل إلى قريب من أربونة، ثم رجع سالماً غانماً^(١) وهكذا كانت مدة الأمير عبد الرحمن جهاد متواصل ضد الأعداء حتى مات سنة ٢٣٨هـ.

ولما تولى ابنه محمد السلطة من بعده، واصل الجهاد ضد الأعداء رغم ظهور بعض الفتن الداخلية في عهده، فإن الأندلس كانت تحيط بها أمم الكفر، فكانت مضطرة إلى الدفاع والهجوم دائماً. واصل الأمير محمد الجهاد ضد الأعداء من جميع الجهات فأرسل سنة ٢٣٩هـ إلى الثغر الأعلى موسى بن موسى إلى جليقية ففتح بعض الحصون هناك^(٢) وبعد سنتين غزا الأمير محمد بنفسه جليقية وأثنى في أمم الكفر هناك^(٣) وأصبح الغزو متواصلاً في عهده ضد الكفر، وحمى ثغور المسلمين، وقد بلغت غزواته إلى أكثر من ثلاث عشرة غزوة^(٤) ثم بعد الأمير محمد شغلت الأندلس بالفتنة فترة من الزمن حتى جاء عهد الناصر لدين الله، ولكن مع ذلك كله، فإن غزو النصارى لم يتوقف، بل سخر الله له قائد وحاكم الثغر الأعلى، وهو لب بن محمد القسوي الذي كان حاكماً للثغر الأعلى، كان هذا البطل حامياً من حماة المسلمين في هذه الفترة بالذات، فقام بعدة غزوات ضد النصارى في جليقية ونافار. غزا جليقية سنة ٢٩٠هـ واستولى على بعض الحصون، وهزم العدو هناك. كما أعاد الكرة سنة ٢٩١هـ إلى نفس الجهة^(٥) وفي سنة ٢٩٤هـ غزا لب إلى نافر فحارب النصارى واستشهد هناك في تلك الغزوة^(٦) فخلفه في إمارة الثغر أخوه عبد الله فتابع الإغارة

(١) نفع الطيب ج١ ص ٣٤٥.

(٢) نولة الإسلام ج١ ص ٢٩٤.

(٣) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٢٩٤.

(٤) ينظر في مجمل غزوات الأمير محمد: كتاب المسلمون في الأندلس والمغرب ص ٣١٠ للدكتور محمد محمد زيتون. طبعة دار الوفاء بالقاهرة ١٤٤هـ.

(٥) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ١٤١-١٤٢ ونولة الإسلام ج١ ص ٣٣٧.

(٦) الثغر الأعلى ص ٢٢٠ خليل إبراهيم السامرائي. والبيان المغرب ج١ ص ١٤٣.

على النصارى^(١).

كما ظهر هناك بطل آخر كان منشقاً على الدولة الإسلامية في الأندلس وهو محمد بن عبد الملك^(٢) كان موجوداً في حصن بيبشتر وماحوله وكان من فضل الله سبحانه أن سلط هذا الرجل على العدو فأصبح يغير على النصارى مرة بعد مرة حتى بلغ الفء عنده في غزوة من الغزوات إلى ثلاثة عشر ألفاً^(٣).

ورغم انشغال الأمير عبد الله بالفتن الداخلية التي عمت البلاد إلا أنه لم يغفل عن الجهاد كلما تهيأت له الفرص. ففي سنة ٢٩٠هـ أرسل أسطولاً بحرياً بقيادة عصام الخولاني إلى الجزر الشرقية (ميورقة، ومينورقة، ويابسة) ففتحها، وعين فيها حاكماً من قبل الأمير عبد الله، وبنا فيها المساجد^(٤).

□ الجهاد في عهد الخلافة:

إن عهد الخلافة في الأندلس يعتبر عهد عز الإسلام والمسلمين في الأندلس، عهد جمع كلمة المسلمين ووحدة صفهم، عهد الأمن والرخاء

(١) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ١٤٣.

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن شبريط، كان من أصل أندلسي، ثار على الأمير عبد الله في الثغر واستولى على حصن بيبشتر وماحوله، ولقرب موقعه من بلاد الأعداء، أصبح يشن الغارات عليهم/ ينظر: جمهرة أنساب العرب.

(٣) ينظر: البيان ج٢ ص ١٤٤. ونبوة الإسلام ج١ ص ٣٤٣.

(٤) ينظر: تاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١٦٤ ونبوة الإسلام ص ٣٤٦ (هذه الجزر فتحت أول مرة قبل فتح الأندلس على يد عبد الله بن موسى بن نصير، كما مر سابقاً في الباب الأول، ثم أنها انتقضت في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، فأرسل إليهم حملة كبيرة، فطلبوا العهد والصلح وأعطاهم ذلك، ثم لما كثرت الفتن في الأندلس، هي كذلك بدورها قامت فيها الفتن. فأرسل إليهم الأمير عبد الله هذه الحملة المذكورة، ولعل أثر هذه الحملة كان أكبر من غيره لأنها أظهرت عظمة الإسلام أكثر من غيرها.

والاستقرار، كما وصفه القاضي منذر بن سعيد البلوطي في خطبته الشهيرة أمام الخليفة الناصر عندما احتفل بقدم رسول ملك الروم إليه^(١) يبتدىء عصر الخلافة بولاية عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله سنة ثلاثمائة هجرية ويمتد إلى نهاية الدولة الأموية سنة ٤٢٢هـ بالأصح ينتهي بنهاية دولة الحاجب المنصور بن أبي عامر وأولاده سنة ٣٩٩هـ. وخلال هذه الفترة - أعني مابين ثلاثمائة إلى ثلاثمائة وتسعة وتسعين هجرية - ذلت أمم النصارى تحت أقدام خلفاء المسلمين. لأن المسلمين كانوا في منتهى القوة في هذا العهد.

فلما تولى عبد الرحمن الناصر الحكم سنة ثلاثمائة بعد وفاة جده عبد الله، كانت البلاد تعاني من الخلافات الداخلية، فبذل عبد الرحمن كل جهوده للقضاء على الفتن الداخلية، واستطاع بفضل الله أن يقضي على كل الفتن بعد جهد جهيد استغرق أكثر من خمسة عشر سنة.

وفي فترة انشغال الناصر بإخماد الفتن، انتهز النصارى الفرصة فقاموا بغارة على حدود المسلمين ودمروا مدينة بابر في غرب الأندلس وأبادوا أهلها رجالاً ونساءً، وسبى النصارى النساء والذرية وكان هذا الحدث سنة ثلاثمائة وواحد^(٢) وفي السنة التي بعدها أعاد العدو كرتة على بلاد المسلمين فاستولى على بعض الحصون إلى أن وصل إلى مدينة ماردة إلا أنه لم يستطع أن يستولي عليها، وفاوضه أهلها وأهدوا إليه فرساً، فرجع إلى بلده وهو يحمل السبايا التي استولى عليها في بعض الحصون^(٣) كل هذه الغارات جعلت الأمير عبد الرحمن الناصر يهتم كثيراً بجهاد الأعداء لرد عدوانهم على بلاد المسلمين، ففي سنة أربع وثلاثمائة أغزا الناصر أحد قواده إلى بلاد العدو - جليقية - وهي أول غزوة قام بها الناصر ضد الأعداء، فدوخ جيشه بلادهم، وزرع في قلوبهم

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٦٩.

(٢) انظر: المقتبس ص ٩٣ (عهد الناصر لدين الله).

(٣) نفس المرجع ص ١٢٠ وما بعدها.

الرعب ورجع سالماً^(١).

وواصل الناصر جهاده ضد النصارى حتى قتل أحد قواده في أرض الحرب سنة ٣٠٥هـ^(٢).

ولقد والى الغزوات تارة بنفسه وتارة بإرسال القواد^(٣) حتى أخضع حكام النصارى كلهم وجاءوا إليه يخطبون وده ويطلبون معاهدته والدخول في حلفه وحمايته. فجاءت إليه ملكة نافار (طوطة الإسكنسية) عاقدة الصلح سنة ٣٢٢هـ فأعطاها الأمان. وفي هذا قال أحد الشعراء:

وقد قيدت زعيمتهم إليه كبلقيس تحف به الجنود
تلفت لا ترى إلا شهاباً به يرمي ويختلف العديد
فبادرت السجود لنور وجهه له وجب التواضع والسجود^(٤)
فأوسعها بفضل العفو أمناً وقد كادت بمهجتها تجود
فدام يسوسها مادام شبه له في الأرض طلعة السعود^(٥)

وفي السنة التي بعدها عقد معه ملك الجلالقة السلم والمهادنة فعقد معه الناصر السلم، ولكن نقضه ملك الجلالقة بعد سنة كعادة النصارى الدائمة كلما سمحت لهم الظروف^(٦) ثم رجع إلى الصلح مرة أخرى لما أصابه من الضر بتوالي غزوات المسلمين عليه فصالحه الناصر مرة أخرى^(٧) وذلك سنة ٣٢٩هـ.

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ والبيان المغرب ج٢ ص ١٦٩.

(٢) ينظر: المقتبس ص ١٣٥، وهو أحمد بن محمد بن أبي عبدة/ البيان المغرب ج٢ ص ١٧٠.

(٣) لقد كرر الناصر الغزو بنفسه حتى سنة ٣٢٧هـ التي هزم فيها جيشه/ ينظر: نفع الطيب ج١ ص ٣٦٣.

ينظر: في غزواته بنفسه: البيان المغرب ج٢ ص ١٧٥ و ١٨٥ والمقتبس ص ٣٣٥ و ٤٠٠ و ٤٢٠.

(٤) هذا من مبالغات الشعراء التي لا تجوز، فإن السجود لله وحده عز وجل ولا يجوز لأي مخلوق.

(٥) المقتبس لابن حيان ص ٣٣٦ - عهد الناصر.

(٦) ينظر: نفس المرجع ص ٣٦٥.

(٧) نفس المرجع ص ٤٥٧.

كما جاء رسول الأفرنجة طالباً للصلح سنة ٣٢٨هـ وذلك أن الناصر أغزا أسطوله البحر إلى بلادهم سنة ٣٢٣هـ فأصاب عدة مدن ساحلية حتى وصل إلى برشلونة، ثم عاد غانماً سالماً^(١) ولما رأى الأفرنجة محاولة هذا الأسطول، واتحاد كلمة المسلمين في الأندلس خافوا من جهاد المسلمين، فتوحات جديدة إلى بلادهم، فأرسلوا وفودهم إلى بلاط قرطبة يطلبون المعاهدة فأعطاهم الناصر عهده سنة ٣٢٨هـ.

هكذا كان عهد الخليفة الناصر، قد خضعت له كل الممالك النصرانية. وبقي كذلك عهد ابنه الحكم الذي تولى السلطة من بعده، فقد قام الحكم المستنصر بعدة غزوات جهادية^(٢) ولكن الغالب في عهده هو السلم والمعاهدات من جميع الجهات الأوروبية^(٣).

حتى جاء عصر الحاجب منصور بن أبي عامر عصر الفتوحات والجهاد المتواصل، قال فيه أحد الشعراء^(٤) :

وكل عدو أنت تهدم عرشه وكل فتوح عنك يفتح بابها
وانك من عبد الملك الذي له حلى فتح قرطاجنة وانتهابها
جباها أبو مروان جدك قابضها بكف تليد طعنها وضرابها
فإن سنحت في الشرك من بعد فتحه فتوح مصروف إليك ثوابها^(٥)

تولى المنصور بن أبي عامر حجابة الخليفة الصغير هشام المؤيد بالله ابن الحكم، واشتهر بجهاد العدو تعبداً لله عز وجل، كان مدة حجابته لهشام خمس وعشرين سنة، غزا خلالها سبعا وخمسين غزوة، وبلغت

(١) المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٢) ينظر البيان المغرب ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٩، والمقتبس ص ٢٣٤ تحقيق: عبد الرحمن علي الحجى.

(٣) ينظر: المقتبس ص ٢٢.

(٤) هو الشاعر أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد التميمي، كان عالماً بالأخبار والأنساب، قدم الأندلس سنة ٣٣١هـ وتولى منصب الشرطة، توفي سنة ٣٩٤هـ تاريخ علماء الأندلس ج ٢ ص ١١٩ الترجمة رقم ١٤٠٦هـ.

(٥) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٦.

فتوحاته أماكن لم تبلغ من قبل. حتى قال ابن عذارى إنه افتتح مدينة - شنت ياقب أحسن مدن النصارى وأقدس معاقلهم^(١). وخضعت له كل حصون النصارى. وكان المنصور ابن أبي عامر من أكرم الناس وأجودهم حتى مع أعدائه، فاستطاع أن يكسب قلوب كثير منهم. ومع غزواته الكثيرة لبلاد الكفر، كانت بعض الحصون النصرانية تعمرت كثيراً تحت الخضوع للمنصور، ولذلك ندم في آخر حياته، وهو في فراش الموت من أجل خوفه على المسلمين من هؤلاء النصارى القريبين الذين دخلوا في عهدهم. ولهذا قال: (لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالأقوات من كل مكان وسجنتها بها، حتى عادت في غاية الأمان ووصلتها ببلاد المسلمين، وحصنتها غاية التحصين فاتصلت العمارة، وهأنا هالك، وليس في أولادى من يخلفني... فيجيبى العدو فيجد بلاداً عامرة وأقواتاً حاضرة فيتقوى بها على محاصرتها ويستعين بوجدانها على منازلتها، فلا يزال يغلبها شيئاً فشيئاً ويطويها طياً فطياً، حتى يملك أكثر هذه الجزيرة، ولا يترك فيها إلا معاقل يسيره. فلو ألهمني الله إلى تخريب ماتغلبت عليه وإخلاء ماتملك، وجعلت بين بلاد المسلمين، وبين بلاد الروم، مسيرة عشرة أيام فيافيا وقفاراً، لا يزالون لوراموا سلوكها حيارى، فلا يصلون إلى بلاد الإسلام، إلا بشقة وكثرة الزاد وصعوبة المرام، فقال له. الحاجب^(٢): (أنت إلى الراحة إن شاء الله أقرب، فتأمر بهذا الذي رأيت). فقال له: هيهات حال الجريض^(٣) دون القريض، والله لو استرحت، وأمرت بما ذكرت، لقال الناس: مرض ابن أبي عامر فأورثه مرضه جنوناً وهوساً تمكن من دماغه، فخرّب بلاد المسلمين وأجلاهم وأقفرها^(٤)). ويدل هذا النص على أمرين هامين هما:

أولاً: إن المسلمين عاملوا أهل البلاد التي فتحوها معاملة حسنة، ولهذا

(١) البيان المغرب ص ٢٩٤ و ٣٠١.

(٢) كان حاجبه فتى من الصقالبة يدعى - كوثر - / ينظر: أعمال الاعلام ص ١٠٤.

(٣) الجريض: الغمة.

(٤) مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ص ٦٤، المجلد ١٣ ت ١٩٦٥م.

أطمأنوا كثيراً، وصلحت أحوالهم من جميع النواحي المعيشية،
والحضارية.

ثانياً: إن المسلمين اتصلت سكناهم ببلاد الكفر واتسعت حدودهم، حتى
أعيدت إلى حوزتهم كثير من المدن التي تغلب عليها العدو بعد أن
فتحها المسلمون في أول الإسلام^(١). كما أن الحصون التي كانت
من ضمن أملاك النصارى، ودخلت تحت حماية المسلمين
بالمعاهدات، كان في داخلها مسلمون سواء كانوا من المسلمين
الذين رحلوا إليها، أو من مسلمين جدد دخلوا في الإسلام في هذه
الفترة.

ولما تولى الحجابة عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، اتبع
سياسة أبيه في تعمير البلاد التي كانت تجاور بلاد الكفر، وشجع
المسلمين في سكنائها، وأغراهم بالأموال في ذلك^(٢).
هكذا كان جهاد المسلمين، وسياستهم ضد أعداء الإسلام.

المطلب الرابع آثار الجهاد في الأندلس

إن المسلمين في الأندلس كانوا أهل جهاد دائم مع الأعداء، ولهذا
اهتموا كثيراً بالجيش في جميع قطاعاته، فكان كل وال على المسلمين في
الأندلس يهتم كثيراً بالجيش، واشتهرت الأندلس في ذلك الوقت بأقوى
اسطول بحري. قد بلغ - في عهد عبد الرحمن بن الحكم في غزوة واحدة
ثلاثمائة سفينة^(٣) وفي عهد الناصر كان ما يربط منه في مدينة المرية فقط
يبلغ إلى أكثر من مائتين سفينة.

(١) ينظر: بولة الإسلام ج١ ص ٢١٥.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج٣ ص ٧.

(٣) ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٢/ تحقيق الدكتور محمود علي مكي.

وكانت العادة في الجهاد أن يستنفر المسلمون أجمعون وقت الحاجة فيخرجون للقتال، وهذا النظام كان في الأندلس متبعاً، ومع ذلك كان الاعتماد، على جيش نظامي مرابط دائماً، ومستعد للنفير في أقل لحظة. وكان لكل خليفة مجموعة كبيرة من هذا النوع، وقد بلغ في عهد المنصور ابن أبي عامر إلى اثني عشر ألف فارس، وستة وعشرين ألف رجل مقاتل^(١). وكان لكل مدينة حامية خاصة من هذا النوع^(٢)، ومع هذه القوة التي كان يملكها المسلمون في ذلك الوقت يجد القارئ لتاريخ الدولة الأموية في الأندلس عدم الرغبة من الحكام في الفتوح المستقرة، وتوسعة رقعة بلاد المسلمين. حتى لدرجة إن المسلمين يفتحون عواصم الكفر ثم يرجعون أدرأجهم إلى مقر الخلافة دون أن يجبرهم أي عدو^(٣). وهذا كان جانب سلبي بالنسبة للمسلمين وغيرهم.

أما بالنسبة للمسلمين فإن غزوهم وإن كان ظاهره انتصار إلا أنه كان عديم الأثر الثابت الذي كان عليه أسلافهم، فإن العدو سرعان ما يرجع على حرب المسلمين بعد رجوعهم عنه، ولهذا كان النصراري يخلون الحصون والمدن أمام المسلمين ويتطايرون إلى الجبال. ثم لما يرجع عنهم المسلمون يعودون كما كانوا ويهاجمون المسلمين مرة أخرى^(٤). فلو كان الفتح ثابتاً، لعاد هؤلاء الهاربون إلى المسلمين بالأمان والعهد، ولعاشوا تحت الحكم الإسلامي كما عاش أسلافهم من قبل.

(١) دولة الإسلام ج٢ ص ٦٨٨.

(٢) ينظر: في ذلك المقتبس ص ٦ - عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، تحقيق محمود علي مكي.

(٣) ففي عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل أعاد فتح أربونة، ثم تركها، وعبد الرحمن بن الحكم فتح عاصمة الجليقيين (ليون) ثم تركها، وكذلك الناصر فتح عاصمة نافار - بنبلونة - ثم تركها. كما أن المنصور ابن أبي عامر فتح كل جليقية حتى وصل إلى شاطيء المحيط الأطلسي وفتح هناك جزر ومدينة شنت ياقب ثم رجع/ ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٦٤.

المقتبس ص ١٨٩ ومابعدها (عهد الناصر).

(٤) ينظر: دولة الإسلام ج٢ ص ٣٩٤-٣٩٦.

وأما بالنسبة للنصارى فكانت هذه الحروب دماراً لهم رداً على ما كانوا يفعلونه، من إحراق القرى وتدمير المساجد، كلما ظفروا بمكان من بلدان المسلمين^(١). فكان المسلمون كذلك يدمرون الحصون ويحرقون القرى وينسفون المحاصيل، خاصة القريبة من بلاد المسلمين. هذا كان هو الغالب، ولهذا كان أحوال النصارى المعاهدين أحسن بكثير من أحوال أهل الحرب في الأندلس.

ومع هذا فإن مما لا شك فيه أن الجهاد عزة وقوة للإسلام والمسلمين، فإن جهاد المسلمين في الأندلس كان فيه كثير من الفضل - بعد فضل الله - والإيجابيات في صالح الإسلام والمسلمين في الأندلس، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: حماية ثغور المسلمين من الأعداء.

إن المسلمين في الأندلس كانت تجاورهم أمم الكفر من كل الجهات تقريباً، وكانت هذه الأمم في حرب دائمة ضد المسلمين، فكانوا يشنون الغارة تلو الغارة، ولم تكن تتوقف هذه الغارات ضد المسلمين، إلا في حالة قوة المسلمين ودفاعهم عن أنفسهم، ومجاهدة أعدائهم في عقر دارهم، فكان عندما يرى أعداء الله قوة المسلمين يادروا في طلب الصلح والمعاهدة، وبمجرد أن يروا غفلة أو انشغال بفتنة داخلية، يادروا بالحرب ضد المسلمين، ونقض العهود السابقة. ويمكن ذكر مثال واحد يوضح هذا: هو أن الحكم بن هشام المعروف بالحكم الربضي. لما انشغل ببعض الفتن قام الأعداء بغارة في بعض ثغور المسلمين، فقدم من الجهة نفسها رجل^(٢) إلى قرطبة، فسأله الحكم عن الثغر. فقال: كانت خرجة من العدو إلى الثغر، وأنه سمع امرأة تصيح بأعلى صوتها: (واغواثاه بك يا حكم، فلقد غفلت عنا حتى تركتنا نهبا للعدو). ثم أنشده أبياتاً من الشعر فقال:

تململت في وادي الحجارة مسهرا أراعي نجوماً مايردن تغوراً
إليك أبا العاصي نضيت مطيتي تسير بهم ساريا ومهجراً

(١) ينظر: المقتبس (عهد الناصر) ص ٩٣.

(٢) هو الشاعر عباس بن ناصر الثقفي ولأه، كان من العلماء تولى قضاء شنونة والجزيرة الخضراء للحكم بن هشام، توفي سنة ٢٣٠هـ.

ينظر: تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٤٠ وبغية الوعاة للسيوطي ج ٢ ص ٢٨.

تدارك نساء العالمين بنصرة فانك أحرى أن تغيث وتنصرا^(١) .
 فلما سمع ذلك الحكم أمر بالنفير على الفور، وتوجه إلى الجهة بنفسه فأوغل فيها وافتتح الحصون وهدم المعازل، وأخذ عدداً كبيراً من الأسرى ثم أتى بهم المدينة التي سمع فيها باستغاثة المرأة، فضرب رقاب بعضهم أمام الناس، ودفع الباقي على المسلمين الذين أسر منهم العدو بعض الأسرى، أن يغادوا بهم أسراهم. ثم قال للمرأة التي استغاثت به: أغاثك الحكم أم غفل عنك؟ فقالت: بل أغاث ونصر فنصره الله وأغاثه^(٢) . ثم قال للرجل الذي أنشده الأبيات وأخبره خبر المرأة:
 ألم تر يا عباس أني أجبتها على البعد أقتاد الخميس المظفرا
 فأدركت أوطاراً وبردت غلة ونفسك مكروباً وأغنيت معسراً^(٣)
 هكذا كان الجهاد في الغالب دفاعاً عن المسلمين ورد كيد العدو عنهم.

ثانياً: إنقاذ المسلمين المأسورين في يد الأعداء.

إن المسلمين كانوا يبذلون كل وسعهم لفك أسراهم من العدو، وكان الغالب المفاداة تكون ببذل المال أو بتبادل أسرى بالأسرى، ومع ذلك. إن المسلمين كانوا يوقعون معاهدات صلح مع أهل الكفر وكان من ضمن شروطها إطلاق أسرى المسلمين. فإذا لم يوفوا بذلك شنوا عليهم الغارات. وذلك ما فعله المنصور ابن أبي عامر مع أهل الكفر، إنه عاهدتهم على إطلاق جميع أسرى المسلمين ثم سمع بوجود امرأة في إحدى الأديرة، فجهز جيشاً وتوجه به إلى تلك الجهة، فلما قرب من العدو، سأله ملكهم عن السبب الذي من أجله نقض عليه العهد، فقال المنصور: عاهدتك على فك جميع أسرى المسلمين، ثم الآن سمعت بوجود امرأة مسلمة في الدير الفلاني، فأرسلها إليه ملك النصارى ومعها اثنتين أخريات وقال:

(١) نفع الطيب ج١ ص ٣٤٣.

(٢) أخبار مجموعة ص ١٢٩.

(٣) نفع الطيب، نفس الصفحة.

ماكان لي بهن علم وأقسم له على ذلك فرجع عنه المنصور^(١) .

ثالثاً : إرهاب العدو :

كان العدو المحيط بالأندلس على أتم الاستعداد للإغارة على بلاد المسلمين - كما تقدمت الإشارة على ذلك - وكان المسلمون في دفاع دائم بكل الوسائل، ولهذا كانوا يبالغون في إرهابه بكل الوسائل، لدرجة إنه عندما يأتي رسول أو ملك من ملوك النصارى، كان المسلمون يحتفلون أمامه بكل الأنواع العسكرية وقوة المسلمين، أو بمعنى آخر كانوا يعرضون أمامه كل ما يظهر قوة المسلمين ويرعب الأعداء^(٢) .

رابعاً : ومن الفوائد العظيمة التي استفادها المسلمون من الجهاد :

تلك الأمة التي اشتهرت بالخدمات الخاصة في الجيش والقصور، وهم هؤلاء الذين كانوا يعرفون بالصغالبية .

كان غالبية هؤلاء من أسرى الحرب الذين يؤتى بهم من بلاد العدو ويربون تربية إسلامية خاصة، فيتعلمون الدين الإسلامي واللغة العربية، وقد برزت منهم مجموعة في التاريخ الأندلسي، فمنهم من كان يتصرف في أمور الدولة كنصر الخصي الذي حاول أن يسم الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وكان نصر من القواد الشجعان في ميادين الحرب كما كان سياسياً محنكاً في تدبير أمور الدولة .

وكان منهم مجموعات أخرى اشتهرت بخدمة الدولة^(٣) كما اشتهروا بخدمة القصور ذكوراً كانوا أو إناثاً، كما اشتهرت منهم مجموعة في جانب العلم والأدب^(٤) وكان منهم من يتولى التعليم في القصور، خاصة في المراحل الأولى، وفي هذا يقول ابن حزم : (إنني رُبيت في حجور

(١) تنظر: نفع الطيب ج١ ص ٤٠٣ وما بعدها .

(٢) ينظر: نفس المرجع ص ٣٦٣ .

(٣) ينظر: نولة الاسلام ص ٥١٤ . نفع الطيب ج١ ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٤) ينظر: نفع الطيب ج٣ ص ٨٢ .

الجواري ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين بقل وجهي، وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار^(١).

فهذا يدل على مكانة هؤلاء الصغالب في التعليم. كما يعتبر هذا الجانب هو الجانب الدعوى المهم الذي كان له أثر كبير في عزة المسلمين وقوتهم لكثرة هؤلاء الصغالب خاصة في الجيش والقصور.

خامساً: إن الجهاد في سبيل الله من أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية:

لأنه سبيل عز المسلمين وقوتهم، وتدمير الكافرين وإذلالهم. ولهذا كان المسلمون في الأندلس أقوياء غالبون قاهرون لأعدائهم عندما كانوا أهل جهاد ورباط. وكانوا ينشرون الإسلام بكل قوة وعزة، لأنهم كانوا أهل جهاد، والجهاد هو العز، وتركه هو الذل والهوان، كما قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(٢).

والواقع أن الذي ينشر معتقده هو العزيز، والنفس البشرية تحب العز وتأنف من الذل. ولهذا كان الناس يدخلون في الإسلام لما كانوا يرونه من عز المسلمين وقوتهم، ولهذا كان الجهاد من أهم أسباب انتشار الإسلام في العالم، وإن تركه أصبح من أسباب انحساره كما هو الحال اليوم. والله المستعان، وفي الأندلس كان المسلمون يجاربون أمماً كثيرة هم أهل كفر وحرب للمسلمين، وهذا كان يتطلب الاستعداد التام من المسلمين، وذلك لنشر الإسلام في الحرب والسلم، فكانوا أهل دعوة باللسان والسنان، لقمع أعداء الإسلام وإحقاق الحق ورد الباطل. فكان الجهاد من أهم معالم الدعوة ووسائل نشرها. وذلك لمشاركة العلماء في الجيوش الإسلامية المجاهدة، التي كانت تدفع الباطل وتدمر أهله.

(١) طوق الحمامة لابن حزم ص ٧٩ تحقيق الدكتور طاهر أحمد مكي

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٨٢ وأبو داود في كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة

ج ٣ ص ٧٤٠، وصححه ناصر الدين الألباني في السلسلة ج ١ ص ١٥.

فكان للعلماء دور كبير في تعليم الجاهل من المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في صفوف المسلمين، ومن أمثلة ذلك إن العالم الرباني يحيى بن يحيى كان يغزو مع الجيش الإسلامي فيعلم الجاهل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشرف على قسمة الغنائم^(١) وهكذا كان يفعل العلماء وغيره في الجهاد فكان الجهاد فيه تعليم للمسلمين في كل أمور دينهم، وبيان الإسلام لغير المسلمين قولاً وعملاً. لأن الجيوش الإسلامية كانت إسلاماً يتحرك بما وهبها الله من تعاليم الإسلام السامية.

(١) ينظر: قضاة قرطبة للخشني ص ٩١ وما بعدها.

المبحث الثاني المسجد

أولاً : أهمية المسجد في الإسلام :

المسجد في الإسلام له أهمية عظيمة، فهو مكان العبادة، ومدرسة التعليم ورابطة اجتماعية يعرف المسلمون من خلالها أحوال بعضهم البعض، ويتفقدون احتياجاتهم، وتعظم روابطهم الأخوية بالتقائهم في المساجد خمس مرات في اليوم واللييلة. ولهذه المكانة العظيمة أمر الله بينائه ورفع مكانته قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾^(١).

فالمساجد أفضل البقاع في الأرض، وكان لها في الإسلام أعظم الوظائف ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الوظائف بقوله: (وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات. وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم)^(٢).

ولهذا كان المسجد أول أساس أقام الرسول ﷺ دولته عليه عندما هاجر إلى المدينة^(٣) فكان منبع النور إلى العالم كله ومركز إنقاذ البشرية

(١) سورة النور الآيات من ٣٦ إلى ٣٨.

(٢) الفتاوى ج ٢٧ ص ٣٤٨.

(٣) روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فنزل في علو المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا متقلدين بسيوفهم قال: فكأنني أنظر إلى رسول

جمعاء انطلقت منه كتائب الإيمان لتزرع الإسلام في أرجاء الأرض، وتزيل ظلام الكفر والظلم وعبادة البشر للبشر، وتقيم موازين العدل في أرجاء المعمورة.

ولما فتح المسلمون بقيادة الصحابة رضوان الله عليهم بلاد فارس والشام ومصر، كانوا يقيمون في أي بلدة يفتحونها مسجداً^(١) للعبادة

الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملاً بني النجار حوله حتى ألقى بغناء ابي ايوب، قال: فكان رسول الله ﷺ يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرائب الغنم. ثم إنه أمرَ بالمسجد فارسل إلى ملاً بني النجار، فجاءوا، فقال يابني النجار ثامنوني بحائطكم هذا. فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال انس: فكان فيه ما أقول: كان فيه نخل وقبور المشركين، وخرّب، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطع وبقبور المشركين فنبتت، وبالخرّب فسويت، قال: فصفوا النخل قبلةً وجعلوا عضادته حجارة. قال فكانوا يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم، وهم يقولون: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة * فانصر الأنصار والمهاجرة.

صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج ٥ ص ٦ مع شرح النووي.

(١) كان أول مسجد أقيم في بلاد فارس مسجد البصرة الذي أقامه عتبة ابن غزوان، وذلك سنة أربع عشرة هجرية، وكان في أول أمره عبارة عن صحن مكشوف مربع الشكل قد أحيط بالقصب، ثم (بني باللبن والطين، وسقف بالخشب).

ينظر: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٨٨ وينظر: رسالة المسجد في الإسلام ص ١٨٥ للدكتور عبد العزيز محمد اللميلم/ مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ت ١٤١١هـ.

وفي بلاد الشام كذلك أنشأ المسلمون مساجد منها مسجد عمر بن الخطاب والمسجد الأقصى مأوى كل الأنبياء، من زمن نبي الله داود عليه السلام.

ينظر: رسالة المسجد في الإسلام ص ٢٠٢.

وفي مصر كان أول عمل قام به عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفتح هو بناء المسجد الذي يحمل اسم عمرو حتى اليوم، ويقول عنه الدكتور عبد العزيز اللميلم: (ويعتبر رابع مسجد جامع أقيم في الإسلام بعد مساجد كل من المدينة المنورة والكوفة والبصرة. كما يعتبر أول مسجد أسس بمصر بعد الفتح) ص ٢٢٦ رسالة المسجد.

وهذا كلام فيه نظر ويحتاج الى دقة أكثر. من حيث أنه المسجد الجامع الرابع في الإسلام. لأن في حياة النبي ﷺ كانت هناك جوامع كجامع البحرين وغيره.

وتعليم الناس، فيكون مسجداً تقام فيه الصلوات، ومدرسة يتلقى فيها الناس التعليم، ودار محكمة يقام فيها العدل، وقصر السياسة توجه منه الأمة في كل شؤونها.

ولما فتح المسلمون شمال إفريقية أقاموا المساجد هناك كمسجد عقبة بن نافع في القيروان^(١) وغيره من المساجد. وهكذا كان الشأن في كل البلاد حتى فتحوا شبه جزيرة الأندلس.

ثانياً: إنشاء المساجد في الأندلس:

لما فتح المسلمون الأندلس أنشأوا فيها المساجد كغيرها من البلاد التي فتحوها، فما من مدينة فتحها المسلمون في الأندلس إلا وأنشأوا فيها مسجداً، وذلك ابتداء من حملة طارق بن زياد، فإن حملته أنشأت مسجداً في الجزيرة الخضراء^(٢) ومسجداً في إلبيرة وقرطبة وطليلطة^(٣). ولما عبر موسى بن نصير إلى الأندلس، فإن أول شيء بدأ به هو إنشاء مسجد في المكان الذي نزل فيه وتجمعت فيه ألوية جيشه، فسمي مسجده بمسجد الرايات، وكان جيش موسى بن نصير يشتمل على مجموعة كبيرة من التابعين الأجراء، فكانوا يتولون تأسيس المساجد وتحديد مواضع

(١) أسس عقبة بن نافع مدينة القيروان سنة إحدى وخمسين هجرية أقام في وسطها مسجداً، وقد حضر تخطيط هذا المسجد عدد من الصحابة رضي الله عنهم/ ينظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ج ١ ص ٧.

(٢) يقول الحميري: (وفي الشرق من مدينة الجزيرة (يعني الخضراء) مسجد يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال إنه أول مسجد بني بالأندلس) صفة جزيرة الأندلس ص ٧٥.

فمعنى هذا إن هذا المسجد قد أقامه طارق أول ما أقام، لأن هذه الجزيرة أول شيء افتتحه وترك فيها جاريتها أم حكيم حتى سميت بها الجزيرة.

(٣) ومما يدل على أن طارق أقام في هذه المدن مساجد، ما ذكره ابن بشكوال من تعديل حنش الصنعاني قبلتي مسجد إلبيرة وقرطبة وإذا لم تكن هذه المساجد قائمة لما احتاجت إلى تعديل القبلة، بل لقليل: أقام مسجداً أو أنشأ./ ينظر: نفع الطيب ج ٣

قبلتها، وفي هذا قال ابن الفرضي: (إن حنشا كان بسرقسطة وإنه الذي أسس جامعها وبها مات، وقبره بها معروف عند باب اليهود بغربي المدينة)^(١).

وقال المقرئ: (وفي تاريخ ابن بشكوال: إنه أخذ أيضاً قبلة جامع إلبيرة وعدل وزن قبلة جامع قرطبة الذي هو فخر الإسلام)^(٢) يعني حنش رحمه الله.

وكثيراً من المساجد كانت أجزاء من كنائس النصارى أو بجوارها، ولهذا قال الرازي^(٣): (لما فتح المسلمون الأندلس استدلوا بما فعل أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله عنهما عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من مشاطرة الروم في كنائسهم، مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة في كنائسهم العظمى التي كانت بداخلها، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً، وبقي الشطر الثاني بأيدي الروم)^(٤).

ومما يدل على المقاسمة إن موسى بن نصير لما افتتح إشبيلية جعل نصف كنائسها مسجداً للمسلمين، وكانت تسمى كنيسة رُفينة، ولهذا سمي المسجد كذلك مسجد رفينة نسبة إلى الكنيسة، وهو المسجد الذي قتل فيه عبد العزيز بن موسى رحمه الله^(٥).

وتتابع الولاة في إنشاء المساجد في الأندلس، إما بتوسعة ماضق

(١) تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٤٨ ترجمة رقم ٣٩١.

(٢) نفع الطيب ج ٣ ص ٨.

(٣) الرازي هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى بن بشير الكنازي المؤرخ الأندلسي المشهور. ينظر جذوة المقتبس رقم ١٧٤ ص ١٠٤.

(٤) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٢٩.

(٥) ينظر المرجع السابق: ص ٢٤.

منها ^(١) وإما بإنشاء مسجد جديد كمسجد أمية بن عبد الملك ^(٢) ومسجد معاوية بن صالح في مالقة ^(٣)، وكذلك لما فتحوا جنوب فرنسا أنشأوا هناك مساجد ^(٤).

ولما دخل الأمير عبد الرحمن معاوية الأندلس، وأقام دولة بني أمية الجديدة اهتم أول ما اهتم ببناء المسجد الجامع الذي أصبح يضيق بالمصلين، وكان قبل عبد الرحمن تعلق فيه السقائف كلما ضاق بالمسلمين، فأول شيء بدأ به عبد الرحمن في تعمیر المسجد هو مفاوضة النصارى في بيع كنيستهم التي كانت تجاور المسجد، وأغراهم بالمال الكثير وبكل ما يرضيهم حتى رضوا بالثمن ومقابل آخر هو السماح ببناء كنيسة أخرى قد هدمت من قبل، خارج أسوار المدينة، قال المقرئ: (دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني إلى الأندلس واستولى على إمارتها، وسكن دار سلطانها - قرطبة -، وتمدنت به، فنظر في أمر الجامع، وذهب إلى توسعته، وإتقان بنيانه، فأحضر أعاضد النصارى وسأوهمهم ببيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم لضيق الجامع ليدخله فيه، وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه، فأبوا من بيع ما بأيديهم، وسألوا - بعد الجد بهم - أن يباحوا ببناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة، على أن

(١) كان الولاة في قرطبة يضيفون على المسجد سقائف كلما ضاق بهم وكثر فيه المصلون، وكانت السقائف منخفضة جداً حتى أن بعض الناس لا يستطيعون القيام./ ينظر: نفع الطيب ج ١ ص ٥٦٠.

(٢) مسجد أمية كان بالربض الذي أزاله الحكم بن هشام./ أخبار مجموعة ص ٤٢ ولم أجد ترجمة أمية بن عبد الملك.

(٣) تقدمت ترجمة الفقيه معاوية بن صالح، وأما مسجده فنذكره الحميري في صفة جزيرة الأندلس ص ١٧٨.

(٤) إن المسلمين لما فتحوا بلاد غالة - كما يسميها المؤرخون - أنشأوا هناك مساجد ومعاهد للتعليم، وإن لم تذكر كتب التاريخ عن ذلك شيئاً مفيداً، إلا أن الإشارات التي يفهم منها ذلك موجودة مثل قول محمد عبد الله عنان في حديثه عن سقوط أربونة في يد الإفرنجة سنة ١٤٢هـ حيث يقول: (فدخلها الإفرنجة ففتكروا بسكانها المسلمين أيما فتك، وخرّبوا مساجدها ومعاهدها ونورها) نولة الإسلام ج ١ ص ١٣٧.

يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طالبوا به، فتم الأمر على ذلك. وكان ذلك سنة ثمان وستين ومائة، فابتنى عند ذلك عبد الرحمن الجامع^(١). إن الأمير عبد الرحمن أنفق في الجامع أموالاً كثيرة تبلغ إلى مائة وثمانين ألفاً، قال المقرئ: (إنه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار، واشترى موضعه - إذ كان كنيسة - بمائة ألف دينار)^(٢). وقد مدحه أحد الشعراء^(٣) بقوله:

وانفق في دين الإله ووجهه ثمانين ألفاً من لجينٍ وعسجدٍ
توزعها في مسجد أسه التقوى ومنهجه دين النبي محمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه يلوح كبرق العارض المتوقد^(٤)
ولكن الأمير عبد الرحمن لم يتم بناء الجامع كمال التمام، فأتته ابنة هشام من بعده. ولم يقتصر الأمير عبد الرحمن على بناء الجامع فقط بل بنى مساجد أخرى في قرطبة وغيرها، حتى قال المقرئ: (قال بعض من أرخ الأندلس: انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وتسعين مسجداً^(٥)). ولاشك إن هذا العدد كله لم يبنيه الأمير عبد الرحمن، بل ربما غالبية كانت مبنية من قبل، إلا أن الأمير عبد الرحمن زاد فيه حتى بلغ هذا العدد).

وقد بلغ جامع قرطبة أعظم مبلغ طوال فترة الحكم الأموي من جميع النواحي، فكان أفخم جامع في البناء والوسع، ومأوى أفئدة طلاب العلم من جميع الأقطار. فقد توالى كل الأمراء الذين جاءوا من بعد عبد الرحمن الداخل إلى توسعته، حتى كان آخرهم المنصور بن أبي عامر^(٦).

(١) نفع الطيب ج١ ص ٥٦٠.

(٢) نفس المرجع ص ٥٤٦ ويستفاد من هذا النص حس المعاملة التي كان يعامل بها المسلمون النصارى، حتى يدفعهم هذا المبلغ الكبير من أجل إرضائهم، ثم يسمحوا لهم ببناء كنيسة جديدة.

(٣) اسم الشاعر نحية بن محمد البلوي. ولم أجد له ترجمة.

(٤) نفع الطيب ج١ ص ٥٦١.

(٥) نفع الطيب ج١ ص ٥٤٠.

(٦) سيأتي ملحق خاص بجامع قرطبة لإنشاء الله.

وقد أعتنى الأمراء كلهم ببناء المساجد وخاصة الأمير عبد الرحمن ابن الحكم الذي كان من أعظم المهتمين ببناء المساجد وعمارتها، حتى أن جواريه كن يعمرن المساجد التي تحمل اسمائهن من نفقتهن الخاصة. أن المساجد في قرطبة وحدها بلغت - في آخر عهد المنصور بن أبي عامر - ألف وستمائة مسجد^(١). وقيل أكثر من ذلك، قال المقرئ: (وفي بعض التواريخ القديمة: كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجداً. منها بشقندة ثمانية عشر مسجداً)^(٢). ومعنى ذلك إن قرطبة وجميع مايتبعها من الأحياء والقرى كان فيها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجداً. ومايخص مدينة قرطبة فقط ألف وستمائة مسجد. وكل ذلك يدل على مدى الاهتمام بالمساجد في الأندلس والعناية بعمارتها في جميع المدن والقرى.

ثالثاً: مهام المسجد في الأندلس:

إن المسجد في الاسلام له دور عظيم في أمور الدين والدنيا فهو ملتقى المسلمين في عباداتهم، وفي جميع شئونهم الهامة، كالتعليم والجهاد، وغير ذلك.

والأمة الإسلامية في الأندلس لم تختف عن غيرها من أمة الإسلام، فكان مسجدها - كغيره من المساجد - ملتقى أفئدة المسلمين وأجسادهم، في العبادات وكل شئونهم التي بها صلاح دينهم ودنياهم، من الدعوة إلى الله، والتعليم، وإعلان الأمور الهامة على منابر المساجد، كالنفي للجهاد أو خبر انتصار المسلمين على الأعداء، أو توجيه الأمراء لرعييتهم في أمر ما.

فكان المسجد يعتبر مقر كل الوزارات التي تحتاج إليها الدولة. وفيما يلي بعض ماكان من مهام المسجد في الأندلس:

(١) ينظر: نفع الطيب ج١ ص٥٤٠.

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة.

- ١ - المسجد كان مدرسة: المسلمون في الأندلس كان اهتمامهم بالتعليم كبيراً، ولم تكن لهم مدارس مخصصة للتعليم بل كان المسجد هو المدرسة التي يتلقى فيها المسلمون التعليم، وكان مسجد قرطبة المدرسة الكبرى التي يتلقى بها المسلمون العلم، ومقر العلماء، فكانت فيه حلقات العلم المتنوعة، كالفقه، والحديث، واللغة، والتفسير، حتى أصبح من أشهر مراكز العلم في العالم، إنه كان الجامعة التي تدرس في حلقاتها العلوم والآداب على اختلاف الفنون والمطالِب^(١). حتى قال أحد المستشرقين^(٢): (أما جامعة قرطبة فقد كانت يومئذ من أشهر جامعات العالم، وكان مركزها في المسجد الجامع، وتدرس في حلقاتها مختلف العلوم، كان يدرس الحديث الشريف أبو بكر بن معاوية القرشي^(٣)، ويملى أبو علي القالي - ضيف الأندلس -^(٤) دروسه عن العرب قبل الإسلام وعن لغتهم وشعرهم وأمثالهم، وكان ابن القوطية^(٥) يدرس النحو، وكان يدرس باقي العلوم أساتذة من أعلام العصر، وكان الطلبة يفدون بالآلاف^(٦). فكان جامع قرطبة أعظم جامعة للعلم بجميع مستوياته وفنونه.
- ٢ - كما أنه كان داراً للعدل تقام فيه المحاكم فكان القاضي يجلس فيه للحكم بين الناس في الغالب، فتقام فيه المحاكم، وكان أعوان

(١) ينظر: المساجد في الإسلام ص ٦٣٦ للشيخ طه الولي / نشر: دار العلم للملايين.

(٢) هو المستشرق الفرنسي لوزي وهو من أسرة أشتهرت بحب الاستشراق وله كتب عدة منها (تاريخ المسلمين في إسبانيا).

(٣) أبو بكر بن معاوية: لم أجد ترجمته.

(٤) هو أبو علي إسماعيل بن القام بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان مولى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٢٨٨هـ وتلقى تعليمه ببغداد ودخل الأندلس سنة ٣٣٠هـ واشتهر هناك بعلم الكلام واستفاد منه هناك عدد كبير من طلاب العلم، توفي سنة ٣٥٦هـ. ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٢٢٢ ج١ ص ٨٣.

(٥) ابن قوطية هو المؤرخ المشهور وقد تقدمت ترجمته.

(٦) ينظر: دولة الإسلام ج٢ ص ٥٠٧، والمساجد في الإسلام ص ٦٢٣.

القاضي من كتاب وشرطه، وكل من يحتاج إليه القاضي، كانوا يجلسون في المسجد، وكان الناس يأتون إلى المسجد من جميع فئاتهم، فيتجادل الرجال والنساء ويتناقشون، ويسمعون حكم القاضي^(١). وأحياناً يعذر القاضي أحداً في المسجد^(٢)، فكان المسجد يعتبر دار العدل في وقتنا الحالي.

٣ - هذا من جانب، ومن جانب آخر كان المسجد في الأندلس يعتبر وزارة الإعلام الحالية، تقرأ فيه إعلانات الدولة وأوامرها للناس كل جمعة، ومن ذلك إعلان الحرب والنفي إلى الجهاد كان يقرأ في المسجد، وأخبار النصر أو الهزيمة تقرأ في المسجد^(٣). والقرارات الإدارية والسياسية كانت تعلن في المساجد، ومن ذلك مثلاً إن الخليفة الناصر لدين الله، لما أصدر بياناً بمحاكمة أصحاب ابن مسرة واستتابتهم، أمر بقراءة كتابه في المساجد فقرأ للناس في جميع مساجد الأندلس^(٤). ولما أصدر بيانه الذي تسمى فيه بأمر المؤمنين قرأ للناس يوم الجمعة على المنبر في جامع قرطبة، وفي هذا قال ابن عذاري: (فاستهل الخطيب بجامع قرطبة أحمد بن بقي بن مخلد بذكر هذا الاسم المخلد يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة ستة عشرة وثلاثمائة)^(٥).

٤ - كما أن في الجامع كانت تؤخذ البيعة للخليفة أو الأمير ومن ذلك إن الخليفة عبد الرحمن الناصر، لما بايعه في القصر أعيان الدولة، أخذله البيعة بعض الوزراء وكبار العلماء من عامة الناس في جامع

(١) ينظر: قضاة قرطبة ص ١١٩ و ١٣٨.

(٢) مثل ماضرب القاضي أحمد بن بقي بن مخلد أسواطاً لأحد المفسدين وقد حمد فعله كل الناس كما أن القاضي أسلم بن عبد العزيز ضرب النصراني في داخل المسجد/ ينظر: قضاة قرطبة ص ٢١٦، ص ٢٢٥.

(٣) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٤ والمقتبس لابن حبان ٤٥٨ (عهد الناصر).

(٤) ينظر: المقتبس لابن حبان ج٥ ص ٢٠ وما بعدها.

(٥) البيان المغرب ج٢ ص ١٩٨.

قرطبة، قال محمد عبد الله عنان: (وجلس لتلقي البيعة في المسجد الجامع صاحب المدينة الوزير موسى بن حدير^(١) وصاحب الشرطة العليا ابن وليد الكلبي^(٢). وصاحب الشرطة الصغرى أحمد بن محمد بن حدير^(٣) وصاحب أحكام السوق محمد بن محمد بن أبي زيد فاستمرت البيعة بضعة أيام^(٤)).

والخلاصة إن المسجد في الأندلس كان له دور كبير في جميع شئون المسلمين كما كان مسجد الرسول ﷺ من قبل. والخلاصة إن المسجد من أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية قديماً وحديثاً. وخاصة في المجتمعات التي تعيش فيها الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية، فعندما يرى غير المسلم الواعي تردد المسلمين إلى المسجد في اليوم واللييلة خمس مرات، لابد أن يتساءل لماذا يترددون؟ وكيف يعبدون؟ وهذا التساؤل يجعله يبحث عن الإسلام، وعن معرفة مبادئه، وكان المجتمع الأندلسي، مجتمعاً يعيش فيه المسلمون وغيرهم. وكان غير المسلمين متأثرين بالمسلمين ويحبون تقليدهم في كل شيء، حتى الطفل غير المسلم كان يحب تقليد المسلمين، ولعل هذا هو السر في إعلان بعض الأطفال إسلامهم أمام القضاة. ولعل من الدوافع للأطفال الذين

(١) الوزير موسى بن حدير أصله من موالي عبد الرحمن الداخل، وهو من عائلة اشتهرت بخدمة الدولة الأموية في مناصب عدة، فأبوه - حدير - كان بواباً للحكم بن هشام، وهو الذي احتسب عليه في قتل الفقهاء (ينظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص ٧٢) وتولى موسى بن حدير خزانة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (المرجع السابق ص ٧٨) أما هذا فهو حفيد ابنه، فهو موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير. تولى الحجابة للخليفة الناصر. ينظر / الحلة السيرة ج١ ص ٢٣٢.

(٢) لم أجد ترجمته.

(٣) لعله أخ للمتقدم الذكر ولم أجد ترجمته.

(٤) هو: أبو الوليد محمد بن محمد بن زيد من أهل قرطبة، توفي سنة ٣٣٣هـ، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، الترجمة رقم ١٢٤١ ج٢ ص ٥٦.

أسلموا إنهم كانوا يرون أطفال المسلمين يترددون إلى المسجد للتعليم والعبادة.

والمسجد هو مقر العلماء وطلاب العلم الذين ينشرون الإسلام، ومحل الوعظ والإرشاد، فهو من أهم وسائل الدعوة. ولهذا قال الدكتور أبو المجد نوفل في منهج الدعوة: (ومنهج الدعوة يقوم على أركان ثلاثة: □ مبادئ، أو مفاهيم، أو قضايا يراد نشرها، وتبليغها، وهذا هو الركن الأول.

□ صياغة هذه القضايا والمفاهيم في حروف وكلمات وجمل وعبارات. تؤول الأساليب وهذا الركن الثاني.

□ تقديم هذه الأساليب وعرضها عن طريق كتاب أو صحيفة، أو داعية أو بيعة، أو هجرة، أو مسجد، أو جهاد. وهذه هي الوسائل أو الركن الثالث. ولكل ركن خصائصه، وأنواعه، وأهدافه^(١).

والشاهد من هذا هو أن الدكتور يعتبر المسجد من الوسائل التي يقدم بها الأسلوب الدعوى.

وهذا شامل للمسجد في كل مكان وزمان. والمسجد من أهم وسائل الاتصال بين المسلمين، فهو الذي يجتمعون فيه خمس مرات في اليوم والليلة، وبالالاتصال والتجمع تكون الدعوة والتناصح بين المسلمين، ويكون التخطيط وبحث الأسلوب والوسائل لدعوة غير المسلمين.

(١) مجلة هذه سبيلي، العدد ٤ ص ٢٢٩ عام ١٤٠٢هـ.

وينظر: الحرب النفسية في صدر الإسلام - العهد المدني - ص ٢٧٥ - رسالة دكتوراه للدكتور/ محمد بن خلف بن صالح المخلف. عام ١٤٠٨هـ رسالة في المكتبة المركزية بجامعة الإمام.

المبحث الثالث التعليم

إن الدين الإسلامي هو دين العلم والمعرفة ولهذا كانت أول آية نزلت على الرسول ﷺ هي قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١) والرسول ﷺ أمر بالتعليم وجعله مقابل المال في الفدية فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)^(٢) وذلك في أسرى بدر.

والمسلمون في الأندلس هم جزء من الأمة الإسلامية التي اهتمت بالعلم والتعليم منذ بداية نزول الوحي إلى النبي ﷺ. ومنذ أن فتح المسلمون الأندلس أخذوا في تعليم الناس، حتى أصبحت الأندلس خلال الحكم الأموي المستقل منبع العلم ومأوى أفئدة طلاب العلم من كل البلاد، لدرجة أن نسبة الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون قد اختفت جداً، ولهذا قال أحد المؤرخين^(٣): (لقد أسس الحكم في كل البلاد المدارس المجانية وجعل التعليم العام بطريقة تسمح بالقول بأنه قليلاً جداً أو نادراً مانجداً في الأندلس من لا يعرف القراءة والكتابة). هذا من الجانب العام، ومن جانب آخر إن الأندلس أصبحت بلد العلم والإنتاج العلمي في جميع الشؤون العلمية، ففي العلوم الشرعية بلغت أعلى المستويات، وفي العلوم الأخرى كذلك: كالهندسة والحساب، والرياضيات، والعلوم، والجغرافية، والطب، والمخترعات. فكانت منبع كل العلوم التي انتقلت منها إلى أوروبا كلها، وكان عليها قيام

(١) سورة العلق الآية رقم ١.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج١ ص ٢٤٧.

(٣) هو اجيليرا في كتابه تاريخ اسبانيا/ ينظر: تاريخ التعليم في الأندلس ص ١٩٠.

أسس الحضارة الأوروبية المعاصرة^(١).
وفيما يلي بيان للعوامل التي أدت إلى تقدم العلم في الأندلس، ومدى
تأثير ذلك إلى جميع الناس في الأندلس وخاصة غير المسلمين.

المطلب الأول

الأمور التي ساعدت على إنتشار العلم في الأندلس

لقد اهتم المسلمون بالتعليم في كل البلاد، ومنها الأندلس، ولكل بلد
ظروفه الخاصة التي تساعد على التعليم وقيام أسس الحضارة فيه،
وللأندلس من ذلك النصيب الخاص بها. فما هي الأمور التي ساعدت على
إنتشار العلم؟

إن الناظر في تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي يجد أمور كثيرة
ساعدت على رفع مكانة العلم وأهله، وأهم هذه الأمور هي:
أولاً: وجود العلماء من التابعين في صفوف الجيش الذي فتح الأندلس
ولاشك إن هؤلاء كان لهم الدور الكبير في تعليم الناس، فهم الذين
أسسوا المساجد وبنوا شرايع الإسلام في قسمة الغنائم وغيرها^(٢).
وكان أثرهم في التعليم كبيراً، ومما يدل على ذلك ظهور علماء بارزين
في فترة وجيزة من أبناء أهل البلاد، أمثال مهدي بن مسلم الذي ولاه
عقبة بن الحجاج السيلولي حكم قرطبة وقضاها^(٣).

وقد تلى جيل التابعين، جيل آخر من العلماء الذين توجهوا إلى
الأندلس من المشرق الإسلامي، من أجل نشر العلم وحب الجهاد. ومن

(١) ينظر: كتاب فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٥٣ ومابعدها
للدكتور/ عز الدين فراخ، نشر دار الفكر ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ١١٠.

(٣) ينظر: قضاة قرطبة ص ٢٨ وقد جاء فيه: (وهو من أبناء المسالمة من أهل الحديث
والعلم والورع) والمعلوم إن لفظ المسالمة كان يطلق على من أسلم من نصارى
الأندلس. ينظر: نولة الإسلام جا ص ٢٠٦.

هؤلاء صعصعة بن سلام ومعاوية بن صالح ومهاجر بن نوفل القرشي^(١).
فإن هؤلاء كان لهم دور في التعليم. فصعصعة بن سلام هو الذي نقل
مذهب الإمام الأوزاعي إلى الأندلس، فكان تأثيره العلمي كبيراً لأنه نقل
أمة كبيرة نوعاً ما إلى القنعة بفقهِه جديد لم يعرفه أهل بلاد الأندلس^(٢).
كما أن المحدث الكبير - معاوية بن صالح - كان من أهم المعلمين،
فقد أنشأ مسجداً خاصاً وقام يعلم الناس^(٣) فكان أثر هؤلاء عظيماً في
التعليم.

ولقد كان التعليم في هذه الفترة يشمل الكبار والصغار، فكان
المسجد يتحلق فيه الناس على العالم يتلقون منه العلم. كما أن هناك
أماكن لتعليم الصبيان في المسجد أو خارجه. ومن أمثلة ذلك ما ذكره
ابن القوطية من «أن الصميل بن حاتم، إنه قطر ذات يوم على مؤدب يؤدب
الصبيان وهو يقرأ: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾^(٤) فقال الصميل:
نداولها بين العرب، فقال المؤدب: بين الناس. فقال الصميل: هكذا نزلت
الآية؟ قال: نعم هكذا نزلت. قال الصميل: والله إنني أرى هذا الأمر
سيسركنا فيه العبيد والسفال والأراذل»^(٥). فيدل هذا النص على وجود
كتاتيب المعلمين للأطفال. كما يفهم منه اهتمام الولاة بالعلم وأهله^(٦).
ولعل الناظر إلى العلم والعلماء في الأندلس يلمس تأثير العلماء
الذين وفدوا إلى الأندلس أمثال معاوية بن صالح، ولربما إن هؤلاء كانوا
يشجعون طلابهم بتلقي العلم من منابعه الأصلية وهي بلاد المشرق
الإسلامي وخاصة الحجاز، ولهذا قام كثير من الطلاب بالرحلة إلى

(١) ينظر عن مهاجر بن نوفل: قضاة قرطبة ص ٤٦، وقد تقدمت ترجمة صعصعة ومعاوية.
(٢) ينظر في نقل صعصعة مذهب الأوزاعي إلى الأندلس: تاريخ المسلمين وآثارهم ص

(٣) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣.

(٤) آل عمران جزء من الآية رقم ١٤٠.

(٥) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٤٠.

(٦) ينظر: تاريخ التعليم في الأندلس ص ١٩٥.

المشرق الإسلامي، وخاصة عند قيام الدولة الأموية في الأندلس، وكان وجهة هؤلاء إلى الحجاز. فقد تلقوا العلم من علماء الحجاز وخاصة الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقد ذكر القاضي عياض رحمه الله إن عدد من تلقوا العلم على يدي الإمام مالك من أهل الأندلس كان عددهم تسعة عشر شخصاً^(١). ثم لما رجعوا إلى الأندلس تصدروا للتعليم، فكانت لهم حلق العلم في المساجد وكان تأثيرهم كبيراً، حتى ظهر مذهب الإمام مالك في الأندلس وأصبح مذهب الدولة الرسمي^(٢). كما أن العلماء الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي بعد تلامذة مالك، كانوا يتلقون العلم من تلامذة مالك في كل من إفريقية ومصر والحجاز، إلا القلة القليلة التي رحلت إلى الشام والعراق^(٣). كل هؤلاء رجعوا إلى الأندلس يحملون جميع أنواع العلوم من المشرق الإسلامي، مما حفظوه أو كتبوه، فملئوا الأندلس علماً وكتباً، على مر العصور التي تعاقب فيها الأمراء الأمويون حكم الأندلس.

ثانياً: اهتمام الأمراء بالعلم والعلماء خاصة خلال الحكم الأموي:

إن الأمراء الأمويين قد اهتموا بالعلم والعلماء، وبذلوا الكثير في التعليم. فكان اهتمامهم بالعلماء، واحترامهم لهم كبيراً، ولقد ذكرت في كتب التاريخ أمثلة كثيرة، في مكانة العلماء عند أمراء الأندلس وخلفائهم، فمن ذلك: إن الأمير عبد الرحمن الداخل كان سفيره هو الفقيه العالم معاوية بن صالح^(٤)، كما كان هو قاضيه وصاحب عدله. والأمير هشام بن عبد الرحمن كان مجلاً للعلماء ومقدراً لمكانتهم حتى

(١) ينظر: ترتيب المدارك ج١ ص ٨ و١٣ و١٥.

(٢) ينظر نولة الإسلام ج١ ص ٣٢٩.

(٣) أمثال بقي بن مخلد الذي روى عن الإمام أحمد وغيره، ومحمد بن وضاح، ويحيى الغزال، ينظر: نفع الطيب ج٢ ص ٢٥٤ و٥١٨ وتاريخ علماء الأندلس رقم ٢٨٣ ورقم ١٣٠٦.

(٤) ينظر: قضاة قرطبة ص ٥٢.

قيل: إن الفقهاء كانت أمور الدولة كلها في أيديهم^(١). وكان يأمر بالعلم كثيراً، وهو الذي أمر أن تكون اللغة العربية لغة التعليم الوحيدة في الأندلس كلها، وأدخلها في معاهد اليهود والنصارى^(٢). وكان محترماً لكلمة أهل العلم مؤثراً للعدل كثيراً ما كان يتأسى بسيرة عمر بن عبد العزيز^(٣).

ولما تولى الأمير الحكم بن هشام السلطة، كان منقاداً للحق مؤثراً للعدل، مع ما كان فيه من شدة وله حوادث كثيرة مع قضاة تدل على انقياده للحق واحترامه لمكانة العلماء^(٤).

وعندما خلفه ابنه عبد الرحمن على الحكم كان للعلماء أعظم المكانة بل يقال عن الأمير عبد الرحمن: إنه كان لا يقدم على أي أمر دون مشاورة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي^(٥)، وكان أهل مجلسه العلماء من جميع مستوياتهم، وقد بلغ العلم في عهده أعظم مبلغ، لأن عهده كان عهد

(١) ينظر: دولة الإسلام ج١ ص ٢٣٠.

(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٢٢٩.

(٣) ينظر: أخبار مجموعة ص ١٢٠.

(٤) ومن ذلك أن القاضي محمد بن بشير أول شيء نظر إليه عندما تولى القضاء: التسجيل على الأمير الحكم بن هشام في أرجاء القنطرة، فانقاد الأمير لحكمه، بل شكره على ذلك وقال: رحمه الله محمد بن بشير لقد أحسن فيما فعل بنا على كره منا، كان في أيدينا شيء مشتبه، فصحه لنا، وصار حلالاً طيب الملك في أعقابنا// تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٨، ومن ذلك إنفاذه حكم القاضي على عمه العباس بن عبد الملك المرواني عندما حكم عليه القاضي على ضيعة للأيتام/ ينظر: المرجع السابق ص ٤٦.

وعندما رد القاضي محمد بن بشير شهادة الحكم لعمه سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل. لم يغضب الحكم من ذلك بل قال: «ولست - والله - أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه، ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله». ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٩.

(٥) ينظر: البيان المغرب ج١ ص ٨٠.

استقرار وبناء الحضارة^(١). فكان أكبر من رفع لواء العلم ومكانة العلماء في عصر الأمراء، وقد ظهرت في عهده العلوم - غير الشريعة واللغة - كعلم الفلك والجغرافية والرياضيات، وكان رائد هذا الفن من العلوم هو عباس بن فرناس^(٢).

وكان من مخترعاته الصناعية، صناعة الزجاج، فهو أول من اخترع صناعة الزجاج من الحجارة، وهو كذلك أول من عُرف بعلم الفلك، ورصد حركات الكواكب، ويقال: إنه وضع في بيته قبة كهيئة السماء مثل فيها الأفلاك والنجوم والسحب. والبرق والرعد^(٣).

وقد اخترع ساعة لمعرفة الأوقات وسماها المثقاله (٥) وأهداها إلى الأمير فقال:

ألا إنني للدين خير أداة إذا غاب عنكم وقت كل صلاة
ولم تر الشمس بالنهار ولم يبن كوكب ليل حالك الظلمات
بيمن إمام المسلمين محمد تجلت لي الأوقات للصلوات^(٤)
وهو أول من حاول اختراع الطيران، فصنع أجنحة من الريش فطار
بها مسافة ثم سقط^(٥) وكان هذا سبب وفاته.
ولقد كان الأمير عبد الرحمن مكرماً للعلماء والأدباء، فيعطيهم

(١) ينظر: كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب ص ٢٠ / دار الكشوف - لبنان ١٩٥٦م، ونفح الطيب ج١ ص ٣٤٧

(٢) هو أبو القاسم عباس بن فرناس التاكرني حكيم الأندلس بربري الأصل من موالى بني أمية، كان صاحب اختراعات وتوليدات توفي سنة ٢٧٤. ينظر: بغية الملتمس رقم ١٢٤٧ ص ٤١٨ - وطبقات النحويين واللغويين ص ٢١٧. ونفح الطيب ج٣ ص ٣٧٤.

(٣) ينظر: نفح الطيب ج٣ ص ٣٧٤ وفيه كما اخترع الشكل الفلكي، قال مؤمن بن سعيد:

(سماء عباس الأيب الـ قاسم ناهيك حسن رائقها
أما صراط استه فراعدا فليت شعري ما لمع بارقها
لقد تمنيت حين نومها فكري بالبصق في است خالقها

والأبيات تدل على التهكم والانتكار لصناعتها.

(٤) ينظر: تاريخ التعليم في الأندلس ص ٩١.

(٥) نفح الطيب ج٣ ص ٣٧٤.

الأموال الكثيرة، حتى أن بعض خزان بيت المال استنكر عليه عندما أراد أن يعطي زرياب -^(١) عندما مدحه بقصيدة أعجب بها الأمير - فأراد أن يعطيه مبلغاً كبيراً من المال، فامتنع الخازن من دفع المبلغ وقال: إن المال مال المسلمين فلا يمكن أن يصرف في مثل هذه الوجوه.

وفي هذا قال ابن القوطية: (فمن أخباره - يعني زرياب - أنه غناه يوماً صوتاً استحسنته، فقال: يؤمر الخزان أن يدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار، فأتاهم صاحب الرسائل بالعهد... فنظر الخزان بعضهم إلى بعض. فقال لهم موسى بن حدير، وكان شيخهم: قولوا. فقال له أصحابه: مالنا قول مع قولك، فقال لصاحب الرسائل: نحن وإن كنا خزان الأمير - أبقاه الله - فنحن خزان المسلمين نجبي أموالهم، وننفقها في مصالحهم، ولا والله ماينفذ هذا! ولا منا من يرضى أن يرى هذا في صحيفته غداً، أن نأخذ ثلاثين ألفاً من أموال المسلمين وندفعها إلى مغن في صوت غناه، يدفع إليه الأمير أبقاه الله ذلك من مما عنده.

فانصرف صاحب الرسائل الخارج بالصك وقال:... نافق الخزان... فقال زرياب: ماهذه طاعة. فقال عبد الرحمن بن الحكم: هذه الطاعة ولأولينهم الوزارة على هذا الأمر، وصدقوا فيما قالوا)^(٢).

وكثيراً مايعجب المرء عندما يقرأ مثل هذا النص، ويقارنه بواقع المسلمين اليوم، حكام قد تحكّموا في رغبات أنفسهم، فأثروا رضى الله على هوى النفس، وخزان أمناء يعرفون حقوق الراعي والرعية، فيحفظون حق الراعي ببذل النصح له، ويحفظون حقوق المسلمين في مصالحهم العامة.

والخلاصة إن عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم من أعظم عهود العلم والمعرفة في جميع الفنون بالنسبة لعصر الأمراء، وهو من أزهى أيام عصر الإمارة. ولقد تبع أثر الأمير عبد الرحمن ابنه محمد عندما

(١) هو أبو الحسن علي بن نافع مولى المهدي العباسي دخل الأندلس سنة ٢٠٦هـ وهو أول من أظهر فيها صناعة الغناء. ينظر نفع الطيب ج٣ ص ١٢٢ ومابعدها.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص ٨٣-٨٤.

تولى الإمارة، فبالغ في إكرام العلماء وتشجيعهم على العلم والتعليم، وكان ممن جمع الكتب وأسس المكتبة الأندلسية مثل والده عبد الرحمن. وأكبر دليل على احترامه للعلم وأهله قصته مع العالم الجليل بقي ابن مخلد^(١) وكذلك مع العالم محمد بن عبد السلام الخشني^(٢). وكذلك ابنه الأمير عبد الله كان من أهل الخير والعلم والصلاح. وإن كان عهده يعتبر عهد الفتن والحروب الداخلية، إلا أن التعليم كانت له مكانته العالية، وأهل العلم كانوا هم المقربين إلى الأمير عبد الله^(٣).

ثم جاء عصر الخلافة، عصر قرطبة الذهبي، عصر عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، ثم عصر الحاجب المنصور بن أبي عامر. هذا العصر الذي بلغت فيه جميع العلوم ذروتها في الأندلس.

قال القاضي أبو القاسم صاعد الأندلسي: (ثم لما مضى صدر المائة الرابعة انثدب الأمير الحكم المستنصر بالله ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله - وذلك في أيام أبيه - إلى العناية بالعلوم، وإلى إثارة أهلها، واستجلبت من بغداد ومن مصر، وغيرهما من ديار المشرق، عيون التأليف الجليلة، والمصنفات الغريبة، في العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه من بعده ماكاد يضاها ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة... فتهيأ له ذلك لفرط محبته للعلم، وبعد

(١) خلاصة القصة إن بقي بن مخلد لما رجع من رحلته الطويلة في طلب العلم دخل الأندلس ومعه كتاب المصنف لابن أبي شيبه، فاستنكره فقهاء قرطبة لكثرة اختلاف الروايات عليهم، ومنعوه، ووشوا به إلى الأمير، فاستدعاه الأمير محمد ومعه الكتاب المذكور، وجعل الأمير يتصفح الكتاب. ثم قال: هذا كتاب لا تستغني عنه خزانتنا. وأمر بقي أن ينشر علمه. ينظر: نفع الطيب ج ٢ ص ٥١٨، والمقتبس لابن حبان ص ٢٤٨ تحقيق محمود علي مكي.

(٢) وأما قصة محمد بن عبد السلام الخشني، فإنه جاء بكتاب الناسخ والمنسوخ، فاستنكره عليه بعض أهل قرطبة وحبسه صاحب السوق محمد بن حارث. ولما بلغ خبره الأمير محمد أمر بإطلاقه والاعزاز له/ ينظر: المقتبس ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٣) المقتبس ص ٣٣ وما بعدها نشر: ملشوروم أنطونية.

همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك^(١).

فيكون الحكم بن عبد الرحمن هو أول وزير للتعليم معين من قبل الدولة في الأندلس^(٢). وأصبحت الأندلس في عهد الخلافة مأوى العلماء من كل أرجاء العالم في جميع فنون العلم، وجمعت من كل أنواع الحكم، فنفتت للعلم سوقه، فوصل إلى الأندلس في هذا العهد كثير من علماء الأقطار الإسلامية وغيرها، فمن ذلك وصول العالم المصري أحمد بن عبد الرحمن القرشي إلى الأندلس^(٣). كما وصل العالم اللغوي أبو علي القالي البغدادي إلى الأندلس وقد استقبله الحكم بن عبد الرحمن الناصر، استقبالا حافلا^(٤). ولم يكتف الخلفاء بجلب العلماء من العالم الإسلامي فحسب بل طلبوا مترجمين لبعض العلوم من الدولة البيزنطية. فمن ذلك إن ملك بيزنطا لما أهدى إلى الناصر كتاباً في الطب، طلب منه الناصر أن يبعث إليه رجلاً يتكلم الأغريقية والليطانية، ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين، فبعث إليه رجلاً من الرهبان يسمى: نقولا فوصل إلى قرطبة سنة ٣٤٠هـ فقام بمهمته التعليمية^(٥).

وبلغ من اهتمام الخلفاء بالعلم في هذا العهد أعلى الذروة، فقد تحول جامع قرطبة إلى جامعة دولية يؤمها طلاب العلم من كل مكان. وجلب إليه العلماء من كل الأقطار للتدريس من الأندلس وخارجها. والاهتمام بالكتب وجمعها من أقطار العالم، وتشجيع العلماء للتأليف في فنون العلم المختلفة، حتى أن مكتبة الخليفة الحكم المستنصر بلغت مبلغاً عظيماً

(١) كتاب طبقات الأمم ص ٦٥ للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، نشر المطبعة الكاثوليكية/بيروت ت ١٩١٢م.

(٢) ينظر: تاريخ التعليم في الأندلس ص ١٠٨.

(٣) أحمد بن عبد الرحمن القرشي لم أجد ترجمته.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) ينظر: مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد العدد (٢٢) ص ٧١ سنة ١٩٨٤.

لدرجة أن فهارسها بلغت أربعة وأربعين مجلداً^(١).

المطلب الثاني: مكان التعليم

إن مكان التعليم في الأندلس في الغالب هو المسجد كما كان في كل البلاد. فالمسجد كان مكان التعليم للكبار والصغار. فمن تعليم الصغار في المسجد، القصة التي ذكرها الخشني في كتابه قضاة قرطبة حيث قال: (قال «رجل»: شهدت مجلس عمرو بن عبد الله يوماً من الأيام في المسجد المجاور لداره، فرأيت جالساً يحكم بين الناس، وعليه ثوب، وهو جالس في ركن المسجد، مع من جلس إليه من أهل الحوائج والخصومات. وفي الركن الثاني الذي يقابله مؤمن بن سعيد^(٢) قد جلس مع من جلس إليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الأدب، قال: فتلاحى حدثان من جلاس مؤمن في شيء، فرفع أحدهما يده بخف فضرب صاحبه فأصابه، ثم سقط الخف بعد الضربة في مجلس القاضي، وظن من حضر أنه ستكون منه صولة، فما زاد أن قال: لقد آذانا هؤلاء الأحداث. قال: فرأيت الأحداث يتسللون لوأذاً فرقاً من القاضي، وحشمة مما أتى من جهتهم^(٣). فدل ذلك على أن المسجد كان مدرسة يتلقى فيها جميع أنواع العلوم.

أما تلقي الكبار العلم في المسجد فهذا كان هو الغالب العام، فإن العلماء الكبار كانت دروسهم في المساجد، فهذا عبد الملك بن حبيب يقال عنه إنه كانت له أكبر حلقة في المسجد الجامع بقرطبة وعندما يخرج من الجامع يخرج معه ما يقارب أكثر من ثلاثمائة شخص يسألونه في

(١) ينظر: نولة الإسلام ج٢ ص وتاريخ الأندلس العربي ص ٦٥، وتاريخ التعليم في

الأندلس ص ١٣٦.

(٢) مؤمن بن سعيد لم أجد ترجمته.

(٣) قضاة قرطبة ص ١٤٩-١٥٠.

مختلف العلوم^(١).

والمسجد كان هو مكان العلم المعروف والشامل لكل الناس ولهذا قال المقرئ: (أهل الأندلس في فنون العلم... أحرص الناس على التمييز، فالجاهل الذي لم يفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالية على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة... ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرأون جميع العلوم في المساجد)^(٢). فهذا يدل على مكانة المسجد، وكذلك كان في الغالب تعليم الكبار في المساجد.

□ المدرسة الخاصة:

إضافة إلى المساجد كانت هناك مدارس خاصة، وعامة للتعليم، فمن المدارس الخاصة، مدارس اليهود والنصارى، فإنهم كانت لهم مدارس، ولا ندرى هل كانت في الكنائس والمعابد أم خارجها، إلا أن الشيء المؤكد كانت لهم مدارس بدليل إن الأمير هشام بن عبد الرحمن، أمر بإدخال اللغة العربية في مدارس اليهود والنصارى^(٣) وذلك يعتبر من سياسته الحكيمة، وأسلوبه الدعوى الناجح، لأن هؤلاء بتعلمهم اللغة العربية سهل عليهم فهم الإسلام حتى اقتنعوا بتعاليمه ودخلوا فيه وخاصة النصارى.

كما أن الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله اعتنى ببناء المدارس فقد أنشأ في قرطبة عدة مدارس، قد بلغ عدد المدارس التي تدرس مجاناً أولاد الناس سبع وعشرين مدرسة، منها ثلاثة بجوار المسجد الجامع بقرطبة والباقي في أماكن مختلفة من أحيائها^(٤)، وقد

(١) ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون ج٢ ص ٩.

(٢) نفع الطيب ج١ ص ٢٢٠.

(٣) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٣٢٩.

(٤) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٤٠.

خصص للمدرسين رواتب وأوقاف لكي يدرسوا الطلاب دون مقابل منهم .

□ أماكن التعليم غير المسجد والمدرسة:

هناك كانت أماكن أخرى غير ما ذكر خصصت للتعليم أو كانت يدرس فيها العلم، منها بيت المدرس نفسه، فإن بعض المشائخ كانوا يدرسون في بيوتهم فمن ذلك ما ذكره ابن بشكوال إن أحد المشائخ كان يقصده طلاب العلم في داره وهم نيف وأربعون تلميذاً، وكان في مجلسه فخامة، وفي موسم البرد كان يضع وسط المجلس كائناً كبيراً مرتفعاً مملوءاً فحمًا، من أجل الدفء، وكان إذا فرغ من تدرسيهم قدم لهم موائد الطعام^(١).

ومن أماكن التعليم: قصور الأمراء، فإن قصر بني أمية كان يعتبر محلاً للعلم والتعليم، فكان من عاداتهم جلب العلماء الكبار إلى القصر لتأديب أولادهم^(٢). فكان قصرهم مدرسة التعليم ومكتبة العلم التي يجتمع فيها العلماء للبحث والتأليف^(٣). وقد اشتهرت قصورهم بالعلم حتى أن جواريتهم كن يقرأن ويكتبن ويعلمن في داخل القصر^(٤).

ومن أماكن التعليم: السجون فكان من اهتمام الدولة بالعلم، كانوا يخصصون من يعلم السجناء والرهائن وذلك ما ذكره ابن القوطية بقوله: (لقد خطر يوماً بدار الراهائن المجاورة لباب القنطرة - يعني الوزير

(١) ينظر: الصلة ج١ ص ٤١ وهو الفقيه أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري (ت ٤٠٣).

(٢) فكان عبد الرحمن الداخل وابنه هشام كان مؤدب أولادهما الغازي بن قيس. العالم المشهور.

وكما أن الحكم بن الناصر كان مؤدب ابنه هشام هو العالم الفقيه يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي الفقيه المشهور تلميذ الامام مالك. ينظر: المقتبس لابن حبان ص ٢١٦ تحقيق عبد الرحمن على الحجي (عهد الحكم بن عبد الرحمن).

(٣) ينظر: جذوة المقتبس ص ٤٧ وتاريخ ابن خلدون ج٤ ص ١٤٦.

(٤) ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (الأندلس) ص ٧٠.

أمية بن عيسى -^(١) ورهائن بني قيس ينشدون شعر عنتره، فقال لبعض الأعراب: انتوني بالمؤدب، فلما نزل إلى فراش المدينة، وأتاه المؤدب، قال له: لولا إني أعذرك بالجهل لأدبتك، تعمد إلى شياطين شجي بهم الخلفاء فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة. كف عن هذا، ولا تروهم إلا خمريات الحسن بن هاني وشبهها من الأهل^(٢).

فإن هذا النص يدل على اهتمام الدولة بتعليم الرهائن والسجناء وتعيين المعلمين لهم. فكان مكانهم من أماكن التعليم.

هذا بالنسبة للأماكن التي يتلقى فيها الناس العلم كجماعات، وهناك أماكن أخص من هذا وهي المنازل الخاصة، فإن بعض الأشخاص كانوا يهتمون بتعليم أبنائهم في منازلهم الخاصة، فيؤجرون لهم المعلم الخاص، وذلك ما يوجد في كتب الوثائق الأندلسية من صيغ عقود الوثائق بين المعلم وأهل الولد، أو الأولاد، فذكر ابن العطار^(٣)، أمثلة منها (استأجر فلان بن فلان، فلان بن فلان المعلم، ليعلم ابنه فلاناً أو ابنته فلانة أو بنيه فلاناً وفلاناً وفلاناً، القرآن نظراً أو ظاهراً، والكتب والخط والهجاء، عاماً أوله شهر كذا، من سنة كذا، بكذا وكذا ديناراً صفة كذا، يؤدي إليه كل شهر ما ينوبه منها، وكذلك كذا وكذا، ويدفع إليه في كل شهر في أوله، من دقيق القمح الطيب الريون الجيد الطهر ربعين أو ثلاثة، بوزن كذا، ومن الزيت نصف ربع من زيت الماء الطيب الأخضر بكيل كذا. ويشرع المعلم في التعليم المذكور وعليه الاجتهاد... فإن اشترطت عليه في الأعياد شيئاً ذكرت ذلك، وقلت: ويدفع إليه في عيد الفطر كذا وفي عيد

(١) أمية بن عيسى بن شهيد مولى معاوية بن مروان بن الحكم، وهو من أسرة اشتهرت بخدمة الدولة الأموية في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل وأميه هذا كان من أهل الصلاح والصبية، تولى الحجابة للأمير عبد الرحمن وابنه محمد - مات سنة ٢٤٣هـ. ينظر: المقتبس من ٢٦ تحقيق الدكتور محمود علي مكي - وتاريخ افتتاح الأندلس من ٩٨ - ٩٩.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس من ٩٤.

(٣) هو محمد بن أحمد الأموي المتوفى سنة ٣٩٩.

الأضحى كذا ويعطيه عند حفظه الصبي فلان القرآن كله كذا . شهد...^(١).
كل هذه الأمور جعلت الأندلس بلد علم وعلماء، ورفعت منزلة أهله في
كل المجالات العلمية، حتى قال ابن خلدون في ذلك: (وأما أهل الأندلس
أفادهم التفنن في التعليم، وكثرة رواية الشعر، والرسائل، ومدارسة
العربية من أول العمر: حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان
العربي)^(٢).

والخلاصة إن الدولة الإسلامية في الأندلس كان همها الأكبر هو
نشر الإسلام، ولهذا اهتموا بالتعليم اهتماماً كبيراً، حتى أن الأندلس
أو قرطبة بالذات في عهد الخلافة كانت قد أختفت فيها الأمية لدرجة أن
في حي واحد من أحياء قرطبة كان هناك مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن
القرآن بالخط الكوفي^(٣). وقد اشتهرت بعض النساء بكثرة العلم في ذلك
العهد الأموي، منهن: البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم^(٤).
ومنهن أم الحسن بنت سليمان بن وانسوس^(٥).

فالتعليم كان في الأندلس شاملاً لكل فئات المجتمع، كما كان شاملاً
لكل الفنون العلمية.

وللتعليم كان أثر كبير في نشر الإسلام في الأندلس، حيث كانت بلاد
العلم والعلماء الذين وقفوا حياتهم لنشر العلم وتعليم الناس، العلماء
الذين تخرج منهم حملة العلم الذين ملؤوا بلاد الأندلس علماً في كل
المجالات. وتأثرت بهم كل أوروبا.

(١) ذكر هذا النص الدكتور/ محمد بن عبد الحميد عيسى في كتابه تاريخ التعليم في
الأندلس ص ٤٧٨ وعزاه إلى مخطوط كتاب الوثائق والسجلات، لابن العطار، ولم أجد
هذا النص في النسخة المطبوعة، التي طبعها المعهد الإسباني عام ١٩٨٣ بمدريد.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٥٢

(٣) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب ص ٤٥٦ لعبد الواحد المراكشي،
تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان، طبعة القاهرة سنة ١٣٨٣هـ.

(٤) ينظر: الذيل والتكملة للمراكشي القسم الثامن ج٢ ص ٤٨٤ طبعة المغرب تحقيق
محمد شريفة.

(٥) المرجع السابق ص ٤٨١.

المبحث الثالث

تأثير التعليم في دعوة غير المسلمين في الأندلس

إن العلم نور، والنور لا بد أن يفتت الظلام، ولهذا أصبحت الأندلس مركز إشعاع لهذا النور العلمي في أوروبا كلها بفضل الله الذي أدخل الإسلام في الأندلس ثم بفضل جهود حكام المسلمين الذين بذلوا كل النفيس والغالي في نشر العلم والمعرفة.

وباتفاق جميع المؤرخين إن الأندلس لم تكن ذات حضارة ولا أي علم قبل دخول الإسلام إليها، باستثناء علم الكنيسة الكاثوليكية والذي كان لا يتعدى دير الكنيسة وتعاليمها المنحرفة. ولما دخل الإسلام الأندلس، أخذ المسلمون بتعليم الناس كل ما يصلحهم، فكان تعليم الإسلام لمن دخل في دين الإسلام، وبجانبه تعليم اللغة العربية التي تسهل فهم الإسلام، فكان تعليمها مبدولاً لكل المجتمع الأندلسي، حتى أن الكنيسة نفسها اضطرت - بعد خمسين سنة - أن تترجم تعاليمها الكنيسية إلى اللغة العربية لرعاياها النصارى^(١).

فقد فتحت أمام النصارى وغيرهم كل فرص التعليم حتى أصبحت اللغة العربية لغتهم العامة فعرفوا بالمستعربين^(٢). وأعجبوا بالعلوم العربية وآدابها، حتى أن بعض القساوسة أصبح يتبرم من ذلك، ويقول: (واحسرتاه! إن الشباب المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة غير علوم العرب وآدابهم ولغتهم، فهم يقبلون في نهم على دراسة كتب العرب، ويملأون بها مكتباتهم، وينفقون في سبيل جمعها أموالاً طائلة، وهم أينما كانوا يتغنون بمدح علوم العرب)^(٣).

وأتت هذه العلوم ثمارها فقد دخل كثير من النصارى إلى الإسلام عن

(١) ينظر: الدعوة إلى الإسلام ص ١٦١.

(٢) فجر الأندلس ص ٤٢٥ وبولة الإسلام ص ٢٠٦.

(٣) قصة الحضارة ص ٢٩٧.

علم وبصيرة منهم الأديب القومس بن انتينان الذي تولى الكتابة للأمير محمد بن عبد الرحمن^(١) وأسرتة دخلت أيضاً في الإسلام^(٢) وفي عهد الخلافة تحول كثير من النصارى إلى الإسلام عن قناعة لأن عصر الخلافة كان من أزهى عصور الأندلس العلمية^(٣).

كما تحول كثير من النصارى إلى الإسلام في عهد الأمراء، وخاصة عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم.

ولم يكن قاصراً التأثير العلمي في الأندلس على النصارى الذين كانوا يعيشون في ظل الحكم الإسلامي فحسب بل تعداه إلى أوروبا كلها، فكان طلاب العلم ومحبيه من أوروبا يهرعون إلى مراكز الحضارة الأندلسية، ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع، والاطلاع على كتب العرب، وقد اشتهر منهم مجموعة بعلوم المسلمين التي اقتبسوها من الأندلس، ومن هؤلاء الراهب الفرنسي (جربرت دي أورياك^(٤)) الذي وفد إلى الأندلس في عصر الحكم المستنصر وأهتم بصورة خاصة بدراسة العلوم الرياضية وبرع فيها، حتى خيل لعامة فرنسا بعد رجوعه إنه ساحر^(٥). وهناك بعثات علمية أرسلت إلى الأندلس بصفة رسمية لتلقي العلوم على أيدي المسلمين في الأندلس فقد أرسل ملوك أوروبا بعثات عدة بلغت في عهد الخليفة الناصر - خاصة سنة ثلاثمائة واثنى عشرة هجرية - زهاء سبعمئة طالب وطالبة، وكانت إحدى هذه البعثات من فرنسا، برئاسة امرأة تدعى (إليزابيث) بنت خال الملك

(١) ينظر: المقتبس ص ١٤٢ تحقيق محمود علي مكي.

(٢) يفهم إسلام أسرته من قصة النزاع التي حصلت بين القاضي سليمان بن أسود والوزير هشام بن عبد العزيز في تركة القومس بعد وفاته حيث ادعى الوزير موت القومس على النصرانية وطالب أن تكون تركته لبيت مال المسلمين/ ينظر: قضاة قرطبة ص ١٦٠.

(٣) ينظر نولة الإسلام ج٢ ص ٥١٥.

(٤) جربرت دي أورياك، هو الذي أصبح بابا روما فيما بين ٣٩٠ - ٣٩٤هـ.

(٥) ينظر: حضارة الإسلام ص ٣٩٦ وما بعدها جلال مظهر، وتأريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ص ٤٧٥ خليل السامرائي.

الفرنسي آن ذاك - لويس السادس.

كما أرسل ملك بافاريا^(١) إلى الخليفة هشام الثاني^(٢) خطاباً يطلب فيه أن يأذن له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس للاطلاع على مظاهر التقدم الحضاري فيها والاستفادة منها. فوافق الخليفة هشام على طلبه، فجاءت البعثة برئاسة أحد وزراء الملك يدعى (ويلميين) واسمه العربي: وليم الأمين. وكان عدد أفراد هذه البعثة مائتين وخمسة عشر طالباً وطالبة. وقد اعتنق منهم ثمانية أشخاص الإسلام، ومكثوا في الأندلس ورفضوا العودة إلى بلادهم. ومن هؤلاء الثمانية ثلاث فتيات تزوجت في الأندلس وكان من أبناءهن العالم الفلكي عباس بن مرداس^(٣).

كما أرسل ملك ويلز بعثة إلى الأندلس اختلف المؤرخون في وقت إرسالها^(٤) إلا أن هذه البعثة جاءت برئاسة ابنة أخت أخ الملك وكانت تحمل رسالة من ملك ويلز إلى خليفة المسلمين جاء فيها: (قد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل)^(٥).

وكان لهذه الرسالة أثرها الطيب على هذه البعثة، فقد قرر الخليفة أن تكون نفقة هذه البعثة على بيت مال المسلمين^(٦).

ولم يكتف ملوك أوروبا بإرسال البعثات الطلابية إلى الأندلس فحسب بل طلبوا استقدام علماء مسلمين إلى بلادهم لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم وال عمران. ففي القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت كلاً

(١) لعله ملك بلغاريا.

(٢) هو هشام بن الحكم المستنصر.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) ينظر: مجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٧ سنة ١٣٨٨م ص ٩٠.

(٥) نفس المجلة.

(٦) ينظر: دراسات في تاريخ الفكر العربي ص ٢٨٦ إبراهيم خليل السامرائي، طبعة

الموصل ١٩٨٣م.

من هولندا وسكسونيا وإنجلترا، على عقود مع تسعين معلماً في الأندلس الذين يجيدون مختلف العلوم، وعقوداً أخرى مع حوالي مائتين خبير في مختلف الصناعات، وقد أقام المهندسون العرب جسراً على نهر التايمس في بريطانيا عرف بجسر هليشم^(١). فالمسلمون قد أثروا على أوروبا كلها بهذا العلم الغزير في مختلف الفنون، وكانوا هم السبب الأول لقيام نهضة أوروبا الحديثة.

(١) نفس المرجع ص ٣٨٧.

الباب الخامس

نتائج الدعوة وعوامل نجاحها

الفصل الأول: نتائج الدعوة

المبحث الأول: تحول غير المسلمين إلى الإسلام

المبحث الثاني: قيام الحضارة الإسلامية

الفصل الثاني: عوامل النجاح

المبحث الأول: محاسن الإسلام

المبحث الثاني: خصائص الدعوة

الفصل الأول نتائج الدعوة

لقد حققت الدعوة الإسلامية نجاحاً عظيماً في كل مكان، وفي الأندلس كذلك. لقد توطد أركان الإسلام في الأندلس، وأقام دولة عظيمة كانت تنافس - في جميع الأمور - خلافة الإسلام في بغداد، حتى قيل عنها: (واستقام للإسلام بها ملك كبير، وسلطان شهير، قد أنفرد بعموم خيره عن غيره، وغني بما حواه، عن سواه ولذلك ما نقل عن المنصور العباسي إنه قال - وقد جرى ذكر بعض أصداده من ملوكها «يعني الأندلس» - : «وما الذي يقال في رجل يركب من نتاجه، ويلبس من ديباجه، وينفق من خراجه» قلت: ولو شاء لزاد: ويأكل من علاجه، ويتقرب إلى الله بجهاد أعالجه»^(١).

ويمكن ذكر مختصر عن نجاح الدعوة في الأندلس تحت المباحث الآتية:

(١) كتاب اعمال الأعلام ص ٥.

المبحث الأول تحول النصارى إلى الإسلام

إن المسلمين لما فتحوا الأندلس، عاملوا أهل البلاد معاملة حسنة فأقاموا العدل وقمعوا الظلم، وكفلوا الحريات، ولم يجبروا أحداً للدخول في الإسلام. ولما رأى أهل البلاد حسن معاملة المسلمين، واستقامتهم في دينهم تحول كثير منهم إلى الإسلام وخاصة الطبقات التي كانت مضطهدة خلال الحكم القوطي^(١).

وقد استمر دخول النصارى في الإسلام فترة طويلة، ففي عهد الولاة دخلت في الإسلام مجموعات كبيرة، فإن عقبة بن الحجاج أسلم على يديه ألفا شخص^(٢) مما يدل على تحول كثير من أهل البلاد إلى الإسلام، فهذا شخص واحد أسلم على يديه الكم الكبير، ولاشك قد أسلم على أيدي غيره أعداد أكثر من هذا. وإن كانت كتب التاريخ لا تسعفنا بالأعداد التي دخلت في الإسلام في هذه الفترة، إلا نادراً. إلا أن هناك دلالات تشير إلى كثرة تحول الناس إلى الإسلام، مثل كثرة الجيوش الإسلامية المجاهدة.

ولما دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس، وأقام الدولة الأموية الجديدة في الأندلس، تحول على عهده كثير من النصارى إلى الإسلام، ولعل الأمير عبد الرحمن بذل جهوداً كبيرة في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، مع التسامح وحسن المعاملة التي كانوا يلقونها، ولهذا قال أحد المؤرخين المعاصرين: (أخذ سكان اسبانيا المسيحيون يتحولون - في ظل التسامح الإسلامي - إلى الإسلام رويداً رويداً، بعد أن كانوا يشكلون عاملاً خطيراً في إثارة القلاقل، أمام عبد الرحمن، فجاء تحول الغالبية العظمى منهم إلى الإسلام، وتحمسهم له وتعصبهم له، عاملاً هاماً في توطيد سلطة عبد الرحمن في أسبانيا)^(٣) ثم لما تولى بعد عبد الرحمن الداخل ابنه هشام أهتم بالدعوة والتعليم، وجعل لغة التعليم لغة واحدة: هي اللغة العربية لجميع فئات المجتمع الأندلسي وكان لهذا العمل آثار

(١) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٦٢ والدعوة إلى الإسلام ص ١٥٥.

(٢) ينظر: البيان المغرب ج٢ ص ٢٩ وقضاة قرطبة ص ٣٨.

(٣) نولة الأفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ص ٨١ لمحمد محمد مرسى.

طيبة في تقارب فئات المجتمع ووحدة ثقافته. وقد انتشرت اللغة العربية في الأندلس حتى أصبحت اللغة الوحيدة للعلم والمعرفة للمسلمين وغير المسلمين، لدرجة إن غير المسلمين أصبحوا يعرفون بالمستعربين، خاصة النصارى منهم^(١).

وفعل الأمير هشام في توحيد لغة التعليم كان له أكبر الأثر في تحول غير المسلمين إلى الإسلام عن علم وقناعة^(٢).

ولهذا قد استمر دخول النصارى إلى الإسلام على معرفة تامة ففي عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم تحولت مجموعات كبيرة منهم إلى الإسلام^(٣) كما أن هناك أفراد ذُكروا باسمائهم دخلوا في الإسلام مثل الكاتب قومس بن إنتنيان^(٤).

ومما يدل على استمرارية دخول الأفراد إلى الإسلام، وجود الوثائق التي كان يكتبها العلماء من القضاة وغيرهم، بإعلان إسلام الشخص سواء كان ذكراً أم أنثى، ومن أمثلة هذه الوثائق ما ذكره ابن العطار، فقد ذكر صيغ لوثائق كيفية إسلام نصراني، ويهودي، ومجوسي، وكذلك النساء^(٥). وبين ما يترتب على إسلامهم من الأحكام.

والمعلوم إن ابن العطار عاش في القرن الرابع، فذكره مثل هذه يدل على استمرارية دخول النصارى وغيرهم إلى الإسلام، وتأثرهم بالمسلمين، حتى أن الأطفال كانوا يعلنون إسلامهم أمام قضاة المسلمين^(٦).

وقد ساعد تحول غير المسلمين إلى الإسلام في الأندلس، بالإضافة إلى إنتشار اللغة العربية التي سهلت عليهم فهم الإسلام: القدوة الحسنة التي كانوا يجدونها في المسلمين والتي كان لها الأثر الكبير في قناعتهم بالإسلام.

(١) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص٦٦ وفجر الأندلس ص ٤٢٥.

(٢) ينظر: نولة الأفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ص ٨٣.

(٣) ينظر: نولة الإسلام ج١ ص ٥١٥.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) سيأتي ملحق خاص بالوثائق.

(٦) ينظر: وثائق قضاء أهل الذمة في الأندلس ص ٤٣ و ٤٦.

والخلاصة إن الأندلس في ظلّ الحكم الإسلامي أصبح غالبية سكانها العظمى من المسلمين، وكان غير المسلمين في المجتمع الإسلامي الأندلسي قلة جداً. وخاصة في وقت عظمة الدولة الإسلامية.

ولم تبلغ الأندلس في السياسة والحضارة وخدمة الإسلام ونشره إلى جميع الناس، مابلغته في عهد الحكم الأموي وخاصة عهد الخلفاء، من عام ٣٠٠هـ إلى سنة ٣٩٩هـ فهذا العهد عهد عز الأندلس كلها. ولاشك في هذا العهد تحول إلى الإسلام كثير من غير المسلمين.

ولما تحولت الأندلس إلى دويلات حتى أدى التفرق إلى النهاية المؤلمة بنهاية حكم الإسلام على أيدي النصارى الحاقدين عام ٨٩٧هـ كان سكان الأندلس إلى هذا التاريخ غالبيتهم من المسلمين، ولا أدل على ذلك من أنه لما فرض عليهم التنصير الأجنبي هاجر كثير منهم إلى أفريقية، ومن أكره منهم إلى النصرانية ، صدر في حقهم بعد قرن تقريباً الطرد والإخراج من الأندلس كلها للشك في صدق إيمانهم بالنصرانية فؤخرج من الأندلس ثلاثة ملايين كلهم من المسلمين الذين كانوا يخفون إسلامهم^(١) وبعد هذا أقيمت في الأندلس محاكم التفتيش التي كانت تطارد كل من وجد عنده شيء يمت إلى الإسلام بصلة، فكانت حصيلتها اثني عشر مليون قتيل كلهم ماتوا تحت مطارق التعذيب^(٢) ومع ذلك كله بقي مسلمون حتى اليوم في الأندلس وهذا يدل على مدى تأثير الإسلام في مجتمع الأندلس. وكان المسلمون هم الغالبية العظمى. ولاشك أن هذه الغالبية كانت من أهل البلاد الذين تحولوا إلى الإسلام خلال الحكم الإسلامي.

(١) ينظر: نولة الإسلام في الأندلس ج٦ ص ٤٠٢.

(٢) السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي ص ٣٢٠، نشر: دار الشروق، ١٦ عام ١٣٩٧هـ.

المبحث الثاني الحضارة الإسلامية

لقد قامت دولة الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي سنة اثنتين وتسعين هجرية، وقد بلغت أعلى قوة وعظمة، خاصة في عهد الخلافة الأندلسية، من سنة ٣١٦ إلى ٣٩٩هـ فقد كانت في هذه الفترة أقوى دولة وأعظم دولة ذات قيم وحضارة راقية، حتى أن دول أوروبا كلها أصبحت تسارع إلى مصادقتها وتخطب ودّها، وتدخل تحت حلفها، رغبة فيما عند المسلمين من خيرات، ورهبة من قوتهم وبأسهم.

وقد بلغت حضارة الإسلام في الأندلس أعظم مبلغ في جميع شؤون الحياة، وقد شهدت كتب جميع المؤرخين بذلك، قال أحد المستشرقين (أسفر تاريخ الأندلس عن حضارة... تباين جهل شعوب الغرب وهمجيتها، وبينما كان ظلم القوة مطبقاً على أوروبا النصرانية كان عرب أسبانيا يدركون أعمال السلم ويحترمون آثار الذكاء مع المحافظة على نشاطهم الخلقى... وإذا كان العرب قد زاولوا العلوم والفنون لم يكونوا في ذلك كالفرنجة الذين أطاعوا شارلمان المسيطر، بل مارسوها وفق سجيبتهم، فلم يفعل الخلفاء غير مداراة الرأي العام، وما آتاه الخلفاء من الحث على الآداب والتجارة والصناعة، قوبل بالشكر من قوم كانوا مقدرين لهذه المقومات)^(١).

إن هذه الحضارة كانت ذات أسس ثابتة، فهي مبنية على الإيمان بالله عز وجل، مبنية على مبادئ الإسلام الطاهرة، وشاملة لكل شؤون الحياة، ترعاها أيدي إسلامية محافظة على دينها وقيمها الأخلاقية.

تلك الحضارة التي كانت تباين أوروبا في كل شيء، ففي جانب العلوم كانت الأندلس هي منبع كل العلوم الهندسية والرياضية والجغرافية

(١) تاريخ العرب العام ص ٢٩٢ تأليف المستشرق: ل - أسيديو ترجمة عادل زعيترو.

والتاريخية والفلسفية^(١)، إضافة إلى العلوم الدينية. وفي جانب الزراعة والصناعة كانت الأندلس أفضل البلاد في وقتها حتى قيل: بفضل هندسة العرب كان الماء يجري في كل مكان^(٢). وفي جانب الصحة كان في قرطبة وحدها خمسين مستشفى لعلاج المرضى، في الوقت الذي كان لا يوجد فيه مستشفى في أوروبا^(٣). لقد أسس الإسلام أعظم حضارة في الأندلس عرفت عبر كل العصور تلك الحضارة الشاملة التي لا زالت تعيش على آثارها اسبانيا والبرتغال حتى اليوم. ففي جانب الهندسة، عرفت الأندلس بعمارتها التي أمتازت بها وهي (العقود في البناء فنرى أنهم شغفوا بهذا النحو من العمارة وبنو على أساسه مساجدهم وقصورهم^(٤) وخير شاهد على هذا مسجد قرطبة.

أما الصناعة في الأندلس كان لها أعظم شأن حيث كانت لأهل الأندلس اكتشافات صناعية كإكتشافهم صناعة الزجاج من الحصى، والتفنن في تلوين الزجاج والكتابة عليها.

وصناعة النسيج حيث كانت مزدهرة في الأندلس وسرت منهم إلى أوروبا فيما بعد حتى أن بعض صناعات النسيج عرفت باسمائها العربية في أوروبا. يقول أحمد أمين: «وكان لهم - يعني أهل الأندلس - نوع من القماش يقال له العتابي نسبة إلى عتاب، واشتهر هذا النوع في فرنسا وسُمي بلسانهم (تابي) وعرف بهذا الاسم في أوروبا كلها... وقد قلد

(١) ينظر: تاريخ الأدب العربي ص ٧٢ وما بعدها/ شوقي ضيف عصر الدول والامارات (الأندلس).

(٢) ينظر: كتاب تقدم العرب في العلوم الصناعية، وأستانيتهم لأوروبا ص ٩١ عبد الله عباس. دار الفكر ت ١٣٨٠هـ.

(٣) من روائع حضارتنا ص ١٤٤ مصطفى السباعي - الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ نشر دار الأرشاد (بيروت).

(٤) ظهر الإسلام لأحمد أمين ص ٢٩٧، نشر: دار الكتاب العربي - بيروت - طه (بدون تاريخ).

الصناع في أوروبا العرب في فنهم تقليداً دقيقاً، ومن أطف مايروى في ذلك: أن بعض الصناع الأوربيين كانوا يقلدون الخط العربي على أنه رسم من الرسوم من غير أن يعرفوا قراءته، فحدث أن ملك (مرسية) واسمه (أوقا) سك نقوداً - محفوظ بعضها في المتحف البريطاني - وقد كتب على قطعة النقود: اسم الملك باللغة اللاتينية، وحوله كتابة عربيية فيها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» على أنها مجرد نقش من غير أن ينتبه الصانع إلى أن ذلك يخالف التعاليم المسيحية ... وعثر على صليب إيرلندي مطلي بالبرنز اللامع كتب في وسطه على الزجاج بالخط الكوفي عبارة «بسم الله»^(١) هذه الأمثلة تدل على مكانة الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها على أوروبا كلها. وتأثير الحضارة الإسلامية تحتاج إلى دراسة أكثر. ولكن هذه ضرب أمثلة فقط.

هذه الحضارة التي من الله بها على المسلمين في الأندلس كانت سبب إسلام كثير من النصارى الذين عاشوا تحت ظل حكم الإسلام سواء كانوا من الأندلس نفسها أو هؤلاء الطلاب الذين جاءوا من مختلف دول أوروبا لتلقي العلم على أيدي المسلمين.

(١) المرجع السابق، ص ٢٩٨ وما بعدها.

الفصل الثاني عوامل النجاح

لقد إنتشر الإسلام في بلاد الأندلس انتشاراً كبيراً حتى عم البلاد وأصبح غالبية السكان من المسلمين، وأقام المسلمون في الأندلس أعظم حضارة عرفت في القرون الوسطى، وكانت المنبع والمنطلق للحضارة المعاصرة.

ولقد ساعدت في إنتشار الإسلام هناك - بعد توفيق الله سبحانه وتعالى - أمور أهمها، ما أمتاز به الإسلام من محاسن لم تكن في غيره من الأديان مما جعله مقبولاً عند كل أصحاب الفطر السليمة من البشرية. وكذلك خصائص الدعاة الذين قاموا بنشر الإسلام هناك، هؤلاء الذين كانوا إسلاماً يمشي على الأرض قولاً وعملاً، مما جعلهم قدوة حسنة لغيرهم من الناس.

وفيما يلي بيان لبعض هذه العوامل:

المبحث الأول محاسن الإسلام

أولاً: إن الإسلام دين الفطرة، اختاره الله أن يكون آخر الأديان السماوية، وجعله مشتملاً على خير كل الأديان التي سبقته. وإن الله سبحانه خلق الإنسان من أجل عبادته، وجهزه بكل ما يحتاج إليه، من عقل ونطق، وسمع، وبصر، وجميع الحواس التي تمكنه من عبادة خالقه سبحانه وتعالى، وجعل له سبحانه جميع مقومات حياته في هذه الأرض التي خلقه فيها وهداه إلى سبل الانتفاع بتلك المقومات.

ثم شرع له ديناً يلائم فطرته وميوله، فهو إذا سلم من جميع المؤثرات البيئية، مفطور على عبادة الله، ولهذا قال ﷺ: «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(١) فالإسلام دين الفطرة، يوافق طبائع الإنسان وميولاته. ولهذا ماعرض الإسلام على إنسان سليم الفطرة خال من المؤثرات البيئية، فرد الإسلام. وهذا معروف وكثير في التاريخ الإسلامي.

فهو دين الفطر في كل شيء، فهو دين راعى كل ما يحتاج إليه الإنسان في هذا الحياة، فأباح له كل شيء مما في هذا الكون وسخر لكم مافي السماوات ومافي الأرض جميعاً منه^(٢) ولم يحرم الله على الإنسان مما في هذا الكون إلا ما يرجع على الإنسان نفسه بالضرر كالخمر، والزنا، والربا، والقذف، والسرقه، وغير ذلك.

ثانياً: الإسلام دين امتاز على جميع الأديان بالعدل في كل شيء، فهو يراعي بين مطالب الجسد والروح، فلم تكن فيه رهبانية النصارى، التي تحرم على الجسد كل ملاذ الحياة. وتأمراً بالانقطاع في الصوامع وتحرم

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ج ٢ ص

(٢) الجاشية جزء من الآية رقم ١٣.

الزواج على كل من ترهب، وتعتبر المرأة شيطاناً ينافي التعبد لله عز وجل، حتى وقتنا الحاضر كانت النصرانية لا تعترف أن تكون المرأة رئيسة للكنيسة أو معلمة للدين النصراني. بل من قبل يشكون في إنسانيتها^(١) حتى كانوا يسمونها حيواناً ولا يحق لها أن تدخل الكنيسة ولا أن تخالط رجال الدين، ولهذا كانوا يعدون من عيوب رجال الدين مخالطة النساء، وفي هذا قال أحد النصارى - في حديثه عن رجال الدين- (ولكنهم الآن - ياللزمن المشؤوم - يقذفون بالكتب خارج الأبواب، وتحل مكانها أحياناً الكلاب وطيور الصيد، وأحياناً أخرى ذلك الحيوان ذو الساقين الذي يسمى المرأة، والذين يجب ألا يعيش معه رجال الدين، ولا يكاد هذا الحيوان يكشف الكتب المخبأة حتى ينهال عليها سباً بكلام أشد مرارة من السم)^(٢).

فالعجب كل العجب أن تكون المرأة عند أصحاب ديانة سماوية كأرذل الحيوانات، كالكلاب وأشباهاها، ولكن لا يشك المرء إن مثل هذه الأفكار من نتائج التحريف الذي أصاب الديانة النصرانية.

أما الإسلام فيعتبر المرأة شقيقة الرجال، فهي شريكة الرجل في أصل وجود الإنسان ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾^(٣) وهي مزرعة الرجال من أجل استمرارية وجود الإنسان في هذه الدنيا ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾^(٤).

كما أن المرأة تساوي الرجل في الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله، وكذلك في الجزاء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر

(١) ينظر: المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٠ الدكتور/ مصطفى السباعي - الطبعة الثالثة - المكتب الإسلامي.

(٢) ينظر: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف ص ٣٢ منجد مصطفى.

(٣) الحجرات جزء من الآية رقم ١٣.

(٤) الروم جزء من الآية رقم ٢١.

أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون^(١).

وكفى مكانة للمرأة في الإسلام، أن الله سبحانه وتعالى أنزل سورة كاملة في القرآن تسمى سورة النساء بين فيها سبحانه عدة أحكام تتعلق بالنساء.

وهذا من محاسن الإسلام التي لا تعد. هذا من جانب نظرة الإسلام للمرأة.

ثالثاً: الإسلام دين يسر وسهولة: فمن جانب العبادات والتكاليف الشرعية، التي أمر الله بها عباده، فهي مبنية على السهولة واليسر، ليس فيها مشقة، ولا تعقيد، ولا طلاس. وغير ذلك.

والإسلام دين سهل ميسر في كل التكاليف ليس فيه أي تعقيد، فهو يأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، فليس فيه تثليث وطلاسم ولا عبادة صور، بل هو دين يأمر بعبادة الواحد الأحد وهو الله سبحانه وتعالى. فعقيدة الإسلام مبنية على الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر.

وأركان الإسلام في العبادات مبنية على الشهادتين: (لا إله إلا الله محمداً رسول الله) والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والقواعد الواضحة التي يعرفها كل مسلم، كانت هي من أسرار إنتشار الإسلام في العالم. والإنسان مأمور أن يعبد الله على هذه الأسس المتقدمة.

رابعاً: ليس هناك - في الإسلام - وساطة بين الإنسان وبين خالقه، كما هو موجود في النصرانية، بل إن الإنسان إذا ارتكب ما يخالف الإسلام، أو أي أمر من أوامره، يبادر إلى التوبة والاستغفار، وفعل الكفارات التي تقربه إلى الله عز وجل، فالمسلم لا يلجأ إلى رجال الدين ليحملوا عنه وزره، ولا هناك سكوك غفران في الإسلام يتحكم فيها رجال الدين، بل الأمر إلى الله عز وجل، فما على المذنب إلا أن يلجأ إليه من كل

قلبه تاركاً ما اغترفه من الذنوب، نادماً على فعله السابق وعازماً على عدم العودة إليه، فالله سبحانه وتعالى يقبل توبته، ويغفر ذنبه، فهو دين يربط بين الإنسان وخالقه في العبادات وكل مامن شأنه أن يقرب الإنسان إلى الله والدار الآخرة.

خامساً: ومن محاسن الإسلام، ليس هناك دين يتعبد أصحابه بتقديم جزء من المال إلى الفقراء واصحاب الحاجات، تقريباً إلى الله عز وجل، فمن أركان الإسلام الزكاة، التي تجب على أصحاب الأموال بشرط أن تكون الأموال قابلة للنماء والزيادة. ومع ذلك لم يوجب الإسلام على أصحاب الأموال إلا جزءاً يسيراً، مع أن الله سبحانه وتعالى يثيبهم عليه كثيراً^(١) هذا من جانب الوجوب، جزء قليل فيه ثواب كثير. أما من جانب آثار الزكاة الاجتماعية، فهي آثار عظيمة، فيها التآلف، والمحبة بين الناس، وإزالة الأحقاد، والفرقة، والحسد، فإن الغني عندما يدفع زكاته تطهر هذه الزكاة مال المزكي فيكون كثير البركة، وتزكي نفس المزكي من الأخلاق الرذيلة كالبخل، والقسوة والجفاء. أما الفقير فتسد حاجته وترفع معنويته، وتجعله يشعر بمكانته في المجتمع، وتزيل من نفسه الحسد للأغنياء. والمسلمون عندما كانوا يطبقون هذه التعاليم الإسلامية كانوا أمة واحدة متماسكة في كل شؤونها، بل إن الأمر لم يكن مقتصرأ على المسلمين فحسب حيث كان إحسان المسلمين يشمل كل رعاياهم الذين كانوا تحت الحكم الإسلامي أياً كانت ديانتهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى شيخاً من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه^(٢).

وهذا عمر بن عبد العزيز يملأ عدله مشارق الأرض ومغربها، يصدر

(١) ينظر: محاسن الإسلام ص ١٤ ومابعدهما لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري. نشر مكتبة القدس. القاهرة ١٣٥٧هـ.

(٢) ينظر: أحكام أهل الذمة ج١ ص ٢٨ لابن القيم الجوزية.

أو امره إلى عماله بترك الجزية عن كل عاجز من أهل الذمة^(١). فكان عمله هذا فتحاً عظيماً للإسلام حيث دخل غالبية أهل الذمة الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمين إلى الإسلام.

إن هذه المحاسن التي اشتمل عليها الإسلام جعلت كل الشعوب - التي استظلت تحت ظل رحمته الوارف - تقبل الإسلام بكل ترحاب، ووجدت فيه كل ما يضمن سعادتها في الدنيا والآخرة.

سادساً: شمولية الإسلام وسعة تشريعاته ونظمه.

١ - شمولية الإيمان بكل الأنبياء والكتب المنزلة عليهم، وهذه الميزة لا توجد إلا في الإسلام، قال: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: (دين أمر بالإيمان لكل ما أوتيه الأنبياء، والتصديق برسالاتهم، والاعتراف بالحق الذي جاءوا به من عند ربهم، وعدم التفريق بينهم، وأنهم كلهم رسل الله الصادقون، وأمناءه المخلصون، يستحيل أن يتوجه إليه أي اعتراض وقدح.

فهو يأمر بكل حق، ويعترف بكل صدق، ويقرر الحقائق الدينية المستندة إلى وحي الله لرسله، ويجرى مع الحقائق العقلية الفطرية النافعة، ولا يرد حقاً بوجه من الوجوه، ولا يصدق بكذب، ولا يُروِّج عليه الباطل، فهو مهيمن على سائر الأديان.

يأمر بمحاسن الأعمال، ومكارم الأخلاق، ومصالح العباد، ويحث على العدل والرحمة، والخير، ويزجر عن الظلم والبغي، ومساوىء

(١) كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله في البصرة فقال: أما بعد فإن الله سبحانه أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عنناً وخسراناً مبيناً، فضع الجزية على من أطاق حملها واخل بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحاً لمعاش المسلمين وقوة على عدوهم. ثم انظر من قبل من أهل الذمة، من قد بكرت سنة وضعفت قوته، ولت عنه المكاسب، فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه) المرجع السابق ص ٣٧-٣٨، تحقيق الدكتور صبحي الصالح. نشر دار العلم للملايين. بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

الأخلاق. ومامن خصلة كمال قررها الأنبياء والمرسلون إلا وقررها وأثبتها، ومامن مصلحة دينية، ودنيوية دعت إليها الشرائع إلا حث عليها ولا مفسدة إلا نهى عنها وأمر بمجانبتها^(١).

٢ - شمولية التشريع، فالشريعة الإسلامية شاملة لكل جوانب الحياة فكل ما يحتاج إليه الإنسان في هذه الحياة الدنيا وما يرجع إلى الدار الآخرة، إلا وفي الشريعة الإسلامية بيانه.

(١) محاسبين الدين الإسلامي للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله ص ١٣ نشر: دار العاصمة بالرياض. الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ.

المبحث الثاني خصائص الدعوة

إن الإسلام دين عالمي اختاره الله أن يكون الدين الوحيد الذي يصلح لكل مكان وزمان، وانطلاقاً من هذا المبدأ كان المسلمون الأوائل فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وهياً الله لهم من الأسباب ما تمكنوا به من نشر الإسلام بين شعوب العالم كلها، وما هيأت الأسباب إلا عندما صدقوا مع الله، واتصفوا بكل ما أمرهم الله به في هذا الدين، فكانوا إسلاماً يمشي على الأرض، فهم دعاة بأقوالهم يسهرون الليل والنهار في نشر الإسلام وتعليمه للناس، بهذا شهد لهم أهل التاريخ كلهم حتى الكفار، قال توماس آرنولد: (يرجع إنتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى، اجتماعية، وسياسية، ودينية، على أن هناك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المضطربة التي قام بها دعاة من المسلمين، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام متخذين من هدى الرسول ﷺ مثلاً أعلى وقدوة صالحة)^(١).

هذا هو دأب المسلمين الأوائل في نشر الإسلام، والذي ينظر في التاريخ الإسلامي لا يستطيع أن يفرق بين الدعوة في الشرق والدعاة في الغرب في تلك الصفات.

كما أن المسلمين كانوا دعاة بأفعالهم لالتزامهم بالإسلام وتمسكهم به. هذا على الوجه العام.

أما الدعوة في الأندلس، فقد تقدم شيء من بعض سيرهم، وهنا نُذكر بعض الصفات البارزة في المجتمع الإسلامي، خاصة الحكام الذين كان بيدهم زمام الأمور:

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧.

فمن هذه الصفات: الانقياد للحق.

إن اتباع الحق واجب على كل مسلم مهما كانت منزلته، وانطلاقاً من هذا كان حكام المسلمين في الأندلس يتحرون الحق ويسمعون نصائح العلماء، وينقادون لحكمهم تنفيذاً للإسلام وحرصاً على التمسك به. والأمثلة في ذلك كثيرة، منها: إن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله كان من أعظم خلفاء بني أمية في الأندلس، وقد بلغت الأندلس في عهده أعلى الذروة في المكانة بين الدول، والحضارة الإسلامية. وكان الناصر يعتبر من أعظم ملوك الإسلام في وقته، ومع هذه المكانة الرفيعة، كان ينفاد للحق ويسمع نصائح العلماء ويتبع توجيهاتهم، فإنه لما تأخر عن حضور الجمعة ووعظه في ذلك القاضي منذر بن سعيد تأثر كثيراً وتاب^(١).

وكان الناصر أشد انقياداً للحق وإتباعاً للنصح، فإنه بنى بقصره في مدينة الزهراء قبة مغطاة بالذهب، وعند تمامها جمع فيها أهل مملكته، وقال: (هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه؟) فقالوا: لا يا أمير المؤمنين وإنك لو احدث في شأنك كله، فسر بقولهم. ولما دخل عليه القاضي منذر بن سعيد أعاد عليه القول مفتخراً، ولكن الناصح الأمين لم يقابل قول الخليفة بالمدح، والافتخار بل قابله بالنصح والإرشاد فقال - والدموع تنحدر من لحيته -: (والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قلبك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته، وفضلك به على العالمين، حتى أنزلك منازل الكافرين). فانفعل الخليفة لقوله وقال: (انظر ماتقول وكيف أنزلني منزلتهم؟! فقال القاضي: نعم أليس الله تعالى يقول: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾^(٢) فوجم الخليفة وأطرق ملياً ودموعه تتساقط خشوعاً لله عز وجل ثم أقبل على القاضي منذر وقال له: جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً، وعن الدين والمسلمين أجل جزائه،

(١) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٦٩.

(٢) الزخرف الآية ٣٣.

وكثر في الناس من أمثالك، فالذي قلت هو الحق فقام من مجلسه ذلك وأمر بنقض سقف القبة، وأعاد بناءها على صفة غيرها^(١). هكذا كان انقياد الخليفة للحق.

وهذا جده الأمير عبد الله بن محمد كان من الصالحين المتقين ومن العلماء العاملين الذين قاموا بالكتاب وراعوا الفرائض والنوافل كان يلتزم جميع الصلوات مع المسلمين في الجامع، فإذا حضر المسجد ورآه الناس قاموا له صفاً على أقدامهم، وذلك حين دخوله المسجد وحين خروجه. فكتب إليه الفقيه سعيد بن خمير^(٢) قائلاً: (أيها الإمام أَرْضَى اللهُ قَدْرَكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُمْ يَمِيلُونَ لَكَ قِيَاماً إِذَا رَأَوْكَ، فَلَا تَرْضَى لِرَعِيَّتِكَ بِغَيْرِ الصَّوَابِ، فَهَذَا الَّذِي يَزْلُفُكَ لِلْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً لَا شَرِيكَ لَهُ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَالذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ مِنْ يَنْيِبٍ)... فأوصى الأمير إلى العامة الحاضرين المسجد الجامع ألا يقوموا إليه إذا خرج ويلزموا مجالسهم. فلم ينته أكثرهم عن القيام. فأبتنى الأمير سابطاً بين قصره والمسجد، كان يخرج منه مستتراً عن الناس متى أراد الصلاة... لا يراه أحد في مجيئه ولا انصرافه، ولا يكلف له مؤونه قيام ولا إرصاد لخروجه، فكان أول من أتخذ السابط من خلفاء بني أمية في الأندلس، فأتبع سبيله فيه كل من جاء بعده من الخلفاء^(٣).

الشاهد من هذه القصة هو انقياد الأمير عبد الله للحق واتباعه لنصح العلماء حيث أصدر أمره بعدم القيام له، وعندما لم ينته الناس عن

(١) تاريخ قضاة الأندلس ص ٧١-٧٢.

(٢) هو أبو عثمان الفقيه سعيد بن خمير بن مروان بن سالم، أصله من الموالي، ولد سنة ٢٣٠هـ وتلقى العلم من علماء قرطبة ثم رحل إلى المشرق فسمع من علماء مصر والحجاز، وبعد رجوعه إلى الأندلس صار من المعلمين في جامع قرطبة، وكان فتياً وبعقد الوثائق. توفي سنة ٣٠١هـ.

ينظر: تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٨٤ ج ١ ص ١٩٤.

(٣) ينظر: المقتبس لابن حيان ص ٣٦ نشر انطونية.

القيام، أتخذ الطريق المستتر، حتى لا يقوم له الناس. وما فعل هذا إلا انقياداً للحق لأن الرسول ﷺ قال: «من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ من النار»^(١).

والمعروف إن ملة الكفر كلها تقوم لملوكها ورأسائها، وإن فعل الأمير عبد الله كان دعوة عملية لغير المسلمين ليربهم إن الإسلام ليس فيه تقديس أشخاص وإنما التقديس لله عز وجل.

ومن هذه الصفات: إقامة العدل.

إن الدين الإسلامي هو دين العدل في كل شيء ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾^(٢).

وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات كان المسلمون يقيمون العدل في أنفسهم وفي غيرهم، ومن ذلك إن حكام الأندلس كانوا ينقادون لأحكام قضاتهم وينفذون حدود الله، وقد تقدمت أمثلة في ذلك، ومن أمثلة أيضاً إن شخصاً اشتكى إلى الأمير هشام بن عبد الرحمن أحد عماله، فاستدعى الأمير العامل، وطلب من الشاكي أن يذكر مظلمته أمام العامل، فما ذكر شيئاً إلا وأقارده فيه من العامل^(٣).

وهذا هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم ينفذ حد الردة في رجل تكلم بكلمة ردة عابثاً، فحبسه، ولم يقبل فيه واسطة أهل المكانة عنده وقال: (فإننا معشر بني مروان لا تأخذنا في الله لومة لائم، وما نرى أن الله رفع ملكنا، وجمع بهذه الجزيرة فلنا، وأعلى فيها ذكرنا، حتى صرنا شجياً في حلق عدونا، إلا بإقامة حدوده، وإعزاز دينه، وجهاد عدوه، مع مجانية الأهواء المضلة، والبدع المردية)^(٤).

(١) رواه الترمذي في سننه. كتاب الآداب باب ماجاء في كراهية قيام الرجل للرجل. ج٤ ص ١٨٣ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة وصححه الشيخ ناصر الدين الالباني

في صحيح سنن الترمذي ج٢ ص ٣٥٧.

(٢) النحل جزء من الآية رقم ٩٠.

(٣) ينظر: أخبار مجموعة ص ١٢٦.

(٤) تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٥.

وكان حكام المسلمين في الأندلس أشد الناس انقياداً للحق وتحرياً للعدل حتى أن قضاتهم كانوا يسلطونهم على أنفسهم^(١).

وكان العدل شاملاً لكل فئات المجتمع الأندلسي مسلمين وغير مسلمين، وأن العدل لا بد أن يقام على كل ظالم أيّاً كانت منزلته، ومن أمثلة ذلك إن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم كان أميراً على ماردة في حياة أبيه عبد الرحمن، فاغتصب جارية من تاجر يهودي، فبالغ اليهودي بمال كثير في فداء الجارية، ولكن بدون فائدة، فشكى ما أصابه من الأمير إلى القاضي سليمان بن الأسود قاضي ماردة من قبل الأمير عبد الرحمن، فأمر القاضي الأمير محمداً برد المملوكة إلى صاحبها، فأنكر الأمير مازعمه اليهودي، فقال القاضي: (إن هذا اليهودي الضعيف لا يقدر أن يدعي على الأمير بباطل، وقد شهد عندي قوم من التجار، فليأمر الأمير بانصافه) ولكن الأمير لم ينفذ أمر القاضي، فأرسل إليه القاضي يقسم بالله العظيم لئن لم يصرف إلى اليهودي جاريته، ليركب دابته من فوره، ويكون طريقه إلى الأمير والده، يعلمه الخبر، ويستعفيه من القضاء، فلم يلتفت محمد إلى وصيته وأمره. فشد سليمان على نفسه وركب دابته سائراً إلى قرطبة، وكان طريقه إلى باب دار الإمارة، فدخل الفتيان إلى الأمير محمد، فعرفوه بسيره فأشفق من ذلك، وأرسل خلفه فتى من ثقاته، يقول له: إن الجارية قد وجد خبرها عند بعض فتياته، وقد كان أخفاها بدون أمره، وهاهي حاضرة ترد إلى اليهودي، فلحقه الرسول على ميل أو نحوه من ماردة، فلما أعلمه الخبر قال: (والله لا أنصرف من موضعي راجعاً أو أوتى بالجارية إلى هذا المكان، ويقبضها اليهودي هاهنا وإلا مضيت لوجهي، فأرسل محمد الجارية إليه، فلما صارت بين يديه أرسل إلى اليهودي مولاها، وفي ثقات من أهل البلد ودفعها إليه بحضرتهم)^(٢).

هكذا كانت عدالة المسلمين! وكانت هذه العدالة من أكبر الدواعي إلى إعتناق الإسلام من غير المسلمين.

(١) ينظر: أخبار مجموعة ص ١٢٥ والبيان المغربي ج ٢ ص ٧٩.

(٢) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ص ٥٦-٥٧.

ومن هذه الصفات: إزالة المنكر .

إن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين أن يكون منهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾^(١) وبدءاً من هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص كان المسلمون في الأندلس لا يقرون منكرات بين ظهرانيهم في الغالب خاصة أهل قرطبة حتى قيل في وصفها: (ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة... وكسر أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات، والتفاخر بأصالة البيت وبالجنسية وبالعلم)^(٢).

فكان من صفات أهل قرطبة إنكار المنكر حتى على الحكام والأمراء ولهذا كان في الغالب لا توجد منكرات ظاهرة^(٣).

كل هذه الأمور بفضل الله سبحانه وتعالى مكنت الإسلام في الأندلس، إضافة إلى غيرها من العوامل التي تقدمت في الباب الرابع.

فمن ذلك مثلاً: حسن المعاملة التي كان يوليها المسلمون لرعاياهم من غير المسلمين، أدت إلى اقتناع كثير من النصارى بالإسلام وأيضاً: القدوة الحسنة التي كان يمثّلها المسلمون. وانتشار اللغة العربية التي سهلت فهم الإسلام لدى غير المسلمين.

(١) آل عمران جزء من الآية رقم ١٠٤.

(٢) نفع الطيب ج ٨ ص ٤٦٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ج ١ ص ٢١٩.

الخاتمة

وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

إن الإسلام هو الدين الذي اختاره الله أن يكون خير الأديان وخاتمتها، وأودع الله فيه كل خير كان في الأديان السماوية السابقة، وزيادة وجعل الله الأمة الإسلامية التي آمنت بهذا الدين من خير الأمم، وقد كلفها بالدعوة إلى هذا الدين، بقوله ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^(١).

فقام المسلمون بنشر الإسلام خير قيام امتثالاً لأمر الله عز وجل، حتى عم الإسلام أكبر جزء من المعمورة. ومن هذه البلاد التي عمها الإسلام، بلاد الأندلس، التي دخلها الإسلام في أواخر القرن الأول الهجري، ودام فيها حكم المسلمين ثمانية قرون متوالية.

ولقد انتشر الإسلام في الأندلس على أيدي طارق بن زياد وموسى بن نصير التابعي الجليل، الذي عرف بفتوحاته الجلية، ودعوته الحكيمة، فإن الإسلام لم يستقر على شمال إفريقية إلا على يدي موسى بن نصير، ولم يدخل الأندلس ويهزم دولة الكفر هناك إلا على يدي موسى بن نصير رحمه الله. ثم توالى على حكم المسلمين هناك عدة ولاة بعد موسى بن نصير. وقد تحدث الباحث فيما تقدم من هذا البحث عن مراحل الفتح الإسلامي للأندلس، وأهم مظاهر قوة المسلمين، وما كان هناك من دعوة وجهاد، ونشر للإسلام، من تعليم وكتب ومساجد، وبيان ما كان يقوم به العلماء من أسلوب ووسائل من أجل نشر الإسلام.

وفي ختام هذا البحث يذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته للفترة المحددة في أول هذا البحث، والتوصيات التي يحب الباحث أن يقدمها للقارئ، وكل هذا يكون موجزاً وملخصاً إن شاء الله تعالى.

(١) آل عمران الآية رقم ١٠٤.

أولاً: أهم نتائج البحث.

إن القارىء في تاريخ المسلمين في الأندلس وقيام دولة الإسلام هناك عبر تاريخها المشرق، يلخص إلى نتائج أهمها مايلي:

١ - إن الإسلام ما انتشر في تلك البلاد إلا بفضل الله عز وجل ثم بجهود المسلمين الفاتحين، جهود بالدعوة القولية والفعلية وجهود في سبيل جهاد الأعداء، وبهذا عم الإسلام أكبر جزء من قارة أوروبا في أقل من ربع قرن، وأصبح المسلمون في تلك البلاد أكثرية الشعوب التي دخلت تحت حكم المسلمين.

٢ - إن قوة الإسلام تكمن في قوة المسلمين، التي تتحقق بشدة تمسكهم بالإسلام ووحدة صفهم، فإن المسلمين لما فتحوا البلاد، فتحوا قلوب الناس بهذا الدين بحسن معاملتهم للناس، وتطبيقهم للإسلام كاملاً، مما جعلهم قدوة لكل الشعوب، حتى إن البلاد التي لم يدخلها المسلمون بعد كان أهلها يتمنون دخول المسلمين إليهم، لما كانوا يرون من عدالة المسلمين، حتى أن بعض عظماء القوط في الأندلس لما رأوا ما يتمتع به أهل افريقية من الرفاهية، وما أصابوا من الحظوظ في السياسة على عهد الإسلام، وكف أيدي الولاة من المظالم - تمنوا لو تنال بلادهم مثل ذلك، ويتخلصون من ظلم ملوكهم، وقد تحقق لهم ذلك على يد طارق بن زياد الذي كان لا يألوا جهداً. في الدعوة إلى الله عز وجل وبيان محاسن الإسلام، حتى أمال خلقاً كثيراً إلى صفوف المسلمين في اشد أوقات المعارك، كما تقدم في معركة وادي لكة، وكان من هؤلاء الذين انحازوا إلى صف المسلمين بعض السادات الذين بقوا على دينهم فترة من الزمن تحت رعاية المسلمين.

ثم إن المسلمين ما فتحوا بلداً إلا وكوّنوا منه جنوداً آخرين لمواصلة الفتح، ولهذا كانت فتوحاتهم متواصلة، ومساحة الإسلام كانت في إزدياد مستمر، ولم تتوقف فتوحات الإسلام، إلا عندما ظهرت الدويلات المستقلة داخل جسم الأمة الإسلامية.

٣ - إن قوة المسلمين وتمسكهم بالإسلام كاملاً، كان من أكبر العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام وذلك إن الشعوب التي حكمها المسلمون كانت ترى في المسلمين القدوة الحسنة فتدخل في الإسلام مختارة طائعة. دون أي إكراه، وذلك لسببين هامين فقد العالم الاسلامي اليومي أحدهما، وهما:-

أ « سهولة الإسلام وملاءمة أحكامه للفطرة البشرية، وهذا والحمد لله مرتبط بهذا الدين وباق مابقى دين الاسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ب» القدوة الحسنة التي تمثل الاسلام عملياً، وهذا السبب الذي نحتاج إليه اليوم أكثر من غيره، فإن المسلمين اليوم لو كانوا يطبقون الإسلام كما جاء به الرسول ﷺ في جميع شئون حياتهم، وفي وسائل إعلامهم، لاستطاعوا أن يغيروا العالم كما أستطاع أسلافهم تغييره من قبل.

فإن القدوة الحسنة من أهم وسائل الإسلام التي ساعدت إلى نشره.

٤ - لقد انتشر الإسلام في الأندلس في فترة وجيزة لا تزيد عن سنة ونصف تقريباً، وأقام المسلمون هناك حضارة عظيمة، ودولة قوية، كانت دولة الإسلام هناك درعاً واقياً لكل المسلمين في العالم الإسلامي من طغيان الكفر، وكانت حضارة المسلمين منبع كل حضارات الغرب اليوم. والذي يقرأ تاريخ الإسلام في الأندلس، يخرج بنتيجة، هي إن قوة دولة المسلمين هناك كانت مرتبطة، بقوة تمسك المسلمين بهذا الدين، وحرصهم على نشره، وعدم الركون إلى الدنيا، فحكام المسلمين آنذاك كان كل همهم هو إعزاز دين الله وإزهاق الباطل، مهما كلفهم ذلك، وعلى سبيل المثال إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي يعتبر مؤسس أكبر جزء من حضارة الأندلس، كان من أشد الناس حرصاً في أعمال الخير، فما من مدينة من مدن الأندلس إلا وله فيها مسجد ينسب إليه، حتى إن جواريه وخدمه كانوا مولعون ببناء المساجد والأوقاف عليها.

إن هذا الأمير كتب إليه أحد عماله المشتغلين بأستثمار الخراج قائلاً: «إن القنطرة التي بناها جده على نهر قرطبة لو رسم على الدواب والأحمال التي تعبر عليها رسم لأجتمع من ذلك مال عظيم» فرد إليه الأمير بقوله: «نحن أحوج إلى أن نحدث من أفعال البر أمثال هذه القنطرة، لا أن نمحو ماخلده آباؤنا باختراع هذا المكس القبيح، فتكون عائدته قليلة لنا، وتبقى تبعته وذكره السيء علينا، وهلا كنت نبهتنا على إصلاح المسجد المجاور لك الذي قد تداعا جداره وأختل سقفه، وفصل المطر مستقبل؟ لكن يأبى الله أن تكون هذه المكرمة في صحيفتك. وقد جعلنا عقوبتك بأن تصلح المسجد المذكور من مالك رغم أنك، فيكون ماتنفق فيه منك، وأجره لنا إن شاء الله»^(١) فإن مثل هذه القصة وأمثالها يبين لنا مدى حرص حكام المسلمين على فعل الخيرات، وخدمة هذا الدين بكل الوسائل، والتيسير على المسلمين في كل شئون حياتهم، ولهذا استطاع عبد الرحمن بن الحكم أن تبلغ الأندلس خلال حكمه أعظم مبلغ العز والسؤدد، حتى أن ملوك الروم في عهده أصبحوا يخطبون وده، ويطلبون عونه ومساعدته في الأخطار التي كانت تواجههم.

٥ - إن المسلمين في الأندلس قد مرت بهم فترات مختلفة، من العز والقوة ووحدة الأمة الإسلامية، وفترة ضعف وتمزق واختلاف. فإن الضعف أمام الأعداء والاختلاف في داخل الأمة الإسلامية كان من أهم أسبابه:

أولاً : ضعف الخلافة الإسلامية في أول الأمر، فإن ضعف مركز القيادة، كان له أثر سلبي على جميع الأمة الإسلامية وخاصة الأندلس لقربها من الأعداء المحاربين.

هذا في أول أمر الأندلس، وعندما كانت تابعة للدولة الإسلامية في دمشق، ثم لما استقلت الأندلس بنفسها عن العالم الإسلامي، كانت قوتها مرتبطة بقوة الحاكم الذي كان يحكمها.

(١) المغرب في حلى المغرب ج١ ص ٥١ لابن سعيد الأندلسي.

ثانياً: التنافس على السلطة وحب الرئاسة أدى إلى إضعاف المسلمين بسبب الحروب التي كانت تقوم بين الزعماء المتنافسين.

ثالثاً: ظهور العصبية والنزاعات العرقية، أدى إلى زهاب هيبة الأمة من قلوب أعدائها. حيث تجرأ الأعداء على محاربتها بكل الوسائل.

رابعاً: إن الأمة التي كانت تقود المسلمين قد ظهر فيها الضعف والطمع على الدنيا، وهي الأمة العربية، وضعف العرب أدى إلى ضعف كل المسلمين، لأن العرب كانوا هم قدوة الناس في الإسلام، فتراخيهم وضعفهم عن الإسلام، أدى إلى ضعف غيرهم.

خامساً: إن حب الدنيا والحرص عليها يؤدي إلى عدم الخوف من الله عز وجل، وغفلة القلب عن مراقبة الله، وإلى عدم مراعاة حقوق المسلمين. وذلك مانجده أن بعض الزعماء إذا اختلف مع الآخر قامت بينهم الحروب التي تحرق الأخضر واليابس، ثم الأعظم من ذلك، إن بعضهم ينتصر بأعداء الإسلام ضد أخيه المسلم. وقد يكون الانتصار بالأعداء مقابل اقتطاع جزء من أراضي المسلمين. وهذا كان هو الغالب.

٦ - إن من أهم عوامل إنتشار الإسلام في الأندلس حسن المعاملة التي كان يوليها حكام المسلمين خاصة والمسلمون عموماً لأهل البلاد من غير المسلمين. وكانت هذه المعاملة الحسنة تتمثل في ترك حرية الدين، والعبادة، وحرية الملكية لغير المسلمين. فكان غير المسلمين آمنين في أنفسهم وأموالهم، أحراراً في ملكهم وتصرفهم، وكان لهم حق المواطنة الكامل في كل شئون الحياة، فكان لهم التعليم كغيرهم وكان هذا التعليم من أهم عوامل فهم الإسلام بين غير المسلمين حيث أصبحوا يجيدون اللغة العربية، مما سهل عليهم فهم الإسلام وسهولة الدخول فيه.

وأن المسلمين كانوا يولونهم بعض المهام في شئون الدولة كالمراسلة إلى بعض البلدان والترجمة أمام الوفود النصرانية، وغير ذلك وكانت هناك مصاهرات بين المسلمين وغيرهم، مما جعل المجتمع الأندلسي كتلة واحدة، كل ذلك أدى إلى إنتشار الاسلام في أهل البلاد .

٧ - إن تطبيق المسلمين للإسلام عملياً، والأهتمام الكبير من حكام المسلمين بإظهار جميع شعائر الإسلام وتنفيذ أحكامه جعلهم قدوة حسنة لغيرهم من الأمم، فغير المسلم عندما يرى أمامه إنشاء المساجد الكثيرة، وتعميرها بالعبادة والتعليم، وإهتمام الدولة بنشر الإسلام بكل وسيلة من الوسائل، وقيام حضارة تخالف كل معايير، المجتمع الذي كان سائداً آنذاك، كل ذلك جعل غير المسلم يقترب من المسلمين حتى ولو لم يدخل في الإسلام، إلا أنه جعل يقلد المسلمين في أسمائهم وهيئاتهم، ولغتهم. لدرجة أن الكنيسة جعلت تترجم تعاليمها إلى اللغة العربية. فهل يدرك اليوم المسلمون ذلك؟ وإن بعضهم اليوم يرى التقدم والرفعة في تعلم اللغة الإنجليزية أو غيرها؟!

٨ - - إن من أهم أسباب توقف الدعوة إلى الله عن الانتشار في بقية أوروبا، هو انفصال الأندلس عن الأمة الإسلامية سياسياً. لأن هذا الانفصال أدى إلى قلة المسلمين في الأندلس فأصبح جهادهم دفاعياً فقط لا من أجل نشر الإسلام لأن إمداد الجيش من جميع أقطار العالم الإسلامي قد انقطع.

٩ - إن الدعوة الإسلامية في الأندلس كان قوتها وضعفها مرتبطاً بقوة الأمة الإسلامية وضعفها سياسياً، لأن المسلمين كانوا كلهم أهل دعوة. فإن استقرار الأمة هناك سياسياً، كان يؤدي إلى نشاط التعليم، والدعوة والجهاد للأعداء، كما أن اضطراب الأمة في الداخل، كان يؤدي إلى توقف الدعوة، وتعطيل التعليم.

١٠- إن الدولة الأموية في الأندلس كان من أهم أسباب ضعفها وانهارها، هو تولية الحكام الضعفاء للسلطة، ثم الاختلاف الداخلي والنزاعات على السلطة. والأعظم من ذلك كله أنتصار بعضهم على بعض بأعداء الإسلام، كان هذا الاستنصار من أعظم الأمور التي أدت إلى دمار المسلمين في كل الأمور وخاصة نهاية الإسلام من كل الأندلس حتى أن ابن البسام يتألم لهذا عندما وصف حال المسلمين في دولة سليمان بن الحكم^(١) حيث قال: «ملك سليمان قرطبة في دولتيه ست سنين وعشر أشهر، وكانت كلها .. شداداً نكرات، صعباً مشثومات، كريهات المبدأ والفتاحة، قبيحة المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف، ولا فورق فيها خوف، ولا تم سرور ولا فقد محذور، مع تغير السيرة، وخرق الهيبة، واشتعال الفتنة، وإعتلاء المعصية، وضعف الأمن، وحلول المخافة. دولة كفاها زماً أن أنشأها: شانجة. فقشعها أرمقند^(٢) وثبتها الجلالقة، ومزقتها الأفرنجة. ودبرها فاجر شقي، ووزر لها خب دني، فتمخضت عن الفاقرة الكبرى، وآلت بمن آتا بعدها إلى ماكان أعضل وأدهى، مما طوى يساط الدنيا، وعفى رسمها وأهلك أهلها»^(٣) ويقول في مكان آخر يصف غدر النصارى بالمسلمين وشدة حقدهم عليهم وذلك في الحرب التي وقعت بين محمد بن عبد الجبار، وبين سليمان المتقدم الذكر، وماحدث فيها من هزيمة جيش محمد بن عبد الجبار «ووضع البرابرة^(٤) والنصارى السيوف عليهم،

(١) هو أبو يعرب سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بويح بالخلافة بقرطبة سنة ٤٠٠ بعد وقعة كانت بينه وبين محمد بن هشام ابن عبد الجبار، وكانت بينهما حروب متوالية، انتهت بقتل سليمان على يد أحد قواده سنة ٤٠٦ هـ. ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج١ ص ٣٥ لابن بسام.

(٢) شانجه غرسية (Sanhogarcla) هو صاحب قشتالة، وأرمقند Ermengaud أو Armenengol هو آخر ريمند بوريل صاحب برشلونة. وكلا الرجلين كان لهم دور في الفتنة/ الذخيرة ج١ ص ٣٦.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج١ ص ٣٦ لابن بسام.

فقتل في هذه الواقعة عالم، وأبادوا أمة، وهي موقعة قنتيش المشهورة بالأندلس التي قطع المقال على أنه قتل فيها عشرة آلاف قتيل وأزيد ... ومال النصارى يومئذ على المنهزمين من المسلمين، فقتلوا منهم في صعيد واحد نيفاً على ثلاثة آلاف رجل^(١) هذا وصف مشهد من مشاهد كثيرة من فتن الأندلس التي كان فيها دمار المسلمين، وقد أدت في النهاية إلى زوال دولة المسلمين من هناك.

١١- إن نهاية الحكم الأموي من الأندلس أدى إلى ضعف المسلمين، وقوة أعدائهم، ولم تقم في الأندلس دولة قوية بعدهم تدافع عن الإسلام كدفاع الأمويين.

١٢- إن الاستقلال السياسي للأندلس، لم يتجاوز الحكام، أما في غير ذلك فإن الارتباط بين الأمة كان موجوداً خاصة في جانب التعليم والثقافة، فإن العلماء في الأندلس غالبيتهم كانوا يتلقون تعليمهم في الحجاز ومصر وحتى بغداد. هذا بعض ما يتعلق بأهم نتائج دراسة البحث.

ثانياً: التوصيات:

- ١ - إن التاريخ الإسلامي تاريخ عظيم، لأنه تاريخ لأعظم الأديان السماوية، وتاريخ لخير أمة أخرجت للناس، إنها أمة الإسلام، ولهذا يجب أن يدرس المسلم هذا التاريخ دراسة واعية لجميع أطواره التاريخية، وأممه المختلفة. ويبني حضارته بناء صحيحاً، وفق منهجه الإسلامي، وتراثه التاريخي.
- ٢ - إن في تاريخنا الإسلامي بعض الأخطاء، فلا بد أن نستفيد من هذه الأخطاء لكيلا تتكرر في واقعنا الحاضر.
- ٣ - لابد من الحرص على وحدة الأمة الإسلامية، لأن قوة المسلمين في وحدتهم، فإن الخلاف والنزاع من أهم أسباب الفشل والهزيمة

(٤) البرابرة هم أصحاب سليمان بن الحكم لأن خيشة كان من البربر.

(١) النخيرة ج١ ص ٤٣.

- أمام الأعداء كما قال تعالى ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^(١).
- ٤ - إن البلاد التي فتحها المسلمون وحكمها الإسلام ثم تغلب عليها أعداء الإسلام، كالأندلس وغيرها، لابد أن تبقى هذه البلاد حية في قلوب أبناء المسلمين، يدرسون تاريخ هذه البلاد لأنه تاريخهم، وأن يعتقد أبناء المسلمين بأن هذه البلاد كانت ملكاً للمسلمين، ثم أخذت منهم غصباً، والمغصوب لابد أن يرجع إلى صاحبه.
- ٥ - إن المسلمين اليوم يجب عليهم نشر الإسلام من جديد إلى هذه البلاد وغيرها وتقوية العلاقات بينهم وبين الجمعيات الإسلامية التي توجد في تلك البلاد، وأن يدعموها دعماً مادياً ومعنوياً.
- ٦ - يجب على الأمة الإسلامية أن تعرف عدوها من هو؟ فإن عدوها هو عدو دينها مهما تظاهر لها بالصدقة والنصرة، فإن الأندلس ماضعت إلا بسبب اختلاف أبنائها فيما بينهم، وانتصار بعضهم على بعض بأعدائهم فلنحذر من ذلك.
- ٧ - إن تغافل المسلمين عن نصره إخوانهم الذين يذبحون على يدى أعداء الإسلام في مختلف البلاد. تؤدي هذه الغفلة أو التغافل إلى تكرار مأساة الأندلس في بلاد مختلفة في العالم الإسلامي اليوم. فإن الأندلس ماضعت إلا عندما تغافل المسلمون عن نصره إخوانهم هناك.
- وفي الختام أقول: اللهم هب للامة الإسلامية قائداً ربانياً يرجع لها أمجادها، ويبؤها مكانها اللائق بها بين الأمم، وهو مكان القيادة والسيادة، آمين.
- وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس

١ - فهرسة الآيات القرآنية .

٢ - فهرسة الأحاديث والآثار .

٣ - فهرسة الأمكنة والبلدان .

٤ - فهرسة الأعلام .

٥ - فهرسة المراجع .

٦ - فهرسة الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الصفحة	رقم الآية	أول الآية
٣٤٢	٤٤	اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ...
١٩٣	١٠٦	ماننسخ من آية أو ننسها تأت بخير منها ...
٩٩	٢١٣	كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ...
٢٩٧،١٤٩	٢٥٦	لا إكراه في الدين قد تبين الرشد ...

سورة آل عمران

١	١٩	إن الدين عند الله الإسلام ...
٨١٦	٨٥	ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ...
١	١٠٢	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ...
٢٣١،١٥٧	١٠٤	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ...
٤٢٦،٤٢٥		
١٥٧، ٥٢	١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس ...
٢٣٥	١٣٦	وما النصر إلا من عند الله ...
٣٨٩	١٤٠	وتلك الأيام نداولها بين الناس ...
٢٠٠	١٥٩	فبما رحمة من الله لنت لهم ...

سورة النساء

١	١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة..
٩٩	٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ...
٢١٩	٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ..
٣٥٥	٩٥	لا يستوي القاعدون من المؤمنين ...
٧٥	١٤٥	إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ...

سورة المائدة

٢١٨	٢٧	إنما يتقبل الله من المتقين ...
١٧٢	٤٨	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ...
٢	٦٧	يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ...

سورة الأنعام

٥٢	١٩	وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ..
٣٣٤ ، ١٧٢	٩٠	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ...

سورة الأنفال

١٥٧	٢٥	واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ...
٤٣٤	٤٦	ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ...
٣٣٦	٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...

سورة التوبة

٣٣٦	٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...
٣٣٢	٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ...
١٤٣	١٠٩	أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله خيراً ...

سورة يونس

١٨٦	٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ...
-----	----	--

سورة يوسف

١٣٥	١٠٨	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله علي بصير ...
-----	-----	---

سورة إبراهيم

٣٢٠	١	كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ...
-----	---	--

سورة النحل

٤٢٣ ، ٩٨	٩٠	إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...
٧٤	٩١	وأوفو بعهد الله إذا عاهدتم ...
٤١٦ ، ٤١٥ ، ٣٢٠	٩٧	من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ...

سورة النور

٣٧٦	٣٦	في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ...
-----	----	--

سورة الشعراء

١٤٣	١٣٥-١٢٨	أتبنون بكل ربيع أية تعبثون ...
١٤٣	١٣٦	سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ...

سورة الروم

٤١٥	٢١	ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً ...
٨١	٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفاً ...

سورة الأحزاب

٣٣٣، ١٨٣	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...
١	٧١-٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ...

سورة فصلت

٣٤٢، ١٣٥	٣٣	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ...
٣٤٢	٣٤	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ...

سورة الشورى

٢٠٠	٣٨	وأمرهم شورى بينهم ...
-----	----	-----------------------

سورة الزخرف

٣٣٤	٢٣	وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير ...
٤٣١، ١٤٥	٣٣	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ...

سورة الجاثية

٤١٤	١٣	وسخر لكم مافي السماوات ومافي الأرض جميعاً منه ...
-----	----	---

سورة الحجرات

٤١٥	١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ...
-----	----	--

سورة الحديد

١٠٠	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم ...
-----	----	--

سورة الممتحنة

٣٣٣	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ...
-----	---	--------------------------------------

سورة الصف

١	٩	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...
---	---	---

سورة العلق

٣٨٧	١	اقرأ باسم ربك الذي خلق
-----	---	------------------------

فهرس الأحاديث والآثار

٣٢٤	أتتني أمي وهي راغبة ...
٣٢٣	أتدرون من المفلس ...
٣٢٤	إذا أتيت مضجعك فتوضأ ...
٣٧٤	إذا تبايعتم بالعينة ...
٣٣٥	أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً ...
٧٥	أربع من كن فيه كان منافقاً ...
٣٢٩	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد ...
١٥٧	أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا بين ...
٣٣٥	إن أبا سفيان بن حرب أخبره ...
٤٩	إن الله زوى لي الأرض فرايت ...
١	إن الحمد لله نعمده ...
٤٦	إن ربي عز وجل أمرني أن اعلمكم ...
٣٤٤	إن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ ...
٣٤٤	إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ غنماً ...
٣٧٦	إن رسول الله ﷺ قدم المدينة ...
٣١٩	إن العلماء ورثة الأنبياء ...
٧٥	إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ...
٣٢٣	إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة ...
٣٢٢	إن من كظم غيظاً ...
١٠١، ١٠٠	أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ...
٧٤	إنها ستكون من بعدي أمراء يصلون الصلاة ...
٣٢٥	بشروا ولا تنفروا ويسروا ...
٧٥	ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ...
٨٥	خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...
٦١	خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة ...
٣٢٢	الدين النصيحة ثلاثاً ...

- ٣٤٣ قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان ...
- ١٥٧ قلت: أبايعك على الإسلام ، فاشترط علي ...
- ٣٥٦ قيل يا رسول الله: ما يعدل الجهاد؟ ...
- ١٦١ كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً ...
- ٢٠١ كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم ...
- ٣٨٧ كان ناس من الأسرى لم يكن لهم مال ...
- ١٤٩ ، ١٥٢ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك ...
- ١٨٠ لا تلقوا السلع ...
- ١٣٩ لا يجتمع كافر وقاتله في النار ...
- ٣٤٣ ماخير رسول الله ﷺ بين ...
- ٢٠٠ مارأيت أحداً أشد مشاورة ...
- ٤١٤ ، ٤١٢ مامن مولود إلا ويولد على الفطر ...
- ١٥٨ مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي ...
- ١٥٧ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ...
- ٤٢٣ من سره أن يتمثل له الرجال قياماً ...
- ١٥٤ من صام رمضان إيماناً واحتساباً ...
- ٧٥ من فارق الجماعة وخرج من الطاعة ...
- ٧٤ من كان بينه وبين قوم عهد ...
- ٨٣ وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ...
- ٢٦٩ وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ...
- ٣٣٤ يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى ...
- ٩٨ ياعبادي إني حرمت الظلم ...

فهرس الأماكن والبلدان

أبله، ٢٤١.

أربونتة، ٦٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٨، ٢٤٧، ٢٥٠، ٣٠٢، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٣.

أريولة، ٧٨.

إسبانيا، ٢٥، ٢٦، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٤٩، ٢٤٦، ٢٤٩، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١.

استجة، ٦٢، ١٧٦، ٣٦٤.

استورس، ٢٣٩.

استورقة، ٢٤٠.

آسيا، ٣٣.

إشبيلية، ٢٦، ٦٥، ١٧٢، ١٢٢، ١٣٦، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٠٠، ٣٦٤، ٣٧٩، ٣١٨.

افرنجة، ٦٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥.

٣٦٧.

أفريقية، ١٠، ١٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢.

٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧.

٢٨١، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٢، ٣١١، ٣٣٦، ٣٥٧، ٣٧٨، ٣٩٠، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٢٧.

أفينيون، ٢٤٨.

إفيوسا، ٢٥، ٢٧.

إلبيرة، ٦٢، ١٨٥، ١٣٧، ١٣٨، ٢٧٠، ٣٦٣، ٣٧٩.

آلة، ٧٨.

إمريكا، ٣٢.

إنجلترا، ٤٤.

أوروبا، ٢٦، ٢٨، ٢٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦.

٢٤٦، ٢٤٨، ٢٨٤، ٣٠١، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٠.

٤١١، ٤١٢، ٤٢٧، ٤٣١.

إيبيريا، ٢٥.

إيرلندا، ٤١٢.

باجة، ١٢٣، ١٢٤، ٢٧٢.

- بارو (حصن)، ٣٣٧.
- باريس، ٢٤٦، ٣٥٧.
- باطقة، ٢٥.
- بافاريا، ٤٠٣.
- بيشتر، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٦٤.
- البحر الأبيض المتوسط، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٧٠.
- بحيرة شريش، ٦١.
- البرتغال، ٣٢، ٤١١.
- برشلونة، ٦٤، ٢٤٩، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٦٧.
- بسكونية، ٢٤٠.
- بطليوس، ٣٦٥.
- بغداد، ٢٦١، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٦، ٤٣٣.
- بلاط الشهداء، ٢٤٨، ٣٠١، ٣٣٩، ٣٥٧.
- بلانقة، ٧٨.
- بلنقة، ٧٨.
- بلنسية، ١٢، ٣٧٤.
- بنبلونقة، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٣٤٧، ٣٦٢.
- بواتية، ٢٤٦.
- بيزنطة، ٣٤٠، ٣٦١، ٣٩٥.
- تدمير، ٦٤، ٧٨.
- تور، ٢٤٦.
- تونس، ٢٦٤، ٣٦٥.
- الشجر الأعلى، ١٢، ٣٦٣، ٣٧١.
- جبال البرت، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٧٠، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٤٧، ٣٦٠.
- جبال شلير، ٢٩.
- جبال لنبتريات، ٢٩.
- جبال مورينا، ٢٩.
- جبل طارق، ٢٨، ٢٩.

- جزيرة أم حكيم، ٢٨٦.
- الجزيرة الخضراء، ٦٠، ٦٣، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٩٢، ٣٣٦، ٣٧٨.
- جزيرة شريك، ٥٨.
- جزيرة طريف، ٢٧، ٥٩.
- جزيرة مينرقة، ١٣، ٥٩، ٦٥، ٣٦١، ٣٦٤.
- جزيرة ميورقة، ١٣، ٥٩، ٦٥، ٣٦١، ٣٦٤.
- جزيرة يابسة، ١٣، ٣٦٤.
- جليقية، ٦٤، ١٣٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٩٢، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٦١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦.
- جيان، ٣٦، ١٢٣، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٦، ٣٦٤.
- الحجاز، ١٢٩، ١٣٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٣٣.
- حمص، ١٢٣.
- خليج بسكاي، ٢٩، ٣٢، ٢٤٠.
- دمشق، ٦٥، ٦٩، ٢٣٧، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٧٩، ٤٢٩.
- رندة، ٢٩٥.
- روما، ٣٥، ٢٤٤.
- رية، ١٢٩، ١٣٩.
- الزاهرة، ١٣٤.
- الزهراء، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ٤٣٦.
- سبتة، ٥٤، ٢٦٤، ٣٦٥، ٢٩٢، ٣٣٦.
- سبتمانية، ٢٤٥، ٢٥٠، ٣٠٢.
- سرقسطة، ٦٤، ٩٠، ١٣٨، ١٦١، ٢٧٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٣٨، ٣٥٩، ٣٧٩.
- سكسونية، ٤٠٤.
- الشام، ٥٢، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨٦، ٢٩٢، ٣٦٠، ٣٥٨، ٣٧٧، ٣٩٠.
- شبلش، ٣٠٤.
- شذونة، ٦١، ٦٣، ١٣٠، ١٣٨، ٢٥٣، ٣٨٢.
- شقندة، ٢٨٠، ٢٨٩.

- شقوبية، ٢٤١.
شنت برية، ٢٩٢.
شنت ياقب، ٣٦٨.
صخرة بلاي، ٢٣٨.
صفين، ١٠٢.
صنم قاسس، ٦٤، ٢٥٣.
طلبارس، ٣٠٩.
طليطلة، ٣٥، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ١٧٦، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٩٢،
٣٠٣، ٣١٥، ٣٥١، ٣٧٨.
طنجة، ٥٤، ٣٢٦.
العراق، ٣٩٠.
غالة، ١٠.
غاليسيا، ٢٩.
غرناطة، ٢٦، ٢٧، ١١٩، ٢٧٠.
فارس، ٣٥٧، ٣٧٧.
فحص البلوط، ١٣٦.
فرنسا، ١٠، ١٣، ٢٦، ٧٠، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٤٩، ٢٨٤، ٣٠١، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٨٠، ٤٠٢، ٤١١.
قبرة، ١٣٠، ١٦٩، ١٧٦.
قشتالة، ٣٤٦.
قرطاجنة، ٣٣، ٣٣٠، ٣٦٧.
قرطبة، ٣٦، ٢٩، ٦٢، ٦٧، ٧٧، ٨٥، ٨٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣،
١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨،
٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٥٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٦،
٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٨٨، ٣٩٤،
٣٥٠، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٤.
٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٢.
قرمونة، ٦٣، ٢٧٢، ٣١٧.
القسطنطينية، ٥٠، ٦٥، ٣٤٠.

- قنتيش، ٤٣٣.
- القيروان، ١٢٩.
- لبلة، ٢٨٨، ٢٥٣، ٦٤.
- لشونة، ٢٥٣، ٢٥٢.
- لقنة، ٧٨.
- لك، ٢٦٩، ٢٤١، ٢٣٧.
- لوقة، ٧٨.
- ليون، ٢٤٧.
- ماردة، ٦٣، ٤٨، ٤١، ٤١٩، ١٢٧، ١٣١، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٠، ٣٠٠، ٣٥١، ٣٦٥، ٤٢٤.
- مالقة، ٦٢، ٢٩٥، ٣٨٠.
- المحيط الأطلسي، ٣٠، ٣٦، ٣٢، ٦٤.
- المدينة، ١٣٢، ٢٦٠، ٢٢٨.
- المصاراة أو المساراة، ٢٧٠، ٢٧٥.
- مصر ٥٥٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٣٤، ٢٦٣، ٢٧٧، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٣٣.
- مرسية، ٣٦٤، ٣٦٥، ٢٨٠، ٤١٢.
- مكة، ١٣٢، ٢٠٩، ٢٧٣.
- المرية، ٢٥٥.
- مولقة، ٧٨.
- نافارا، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦.
- نهر إبرو، ٣٠.
- النهر الأبيض، ٣٠.
- نهر تاجه، ٣٠.
- نهر الجارون، ٢٤٥.
- نهر نويرة، أو نهر نورو، ٣٠، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٠١، ٣١١، ٣٦٦.
- نهر الرون، ٢٤٧.
- نهر اللوار، ٢٤٦.
- نهر الوادي الكبير، ٣٠.
- النهروان، ١٠٢.

نهر المنهه، ٣١١.

نهر الينع، ٣٠.

هسبانيا، ٢٥.

هولندا، ٤٤.

وادي الحجاره، ٦٣.

وادي شقر، ٣٠.

وادي لكه، ٦١، ٧٠، ٨٩، ٣٣٩، ٣٣١، ٤٢٧.

ويلز، ٤٠٣.

يابره، ٣٦٥، ٢٥٠.

فهرس الاعسلام

٢٢٨	ابراهيم بن الحجاج الأشبيلي
١٨٢ ، ١٧٩ ، ١٧١	ابراهيم بن حسين بن خالد
١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣	ابراهيم بن حسين بن عاصم
٢١٣	ابراهيم بن خالد
٣٢٤	ابراهيم بن خليل السامرائي
٢١٣	ابراهيم بن شعيب
٢١٣	ابراهيم بن المنذر الجزامي
٢٠١ ، ١٩٤	أبو بكر الصديق رضي الله عنه
٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢١٤	أبو بكر بن أبي شيبة
٣٨٣	أبو بكر بن معاوية القرشي
٤٠٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦٧	أبو جعفر المنصور
٢٧٦ ، ٢٧٥	أبو الصباح
٣٨٣ ، ٣٦٥	أبو علي القالي
٢٠٨	أبو عيسى
٧٨	أبو قائم الهذلي
٣٨٦	أبو المجد نوفل
٣٠٤	أبو نصر
٣٥٦ ، ٢٠٠	أبو هريرة رضي الله عنه
١٥٥	أبو يعلى الحنبلي
٨٩ ، ٧٦ ، ٣٩	أبناء غيطشة
١٤٦ ، ١٤٢	ابن أبي أيوب
٤٣٢	ابن بسام
٣١٨ ، ٣٠٤ ، ٢٥٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦	ابن حيان القرطبي
٤٠٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ٦٥	ابن خلدون
	ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم
٣٨٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٤ ، ١٠٤ ، ١٥	ابن عذاري

٣٢٦	ابن عبد الحكم
	ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم
٣٩٨ ، ٣٩٣ ، ٣٨٣ ، ٣٦٦ ، ٣٩٨ ، ١٢٤	ابن القوطية
١٥٧ ، ١٠١	ابن كثير
٧٨	بن ميسرة الفهمي
٣٥٥ ، ٩٧	ابن منظور
٣٦٦	ابن نادر
٣٨٥	ابن وليد الكلبي
٢١٤	أحمد بن إبراهيم الدورق
٤١١	أحمد أمين
٣٨٤ ، ١٨٣ ، ١٣٣	أحمد بن بقي بن مخلد
٢١٤ ، ١٢١	الإمام أحمد بن حنبل
١٧٦	أحمد بن خالد بن عبد الله
٢١٦ ، ٣١١ ، ١٢٩	أحمد بن خالد بن يزيد
٢١٣	أحمد بن راشد
٢٨	أحمد شوقي
٣٧٦ ، ٣٣١ ، ١١٢ ، ٥٥	أحمد بن عبد الحلیم - شيخ الإسلام ابن تيمية
٣٩٥	أحمد بن عبد الرحمن القرشي
١٣٩	أحمد بن عبد الله بن نكوان
١٨٧	أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف (ابن عبد الرؤوف)
٣٨٥	أحمد بن محمد بن حدير
١٩١ ، ١٨٣ ، ١٧٥	أحمد بن محمد بن زياد
١٤٨	أحمد بن مطرق بن عبد الرحمن
١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٦٧	أحمد بن نصر بن خالد
١٦٧	أحمد بن يونس الجذامي
٣٣٩ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ١٨٩ ، ١٨٠	إرطباش بن غيطشة
٤٣٣	أرمنق
	الأزهري = محمد بن أحمد الأزهري

٣١٤	إسحاق بن إبراهيم بن عيسى
١٤٧	إسحاق بن إبراهيم بن مرة
٣٠٦	إسحاق (القس)
٣٠٨ ، ٢٦٥ ، ١٧٦	أسلم بن عبد العزيز بن هشام
٣٢٤	أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما
١١٤	أسود بن سليمان
١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٣٦	أشهب بن عبد العزيز
٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣	أصبغ بن خليل
١٨٣	أصبغ بن عيسى الشقاق
٢١٣ ، ١٣٧	أصبغ بن فرج
٤٠٢	إليزبيث
٤٠٠	أم الحسن بنت سليمان بن وانسوس
١٣٢	أم الأصبغ
٩٠	أم عاصم
٣٨٠ ، ٣٦٦	أمية بن عبد الملك
٣٩٩	أمية بن عيسى
٣٠٢	أنزيموند
	الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو
٤١٢	أوفا
٣٠٧ ، ٣٠٥	أولوخيو
٧٢	إيزيدور
٣٦٠ ، ٢٤٥	أيوب بن حبيب اللخمي
٢٢٦ ، ١٨٠ ، ١٧٥	أيوب بن سليمان بن هشام
٣٥٩ ، ٣٥٨	بدر مولى عبد الرحمن بن الحكم
١١١	بدرون
٣٠٥	برفكتوس
٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٠ ، ١٩٢ ، ١٣٩	بقي بن مخلد
٣٩٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢١	

٨٥	بكر بن سواد الجزامي
٣٢٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ١٤٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨	بلاي أو بلايو
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٢	بلج بن بشر القشيري
٣٦٠ ، ٣٦١	
٣٦٦	بلقيس
٤٠٠	الجهاء بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم
٣٠٢	بيرون بن كارل
٧٨	تدمير بن عبدوش
٣٤٠	توفلس
٤٢٠ ، ٣٤٩ ، ٣٤٥ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١	توماس أرنولد
٣٦٧ ، ٣٦٦	ثعلبة بن ثوابة
٣٧٠ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٧٨	ثعلبة بن عبيد الله الجزامي
٧٢	ثيود سكلوس
٤٠٢	جربرت دي أورباك
١٥٧	جرير بن عبد الله البجلي
٣٣٨	جعفر بن الأشتر
١٧٦	جعفر بن عثمان
٣	الجوهري
٨٦	حباب بن أبي جبلة
٣٦٤	حباب بن زكريا
	حبيب بن أبي عبدة
١٦١	حبيش الشيباني
٣٦٦	حدير مولى عبد الرحمن الداخل
١٢٠	حدير بن كريب (أبو الزاهرية)
٣٤٥ ، ٨٩	الحر بن عبد الرحمن الثقفي
٥٨	حسن بن إبراهيم بن حسن
١٣٣	الحسن البصري
٣١٦	الحسن بن سعيد بن أدريس

١٣٩	الحسن بن عبد الله الجذازمي
٢٠١	الحسين بن مسعود البغوي الإمام الحافظ
٣٩٩	الحسن بن هاني
١٧٩	الحسين بن عاصم
٢٩٢	الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما
٣٠٠-١٠	حسين مؤنس
٣٥٩ ، ٣٢٩ ، ٣٨٩	حسين بن يحيى الأنصاري
٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٦٧ ، ٢٤٠	أبو الخطار، حسام بن ضرار
١٣٦ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٤	الحكم بن عبد الرحمن الناصر
٤٠٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٦٧ ، ٣٥٥	
١١٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ٢٠٨	الحكم بن هشام الربضي
٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨١ ، ٣١٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٨٧	
٣٩١	
٣٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٤	حنش بن عبد الله الصنعاني
٣٦٦	حنطة بن صفوان
٢٧٦ ، ١٨٧	حيوية بن ملامس الحضرمي
٣٧٩	خالد بن الوليد
١٣٦	داود بن علي الظاهري
٥٨	أبو المهاجر دينار مولى بني مخزوم
٣٧٩ ، ١٦٨	الرازي
١٢٠	راشد بن سعد
١٩٩	الراغب الأصفهاني
٣٢٠ ، ٥١	ربيع بن عامر
١٩٥ ، ١٩٤	الربيع بن خثيم
٥١	رستم
٣٩٣	زرياب
٢١٨	زهير بن حرب (ابن أبي خيثمة)
٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٢ ، ٢٠٨	زياد بن عبد الرحمن (شبطون)

٣٣٥ ، ٣٣٤	زياد بن محمد بن زياد
٨٧	زيد بن قاصد السكسكي
٩٠ ، ٨٠	سارة القوطية
١٨٩ ، ١٧١	سحنون بن سعيد
١٩٢	سعد بن معاذ بن عثمان الشعباني
١٩٠	سعيد بن حسان الصائغ
٤٣٣	سعيد بن خمير بن مروان
٢٠٣	سعيد بن عبد العزيز التنوخي
٣٣٨	سعيد بن عبدوس
٣١٧	سعيد بن منصور
٣١٣	سعيد بن نمير بن سليمان
١٣١	سفيان الثوري
٢٠٩	سفيان بن عيينة
١٩٥ ، ١٩٤	سلمة بن وردان
١٨٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٦	سليمان بن أسود
٤٣٤	
٤٣٣	سليمان بن الحكم بن سليمان
٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٤٩	سليمان بن عبد الرحمن الداخل
٣٣٨ ، ٢٥٩ ، ١٣٥	سليمان بن عبد الملك
٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٧٨	سليمان بن يقظان
٢٤٥ ، ٩١	السمح بن مالك الخولاني
٣٤٢ ، ٣٢٠	سيد قطب
٤١	سيزبوت
٢٤٩ ، ٢٤٨	شارل مارتل
٤١٠ ، ٣٥٩ ، ٣٤٩ ، ٢٩٠ ، ٢٧٨	شارلمان
٢٣٢	شانجه
١٠١	شريح القاضي
	الشعبي = عامر بن شراحيل

١٧٢	شعيب عليه السلام
٢٩٢ ، ٢٧٨	شقنا
٢٢٣	الشوكاني
٢٩٤	صاعد بن أحمد الأندلسي
٢١٠	صباح بن عبد الرحمن العتقي
٢٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣	صعصة بن سلام
٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ١٧٣	الصميل بن حاتم
٢٨٩ ، ٢٣٩ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨	
٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧	طارق بن زياد
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، ١١٧ ، ١٣٦	
١٦٠ ، ٢٠٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٧	
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٧٨ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧	
٢١٥	طالوت بن عبد الجبار
٢٥٨ ، ١١٧ ، ١٦٦ ، ١٥٩	طريف بن مالك النخعي
٢٦٦	طوطة البشكنسية
٢٤٣	عائشة رضي الله عنها
٢٧٩	أبو عبيدة عامر بن الجراح
١٠٢	عامر بن شراحيل الشعبي
٢٩٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧	عامر بن عمرو
٢٢٥ ، ١٢٩	عامر بن معاوية اللخمي
٢٩٢	عباس بن فرناس
٤٠٣	عباس بن مرداس
٢٧٢	عباس بن ناصح
٢٢٣ ، ١٩٠	عبد الأعلى بن وهب بن عبد الله الأعلى
٨٧	عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف
١٧٥	أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى
٢٧٢	عبد الرحمن بن حبيب الفهري

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

١٢٦ ١٢٧ ١٦٥ ١٦٦ ١٨٢ ١٨١ ١٦١ ١٦٢
٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٩ ٢٣٩ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٨٢
٢٩١ ٢٩٣ ٢٩٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٤٠
٢٤١ ٢٥١ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٦٣ ٢٨٢
٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٤٠٢ ٤٠٨ ٤٢٣
٤٢٤ ٤٢٨ ٤٢٩

عبد الرحمن الداخل

١٠٠ ١٠٦ ١٠٧ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٢ ١٢٣
١٣٧ ١٦٣ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٣ ١٧٤ ٢٠٤
٢٠٥ ٢٠٧ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩
٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٨١
٢٨٢ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩٢ ٢٩٦ ٢٩٧ ٣٥٨
٣٥٩ ٣٦٠ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٩٠ ٤٠٧

عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

عبد الرحمن بن علقمة

عبد الرحمن بن علي الحجبي

عبد الرحمن بن عمرو الإمام الأوزاعي

عبد الرحمن بن القاسم

عبد الرحمن بن ماعز الأنصاري

عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر

عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله

٤٨٠ ٤٨٦ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٠١ ٣٤٥ ٣٥٧
٢٦٦ ٢٨٦ ٣١٠ ٣١٢
١١
١٠٥ ١٠٧ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦ ٣٨٩
١٣٣ ١٧٠ ١٧٣ ٢٠٩
١٢٠

١١٦ ١٣١ ١٣٨ ١٤٣ ١٤٤ ١٩٦ ٢٨٢
٢٨٥ ٢٩١ ٢٩٤ ٢٩٥ ٣٠٤ ٣٠٧ ٣١٨
٢٥١ ٢٦٣ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٩
٣٨٤ ٣٩٤ ٣٩٧ ٤٠٢ ٤٢١

عبد الرحمن بن مروان الجليقي

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

عبد الرحمن بن يوسف الفهري

عبد الرزاق بن همام

عبد السلام بن يزيد بن هشام

٢٩٤
٤١٨
١٠٩ ١٦٢
٢١٧
٢٧٧

٢٤٤٤٩٠ ١٨٩ ١٨١ ١٧٨ ١٦٩ ١٦٧ ١٦٥ ١٦٣	عبد العزيز بن موسى بن نصير
٣٧٩ ٣٣٠ ٣٢٠ ٣٥٩	
٣٦٢ ٣٦١	عبد الكريم بن عبد الواحد
١٧٥	عبد الله بن خالد
٣٨٧	عبد الله بن عباس
٢٨٢ ٢٨١ ٢٨٠	عبد الله بن عبد الرحمن الداخل
٢١٣	عبد الله بن عبد الملك بن حبيب
٢٠٦	عبد الله بن الغازي بن قيس
٢٣٨	عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل
١٢ ١٢٩ ١٣٠ ١٦٨ ١٧٦ ٢٩٥ ٣٠٣	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
٤٢٢ ٣٩٤ ٣٦٥ ٣٤٨	
٣٦٣	عبد الله بن محمد القسوي
١٩٥ ١٩٤	عبد الله بن مسعود
٣٣٨ ١٦١	عبد الله بن مسلم بن قتيبة
٨٧	عبد الله بن المغيرة الكناني
٥٨	عبد الله بن موسى بن نصير
٥٠	عبد الله بن نافع بن الحصين
٥٠	عبد الله بن نافع بن عبد القيس
٢٠٩ ١٧٠	عبد الله بن نافع الصائغ
٣١٤	عبد الله بن هزيل الكناني
٢٠٩ ١٧٠	عبد الله بن وهب
٢٣٠	عبد الله بن يحيى بن يحيى
١٣٧ ١٨٥	عبد الله بن يزيد الحبلي
٢١٦	عبد الله بن يونس المرادي
٢٠٥	عبد الملك بن جريج
١٨٧ ١٢٧ ١٢٩ ١٨١ ٢٠٣ ٢٠٦ ٢٣١ ٢٣٢	عبد الملك بن حبيب
٣٩٦ ٣٣٧ ٣٣٦	
٣٦٠	عبد الملك بن عبد الواحد

٢٠٦٤	عبد الملك بن قريب الأصمي
٢٤٧، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٢	عبد الملك قطن الفهري
٣٠١، ٣١٠، ٣١١	
٢١٣	عبد الملك بن الماجشون
٣٦٩	عبد الملك بن محمد بن أبي عامر
١٢٠	عبد الملك بن مروان
٣٢٩	عبد الله بن مغيث
١٧١	عبد الملك بن هشام
٢٨٠	عبد الملك بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
٣٧٧	عبيد الله بن أبان بن معاوية
٣٦٣	عبيد الله بن الحبحاب
٢٤٢	عبيد الله بن عبد العزيز
١٢١	عبيد الله بن عبد الكريم (أبو زرعة)
٣٦٢، ٣٦٣	عبيد الله بن عبد الله البلنسي
١٩٦	عبيد الله بن يحيى - والي الثغر الأعلى
٢١٠، ١٩٦، ١٩٢	عبيد الله بن يحيى بن يحيى
٢٠٦، ٢٠٤	عثمان بن أيوب
٧٨	عثمان بن أبي عبدة القرشي
١٩٥، ١٩٤، ٥٠	عثمان بن عفان رضي الله عنه
٣٦٤	عصام الخولاني
٣١٤	عفير بن مسعود الغساني
٣٨٨، ٣٦١، ٢٤٧، ٢٣٨، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣	عقبة بن الحجاج السلولي
٣٧٨، ١٦١	عقبة بن نافع الفهري
٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٢	العلاء بن معيث
١٩٥، ١٩٤، ١٩٢، ١٠١	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٣٧٢، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦	ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد
٨٦	علي بن رباح اللخمي
٢١٦	علي بن عبد القادر

٨٧	علي بن عثمان بن الخطان
١١١	علي بن معبد
١٦٥ ، ١٠٩	علي بن موسى المعروف بن سعيد الأندلسي
٣٤٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٤٢	عمر بن حفصون
٤١٧ ، ٣٧٩ ، ٣١٩ ، ٢٠١ ، ١٩٤	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٩١ ، ٣٦٠ ، ٢٤٥ ، ٢١٧ ، ٢٠٧ ، ١٦٤ ، ١١٨ ، ٩١	عمر بن عبد العزيز
٤١٧	
٣٩٦ ، ١٤٥	عمر بن عبد الله القاضي
٣٩٩	عنبرة
٣٠١ ، ٢٤٦	عنيسة بن سحيم الكلبي
٨٥	عياض بن عقبة
٣٩٠ ، ١٨٠	عياض بن موسى بن عياض القاضي
٣١٦ ، ٢١٠	عيسى بن دينار
٨٠	عيسى بن مزاحم
٣٦٠ ، ٢٩٠	عيشون بن سليمان بن يقطان
٣٢٠ ، ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ١٩٤	الغازي بن قيس
٣٦٢	غرسية
٣٣٨ ، ٣٩ ، ٣٨	غيطشة
١٣١	فرات بن خالد الضبي (أبو إسحاق الرازي)
١٤٢ ، ١٣٨	الفرج بن كنانة
١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٣	فطيس بن سليمان
٥٨	فمبا
٢١٨ ، ١٣٣	قاسم بن أصبغ
٢٠٩	القاسم بن عبد الله
٣١١	القاسم بن يوسف الفهري
٣٣٣ ، ٣٣٢	القرطبي
٣٣٨ ، ٩٠	قسي
٤٠٨ ، ٤٠٢ ، ١٢٨	القومس بن أنتنيان

٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣	كلثوم بن عياض القشيري
٣٦٣	لب بن محمد القسوي
٣٣٦	لذريق
٣٣٦	الليث بن سعد
٣٤٩	لويس التقي
٤٠٣	لويس السادس
١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٣	الإمام مالك بن أنس
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢	
٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤	
٣٩٠ ، ٣٣٥	
١٥٥ ، ١١٣	الماوردي
٣٩٦	مؤمن بن سعيد
١٢	محمد بن إبراهيم أبا الخيل
٩٧	محمد بن أحمد الأزهري
٤٠٨ ، ٣٩٩	محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار
١٨٥ ، ١٨٤	محمد بن أحمد .. ابن عبدون
١٨٩ ، ١٧٥	محمد بن أحمد بن عبد العزيز - العتبي
١٣٣ ، ١٣٢	محمد بن إسحاق بن السليم القاضي
٢١٨	محمد بن إسماعيل البخاري
٨٦	محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري
١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦	محمد بن بشير القاضي
١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢١٧	محمد بن جرير الطبري
٣١٨	محمد بن جنادة بن عبد الله
١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٦٢	محمد بن الحارث الخشني
١٦٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤	محمد بن حارث بن أبي سعيد
٢٥٤ ، ٢٠٦	محمد بن الحسين
١٦٦ ، ١٦٩	محمد بن خالد بن مرتنيل

٥	محمد الراوي
١٨٩	محمد بن زياد بن عبد الرحمن زهير
٢١٠	محمد بن العباس بن وليد
٤٣٣ ، ١١٦	محمد بن عبد الجبار بن هشام
١٣	محمد بن عبد الحميد بن عيسى
٣٦٨	محمد بن عبد الخالق الفساني
١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ، ٢١٥	محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأمير
٢٥٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩	
٤٣٣ ، ٤٠٢ ، ٤٢٤	
٢٠٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٣٠	محمد بن عبد الرحمن بن ابي نثب
١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٩٤ ، ٣٩٦	محمد بن عبد السلام الخشني
١٩٩	محمد بن عبد القادر - أبو فاس
١٣٣	محمد بن عبد الله بن أبي دليم
١٢ ، ٣٨٥	محمد عبد الله عنان
١٣٨	محمد بن عبد الله بن أبي عيسى
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٩٦ ، ٣٨٤	محمد بن عبد الله بن مسرة
١٨١ ، ١٨٦	محمد بن عتاب بن محسن
١٥٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨	محمد بن عمر بن لبابة
١٩٠ ، ١٩٢ ، ٣٣٩	
١٦١	محمد بن عمرو بن واقد
٢١٤	محمد بن عيسى الأعشى
٢٢٨	محمد بن غالب - الصفار
٢١٦	محمد بن قاسم بن محمد
٣٨٥	محمد بن محمد بن أبي زيد
٢٢١	محمد بن محمد بن محمد الغزالي
١٩٤ ، ١٩٥	محمد بن مسلم بن الشهاب الزهري
١٢٩	محمد بن مسور بن عمر
٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥	محمد بن وضاح بن بزيغ

١٩٢	محمد بن وليد بن محمد بن عبد الله
١١٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٨	محمد بن يبقا بن زرب القاضي
٢٧١	محمد بن يوسف الفهري - أبو الأسود
٢٠٥	مروان بن عبد الملك
٢١٨	مسلم بن حجاج
١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٤	معصب بن عمران
١٧١ ، ١٧٢ ، ٢١٣	مطرف بن عبد الله
٢٨١ ، ٢٩٠ ، ٣٦٠	مطرح بن سليمان بن يقظان
١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠	معاوية بن صالح
٢٨٠	معاوية بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
٧٧ ، ١١٧ ، ٢٣٧	مغيث الرومي
٨٧	المغيرة بن أبي بردة الكناني
٢٧٧	المغيرة بن الوليد بن معاوية
١٨٥ ، ١٧٧ ، ٢٨٩ ، ٢٠٨ ، ٢٥٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠	المقري
٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٧	
١٢٠	مكحول الشامي
٨٩	منذ بن غيطشة
١٠٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٣٦٥	مندر بن سعيد البلوطي
٤٢١	
١٢ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٢٤ ، ٢٩٥	المنذر بن محمد بن عبد الرحمن
٨٧	المنصور بن جزامه
١١٥ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ٢٨٩ ، ٣٠٩ ، ٣٦٥	المنصور محمد بن أبي عامر
٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣	
٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤	
١٧٢	موسى عليه السلام
٣٨٥ ، ٣٩٣	موسى بن حدير
٢٠٣	موسى بن ربيعة
٣٦٣	موسى بن موسى القسوي

١٥٠، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٦، ١٩٠، ٢٣٧، ٢٤٤	الوليد بن عبد الملك
١٩٢	وهب بن وهب بن وهب - أبو البحتري
٢٣	ويلمين
١٧٥، ١٧٢	يحيى بن إبراهيم بن مزين
٢٣٠	يحيى بن الحجاج
٢٨٨	يحيى بن حريث
١٢٠	يحيى بن سعيد الأنصاري
٢٢٥	يحيى بن شرف النووي
٢٤١، ٢٤٠	يحيى الغزال
٢٣٠	يحيى القصير
٢١٥، ٢١٠، ٢٠٩	يحيى بن مضر
١٢٧، ١٢٦	يحيى بن معمر
١٢١	يحيى بن معين
١٢٤، ١٢٥، ١٣٨، ١٧٢، ١٩٠، ٢٠٨، ٢١١	يحيى بن يحيى الليثي
٢١٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠	
٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩	
١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٨، ١١٩، ١٦٣	يحيى بن يزيد التجيبي
٢١٧	يزيد بن طلحة العبسي
٢٠٨	يزيد بن عامر الليثي
١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٦، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨	يليان أو يولييان
١٠٩ - ١١٩، ١٧٣، ٢٤٠، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩	يوسف بن عبد الرحمن الفهري
٢٧٠، ٢٧٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٤٦، ٢٥٨	
٣٠٦	يولجوس

فهرس المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع الأخرى من الكتب:

- ١ - الابحاث السامية في المحاكم الإسلامية.
تأليف: السيد محمد المرير. تحقيق: فريد البستاني.
نشر: معهد الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الأسبانية عام ١٩٥١م.
- ٢ - الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف.
تأليف: الدكتور/ منجد مصطفى بهجت.
نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت ط١ - عام ١٤٠٧هـ.
- ٣ - الاحاطة في أخبار قرناطة للسان الدين بن الخطيب.
نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢ (بدون تاريخ).
- ٤ - أحكام أهل الذمة لشمس الدين ابن القيم الجوزية.
نشر: دار العلم للملايين - بيروت - ط٣ عام ١٩٨٣م.
- ٥ - الأحكام السلطانية للماوردي.
نشر: مطبعة البابي الحلبي بمصر ط٢ - عام ١٣٨٦هـ.
- ٦ - الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقهي.
نشر: مطبعة الباب الحلبي بمصر - ط٢ - عام ١٣٨٦هـ.
- ٧ - إحياء علوم الدين للغزالي.
نشر: دار المعرفة، بيروت (دون تاريخ طبع).
- ٨ - أخبار مجموعة - لمؤلف مجهول.
نشر: مكتبة المثنى بغداد، طبعة مدريد عام ١٨٦٧هـ.
- ٩ - أساس البلاغة: لجار الله الزمخشري.
نشر: مطبعة دار الكتب - ط٢ - عام ١٩٧٢م.
- ١٠- أسس الجغرافية العامة للدكتور/ يسري عبد الرزاق الجوهري.
نشر: مكتبة المعارف بالاسكندرية (بدون تاريخ).

- ١١- الإسلام في المغرب والأندلس، لليفي بروفنسال.
نشر: مكتبة نهضة مصر (دون تاريخ طبع).
- ١٢- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق
الدكتور/ طه محمد الزيني.
نشر: مكتبة الكليات الأزهرية - ط ١ - (دون تاريخ طبع).
- ١٣- أصول الحسبة في الإسلام، للدكتور/ محمد كمال إمام.
نشر: دار الهداية بمصر - ط ١ - عام ١٤٠٦هـ.
- ١٤- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان.
نشر: دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية - ط ٣ - عام ١٣٩٦هـ.
- ١٥- أعلام الموقعين، لشمس الدين ابن القيم الجوزية.
نشر: دار الكتب العلمية ببيروت - ط ١ - عام ١٤١١هـ.
- ١٦- الأعلام: لخير الدين الزركلي - ط ٣ (بدون تاريخ طبع).
- ١٧- أعمال الاعلام لمن بويغ بالخلافة قبل الاحتلام - للسان الدين ابن
الخطيب.
نشر: دار الكشوف، بلبنان - عام ١٣٩٣هـ.
- ١٨- الامامة والسياسة: لابن قتيبة الدينوري.
نشر: مكتبة البابي الحلبي بمصر، عام ١٣٨٨هـ.
- ١٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق:
الدكتور/ صلاح الدين المنجد. نشر: دار الكتاب الجديد - بيروت -
ط ١ عام ١٣٩٦هـ.
- ٢٠- انباه الرواة على أنباء النحات، لجلال الدين القفطي.
نشر: دار الكتب المصرية - ط ١ - عام ١٣٦٩هـ.
- ٢١- الأندلس، ل ج س كولان، ترجمة لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية.
نشر: دار الكتاب المصري. ط ١ - عام ١٩٨٠م.
- ٢٢- أوروبا في مجرى التاريخ - دراسة جغرافية، للدكتور/ محمود الجمل.
نشر: مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٦٩م.

- ٢٣- البداية والنهاية، للإمام ابن كثير.
نشر: مكتبة السعادة بمصر. ط ١ - عام ١٣٥١هـ.
- ٢٤- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي.
نشر: مطبعة روخس بمدريد عام ١٨٨٤م.
- ٢٥- بغية الوعاة في أنباء النحات لجلال الدين السيوطي.
نشر: دار المعرفة، ببيروت (دون تاريخ طبع).
- ٢٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري
المراكشي، تحقيق: ليفي بروفنسال.
نشر: دار الثقافة، ببيروت (دون تاريخ طبع).
- ٢٧- تاج العروس، لمحمد بن مرتضى الزبيدي.
نشر: المطبعة الخيرية بمصر. ط ١ - عام ١٣٠٦هـ.
- ٢٨- تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والامارات/ للدكتور شوقي ضيف.
نشر: دار المعارف بالقاهرة (دون تاريخ طبع).
- ٢٩- تاريخ الاسلام السياسي، للدكتور حسن ابراهيم حسن. ط ٦ عام
١٩٦٤م.
- ٣٠- تاريخ ابن خلدون.
نشر: مطبعة الاعلمي للمطبوعات، ببيروت عام ٣٩١هـ.
- ٣١- تاريخ أفتتاح الاندلس، لابن القوطية، تحقيق ابراهيم الأبياري.
نشر: دار الكتاب المصري. ط ١ - عام ١٤٠٢هـ.
- ٣٢- تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل
ابراهيم.
نشر: دار السويدان - ببيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٣٣- التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة. للدكتور/
عبد الرحمن علي الحجري.
نشر: دار القلم بدمشق. ط ٣ - عام ١٤٠٧هـ.

- ٣٤- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني، للدكتور علي محمد حموده.
نشر: دار الكتاب العربي بمصر. ط١ - عام ١٣٧٦هـ.
- ٣٥- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى / سعيد عبد الفتاح عاشور.
نشر: مكتبة الأنجلو المصرية - ط١٠ - عام ١٩٨٦م.
- ٣٦- تاريخ التعليم في الأندلس، للدكتور/ محمد عبد الحميد عيسى.
نشر: دار الفكر العربي. ط١، عام ١٩٨٢م.
- ٣٧- تاريخ دمشق لابن عساكر، صورة المكتبة الظاهرية بدمشق، فهرسة
الشيخ محمد بن رزق.
- ٣٨- تاريخ العرب العام للمستشرق ل. أ. سيديو، ترجمة عادل زعيتر.
نشر: مطبعة البابي الحلبي بمصر، عام ١٣٦٧هـ.
نشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة (بدون تاريخ).
- ٣٩- تاريخ العرب في افريقية والأندلس. لحسن خليفة. ط١ - عام ١٣٥٦هـ.
- ٤٠- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس. لخليل ابراهيم السامرائي.
نشر: وزارة التعليم العالي بالموصل (بدون تاريخ).
- ٤١- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس. للحافظ أبي الوليد عبد الله
بن محمد المعروف بابن الفرضي.
نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط٢ عام ١٤٠٨هـ.
- ٤٢- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا، للأمير شكيب أرسلان.
نشر: دار مكتبة الحياة - بيروت - عام ١٩٦٦م.
- ٤٣- تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن النباهي.
نشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة عام ١٩٤٨م.
- ٤٤- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح وحتى سقوط الخلافة
للدكتور/ السيد عبد العزيز سالم.
نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالأسكندرية دون تاريخ طبع.
- ٤٥- تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الحكام. لابراهيم بن محمد
بن فرحون المالكي.
نشر: مطبعة العامرية بمصر. ط١ - عام ١٣٠١هـ.

- ٤٦- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري.
نشر: المطبعة السلفية بالمدينة المنورة (بدون تاريخ طبع).
- ٤٧- تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي.
نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٤٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب الامام مالك، للقاضي عياض. تحقيق: محمد بن تاويت الطانجي.
نشر: المطبعة الملكية بالرباط (بدون تاريخ طبع).
- ٤٩- التشريع الجنائي الإسلامى، مقارناً بالقانون الوضعى، لعبد القادر عودة.
نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١١ - عام ١٤١٢هـ.
- ٥٠- التعريفات. لعلي بن محمد الجورجاني. تحقيق: محمد عبد الحليم القاضي.
نشر: دار الكتاب المصرى، ط ١ - عام ١٤١١هـ.
- ٥١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبى الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقى.
نشر: دار المعرفة - بيروت - عام ١٣٨٨هـ.
- ٥٢- تقدم العرب فى العلوم الصناعىة، واستاذيتهم لأوروبا لعبد الله عباس.
نشر: دار الفكر. عام ١٣٨٠هـ.
- ٥٣- تقريب التهذيب. للحافظ ابن حجر العسقلانى. تقديم: محمد عوامة.
نشر: دار الرشيد بحلب. ط ١ عام ١٤٠٦هـ.
- ٥٤- التكملة لكتاب الصلوة، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبار.
نشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامىة بمصر عام ١٣٧٥هـ.

- ٥٥- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني.
نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، بالهند، ط١، عام ١٣٢٥هـ.
- ٥٦- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب. تحقيق: ليفي بروفنسال.
نشر: مطبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة عام ١٩٥٥م.
- ٥٧- ثلاث وثائق في محاربة البدع في الأندلس (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى لابن سهل الأندلسي) دراسة وتحقيق الدكتور/ محمد عبد الوهاب خلاف.
نشر: المركز العربي الدولي للأعلام بالقاهرة. ط١ عام ١٩٨١م.
- ٥٨- الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي.
نشر: دار الكتاب العربي (بدون تاريخ طبع).
- ٥٩- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس لمحمد بن فتوح الحميدي.
تحقيق: الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي.
نشر: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية بمصر (بدون تاريخ).
- ٦٠- الجغرافية الإقليمية، دراسة المناطق الكبرى. لمحمد محمد سطيحة.
نشر: دار النهضة العربية - بيروت - عام ١٩٧٤م.
- ٦١- جغرافية الأندلس وأوروبا. لأبي عبيد البكري. تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن علي الحجي.
نشر: دار الارشاد ببيروت. ط١ عام ١٣٨٧هـ.
- ٦٢- الجغرافية الطبيعية. ليوسف الأنصاري.
نشر: (بدون) ط١ - عام ١٩٥٩م.
- ٦٣- جغرافية العالم - دراسة إقليمية. للدكتور/ دولت أحمد صادق.
نشر: مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٦٦م.
- ٦٤- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
نشر: دار المعارف بمصر عام ١٣٨٢هـ.

- ٦٥- حاشية الروض المربع للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي. الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ (بدون دار النشر).
- ٦٦- الحسبة تعريفها - ومشروعيتها، وحكمها. للشيخ الدكتور/ فضل إلهي ظهير.
- نشر: إدارة ترجمان الاسلام - بباكستان - ط١ عام ١٤١٠هـ.
- ٦٧- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي. لموسى القبالي. نشر: الشركة الوطنية بالجزائر. ط١ - عام ١٩٧١م.
- ٦٨- حضارة الإسلام. لجلال مظهر.
- نشر: مكتبة الخانجي بمصر. (بدون تاريخ طبع).
- ٦٩- الحلة السبراء. لمحمد بن عبد الله ابن الأبار. نشر: الشركة العربية بالقاهرة. ط١ عام ١٩٦٣م.
- ٧٠- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. للأمير شكيب أرسلان.
- نشر: دار مكتبة الحياة - بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٧١- دائرة المعارف بطرس البستاني.
- نشر: دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٧٢- دائرة المعارف الإسلامية. لمجموعة من العلماء (بدون تاريخ طبع).
- ٧٣- دائرة معارف الشعب.
- نشر: مطابع الشعب بمصر عام ١٩٥٩م.
- ٧٤- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، من الفتح وحتى الخلافة لأحمد بدر. الطبعة الثانية عام ١٩٦٩م بدمشق.
- ٧٥- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية - لسعيد عبد الفتاح عاشور وغيره.
- نشر: ذات السلاسل بالكويت. ط٢ عام ١٤٠٦هـ.
- ٧٦- الدعوة إلى الإسلام. لتوماس آنولد. ترجمة الدكتور/ حسن إبراهيم حسن وغيره.
- نشر: مكتبة النهضة المصرية. ط٣ عام ١٩٧٠م.

- ٧٧- الدعوة إلى الله. خصائصها. ومقوماتها، ومناهجها لأبي المجد السيد نوفل.
- نشر: مطبعة الحضارة العربية بمصر. ط١ عام ١٣٩٧هـ.
- ٧٨- دولة الإسلام في الأندلس. لمحمد عبد الله عنان.
- نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط٣ عام ١٤٠٨هـ.
- ٧٩- دولة الأفرنج وعلاقتها بالأمويين في الأندلس. لمحمد محمد مرسي الشيخ.
- نشر: مؤسسة الثقافة الجامعية بمصر عام ١٤٠١هـ.
- ٨٠- الدولة الأموية في قرطبة. لأنيس زكريا النصولي.
- نشر: المطبعة العصرية ببغداد. عام ١٩٢٦م.
- ٨١- الدولة العربية في أسبانيا. لإبراهيم بيضون.
- نشر: دار النهضة العربية ببيروت - عام ١٩٨٠م.
- ٨٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب. لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون. تحقيق: الدكتور/ محمد الأحمدى.
- نشر: دار التراث بالقاهرة (بدون تاريخ طبع).
- ٨٣- الذيل والتكملة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق: محمد شريفة.
- نشر: الأكاديمية بالمملكة المغربية (بدون تاريخ طبع).
- ٨٤- رسالة المسجد في الإسلام. للدكتور/ عبد العزيز المليم.
- نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ عام ١٤١١هـ.
- ٨٥- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية. لأبي بكر عبد الله ابن أبي عبد الله المالكي.
- نشر: مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٥١م.
- ٨٦- السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي للدكتور/ محمد عبد الرحمن البكر.
- نشر: الزهراء للأعلام العربي. بالقاهرة. ط١ عام ١٤٠٨هـ.

- ٨٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الاباني.
نشر: المكتب الإسلامي ببيروت.
- ٨٨- سنن أبي داود للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني.
تعليق: عزت عبيد الدعاس.
نشر: دار الحديث بحمص - ط١ - عام ١٣٩١هـ.
- ٨٩ - سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي.
نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٦ (بدون تاريخ طبع).
- ٩٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. لأبي الفلاح الحنبلي.
نشر: مكتبة القدسي بالقاهرة - عام ١٣٥٠هـ.
- ٩١- شرح السنة للإمام البغوي.
نشر: المكتب الإسلامي ببيروت - ط١ - عام ١٣٤٧هـ.
- ٩٢- الشوقيات، لأحمد شوقي.
نشر: دار الكتاب العربي - بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٩٣- صحيح الإمام البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.
نشر: مطبعة المكتبة الإسلامية بأسطنبول - تركيا - (بدون تاريخ).
- ٩٤- صحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيري - اعداد وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
نشر: دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة (بدون تاريخ طبع).
- ٩٥- صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار) لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري.
نشر: دار الجيل ببيروت. ط٢ - عام ١٤٠٨هـ.
- ٩٦- الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال.
نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة عام ١٩٦٦م.
- ٩٧- صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل النصيبي.
نشر: مكتبة الحياة، بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٩٨- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي الداودي.
نشر: مكتبة وهبه بمصر - ط١ - عام ١٣٩٦هـ.

- ٩٩- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي الداودي.
نشر: مكتبة وهبة بمصر - ط١ - عام ١٣٩٢هـ.
- ١٠٠- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي.
نشر: دار المعارف بمصر (بدون تاريخ طبع).
- ١٠١- طوق الحمامة، لعلي بن أحمد بن حرام الأندلسي. تحقيق: حسن كامل الصيرفي.
نشر: مكتبة حجازي بالقاهرة عام ١٣٦٩هـ.
- ١٠٢- عبد الرحمن الداخل وسياسته الخارجية والداخلية. لإبراهيم ياسر خضير الدوري.
نشر: دار الحرية ببغداد عام ١٩٨٢م.
- ١٠٣- العرب والإسلام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط
للدكتور/ عمر فروه.
نشر: المكتب التجاري - بيروت - ط١ عام ١٣٨٨هـ.
- ١٠٤- العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية، وأسبانيا النصرانية،
في عصر بني أمية وملوك الطوائف. للدكتور/ رجب محمد عبد
الحليم.
نشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة (بدون تاريخ طبع).
- ١٠٥- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن
محمد بن الجوزي.
نشر: مكتبة الخانجي بمصر - عام ١٣٥١هـ.
- ١٠٦- فتح أفريقية والأندلس، لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم.
تحقيق: عبد الله أنيس الطباع.
نشر: دار الكتاب اللبناني (بيروت) عام ١٩٦٤م.
- ١٠٧- فتح الباري - شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني.
نشر: المكتبة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ.
- ١٠٨- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية والأندلس
لعبد الواحد ذنون.

- ١٠٩- فتح القدير للشوكاني محمد بن علي.
نشر: دار الفكر، بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ١١٠- فجر الأندلس للدكتور/ حسين مؤنس.
نشر: الشركة العربية بالقاهرة. ط ١ - عام ١٩٥٩م.
- ١١١- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم.
نشر: لجنة البيان العربي بمصر (بدون تاريخ طبع).
- ١١٢- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية. للدكتور/ عز الدين فراج.
نشر: دار الفكر ببيروت - عام ١٩٨٧م.
- ١١٣- فقه الدعوة إلى الله، للدكتور/ علي بن عبد الحليم محمود.
نشر: دار الوفاء بمصر. ط ٢ - عام ١٤١١هـ.
- ١١٤- في تاريخ المغرب والأندلس، لأحمد مختار العبادي.
نشر: مؤسسة الثقافة الجامعية بالأسكندرية (بدون تاريخ طبع).
- ١١٥- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس. للدكتور/ السيد عبد العزيز سالم.
نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية عام ١٩٨٥م.
- ١١٦- في الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين. لمحمد عزت الطهطاوي.
نشر: مكتبة دار التراث بالقاهرة، عام ١٣٩٩هـ.
- ١١٧- في ظلال القرآن - لسيد قطب عليه رحمة الله.
نشر: دار الشروق - بيروت - عام ١٣٩٣هـ.
- ١١٨- قادة الفتح المغربي للدكتور/ محمد شبت خطاب.
نشر: دار الفكر. ط ٢ عام ١٣٩٣هـ.
- ١١٩- قرطبة في العصر الإسلامي، تاريخ وحضارة. للدكتور/ أحمد فكري.
نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية - عام ١٩٨٣م.
- ١٢٠- قصة الحضارة. ولديورانت - ترجمة محمد بدران.
نشر: الادارة الثقافية في جماعة الدول العربية بالقاهرة (بدون تاريخ طبع).

- ١٢١- قصة العرب في أسبانيا لعلي الجارم.
نشر: دار المعارف بمصر عام ١٩٦٣م.
- ١٢٢- القضاء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه - للدكتور/ ناصر بن عقيل الطريفي.
نشر: دار المدني بجدة - ط ١ عام ١٤٠٦هـ.
- ١٢٣- قضاة قرطبة، لأبي عبد الله محمد بن الحارث الخشني.
تحقيق: ابراهيم الأبياري.
نشر: دار الكتاب المصري بالقاهرة - ط ١ - عام ١٤٠٢هـ.
- ١٢٤- الكامل في التاريخ للعلامة ابن الأثير.
نشر: دار الصادر - بيروت - عام ١٣٩٩هـ.
- ١٢٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.
نشر: مكتبة الجعفري بطهران - ط ٣ - ١٣٦٧هـ.
- ١٢٦- لسان العرب لأبن منظور.
نشر: دار الصادر - بيروت - (بدون تاريخ طبع).
- ١٢٧- محاسن الإسلام. لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري.
نشر: مكتبة المقدسي بالقاهرة. عام ١٣٥٧هـ.
- ١٢٨- محاسن الدين الإسلامي. للشيخ عبد الرحمن السعدي.
نشر: دار العاصمة بالرياض ط ١ - عام ١٤٠٩هـ.
- ١٢٩- المجمل في تاريخ الأندلس. لعبد الحميد العبادي.
نشر: دار القلم - ط ٢ عام ١٩٦٤م.
- ١٣٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
نشر: مطابع دار العربية - بيروت - ط ١ - عام ١٣٩٨هـ.
- ١٣١- مختصر جغرافية العالم. لهزاع بن عيد الشمري.
نشر:
- ١٣٢- المساجد في الإسلام. للشيخ طه الولي.
نشر: دار العلم للملايين ببيروت - ط ١ - عام ١٤٠٩هـ.

- ١٣٣- المسلمون في الأندلس و المغرب، للدكتور محمد محمد زيتون.
نشر: دار الوفاء بالقاهرة - عام ١٤٠٤هـ.
- ١٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل.
نشر: المكتب الإسلامي ببيروت.
- ١٣٥- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ومثير الغرام إلى دار السلام، لأبي زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي.
تحقيق ودراسة: أدريس محمد ومحمد خالد الأسطنبولي.
نشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط ١ - عام ١٤١٠هـ.
- ١٣٦- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. لفتح بن محمد ابن عبيد الله بن خاقان.
تحقيق: محمد علي شوابكة.
نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - عام ١٤٠٣هـ.
- ١٣٧- مع المسلمين في الأندلس للدكتور علي حسبيته.
نشر: دار الشروق بجدة. ط ٢ - (بدون تاريخ).
- ١٣٨- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، لأبي زيد عبد الرحمن الدباغ.
نشر: مكتبة الخانجي بمصر - ط ٢ - عام ١٣٨٨هـ.
- ١٣٩- معالم القرية في أحكام الحسبة لأبن الأخوة.
تحقيق: الدكتور محمد محمود شعبان.
نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٦م.
- ١٤٠- المعجب في تلخيص أخبار المغرب. لعبد الواحد المراكشي.
تحقيق: محمد سعيد العريان.
نشر: لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة - عام ١٣٨٣هـ.
- ١٤١- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
نشر: دار الصادر - بيروت - (بدون تاريخ طبع).
- ١٤٢- المعجم الجغرافي لدول العالم. لهزاع بن عيد الشمري.
نشر: مطبعة التقدم بالقاهرة - عام ١٤٠١هـ.

- ١٤٣- المغرب في حلى المغرب - لأبن سعيد الأندلسي.
تحقيق: شوقي ضيف.
نشر: دار المعارف بمصر عام ١٩٦٤م.
- ١٤٤- المغني لموقف الدين ابن قدامه.
نشر: دار العلمية ببيروت - (بدون تاريخ طبع).
- ١٤٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.
تحقيق: محمد سيد الكيلاني.
نشر: مطبعة البابي الحلبي بمصر (بدون تاريخ طبع).
- ١٤٦- مقدمة ابن خلدون.
نشر: دار الجيل - بيروت - (بدون تاريخ طبع).
- ١٤٧- المقتبس في أخبار بلاد الأندلس لأبن حيان الأندلسي «عهد الأمير
عبد الرحمن بن الحكم وابنه محمد».
تحقيق الدكتور/ محمود علي مكي.
نشر: دار الكتاب العربي ببيروت - عام ١٣٩٣هـ.
- ب» المقتبس لابن حيان (عهد الأمير عبد الله بن محمد) بعناية مشورم
انطونيه.
نشر: مطبعة باريس عام ١٩٣٧م.
- ج» المقتبس لأبن حيان (عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله).
نشر: المعهد الأسباني العربي للثقافة. بالرباط عام ١٩٧٩م.
- د» المقتبس لأبن حيان (عهد الحاكم المستنصر بالله)
تحقيق: الدكتور/ عبد الرحمن علي الحاجي.
نشر: دار الثقافة - ببيروت - (بدون تاريخ طبع).
- ١٤٨- من روائع حضارتنا. للدكتور/ مصطفى السباعي.
نشر: دار الارشاد ببيروت - ط٢ - عام ١٣٨٨هـ.
- ١٤٩- موجز الحضارة، للدكتور/ نور الدين حاطوم.
نشر: دار الفكر ببيروت (بدون تاريخ طبع).

- ١٥٠- موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، للدكتور/ أحمد شلبي.
نشر: دار النهضة بمصر - ط٤ - عام ١٩٧٣م.
- ١٥١- موسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.
نشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض - ط١ - عام ١٤٠٩هـ.
- ١٥٢- نصوص عن الأندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار) للقديري
نشر: مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية عام ١٩٦٥م.
- ١٥٣- نظام الحسبة في الإسلام. لعبد العزيز بن محمد المرشد.
نشر: مطبعة المدينة بالرياض (بدون تاريخ).
- ١٥٤- النظام السياسي في الإسلام. للدكتور/ عبد القادر أبو فاس.
نشر: دار القرآن الكريم - بيروت (بدون تاريخ).
- ١٥٥- نفح الطيب من غسن الأندلس الرطيب. للشيخ أحمد بن محمد
المقري التلمساني.
تحقيق: أحسان عباس.
نشر: دار الصادر ببيروت عام ١٣٨٨هـ.
- ١٥٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. لابن القيم الجوزية.
نشر: مكتبة المعارف بالرياض (بدون تاريخ طبع).
- ١٥٧- الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا للدكتور/
محمد ماهر حمادة.
نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت - ط٢ - عام ١٤٠٦هـ.
- ١٥٨- وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة (مستخرجة من مخطوط الأحكام
الكبرى للقاضي أبي الأصبع عيسى بن سهل).
تحقيق ودراسة: الدكتور/ محمد عبد الوهاب خلاف.
نشر: المطبعة العربية الحديثة، بالقاهرة - (بدون تاريخ طبع
- ١٥٩- وثائق في شئون الحسبة في الأندلس (مستخرجة من مخطوط أبي
الأصبع).
تحقيق: الدكتور/ محمد عبد الوهاب خلاف.
نشر: المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة - عام ١٩٨٥م.

- ١٦٠- وثائق في شئون العمران في الأندلس (المساجد والدور).
تحقيق: الدكتور/ محمد عبد الوهاب خلاف (وهي مستخرجة من
مخطوط أبي الأصبغ).
١٦١- الوثائق والسجلات للفقير محمد بن أحمد الأموي المعروف بأبن
العطار.
نشر: المعهد الأسباني الثقافي بمدريد عام ١٩٨٣م.
١٦٢- وجه الأرض للدكتور/ محمد متولي.
نشر مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ طبع).
١٦٣- وفيات الأعيان لشمس الدين أحمد بن محمد بن كلحان. تحقيق
أحسان عباس.
نشر: دار الصادر ببيروت - عام ١٣٩٨هـ.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

- ١ - مجلة الأزهر الشريف - غرة رمضان عام ١٣٧١هـ.
- ٢ - مجلة الفيصل العدد ٤٢ ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ.
- ٣ - مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٣٧ سنة ١٣٨٨هـ. الكويت.

فهرس الموضوعات

١	المقدمة
٣	تعريف مفردات العنوان
٥	تعريف الدعوة
٦	تعريف الإسلام
٦	الأندلس
٧	أسباب اختيار الموضوع
٨	أهمية الموضوع
١٠	الدراسات السابقة للموضوع
١٥	منهج البحث
١٥	عمل الباحث
١٦	الصعوبات التي واجهت الباحث
١٧	خطة البحث وتقسيمه
٢٣	الباب الأول: بلاد الأندلس وسير الدعوة فيها .
٢٤	الفصل الأول: بلاد الأندلس
٢٥	المبحث الأول: الموقع والحدود قديماً وحديثاً
٢٥	المطلب الأول: أصل التسمية
٢٨	المطلب الثاني: الموقع والحدود
٢٩	المطلب الثالث: المساحة والمظاهر الطبيعية
٣٢	المطلب الرابع: ماتشملة الأندلس اليوم
٣٣	المبحث الثاني: حالة الأندلس قبل الفتح الإسلامي
٣٣	المطلب الأول: السكان
٣٧	المطلب الثاني: حالة الأندلس السياسية
٣٩	المطلب الثالث: الحالة الدينية
٤٣	المطلب الرابع: الحالة الاجتماعية
٤٤	المطلب الخامس: الحالة الاقتصادية

٤٨	الفصل الثاني: سير الدعوة في الأندلس
٥٠	المبحث الأول: بداية الفتح
٥٠	المطلب الأول: فكر فتح الأندلس
٥١	المطلب الثاني: أسباب فتح الأندلس
٥٨	المبحث الثاني: مراحل الفتح.
٥٨	المطلب الأول: مرحلة الاستكشاف
٥٩	المطلب الثاني: الفتح المستقر.
٦١	موقعة وادي لكة
٦٣	المطلب الثالث: إتمام الفتح.
٧٠	المبحث الثالث: نجاح الدعوة
٧١	أسباب نجاح الدعوة
٧١	السبب الأول: الأحوال التي كانت سائدة.
٧٤	السبب الثاني: سماحة المسلمين.
٧٤	الوفاء بالعهد.
٨٠	نصرة المظلوم.
٨١	تواضع المسلمين حكماً ومحكومين.
٨١	السبب الثالث: يسر الإسلام.
٨٣	السبب الرابع: القدوة الحسنة.
	السبب الخامس: التداخل الإجتماعي بين المسلمين
٨٨	وغيرهم.
٩٣	الباب الثاني: أهم مظاهر الدعوة الإسلامية في الأندلس.
٩٥	الفصل الأول: القضاء ودور القضاة في نشر الدعوة.
٩٦	المبحث الأول: القضاء في الأندلس.
٩٧	المطلب الأول: تعريف القضاء.
٩٨	المطلب الثاني: أهمية القضاء وعلاقته بالدعوة.
١٠٣	المطلب الثالث: القضاء في الأندلس في عصر الولاة.

- ١٠٦ المطلب الرابع: القضاء في عهد الحكم الأموي.
- ١٠٨ المطلب الخامس: مكانة القضاة في الأندلس.
- ١١٢ المطلب السادس: أختصاصات القضاة في الأندلس.
- ١١٦ المبحث الثاني: أشهر القضاة في الأندلس.
- ١١٨ القاضي مهاجر بن نوفل القرشي.
- ١١٨ القاضي يحيى بن يزيد التجيبي.
- ١٢٠ القاضي معاوية بن صالح الحضرمي.
- ١٢٢ القاضي مصعب بن عمران.
- ١٢٣ القاضي محمد بن بشير.
- ١٢٦ القاضي يحيى بن معمر بن عمران.
- ١٢٧ القاضي سليمان بن أسود.
- ١٢٩ القاضي عامر بن معاوية اللخمي.
- ١٣٠ القاضي النضر بن مسلمة.
- ١٣١ القاضي منذر بن سعيد البلوطي.
- ١٣٢ القاضي محمد بن أسحاق بن السليم.
- ١٣٣ القاضي محمد بن يبقا بن زرب.
- ١٣٥ المبحث الثالث: جهود القضاة في الدعوة إلى الله.
- ١٣٧ المطلب الأول: جهود القضاة في الجهاد.
- ١٤٠ المطلب الثاني: جهود القضاة الدعوية في غير الجهاد.
- ١٤١ أولاً: جهود القضاة الدعوية في إخماد الفتن.
- ١٤٣ ثانياً: احتساب القضاة.
- ١٤٦ ثالثاً: دور القضاة في محاربة البدع.
- ١٤٩ رابعاً: جهود القضاة في دعوة غير المسلمين.
- ١٥٣ الفصل الثاني: الحسبة والمحتسبون.
- ١٥٤ المبحث الأول: الحسبة في الأندلس.
- ١٥٤ المطلب الأول: تعريف الحسبة.
- ١٥٧ المطلب الثاني: مكانة الحسبة.

١٦٠. المطلب الثالث: نشأة نظام الحسبة في الأندلس.
المطلب الرابع: فصل الحسبة عن الشرطة في
١٦٤. الأندلس.
١٦٨. المبحث الثاني: أشهر العلماء المحتسبين.
١٦٨. فطيس بن سليمان.
١٦٩. محمد بن خالد بن مرتنيل.
١٧١. إبراهيم حسين بن خالد.
١٧٣. إبراهيم بن حسين بن عاصم.
١٧٦. أحمد بن نصر بن خالد.
١٧٨. المبحث الثالث: دور المحتسبين في الإصلاحات.
١٧٨. المطلب الأول: مراقبة الأسواق.
١٨٢. المطلب الثاني: مراقبة الأخلاق العامة.
١٨٥. المطلب الثالث: مراقبة العبادات والمساجد.
١٨٩. المطلب الرابع: مراقبة المعلمين والوعاظ.
١٩٥. المطلب الخامس: الاحتساب على المبتدعين.
١٩٨. الفصل الثالث: الفقهاء المستشارون.
١٩٩. تمهيد: تعريف الشورى.
٢٠٠. مكانة الشورى.
٢٠٣. المبحث الأول: أشهر الفقهاء المستشارين.
٢٠٣. صعصعة بن سلام.
٢٠٥. الغازي بن قيس.
٢٠٨. يحيى بن يحيى الليثي.
٢١٢. عبد الملك بن حبيب.
٢١٤. بقي بن مخلد.
٢١٩. المبحث الثاني: جهود الفقهاء في الدعوة إلى الله.
٢٢٠. المطلب الأول: جهود أهل الشورى في التعليم.
٢٢١. المطلب الثاني: جهودهم في الأمر بالمعروف.

- المطلب الثالث: جهود الفقهاء المستشارين في
 ٢٢٤ النظر في مصالح الناس.
 ٢٢٧ المطلب الرابع: جهود الفقهاء في إخماد الفتن.
 ٢٢٩ المطلب الخامس: جهود الفقهاء.
 ٢٣١ الباب الثالث: عوائق الدعوة الإسلامية في الأندلس.
 ٢٣٣ الفصل الأول: العوائق الخارجية.
 ٢٣٤ المبحث الأول: الأعداء المحاربون من النصارى.
 ٢٣٥ المطلب الأول: القوط.
 ٢٣٦ * أسباب نشأة دولتهم من جديد.
 ٢٣٩ * مقاومة دولة القوط للدولة الإسلامية.
 ٢٤١ * مملكة نافار ومقاومتها للمسلمين.
 ٢٤٣ المطلب الثاني: الأفرنجة.
 ٢٤٤ * دخول الإسلام لبلاد الأفرنجة.
 ٢٥٢ المبحث الثاني: الأعداء المحاربون من غير النصارى.
 ٢٥٧ الفصل الثاني: العوائق الداخلية.
 ٢٥٨ المبحث الأول: الصراع على السلطة.
 ٢٦٠ المطلب الأول: أسباب نشأة النزاعات السياسية.
 ٢٦١ المطلب الثاني: النزاعات السياسية في عهد الولاة.
 المطلب الثالث: النزاعات السياسية في عهد
 ٢٦٨ عبد الرحمن الداخل
 المطلب الرابع: النزاعات السياسية في عهد هشام
 ٢٧٩ ابن عبد الرحمن
 المطلب الخامس: النزاعات السياسية في عهد الحكم
 ٢٨١ ابن هشام.
 ٢٨٤ المبحث الثاني: النزاعات العرقية.
 ٢٨٥ المطلب الأول: النزاعات العرقية العربية في الأندلس
 ٢٩١ المطلب الثاني: النزاعات العرقية البربرية.
 ٢٩٣ المطلب الثالث: ثورة المولدين.

- ٢٩٧ المبحث الثالث: النصارى المستأمنون.
المطلب الأول: نقض العهود ومحاولة القضاء على المسلمين
- ٢٩٩ المسلمين
- ٣٠٢ المطلب الثاني: مشاركة الثوار في حرب المسلمين.
- ٣٠٥ المطلب الثالث: صور من تمرد أهل الذمة في قرطبة.
- ٣١٠ المبحث الرابع: آثار هذه العوائق على الدعوة.
- ٣١٩ الباب الرابع: وسائل الدعوة وأساليبها .
- ٣٢٢ الفصل الأول: أساليب الدعوة في الأندلس .
- ٣٢٢ * تعريف الأسلوب.
- ٣٢٣ المبحث الأول: الترغيب والترهيب.
- ٣٢٤ المطلب الأول: معنى الترغيب.
- ٣٢٥ المطلب الثاني: تأثير أسلوب الترغيب.
- ٣٢٨ المطلب الثالث: معنى الترهيب.
- ٣٢٨ المطلب الرابع: تأثير أسلوب الترهيب.
- ٣٣٣ المبحث الثاني: القدوة الحسنة.
- ٣٣٣ المطلب الأول: تعريف القدوة.
- ٣٣٤ المطلب الثاني: مكانة القدوة في الدعوة.
- ٣٣٨ المطلب الثالث: تأثير القدوة الحسنة في الأندلس.
- ٣٤٢ المبحث الثالث: المعاملة الحسنة.
- ٣٤٢ المطلب الأول: أهمية المعاملة الحسنة في الدعوة.
- ٣٤٥ المطلب الثاني: المعاملة الحسنة في الأندلس.
- ٣٥٣ الفصل الثاني: وسائل الدعوة .
- ٣٥٥ المبحث الأول: الجهاد في سبيل الله.
- ٣٥٥ المطلب الأول: تعريف الجهاد.
- ٣٥٥ المطلب الثاني: فضل الجهاد ومكانته.
- ٣٥٦ المطلب الثالث: الجهاد في الأندلس.
- ٣٦٩ المطلب الرابع: آثار الجهاد في الأندلس.
- ٣٧٦ المبحث الثاني: المسجد.
- ٣٧٦ * أهمية المسجد.

- ٣٧٨ * أنشاء المساجد في الأندلس.
- ٣٨٢ * مهام المسجد في الأندلس.
- ٣٨٧ المبحث الثالث: التعليم.
- المطلب الأول: الأمور التي ساعدت على إنتشار العلم
- ٣٨٨ في الأندلس.
- ٣٩٦ المطلب الثاني: مكان التعليم.
- المبحث الثالث: تأثير التعليم على غير المسلمين في
- ٤٠١ الأندلس.
- ٤٠٥ الباب الخامس : نتائج الدعوة وعوامل نجاحها .
- ٤٠٦ الفصل الأول : نتائج الدعوة .
- ٤٠٧ المبحث الأول: تحول النصارى إلى الإسلام.
- ٤١٠ المبحث الثاني: الحضارة الإسلامية.
- ٤١٣ الفصل الثاني : عوامل نجاح الدعوة .
- ٤١٤ المبحث الأول: محاسن الإسلام.
- ٤٢٠ المبحث الثاني: خصائص الدعاة.
- ٤٢٦ الخاتمة .
- ٤٢٧ أهم نتائج البحث .
- ٤٣٣ التوصيات
- الفهارس :
- ٤٣٥ أ» فهرسة الآيات القرآنية.
- ٤٣٨ ب» فهرسة الأحاديث والآثار.
- ٤٤٠ ج» فهرسة الأمكنة والبلدان.
- ٤٤٦ د» فهرسة الأعلام.
- ٤٦٢ ه» فهرسة المصادر والمراجع.
- ٤٧٨ و» فهرسة الموضوعات.

الملاحق

خطبة طارق بن زياد رحمه الله — فسما بلغ طارقاً دنوه قام هي صحابه : فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم حثَّ المسلمين على الجهاد ، ورجبهم ثم قال : أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدوُّ أمامكم . ليس لكم والله إلا الصدقُ والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيعةٌ من الأيتام ، في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته ، وأقواته موفورة ، وأنتم لا وزرَ لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وإن امتدَّت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم ، وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألفت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإني لم أجد ركم أمراً أنا عنه بنجوة . ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس [إلا وأنا] أبدأ بنفسي . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً . استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفى من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان . من بنات اليونان ، الرافلات في الدرّ والمرجان ، والحلّل المنسوجة بالعقيقان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان ، وقد انخبكم الوليد ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة صهاراً وأختاناً . ثقةً منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان . ليكون حظّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة . وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وليُّ إنجازكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا أني أولُّ محبٍ إلى ما دعوتكم إليه . وأتني عند مُلتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على صنية شومٍ لدارين ففاتنك من شاء الله تعالى ، فاحملوا معي ، فإن سكنت بعده فقد كفيتكم أمره ، ولم يُعوزكم بطلٌ عاقلٌ تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا الهمة من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يُخذلون .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا ما عهد به عُقبَةُ بن الحِجَّاجِ ، إلى مَهْدِيِّ بن مُسْلِمٍ : حينَ وِلَاةِ القضاء ؛
عهدَ إليه : بتقوى الله ، وإيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ : فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَعَلَانِيَتِهِ ؛
مُرَاقِبًا لَهُ ، مُسْتَشْعِرًا لِحَشِيَّةِ اللَّهِ ؛ مُعْتَصِمًا : بِحَبْلِ الْمَتِينِ ، وَعُرْوَةِ الْوُثْقِ ؛ مُوفِيًا
بِعَهْدِهِ ؛ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ ، وَاتِّقَابَهُ ، مُتَّقِيًا مِنْهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ
هُمْ أَحْسَنُونَ . »

« وَأَمْرَهُ : أَنْ يُتَّخَذَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) - إِمَامًا ؛
يَهْتَدِي بِنُورِهَا ؛ وَعَالِمًا : يَمْشُو إِلَيْهَا ؛ وَسِرَاجًا : يَسْتُنْفِي بِهِمَا ؛ فَإِنَّ فِيهِمَا ؛
هُدًى مِنْ كُلِّ ضَلَالَةٍ ، وَكُفْهًا لِكُلِّ جَهَالَةٍ ؛ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ مُشْكَلٍ ،
وَإِبَانَةً لِكُلِّ شُبْهَةٍ ؛ وَبُرْهَانًا سَاطِعًا ، وَوَكِيلًا شَافِيًا ، وَمَنَارًا عَالِيًا ، وَشِفَاءً لِمَا فِي
[القلوب^(١)] ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ . »

« وَأَمْرَهُ : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَرَهُ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَتَوَلِيَةَ الْقَضَاءِ - الَّذِي
رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ ، وَأَعْلَى ذِكْرَهُ ، وَشَرَّفَ أَمْرَهُ - إِلَّا : لِفَضْلِ الْقَضَاءِ عِنْدَ اللَّهِ
(جَلَّ جَلَالُهُ) ؛ لِمَا فِيهِ : مِنْ حَيَاةِ الدِّينِ ، وَإِقَامَةِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَاجْتِزَاءِ

الهدودِ بجاريها : على من وجبت عليه : وإعطاء الحقوق : من وجبت

وَلِمَا رَجَا عِنْدَهُ - : فِيمَا يُمِضِيهِ ، وَيَتَقَدَّمُ فِيهِ ، وَيَحْكُمُ بِهِ . - : مِنْ إِثَارِ حَقِّ
اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ، وَطَلْبِ الزُّلْفَةِ لِدَيْهِ ، وَالقُرْبَةِ إِلَيْهِ ، وَ : أَنْ يُحَاسِبَ
نَفْسَهُ - فِي يَوْمِهِ وَغَدِهِ - : فِيمَا تَقَلَّدَ : مِنَ الْأَمَانَةِ : الثَّقِيلِ حِمْلُهَا . الْبَاهِظِ
عِبْوَهَا^(٢) ؛ فَإِنَّهُ مُحَاسِبٌ وَمَوْعِدٌ وَمَوْعُودٌ . »

(١) فِي الْأَصْلِ : الْكُدُوبُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْبَاهِضُ عِبْوَهَا .

« وأمره : أن يُؤاسِيَ بَيْنَ الْخُصُومِ : بِنَظَرِهِ وَاسْتَفْهَامِهِ . وَلُطْفِهِ وَخَلْطِهِ وَاسْتِجَاعِهِ ؛ وَأَنْ يَفْهَمَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ : حُجَّتَهُ وَمَا يَدُلُّ بِهِ ، وَيَسْتَأْنِي : بِكُلِّ عَيْبِ اللِّسَانِ ، نَاقِصِ البَيَانِ . فَإِنْ [فِي] اسْتِقْضَاءِ^(١) الْحُجَّةِ : مَا يَكُونُ بِهِ لِحَقِّ اللَّهِ (تَعَالَى) عَلَيْهِ قَاضِيًا ، وَلِلوَاجِبِ فِيهِ رَاغِبًا ؛ فَقَدْ يَكُونُ بَعْضُ الْخُصُومِ : أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ ، وَأَبْلَغَ فِي مَنْطِقِهِ ؛ وَأَسْرَعَ فِي مُبْلُوغِ الْمَطْلَبِ ، وَاللُّطْفَ حِيلَةً فِي الْمَذْهَبِ ؛ وَأَذْكَى ذِكَاةً ، وَأَخْضَرَ جَوَابًا ؛ مِنْ بَعْضِ : وَإِنْ كَانَ غَيْرَ الصَّوَابِ مَرْمَادًا ، وَخِلَافَ الْحَقِّ مِنْهَا ؛ فَإِنْ لَمْ يَتَعَاهَدُ الْقَاضِي مِثْلَ هَذَا ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) : بِالتَّحْفِظِ ، وَالتَّيَقُّظِ ؛ وَالاسْتِرَابَةِ ، وَالاحْتِرَاسِ مِنْ أَهْلِ : الْخَبِّ وَاللَّدَدِ ، وَالْعِينَادِ ، وَالتَّلْبِيسِ بِشَهَادَاتِ الزُّورِ ، وَتَخْيِيفِ الْحَقُوقِ - : أَهْلِكَ الْقَوِيَّ الضَّعِيفَ ، وَاقْتِطَعَ حَقَّهُ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ . وَفِي تَقَدُّمِ الْقَاضِيِ - : فِي النَّظَرِ فِي ذَلِكَ ، وَالْمِرَاعَاةِ لَهُ ؛ وَاخْتِسَابِ ثَوَابِ اللَّهِ فِيهِ . - : إِثْبَاتِ الْحَقِّ ، [وَإِزْهَاقِ] الْبَاطِلِ ؛ (إِنْ الْبَاطِلَ كَانَ زُهُوقًا : ١٧ - ٨١) . »

« وَأَمْرًا : أَنْ يَكُونَ وَزْرَاؤُهُ وَأَهْلُ مَسْئُورَتِهِ ، وَالْمُعِينُونَ لَهُ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ - : أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ ، وَالدِّينِ وَالْأَمَانَةِ : مِمَّنْ قَبْلَهُ ؛ وَأَنْ يَكْتَابَ مِنْ كَانَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ الْمَرْضِيَّةِ : مِمَّنْ فِي غَيْرِ نَاحِيَتِهِ ؛ وَيُقَابِلَ آرَاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، وَيُجَاهِدَ نَفْسَهُ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ (جَلَّ ثَنَاؤُهُ) يَقُولُ فِي كِتَابِهِ النَّاطِقِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ ؛ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ : فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ : ٢ - ١٥٩) . وَبِأَنْ يَكُونَ حُجَّابُهُ وَأَعْوَانُهُ ، وَمَنْ يَسْتُظْهِرُ بِهِ عَلَى مَا هُوَ مَبْسُوبٌ إِلَيْهِ - : أَهْلَ الطَّهَارَةِ وَالْعَفَافِ وَالطَّلَبِ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْبُعْدِ مِنَ الدَّنَسِ . فَإِنَّ أَفْعَالَهُمْ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ ، وَمَنْوُطَةٌ لَدَيْهِ ؛ فَإِذَا أَصْلَحَ ذَلِكَ : لَمْ يَلْحَقْهُ^(٢) عَيْبٌ ، وَلَمْ يَعْلَقْ بِهِ رَيْنٌ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

(١) فِي الْأَصْلِ : قَانَ اسْتِقْضَاءً . (٢) بِيَاضٍ : فِي الْأَصْلِ

(٣) فِي الْأَصْلِ : لَمْ يَلْحَقْ .

« وأمره : أن يُدِيمَ الجُلوسَ والقعودَ ، لمن : استَرَعاَهُ اللهُ أمرَهُ ، وَقَدَدَ شأنَهُ ، وأَسَدَ الحُكْمَ له عليه ؛ ويُقِلَّ السَّامَةَ منهم ، والتَّبَرُّمَ بهم ؛ وَيَصْرِفَ إليهم قلبَهُ وذَهنَهُ ، وشغله وفِكرَهُ ، وفَهْمَهُ ولسانَهُ - : بما يُوسِعُهُم به عدلاً وإنصافاً وإصلاحاً ؛ فإن في ذلك : قوَّةٌ لمنَّتِهِم ، وإحياءٌ لتأْميلِهِم ، وتَحقيقاً لجميلِ ظُنونِهِم ؛ وثِقَةٌ منهم : بورَعِهِ ونزاهتِهِ ، وطِيبِ طَعْمَتِهِ . فإنَّ فيهِم : الضعيفَ عن التَّوَدُّدِ ، والزَّيْنَ الثَّقِيلَ ؛ وعليه في كلِّ وقتٍ : التَّعَهُدُ ، - ووهنًا - لأهلِ التَّلَدُّدِ والفُجُورِ ؛ والتَّعَجُّمِ في مُلتَبِسَاتِ الأمورِ ؛ وأنَّ يكونَ قُعودُهُ لهم ، وتَصَرُّفُهُ في النَظَرِ بيْنَهُم : بنشاطٍ وقِلَّةِ فُتُورٍ ؛ ليكونَ ذلك : أقوى له ، وأنقَنَ لما يُحْكِمُهُ ويُبْرِمُهُ ^(١) : من سِياسَتِهِم وتَدْبِيرِهِم ؛ إن شاء اللهُ . »

« وأمره : أن يَسْمَعَ من الشهودِ شهادَاتِهِم : على حَقِّها وصدِّقِها ؛ ويستَقْصِيها : حتى لا يَبْتَقِيَ عليه شَيْءٌ منها ؛ ومن المَزَكِّينَ : تزكِيَتِهِم ؛ ويُكثِرُ البَحْثَ والفَحْصَ عن أمورِهِم أجمعين ، ويسئَلُ عنهم أهلَ الصِّلاحِ والدينِ ، والأمانةِ والثِّقَّةِ والرَّعةِ : مَنْ يَعْرِفُهُم وَيُبْطِنُ أحوالَهُم ؛ ولا يَعَجَلُ بِإمضاءِ حُكْمٍ ؛ حتى يستَقْصِي حُجَجَ الخُصُومِ وبيِّنَاتِهِم ومزَكِّيَتِهِم ؛ ويضربَ لهم الآجالَ ، ويوسِعَ فيها عليهم : حتى تَتَجَلَّى له حقائقُ أمورِهِم ، وتَنكشِفَ له أغْطِيَتُها ؛ فإذا أتى عليها : علماً ؛ وأيقنَها : إيقاناً ؛ لم يؤخِّرْهُ الحُكْمَ بعدَ اتِّضاحِ وظُهورِ ، وثُبُوتِ : عندَ مَنْ يُشاوِرُهُ : من قهائِهِ . »

« وأمره : أن يُطالِعَ بكتِّبِهِ - : في الحوادثِ التي يَحْتَاجُ فيها إلى المؤامراتِ : فيما أَشْكَلَ عليه ، واستَغْلَقَ له ، واحتاجَ إليه في النوازلِ . - إبراهيمَ بنَ حَرْبِ القاضِي : ليردَّ عليه منه ، ما يَعْمَلُ به ويمتَثَلُهُ ، ويقتصرُ عليه ، ويصيرُ إليه ؛ لتكونَ مَوَارِدُ أمورِهِ ومَصَادِرُها : مُبْتَدَأَةً ^(٢) فَوَاتِحُها : بالتَّسديدِ ؛ مَقْرُونَةً خَوَاتِمُها بالتَّأييدِ ، إن شاء اللهُ . »

(١) في الأصل ويبره . (٢) في الأصل : ومبتدا .

«هذا : عمّدي إليك ، وأمرى إيتاك ، وإسنادى إليك ما أسندت^(١) ، وتقوي بضمي إليك ما فوّضت . فإنّ تعمل به - : مؤثراً : لرضا الله وطاعته ؛ قائماً : بالحسبة ، مؤدياً : حقّ الأمانة . - : يكن حجةً بين يديك ، وظهيراً لك ، وإن لم تعمل به : يكن حجة عليك ؛ وأنا أسأل الله : أن يعينك ويقويك ، ويرشدك ، ويوفّقك ، ويسدّدك ؛ إله خيرٌ موفّق ومعين . وصلى الله على محمد . » .

وهذا ظهير اندلسي أموي اصدره الحكم بتولية القاضي الشهير المعتمد، في مذهب مالك، قضاء الجماعة بقرطبة، ولفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب أمر به أمير المؤمنين الحكم المنتصر بالله، محمد بن اسحاق بن السليم، ولاه به خطة القضاء، واختاره للحكم بين المسلمين، ورفعته الى أعلى المراتب عنده في تنفيذ الاحكام، غير مطلق يده الا بالحق، ولسانه الا بالعدل، ورسم له في كتابه رسوما بدا فيه باعانة الله عز وجل اليه، وجعل الله الشهيد به عليه، امره بتقوى الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، وان يجعل كتاب الله امامه ينظر فيه نظر المتفكر المعبر، فانه عهد الله الذي بعث نبيه صلى الله عليه وسلم، ما احل حلاله وحرم حرامه، وامضى احكامه، وفارق الامة على انهم لن يضلوا ما اتبعوه، فهو العروة الوثقى، والطريقة المثلى، والمنهج المنير، ودين الله القويم. وامره أمير المؤمنين ان يقتدي بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بها عملت الائمة، وعليها اتفقت الامة، فالحق معروف، والباطل مكشوف، وبينهما مشتبهات فيها يحمد التوقف وعندها يشكر التثبت، ففي كتاب الله تعالى اسمه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم اصل الدين وفرعه، ودليله وتاويله، ومن يرد الله به خيرا يوفقه للاقتداء بهما. والاقْتِباسُ منهما، وامره ان يطلع سريرته، فبها يصلح الله علانيته، وان يتبرأ من الهوى، فانه مضلة عن طريق الحق، وان يجعل الناس في نفسه سواً اذا جلس للحكم بينهم حتى لا يطمع فيه الشريف، ولا ييأس منه الضعيف. وامره ان يعتبر أمره وما قلده، فيعلم انه راكب طريقاً منتهاها الى الجنة او الى النار، ليس عن احدهما مصرف، ولا بينهما موقف، فحق لمن اراد النجاة، ان يستكثر من الحسنات ويمنع دينه ممن اراد ان يدنسه في الشبهات، ويعلم انه حاكم في ظاهره، محكوم عليه في باطنه، تطوى كل يوم صحيفته على ما اودعها حتى ينظر فيها غداً

بيني يدي الله عز وجهه يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، فمن حاسب نفسه في الدنيا كان أيسر حسابا في الآخرة. وأمره أن يتحفظ في حين وقوع الشهادات عنده فلا يقضي إلا بما أخرجته التحقيق على السنة العدول ذوي القبول، وأن استراب في شهادة أحدهم وقتا ما أن يبحث عنها. فإن ثبت أنه ارتشى أو شهد بالهوى فعليه أن يستقظ شهادته ويحل عدالته تكميلا له وتشديدا لمن خلفه. وأن يحمل على الناس معاريف الوكلاء على الخصومات وي طرح أهل الندد الظاهر منهم. وأن لا يحمل فسر حججه عن لا يقوم بهم. وأمره أن يحترس لاموال اليتامى ولا يولي عليهم إلا أهل العفاف عنها وحسن النظر فيها. وأن يجدد الكشف والامتحان عن اموال الاحباس واليتامى يمنع من قبالتها إلا على وجوهها مما لا بد منه من التنفيذ فيها، وطلب الزيادة عند ذوي الرغبة في قبالتها، وأمره أن يتخذ كاتبه وحاجبه وخدمته ويتفقد عليهم احوالهم إذا غابوا عن بصره، وأمره أن لا يعجل في احكامه، فع العجل لا يؤمن الزلل، وأن يرفع الى امير المؤمنين ما اشكل عليه الفصل فيه ليصدر اليه من رأيه ما يعتمد عليه ان شاء الله. والله يسأل امير المؤمنين التوفيق بمنه وفضله، وكتب يوم الاثنين المنصف من شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمائة هـ. من كتاب أبي الحسن النباهي المألقي في القضاء.

خطاب الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في محاربة البدع
[كتاب الخليفة في التنديد بمذهب ابن مسرّة وأتباعه]

« بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعدُ ، فإنّ الله ، تعالى جدّه وعزّ ذكره ، جعل دين الإسلام
أفضل الأديان ، فأظهره وأعلاه ولم يقبل من عباده غيره ، ولا
رضي منهم سواه . فقال في محكم تنزيله < ومن ينتع غير الإسلام
ديناً فلن يقبل منه > (2) الآية ، وأضى لي محترم أمره ونفاد حكم
ان ينسخ به الديانات ويختم برسالته الرسالات ، فبعث محمداً خاتم
النبيين وأكرم الأكرمين وأعزّ الخلائق على رب العالمين بان كتب الصلاة
والسلام عليه في عرشه قبل ان يخلقه ، واضطفاه لإمانته قبل ان يكونه ،
وأرسله بأفضل دين سمّاه حنيفاً إلى خير أمة اختارها وسطاً ، كما قال ،
عزّ من قائل ، إذ عرفنا فضل ما هدانا إليه (3) من الدين وكرّمنا به على
سائر الأمم < كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر > (4) الآية ، فله ، جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه ، الشكر على خصائص
هذه الفضيلة والحند بالمئة الجليلة ، فقد استنقذ من الغواية وهدى فأحسن
الهداية ، وأثار فأبان الحجة وكفانا بواضح المناهج مؤنة الفكرة ونظّم
زمام الأمة وجمع وجوه السعادة العاجلة والنجاة الآجلة في تأليف
الجماعة واجتناب نزعات الفرقة ، حيث يقول عزّ وجهه لنبيه ، المخصوص
بهداه ، صلى الله عليه وسلّم ، تحقياً به وبعياده ، ورأفة بسطها على
خير خلقه ، وإعلاماً لهم بتواصل الدين من قبله لأنبيائه ، وكراهة لاختلافهم
بعد رسوله - صلعم - < شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه > (5) [الآية] ، فخوف وحذر ونهى عن تفرق الكلمة و[نبه]
على البعد ، ... (6) / ونفى الله الخبائث عنها ، وفضلها على سائر
البلدان ، واستقرّ فيها الدين كهينته يوم أكمله الله لعباده ، ولما

(2) قرآن ، س 3 آية 85 .

(3) علامة بحذف الكلمة أو ابدالها .

(4) قرآن ، س 3 آية 10 .

(5) قرآن ، س 11 آية 13 .

(6) سقطت هنا بعض الكلمات وقد تكون سطرًا كاملاً .

استَوَسَّعت (I) الطاعة وشملت النعمة وعمّ الأقطار بعدل أمير المؤمنين
السكون والدعة ، طلعت فرقة لا تبتغي خيراً ولا تأتمر رُشدًا ، من طعام
السواد ومن ضعف أرائهم ومن خُسونة الأوغاد ، ... كُتِبَ لم يعرفوها ،
ضلَّت فيها حلومهم وقصرت عنها علومهم ، وظنّوا أنّهم فهموا ما جهلوا
وتفقّهوا فيما لم يُدركوا ، واستولى عليهم الخذلان وأحلّ عليهم بخيله
ورجله الشيطان ، فرزّينوا لمن لا تخصيل لهم ولقوم امينين لا علم عندهم ،
فقالوا بخلق القرآن واستيأسوا وایسوا من روح الله ، > وَلَا يَنَاسُ مِنْ
رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ < (2) . وأكثروا الجدال في آيات الله . وحرفوا
التأويل في حديث رسول الله - صلّم - ، فبرئت منهم الذمّة بقوله ، تَقَدَّسَتْ
أَسْمَاؤُهُ ، > أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ
كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ < (3) إلى قوله > [إِذِ
الْأَغْلَالُ فِي أَغْنَابِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ]
يُسْجَرُونَ < (4) ، فهذا أبلغ الوعيد وأفظع النكال لمن يجادل (5) في
الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير > (6) ، ثاني عطفه > لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ < (7) إلى قوله > عَذَابُ الْحَرِيقِ < (8) ، ثم تجاوزوا في البهتان ،
وسدوا على أنفسهم أبواب الغفران ، فأكذبوا التوبة وأبطلوا الشفاعة
ونالوا محكم التنزيل وغامض متشابه التأويل بتقدير عقولهم ، > فَأَمَّا الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ < (9) ،

(1) كذا ، بدلا من « استوتقت » .

(2) قرآن ، س 12 آية 87 .

(3) قرآن ، س 40 آية 69 - 70 .

(4) قرآن ، س 40 آية 71 - 72 .

(5) م . « جادل » .

(6) قرآن ، س 22 آية 8 او س 31 آية 20 .

(7) قرآن ، س 22 آية 9 .

(8) قرآن ، س 22 آية 9 .

(9) قرآن ، س 3 آية 7 .

إلى قوله < وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ > (10) فصاروا بجهل الآثا
وسوء حمل الأخبار إلى القذح في الحديث وترك نهج السبيل ، فأساؤو
الفهم عن العلاء [وم] ، وأقدموا بمكروه القول في السلف الصالح ، واستبدلوا
على نقلة الحديث ، ووضعوا من الكتب أوضاعها وتابَعوا شهواتهم فيها
وتتابَعوا فيما أوبقهم وورطهم ورأوا [1] لتخضع وخشيّة (II) يحثها لاز
الضلالة وداعية الهلكة والشذون عن مذهب الجماعة من غير نظر نافذ ف
دين ولا رسوخ في علم ، حتى لتركوا / ردّ السلام على المسلمين ، وه
التحيّة التي نسخت تحيّة الجاهليين ، خلافاً على أدب الله تعالى وقوله
جَلَّ جَلالُه < وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا > (I) وقالوا
بالاعتزال عن العامّة وشدّوا أزره (2) فأثروه وانكشفوا فنكبره
< الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ > (3) [الآية] ، فلحّوا ف
جهالتهم وتاهوا في غيهم (4) ، ونكسوا على رؤوسهم جحداً على الأة
الحنيفيّة ، واعتقاداً لبغضتها ، واستخلالاً لدمانها ، وتدزّعا إلى انتها
حزمها وسبني ذراريتها ، < قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تُخْفِ
ضُدُورُهُمْ أَكْبَرُ > (5) [الآية] . لولا أن سيف أمير المؤمنين من ورائه
ونظره مُحيط بهم ، ولما صار غيهم فاشياً وجَهَلهم شائعاً ، واتّصل بأمر
المؤمنين من قدحهم في الديانة وصدوفهم عن الجادة ما شغل نفسه وأقصد
مضجعه وأشهر ليله ، أغلظ أمير المؤمنين في الأخذ فوق أيديهم (6)
وأوعز إيعازاً شديداً وأنذر إنذاراً فظيماً وعهد عهداً مؤكّداً شافياً كافياً
نظر به لوجهه ، تبارك أسمه (7) ، وقدم فيه بين يدي العقاب الشديد وأ

11

(10) قران ، س 3 آية 7 .

(II) كذا في الأصل .

(1) قران ، س 4 آية 86 .

(2) م . « ازلوه » .

(3) قران ، س 39 آية 18 .

(4) م . « غمهم » .

(5) قران ، س 3 آية 118 .

(6) اقتباس من القران ، س 84 آية 10 .

(7) اقتباس من القران ، س 55 آية 78 .

بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته ، ليقرع قلب الجاهل ، ويفت كيد المستهتر الحائر (8) ، وينقض عزم المعاند المعاجل ، ويضطر الغواة إلى الإنابة الصحيحة التي تقبلها الله منهم ، أو يكشف عن الأذهان سرائرهم ، فيكون عليهم الشهيد ، (و [إِنَّهُمْ] آيَتُهُمْ (9) عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ > (10) ، وراى امير المؤمنين ان يشتمل بنظره أقطار كوره ويُرسله في بدوه وحضره ، وان يُنفذ عهوده إليك وإلى سائر قواده وجميع عماله بها ، يُقرأ على مناير المسلمين ولا يُحرم القاضي (II) بأعم الداني من تطهير هذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهة وفتنة ، فلم تحل الديار ولا تعفت الآثار ولا استحق البلاء على قوم ولا أهلك الله أمة من الأمم إلا بمثل ما انكشفت (12) به هذه الطليقة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء في القرآن العظيم واحاديث الرسول الأمين ، صلوات الله عليه وسلم ، هذا عند وروده عليك في الجامع قبلك وأنشره في أسمع رعييتك ، وتتبع هذه الطائفة بجميع أعمالك ، وأبث / فيهم عيونك ، وطالب فيهم غورهم جهدك ، فمن تجلى بطبقتهم ان انتسب إليهم وقامت عليه البيئات بذلك عندك فأكتب إلى امير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم ليعهد باستجلابهم إلى باب سدته ، لينكّلوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى حر صدره ، وإياك ان تُداهن في اهل الريبة وتتخطاهم إلى ذوي السلامة والأحوال الصالحة ، فإن فرطت في أحد الأمرين او كليهما فقد برئ الله منك وأحلّ نَمَك ، فأعلمه وأعد [لِلمه] إن شاء الله تعالى ، .

19

(8) قد تكون « الحائد » .

(9) م . « ياتيهم » .

(10) قرآن ، س II آية 76 .

(11) م . « القاضي » .

(12) كذا في الأصل بدلا من « انكشفت » .

الملحق رقم (٤)

خطبة القاضي منذر بن سعيد عند قدوم وفد الروم إلى قرطبة

ذلك بمدة . وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي . فقال ^١ : أما بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه . والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيّه وخاتم أنبيائه . فإن لكل حادثة مقاماً . ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإنّي قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فأصغوا إليّ معشر الملأ بأسماعكم . والتقنوا ^٢ عني بأفئدتكم ، إن من الحق أن يقال للمحق صدقت . وللمبطل كذبت . وإن الجليل تعالى في سمائه ، وتقدس بصفاته وأسمائه . أمر كليعه موسى . صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه . أن يذكر قومه بأيتام الله . جلّ وعزّ . عندهم . وفيه وفي رسول الله . صلى الله عليه وسلّم . أسوة حسنة . وإنّي أذكركم بأيتام الله عندكم ^٣ . وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي نسيت شعثكم ^٤ . وأسنت سيرتكم . ورفعت فرقكم ^٥ . بعد أن كنتم قليلاً فكثركم . ومستضعفين فقواكم . ومُستدّئين فنصركم . ولاءه الله رعايتكم . وأسند إليه إمامتكم . أيّام ضربت الفتنه سرادقها على الآفاق . وأحاطت بكم شعبل النفاق . حتى صرتم في مثل حادقة البعير . من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير . فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء . وانتقامه بيمين سياسته إلى تمهيد كسّف العافية بعد استيطان البلاء . أنشدكم الله معاشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكه فحقتنّها . والسبل مخوفة فأمّنتها . والأموان منتهبة فأحرزها وحصّنتها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرّرها . وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته . وتلافيه جمع

١ نص الخطبة في أزهار الرياض ٢ : ٢٨٣ والرفقة العيب : ٦٦ والنصح : ٣١ .
 ٢ ك : والتقنوا : ط : والتقنوا : ق : والتقنوا : وأثنتنا ما في ج والمطبع .
 ٣ المطبع : وأن أذكركم نعم الله تعالى عليكم . : أسنت شعثكم : سقطت من المطبع .
 ٤ ك : قوتكم : وفي ق ط : قوتكم : وفي المطبع : خوتكم .
 ٥ المطبع : ناشدتك .

كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداً على عدوتكم ، بعد أن كان بأسكم بينكم . ناشدتكُم^١ الله ألم تكن خلافته قفلاً للفتنة بعد انطلاقها من عقابها ؟ ألم يتلاف صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد ، حتى بإشره بالقوة^٢ والمهجة والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، ورفض الدعة وهي محبوبة ، وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبة . بطويبة صحيحة^٣ . وعزيمة صريحة ، وبصيرة ثابتة^٤ نافذة ثابتة ، وريح هابطة غالبية . ونصرة من الله واقعة واجبة ، وسلطان قاهر ، وجدّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور . متحملاً للنصب . مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ، ولم يبق لها غارب إلا جبهته . ولا نجم لأهلها قرن إلا جذه . فأصبحتم بنعمة الله إخواناً . وبلغ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات . وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات^٥ . وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم . وآمال الأقصين والأدنيين مستخدمة إليه وإليكم . يأتون من كل فج عسيق . وبلد سحيق . لأخذ جبل بينه وبينكم جملة وتفصيلاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . ولن يخلف الله وعده . ولهذا الأمر ما بعده . وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أمور باطنة خافية : دليلها قائم . وجمتها غير نائم ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية (النور: ٥٥) وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب .

١ ك : فأنشدكم .

٢ بالقوة : زيادة من ك .

٣ المطمح : خالصة .

٤ ثابتة : زيادة من ك والمطمح .

٥ المطمح : فقد فتح الله تعالى عليكم أبواب البركات وتواترت عليكم أسباب الفتوحات .

ولكل نبيا مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بيمن خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة
والسداد ، وألمه بخالص التوفيق إلى سبيل الرشاد ، أحسن الناس حالا ، وأنعمهم
بالأ . وأعزهم قراراً . وأمنعهم داراً ، وأكثفهم جمعا ، وأجملهم صنعا . لا
تهاجون ولا تزدادون . وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على
صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفتككم وابن عم نبيكم .
صلى الله عليه وسلم . فإن من نزع يدا^١ من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ،
ومترق من الدين . فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وقد
علمتم أن في التعلق بعصمتها ، والتمسك بعزوتها ، حفظ الأموال وحقن
الدماء . وصلاح الخاصة والدّهماء . وأن بقوام الطاعة تقام الحدود ، وتوفى
العهود . وبها وصلت الأرحام ، ووضحت الأحكام ، وبها سدّ الله الخلل ،
وأمن السبل . ووطأ الأكناف . ورفع الاختلاف . وبها طاب لكم القرّار .
واطمأنت بكم الدار . فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به . فإنه تبارك وتعالى
يقول ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ الآية (النساء : ٥٩) .
وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف
الملحدين . الساعين في شقّ عصاكم ، وتفريق ملاكم^٢ ، الآخذين في محاذلة
دينكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم . صلوات الله وسلامه عليه
وعلى جميع النبيين والمرسلين . أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين ،
مستغفراً لله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين .

* * *

١ المطمح : يده .

٢ المطمح : ملتكم ؛ وملاكم مخففة من ملاكم .

الملحق رقم (٥)

وثائق في إعلان غير المسلمين إسلامهم

وثيقة إسلام النصراني *

اشهد فلان [بن فلان] الإسلامي شهداء هذا الكتاب في صحته وجواز أمره وثبات ذهنه وعقله انه نبذ دين النصرانية ، رغبة عنه ، ودخل في دين الإسلام رغبة فيه ، وشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وخاتم رسله ، وان المسيح عيسى ابن مريم ، صلى الله عليه وسلم ، عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، واغتسل لإسلامه وصلى ، ووقف على شرائع الاسلام ، الوضوء والصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت على من استطاع اليه سبيلا ، وعرف حدودها (I) ومواقيتها . فالتزم ذلك تمسكاً بالإسلام واغتباطاً بالدخول فيه ، وحمد الله على ما الهمة اليه منه ومن عليه به فيه ، وعلم ان الدين عند الله الإسلام وانه ناسخ لجميع الأديان ، وانه يعلو ولا يُغلى عليه ، وان الله / لا يقبل سواه ولا يرضى غيره .

128

وكان إسلامه طائعا آمنا غير فارّ من شيء ولا مكروه ولا متوقع لأمر على يدي فلان [الفلاني] ، وإن كان حكما قلت « على يدي فلان [بن فلان] قاضي الجماعة بقرطبة ، أو قاضي كذا أو صاحب احكام الشرطة أو المدينة أو السوق أو الردّ بقرطبة » (2) ، شهد على إشهاد فلان [بن فلان] الإسلامي على نفسه بما ذكر عنه في هذا الكتاب [بعد إقراره بفهم جميعه والتزامه بما فيه عنه] من عرفه وسمعه منه ، وهو بالحالة الموصوفة فيه [وذلك في تاريخ كذا] .

وإن جعلت مكان « من عرفه » ، « من وقف على عينه » اجزاك ، ثم تقول « وذلك في شهر كذا من سنة كذا ، والكتاب نسختان » ، أو « على نسخ » ، وإن كانت واحدة عند ثقة فهو حسن . والإكثار منها أقوى وأفضل . إن شاء الله .

وثيقة إسلام اليهودي *

أشهد فلان [بن فلان] الإسلامي شهاداً هذا الكتاب في صحة من عقله وبدنه وثبات ذهنه وجواز أمره انه نبذ دين اليهودية رغبة عنه ، ودخل في دين الإسلام رغبة فيه ، وعلم ان الله عز وجل لا يقبل سواه ولا يرضى غيره ، وانه ناسخ لجميع الشرائع المتقدمة ، وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً [صلعم] عبده ورسوله وخاتم أنبيائه ، وان موسى وعزيراً وسائر الأنبياء عبيد الله ورسله ، وان الدين عند الله الإسلام ، واغتسل لإسلامه وتوضأ وصلى ، ووقف على شرائع الإسلام ودعائه التي بني عليها ، الوضوء والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان في كل عام وحج البيت مع الاستطاعة ، فالتزم ذلك كله ، وحمد الله (I) على ما ألهمه اليه منه ، وشكر له نعمته عليه فيه .

وكان إسلامه على يدي فلان [بن فلان] ، وإن كان صاحب حكومة قلت « على يدي فلان قاضي الجماعة بقرطبة ، أو قاضي كورة كذا ، أو صاحب أحكام الشرطة أو المدينة أو السوق أو الرد بقرطبة » ، [طائفاً] أمنا غير مكره ولا متخوف أمرا ولا متوقع شيئاً ، شهد على إشهاد فلان [ابن فلان] الإسلامي على نفسه بما ذكر عنه في هذا الكتاب [بعد إقراره بفهم جميعه والتزامه بما فيه] من عرفه [وسمعه منه] (2) . وإن شئت قلت « ممن وقف على عينه ، وهو بالحالة الموصوفه [عنه] ، وذلك في شهر كذا من سنة كذا والكتاب على نسختان أو نسخ » .

وثيقة / إسلام المجوسي *

اشهد فلان بن فلان او ابن عبد الله الاسلامي في صحة عقله وثبات ذهنه وجواز امره انه نبذ دين المجوسية التي كان عليها رغبة عنه ، ودخل في دين الإسلام رغبة فيه ، وأقر ان لا معبود دون الله ، وان الله وحده لا شريك له انفرد بالوحدانية وتعزز بالربوبية ، وان محمدا عبد الله ورسوله وخاتم رسله ، وان جميع المرسلين أنبيأؤه وعبيده وصفوته من خلقه وبشره (1) ، وقطع الأصنام والابداد (2) ، وكل معبود سوى الله الخالق الفرد الصمد مميت الأحياء ومحى الموتى وباعثهم ليوم لا ريب فيه ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، وعلم ان الدين عند الله الإسلام وانه لا يقبل سواه ولا يرضى غيره ، واغتسل لإسلامه [وصلى] ووقف على شرائع الاسلام ودعائه ، الوضوء بالنية الصادقة والصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان في كل عام وحج البيت الحرام مرة واحدة مع الاستطاعة ، إلا من تطوع على الفريضة ، ووقف على حدود ذلك كله وأحاط علما به [والتزمه وحمد الله عز وجل على ما ألهمه اليه منه وأنعم عليه فيه] .

وكان إسلامه على يدي فلان بن (٢) فلان قاضي موضع كذا ، أمنا راغبا في الإسلام ، قد شرح الله عز وجل صدره له ، غير مكره ولا متخوف أمرا ولا متوقع شيئا ، شهد على إشهد فلان [بن فلان] على نفسه بما ذكر عنه في هذا الكتاب من وقف على عينه وسمعه منه ، وهو بالحالة الموصوفة ، وذلك في شهر كذا من سنة كذا ، والكتاب نسختان .

وثيقة إسلام النصرانية ذات الزوج *

أشهدت فلانة بنت فلان ، أو بنت عبد الله ، ان لم يعرف اسم أبيها ، الإسلامية شهداء هذا الكتاب في صحة عقلها وثبات ذهنها وجواز أمرها ، انها نبذت دين النصرانية التي كانت عليها رغبة عنه ، ودخلت في دين الإسلام رغبة فيه ، وشهدت انه الله لا إله الا هو وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله وخاتم رسله وأنبيائه وصفوته من خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وان عيسى بن مريم ، صلى الله على جميع النبيين ، عبد الله وخلق من خلقه ورسول من رسله ، وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه كما قال الله عز وجل ، واغتسلت [وصلت] ووقفت على شرائع الاسلام ودعائه ، والوضوء السابغ بالنية الخالصة والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان في كل / عام وحج البيت مع الاستطاعة ، ووقفت على فصول ذلك كله والتزمته ورضيته ، وحمدت الله عز وجل على ما ألهمها ، وشكرت له ما أنعم به عليها فيه ، راغبة في الإسلام طائفة غير مكرهة ولا متوقفة شيئا ولا متخوفة أمرا ، وكان إسلامها على يدي فلان [بن فلان] ، وتبني على ما تقدم من العقد ، ثم تقول « شهد » .

فقه

وإن كانت غير ذات زوج كان الذي أسلمت على يديه لها وليا في النكاح يزوجه برضاها ، وإن كانت ذات زوج انفسخ نكاحها مع الزوج وأمرت بالعدة ، إن كان دخل بها ، وكان عليه إسكانها ونفقتها ، إن كانت حاملا الى ان تضع حملها ، وإن لم تكن حاملا فلا نفقة عليه ، ويلزمه [كرام] (1) العدة خاصة إن كانت في دار بكراء ، وإن كانت في داره كان لها ان تسكن فيها الى ان تنقضي عدتها .

وإن أسلم (2) في عدتها وقبل ان تمضي [لها] ثلاثة قروء من وقت إسلامها ، إن كانت ممن تحيض ، أو ثلاثة أشهر إن كانت ممن لا تحيض كان أملك بها وتبقى معها على الزوجية [معها] ، وإن انقضت عدتها قبل إسلامه لم يكن له سبيل اليها ، إن أسلم بعد ذلك ، ويكون خاطبا من الخطاب ، وإن أسلمت قبل دخول الزوج بها انقطعت عصمة النكاح بينهما ، ولم يكن له اليها سبيل إن أسلم بعدها ، وإن كان على قرب من إسلامها ، الا ان ينكحها برضاها نكاحا جديدا بولي وصادق ، وإن كان إسلامه معها فهي زوجته كما كانت لا ينتقض نكاحها .

وتعقد في إسلام اليهودية مثل هذا والحكم فيها مع زوجها كما تقدم في أمر النصرانية ، إن شاء الله عز وجل .

وثيقة إسلام المجوسية *

أشهدت فلانة [بنت فلان] الإسلامية أنها نبذت دين المجوسية التي كانت عليها رغبة [عنه] (I) ، ودخلت في دين الإسلام رغبة فيه ، وخلعت كل معبود دون الله عز وجل ، وشهدت انه الله وحده لا شريك له انفرد بالربوبية وتعزز بالوحدانية ، وان محمدا عبده ورسوله وخاتم رسله وصفوته من خلقه ، أرسله بالهدى الى قوله «المشركون» ، واغتسلت لاسلامها وصلّت ، ووقفت على شرائع الإسلام وفرائضه ، الوضوء والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان في كل عام وحجّ البيت مع الاستطاعة ، ورضيت بذلك ، وحمدت الله تعالى على ما ألهمها [منه] اليه وأنعم عليها فيه ، راغبة في الإسلام ، تاركة لما سواه ، مقرّة ان الله جل وعز لا يقبل غيره ، طيبة به (2) نفسها غير مكرهة ولا فارة من شيء ولا متوقعة شيئا ولا خائفة امرا ، وكان إسلامها على يدي فلان [بن فلان] صاحب أحكام كذا ، أو قاضي الجماعة بقرطبة ، أو قاضي كورة كذا ، شهد على إسهاد فلانة [بنت فلان] الإسلامية على نفسها بما ذكر عنها في هذا الكتاب من وقف على عينها وسمعه منها ، وهي صحيحة العقل ثابتة الذهن ، جائزة الفعل ، وذلك في شهر كذا من سنة كذا .

فقه

وإن كان لها زوج لم يَبْنِ / عليها انقطعت عصمة النكاح [بينهما] بإسلامها ، إلا أن يسلم مع إسلامها ، وإن كان قد دخل [بها] كان أمك بها ، فإن أسلم في عدتها كانت زوجته ، وإن لم يسلم حتى تنقضي عدتها وقعت الفرقة [بينهما] كالنصرانية واليهودية تسلم كل واحدة (3) منهما قبل زوجها (4) .

وثائق في إستئجار معلمين

وثيقة استئجار معلم القرآن (٢)

استأجر فلان بن فلان ، فلان بن فلان ، المعلم ، ليعلم ابنه فلانا أو ابنته فلانة أو بنيه فلانا وفلانا وفلانا القرآن نظرا أو ظاهرا ، والكتب والخط والهجا ، عاما أوله شهر كذا من سنة كذا ، بكذا وكذا دينار صفة كذا ، يؤدي اليه كل شهر ما ينوبه منها ، وكذلك نذا وكذا ، ويدفع اليه في كل شهر في أوله ، من دقيق القمح الطيب لريون الجيد الطهر ربعين أو ثلاثة بوزن كذا ومن الزيت نصف ربع من زيت الماء الطيب الأخضر بكيل كذا . ويشرع المعلم في التعليم المذكور وعليه الاجتهاد ، ثم يكمل الوثيقة (*) . فان اشترطت عليه في الأعياد شيئا . ذكرت ذلك وقلت ويدفع اليه في عيد الفطر كذا وفي عيد الأضحى كذا ويعطيه عند حذقه الصبى فلان القرآن كله كذا شهد (*) .

ويعتد في ذلك أيضا ، على ما عقده موسى بن أحمد في تعليم القرآن كله : استأجر فلان بن فلان . فلانا المؤدب ، بكذا وكذا دينارا من صفة كذا قبضها فلان المعلم ليعلم ابن فلان هذا المسمى كذا جميع القرآن وقد عرف فلان هذا المستأجر هذا الصبى ووقف على مقدار نباهته شهد وله في الأجرة لأمر معلوم (*) . استأجر فلان بن فلان فلان بن فلان بكذا وكذا دينارا دراهم قبضها منه ، ليعلم له ابنه فلانا سنة أولها شهر كذا من سنة كذا ، القرآن شهد (*) فان استأجره ليعلمه الكتب نحوت هذا النحو ولا تجوز الأجرة على تعلم الفقه والفرائض والنحو والشعر والعروض وكره بيع ذلك وروى ابن حبيب أنه جائز (*) وقال ابن حبيب في تعليم الشعر أيضا : انه جائز في أشعار العرب القديمة . التي هي فيها مفاخرهم وذكر شعرهم والشعر ديوان العرب ما لم يعلمه ذكر الحسن والقبيح من الكلام ، اذ لا يجوز تعلم ذلك (*) وقال بعض من كتب في هذا الشأن أن نشاط الرجل المعلم على تعليم هذه النسخ والنحو والشعر والقرآن وغيره وما أشبه ذلك من علم الرجال ذوى المرات ، سميا في ذلك أجلا أو لم يسميا لذلك أجلا ، وهو مما ليس منتهى منه الى حد معروف ، فقال : هو عندنا بمنزلة ما أجاز مالك من الشرط ، على تعليم الخياطة والحبر ، وما أشبه ذلك من الصناعات فاذا بلغ من ذلك مبلغ أهل العلم من الناس وجب في ذلك حقه ولا بأس بأخذ الأجرة على تعليم المسلم الكتب والقرآن ولا بأس بالاستئجار في ذلك سنة وسنتين مشاهرة ولا بأس بتقديم الأجرة في ذلك للمؤدب ولا بأس بمشاركة المؤدب على تعليم القرآن كله أو نصفه أو ما ذكرناه نظرا وظاهرا ، سميا في ذلك أجلا أو لم سميا ،

نبل الصبي من بلادته (*) وقال محمد بن عبد الله انما يجوز توقيت الأجل مع شرط تعليم القرآن كله اذا كان التوقيت غير ضيق فان كان ضيقا ، يرى ويخشى أنه لا يبلغ ذلك فيه ، لم يجز لعاقبة الضرر والمخاطرة . وأما اذا وقتا وقتا يفرغ في مثله ما شرط على المؤدب ، فلا بأس بذلك ، فان تأخر عن الأجل أعطى مثله فيما علمه تلك السنة ، لا على حساب الأجرة الأولى . كذلك قال اصبح : ولا تحكم للمعلم بشيء في الأعياد ، الا ان اشترط من ذلك شيئا معروفا فيكون له شرط . واختلف أهل العلم في الحذقة فأبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم عن بعض أهل العلم ، لا يوجبها ، حتى يشترط ذلك ، وغيره يقول : يحملان على سنة أهل البلاد ويأخذها فيما قد عرف الحذقة فيه من أجزاء القرآن ، على قدر غناء والد الصبي وحاله ، ويقضى عليه بذلك للمعلم . وقيل : لا حذقة له الا في القرآن كله ، فان اشترطها المعلم فلا بد من تسمية شيء معروف والا لاتجز ويجوز لوالد الصبي أن يشترط ألا حذقة عليه مع الأجرة . واذا مات الصبي ، انفسخت الاجارة فيما بقى والاجارة تنتقض بموت المستأجر ، ولا تنتقض موت المستأجر له ، كالاستئجار رعية الغنم وشبه ذلك ، الا في أربعة أشياء ، الظير والمعلم والرافض لدواب وفحل النزو ، فانها تنتقض موت المستأجر والمستأجر له وذلك لاختلاف الرضاع عن التصبيان المرضع ولاختلاف النبل والبلادة واختلاف صعوبة الدواب واذا غاب لامام أو المؤدب الى بعض حاجته أو الى باديته أيام الجمعة ونحوها ، فلا بأس بذلك فان طال مغيبه ، كان لأهل المسجد توقيف الامام عن ذلك والمعلم منعه منه ولا يحط من أجرته شيء . وكذلك ان مرض الأيام اليسيرة وان طال مرضه أو مغيبه انحط من أجرته ما يقع منها على أمد مغيبه أو مرضه وان غيب الصبي أبوه أو وليه وشغلوا المعلم يأخذ الأجرة تامة ، فان مرض الصبي مرضا طويلا ، انحط من لأجرة ، بقدر مرض الصبي انتهى (*) .

(١) نقل النعمان من كتاب « النعمان بين الأسيان المسلمين » . وروجه لى مخطوطتى البونطى وابن العطار (انظر ابن العطار ، الوقيفة ، ١ و ١٦) .

عقد اجارة مؤدب (١)

استأجر فلان فلانا المعلم ليعلم ابنه فلانا الخط والهجاء والقرآن ظاهرا أو نظرا عاما أوله كذا وكذا فقبضها فلان أو مقسطة على شهور العام وشرع المعلم فلان في تعليم فلان وعليه في ذلك بذل النصيحة والاجتهاد ، بعد أن وقف على مقدار نباهته ، ثم تكمل العقد . انتهى .

فقه

ويجوز الاجارة على تعليم القرآن دون ضرب أجل ويجوز أكثر من سنة ، ويجوز على بعض أجزاء القرآن ، ولا يجوز ضرب أجل ، الا فيما يعرف أنه يفرغ فيه مما شرط ولا تجب الحذقة الا بشرط أو عرف جار على أجزاء معلومة . وقيل لا حذقة الا في جميع القرآن . وهي غير مقدره وانما هي على قدر غناء والد الصبي وفقره ، فان شرطها المؤدب فلا بد من تقديرها والا لم تجز الاجارة وليس للأب اخراج ابنه اذا قرب من الحذقة فان أخرجه فان كان قد قرب منها جدا وجبت عليه الحذقة وان كان بخلاف ذلك فأدخله عند مؤدب آخر فلكل واحد منهما بقدر ما علم وتنسخ الاجارة بموت الصبي وكذلك في الخير . وللمؤدب والامام أن يغيب في حوائجه وتفقد ضيعته ، أنجمعة ونحوها ولا يحدا لذلك من الأجر شيئا ، وكذلك ان مرض أياما يسيرة ، ويحط من الأجرة لمرض الصبي بقدره وقدر مال الأجرة على تعليم الفقه والنحو والفرائض ، كان في ذلك صحيحا أو سقيما ، وكذلك عنده بيع كتبها وأجاز ابن حبيب تعليم الشعر اذا لم يكن فيه هجاء ولا ذكر الخمر ، وأيام العرب والرسائل وغير ذلك انتهى .

(١) أخذ هذا النص من كتاب أبي الحسن بن علي بن يحيى ابن القاسم الجزيري ، وهو المخطوط رقم ٢ ضمن مجموعة الدكتور «خيل» أنورقة ٥٦ و .

كما نشر النص باللغة العربية ضمن كتاب المستشرق الأسباني «خوليان ريبيرا» ، (التعليم بين الأسبان المسلمين) ، ص ٩ من الملاحق .
(م . ٣١ - تاريخ التعليم)

وثيقة شركة معلمين

أشهد فلان بن فلان وفلان بن فلان أنهما اشتركا في تعليم القرآن والكتب ، على أن يقعدا لذلك في مقعد واحد ولا يفترقان ، ما قسم الله عز وجل لهما في ذلك من رزق وساقه اليهما من فضل فهو بينهما بالسواء كما الكلفة عليهما فيما يتوليانه من التعليم سواء .
شهد . انتهى .

* * *

قال محمد بن عبد الله ويجوز للشريكين على التعليم أن يتراضيا على أن يجلس أحدهما على الصبيان شهرا ويجلس الآخر شهرا آخر اذا كانا انما تراضيا على ذلك بعد عقد الشركة وان كانا عقدا شركتهما على هذا ، فلا خير فيه . انتهى (١) .

ولا يشبهان الصانعين في مثل هذا ، الصانعان لا يجوز ذلك بينهما على حال من قبل . ان الصانعين اذا كان أحدهما شهرا والآخر شهرا ربما كسب أحدهما في شهر أكثر مما كسبه صاحبه وانما يعملان في كسب مستقل ، والمعلمان ليسا كذلك ، انما يجلسان على الصبيان ، خراجهم واحد في كل شهر ، قد عرفوا ذلك وعرفوا كم هو وما هو فانما يجلسان ليقاضى ما يعرفان بعد وهما بمنزلة الرجلين يكون لهما غنم متراضيان على أن يرعاها كل واحد منهما شهرا فلا بأس به . ذلك رواه ابن حبيب عن مطرف وابن الماجشون (٢) .

(١) نقل النص من كتاب « تاريخ التعليم بين الاسبان المسلمين للمستشرق الأسباني خوليان ريبيرا » ، وتمت مراجعته على المخطوطة بمدرسة الدراسات العربية بمدرسة ، وروجع النص على مخطوطة ابن العطار ، الورقتين ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) بالنسبة لمحمد بن عبد الله : انظر وثيقة استئجار مؤدب عربية الملاحقة بالفصل الخاص بالمرحلة التعليمية الثانية .

وثيقة استنجان مؤدب عربية
ماخوذة من كتاب « محمد بن عبد الله » (١)

استأجر فلان بن فلان ، فلان بن فلان المؤدب ، لتعليم ابنه فلان سنة أولها شهر كذا من سنة كذا النحو ويملى عليه الرسائل ومخاطبات البلغاء وتوقيعات الأمراء ، ويرويه من الشعر الجاهلي والاسلامي الشعر الحسن ، السلم من وصف الخمر والنساء ، وقبيح الهجاء ، بكذا وكذا — دفع فلان شطر هذه العدة الى المؤدب فلان وقبضها منه وأبراه منها ، فاذا انقضت السنة المذكورة دفع فلان بن فلان الى فلان بن فلان باقى أجرته بلا كيرير ولا مطل ان شاء الله • شهد عليهما بذلك من عرفهما وذلك فى تاريخ كذا • انتهى (٢) •

الملحق رقم (٧)

مسجد قرطبة العزیز فی المینفی البعید

فی سنة ١٧٦٥ زار قرطبة سفیر مغربی هو أحمد بن المهدي الغزال
ليحدث فی تنظيم تبادل الأسرى بين المغرب وإسبانيا . . إن الحرب بين
البلدين لم تسكن إلا بعد معاهدة استقلال المغرب فی مطالع سنة ١٩٥٦ .

وأطال السفیر الوقوف بمسجد قرطبة الجامع ، ثم كتب بعد ذلك كتاباً
لطيفاً عن رحلته اختص فيه المسجد بوضع صفحات وصف فيها الشعور الذي
ملأ نفسه وهو بين يدي هذا الأثر العربي الجليل ، قال : « . . . وقد تخيل
الفكر أن حيطان المسجد وسواريه تسلم علينا ، وتمش إلينا ، من شدة ما وجدنا
من الأسف . حتى صرنا نخاطب الجهادات . ونعاق كل سارية ، ونقبل
سوارى المسجد وجدرانه . . »

وهذا هو الشعور الذي يملأ نفسي كلما أقبلت على مسجد قرطبة : شعور
شوق عظيم أتمنى معه لو استطعت أن أمد ذراعى لأضمه كله إلى صدرى ،
أو لأضم صدرى إليه بتعبير أصح .

ولكننى لا أحسب أنه هو نفسه مشوق إلينا . . لقد تركناه وحده ومضينا ،
بنيانه وتأنقنا فيه ، وأقمنا معه أيام الرخاء والسلام ، وعندما تغيرت الأيام

وجاءت الحرب دافعنا عنه وعن بلده ما استطعنا ، ثم أسرع الباقون منا يطلبون النجاة ..

وبقى هو وحيداً ..

وبعيداً - ونحن في ظلال الأمن - وقفنا نبيكيه ..

وفعل الغير به ما فعلوا : أقاموا في وسطه كنيسة ، حولوا مثذنته إلى برج للنواقيس ، غيروا اسمه من جامع إلى كاتدرائية ..

وغضبنا ، وصرخنا ، ونحن نعرف أننا مسئولون إلى حد بعيد عما أصابه ..

والجامع العظيم يعرف ذلك ، وهو - لهذا - ينظر إلينا في عتب ، في سخر . هذا الصمت الشامل الذي يملأ أكبر بناء أقامته يد العرب في التاريخ أبلغ من كل كلام ..

إن هذا المسجد المهيّب - ككل عظيم - يؤثر الصمت إذا غضب ، وصمته أقسى من أي عتاب ..

ويوم يشعر هذا الوحيد في منفاه البعيد أننا اتعظنا ، أننا تعلمنا ، سوف نهش لنا حيطانه وسواريه كما يقول أحمد بن المهدي الغزالي ..

• • •

مسجد قرطبة الجامع هو - دون شك - أضخم عمل معماري قام به العرب في الشرق أو الغرب على السواء ، فإن مساحة الصحن المستوف ٤٨٦٨ متراً مربعاً ، أي ما يزيد على الفدان ..

فإذا أضفنا إلى ذلك البناء غير المستوف - وهو بقية صحن الجامع يحيط بها سور - كانت مساحته ١٢١٨٩ متراً مربعاً ، أي نحو ثلاثة أفدنة . وعدد السواري ، أي الأعمدة ، الباقية إلى اليوم يزيد على ١٢٠٠ سارية ..

ومحراب هذا المسجد أروع محاريب الجوامع الأثرية الباقية إلى اليوم ..

والحلول الهندسية التي وفق إليها المعماري الأول الذي وضع تصميم هذا الجامع ، والابتكارات المعمارية والزخرفية التي وصل إليها هو ومن جاءوا بعده تقرر دون أدنى شك أن العرب كانوا أعظم مهندسي الدنيا حتى مطلع العصر الحديث . .

وهذه العبقرية الهندسية تتجلى إذا تأملت كيف حمل المهندس ستقفاً ارتفاعه نحو تسعة أمتار على عمدة رفيعة لا يزيد قطر الواحد منها على ٢٥ سنتيمتراً . لقد احتاج مهندس كنيسة نوتردام إلى عمدة من الحجر قطر الواحد منها ٤ أمتار ليطمئن على مثل هذا السقف . .

لكي يصل المهندس العربي إلى ذلك وضع عموداً فوق عمود ، قوساً فوق قوس . في مساجد أخرى ، لها مكانتها في تاريخ الفن ، خاف المهندس من استخدام أعمدة الرخام الرفيعة ، واعتمد على أعمدة من الحجر سمك الواحد منها متر تقريباً ، أو أقام أعمدة من الرخام وربط بينها من أعلى بروابط من الخشب ، تبدو لك - إذا نظرت إليها - وكأنها سقالات نسبها البناءون بعد الفراغ من البناء ، فأضاع ذلك بهجة الجامع . . .

وأنصح دليل على عبقرية هذا الابتكار أنه لم يتكرر ، فمن المعروف أن المعماريين ينقل بعضهم عن بعض . إذا ابتكر واحد منهم شيئاً في الشرق نقله الآخرون عنه في سلسلة طويلة حتى يصل إلى أقصى الغرب . .

إلا هذا الابتكار . فريد في نوعه على طول التاريخ ، فريد وحيد كجامع نفسه . .

يقولون إن المهندس نقله عن سقاية ماء رومانية قديمة في ماردة . هناك نجد ثلاثة أقواس بعضها فوق بعض . ولكن أي فرق ! إن الأعمدة التي تقوم عليها السقاية من الحجر ، وسمك الواحد منها ستة أمتار . .

والهدف الذي قصد إليه هذا المعماري المبدع بهذا الابتكار يدعو إلى الإعجاب . . إنه هدف جمالي صرف . .

فقد خطط القسم الأول من الجامع أولاً ، ورسم الرسم وحسب حساب الارتفاعات ومقادير مادة البناء ..

ثم بدا له - بعد أن وضع أسس الجدران - أن يمد المساحة قليلاً ناحية الجنوب ..

وتصور في ذهنه هيئة البناء بعد التوسعة فلم تعجبه ..
أحس أن الارتفاع لن يناسب المساحة ، سيدو السقف منخفضاً بعض الشيء ...

ولم يكن يستطيع أن يزيد في طول العمود ، فهى من الرخام ، وكانت قد أعدت وهيئت ..

لهذا خطر بباله أن يتم وضع الأعمدة ويعقد الأقواس بينها ، ثم يقيم أعمدة أخرى فوق الأعمدة الأولى ، ثم يعقد أقواساً ثانية ، وفوق هذه يقيم السقف ..
ابتكار لا يخلو من جرأة ، وأقل ما يتطلبه حساب دقيق لاحتمال الأعمدة الأولى ، ثم أوزان الأعمدة الثانية وأقواسها والسقف فوقها ..
ولكنه كان معيارياً ممتازاً وحاسباً دقيقاً ، فم له ما أراد ..

ولم يجرؤ مهندس جامع آخر على تطبيق هذا الابتكار : لأن أعمال العباقرة لا تتكرر ولا تقلد ..

وسرى - عندما نفضى إلى صحن الجامع - أن الابتكارات الأخرى التى وصل إليها هذا المعمارى وتلاميذه لا تقل روعة عما ذكرناه ..

وإذا كان هناك بناء يدل على بانيه ، فإن جامع قرطبة رمز ناطق على عبقرية عبد الرحمن الداخل . هذا عبقرى الفن وذلك عبقرى السياسة والحرب . وكما خرج الفتى عبد الرحمن بن معاوية من آسيا وحيداً شريداً ، وعبر إفريقيا من طرف لطرف ليقم لنفسه ملكاً فى أوروبا ، فكذلك جامع قرطبة ، تبدو لك أقواسه الرائعة وكأنها تمتد حتى دمشق ، قنطرة ثقافية كبرى تظل البحر الأبيض من سواحل الشام إلى قلب إيبيريا . رمز على حضارة

نحن رفعنا عمدها على ثلاث قارات ، ونحن بإذن الله نرفع رايتها في كل القارات ..

• • •

نحن أمام ثلاثة مساجد لا مسجد واحد ..

ثلاثة مساجد بنتها سبعة أجيال على الأقل من المعماريين ، فإن أول حجر وضع في المسجد كان سنة ٧٨٠ ميلادية ، وآخر حجر وضع فيه كان سنة ١٠٠٠ ميلادية . مائتان وعشرون سنة في عمل فني واحد يمتاز أول ما يمتاز بالوحدة والانسجام . لم يتكرر هذا الترابط بين أجيال الفنانين إلا مرة واحدة . كان ذلك في ميدان الموسيقى لا في مجال المعمار ، فهناك نجد أربعة من أعلام الموسيقى : جوزيف هايدن وأماديوس موتسارت ويوهان سباستيان باخ ولودفيج فان بيتهوفن يصافح أحدهم الآخر في سيمفونية كأنها بحر من النغم طوله مائة عام .

وقبل أن نمضى في تأمل هذا العمل الخالد علينا أن نبدد سخابة صغيرة نسجتها يد الأساطير ..

ذلك أنهم يقولون إن المسلمين عندما استقروا في قرطبة قاسموا أهلها كنيسهم الرئيسية ، فلما أراد عبد الرحمن الداخل إنشاء جامعته اشترى منهم النصف الثاني وهدمه وأقام البناء ..

وذلك كله غير صحيح ، وما تقوله مراجعنا العربية أساطير نشأت في القرن العاشر ، أى بعد بناء الجامع بقرنين ..

ولقد نقب الأثريون تحت الجامع في كل موضع إلى عشرات الأمتار ، فلم يجدوا أدنى أثر لكنيسة أو بناء ، وتبينوا أنه يقوم على أرض عذراء ..

وماذا كان يضطر عبد الرحمن إلى أن يشتري نصف كنيسة ، ويعوض أهلها بمال لينوا به كنيسة أخرى ، والأرض أمامه فضاء يبني فيها كيف يشاء ؟

• • •

الجامع الأول ، أو القسم الأول من الجامع ، بناه عبد الرحمن الداخل فيما بين سنتي ٧٨٠ و ٧٨٦ ، في ست سنوات لا سنة واحدة كما يقول هواة الأساطير ..

هذا الجامع هو الذي يدخل الناس إليه اليوم من الباب الرئيسي المعروف بباب النخيل . كان مدخاه الرئيسي أيام عبد الرحمن الباب المعروف اليوم بباب القديس اصطفان ، وهو أول الأبواب الثلاثة الكبرى التي تراها في واجهة الجامع الغربية الواقعة في الشارع المعروف اليوم باسم شارع تورينخوس . كان في الماضي شارع قرطبة الرئيسي ، وكانوا يسمونه المَحَجَّة العظمى ، وكان يشرع من ضفة الوادي الكبير إلى آخر قرطبة ، فلا ينتهي إلا عند السور عند باب ليون الذي يسمى أيضاً الباب الجديد .

هذا الجامع يكون اليوم الربع الجنوبي من الجامع الحالي .

يبدأ من المدخل وينتهي عند العمود (أو القوس) الثالث عشر في اتجاه المحراب ، ويبدأ من الحائط الغربي (على يمينك وأنت داخل) وينتهي إلى العمود الحادي عشر في اتجاه الشرق ..

إذا أفضيت من الباب الرئيسي الحالي وجدت نفسك في رواق من الأقواس المزدوجة عرضه ٧,٨٥ أمتار . على يمينك خمسة صفوف من الأعمدة وعن يسارك خمسة أخرى ..

وعند القوس الثالث عشر كان يقوم جدار الجامع الأول الذي أقامه عبد الرحمن الداخل ، وتحت هذا القوس (أو البلاطة كما كانوا يسمونه) كان يقوم المحراب الذي صلى إليه صقر قريش ..

ولا زالت آثار جدار هذا الجامع الأول باقية إلى اليوم ، فإنك تجد هناك بدل الأعمدة أجزاء من الجدار تحمل الأقواس .

وإذا تأملت الأعمدة في هذا الجزء لاحظت أنها مختلفة في اللون والمادة : بعضها رخامي أبيض وبعضها مرمرى شفاف أو وردي أو أخضر . وتيجان

هذه الأعمدة مختلفة الطرز : بعضها دُورِيّ وبعضها أيوني (وهما طرازان إغريقيان) والأخرى رومانية أو مركبة .

ذلك أن المعمارى أتى بها من مواضع شتى ، بل فيها ما أتى به من قرطاجنة إفريقية (على مقربة من تونس الحالية) أو من إيطاليا ، وتكلف ذلك أموالاً طائلة دفعها عبد الرحمن الداخل عن طيب خاطر ، وقد عرف البناءون كيف يسوون بينها في الطول والحجم .

أما كيف أقام المعمارى العمود الثانى فوق الأول ، فقد وضع فوق تاج العمود الأول قاعدة صغيرة مربعة من الحجر ، وفوق هذه قاعدتين أوسع ، حتى حصل على اتساع كاف أقام فوقه العمود الثانى من الحجر ، وفرع في نفس الوقت أربعة أقواس . .

وعند نهاية العمود الثانى فرع الأقواس الثانية موازية للأولى ، وأقام عليها السقف .

وابتكر شيئاً ثانياً زاد في جمال هذه الأقواس المزدوجة : عملها بالحجارة والطوب الأحمر ، طوبة من هذا وطوبة من ذلك ، فبدت الأقواس في الهيئة المزخرفة الجميلة التى تراها عليها الآن . .

وقد خفف السقف فجعله من الخشب ، ثم قواه بأعمدة خشبية أخرى ، ونقش ذلك كله ولونه بالذهب والأزرق والأحمر . .

والسقف الحالى ليس هو السقف القديم ، لقد بلى هذا ورفع ووضع غيره من الخشب البسيط غير المزخرف . .

إذا أردت أن ترى نماذج من خشب السقف القديم ، وجدتها معلقة قطعاً على حائط بهو البرتقال ، وهو الذى كان الجزء المكشوف من صحن المسجد .

. . .

وبعد هذا القسم من الجامع مباشرة تجد الزيادة التى أضافها عبد الرحمن

لأوسط . وهي على نمط جامع عبد الرحمن الداخل تماماً ، وتمتد إلى الجنوب سبعة أقواس تحملها ستة أعمدة ، تليها بقايا جدار الجامع بعد أن وسعه مرة ثالثة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر .

إنها مسجد ثانٍ أضافه عبد الرحمن الأوسط إلى مسجد جده عبد الرحمن الداخل ، تستطيع أن تسمى هذا الجزء مسجد عبد الرحمن الأوسط في قرطبة ، فقد بنى مساجد أخرى كثيرة في غير قرطبة ، أشهرها جامع ابن عبد بّس في إشبيلية ، وقد حول هو الآخر إلى كنيسة ..

إذا وقفت في الرواق في هذا القسم من الجامع وظهرك إلى الباب الذي دخلت منه رأيت أجمل منظر يمكن أن تقع عليه عينٌ داخل مسجد .. . وإذا أمعنت النظر في أحد الأعمدة رأيت عجباً ..

ستجده - كأعمدة القسم الأول - من رخام أحمر أو أخضر أو وردي ، لأن هذه الأعمدة أيضاً جمعت من كل مكان في إسبانيا . بل أتى ببعضها من إيطاليا والمغرب ، ولكنك لن تحس أن بين بعضها وبعض فرقاً ، لا في السمك ولا في الهيئة ، لأن الفنان العظيم عرف كيف يصوغها في قالب واحد .

تيجان هذه الأعمدة من كل طراز . وقد وضع المعمارى على كل منها قاعدة ضيقة من أسفل واسعة من أعلى ، وبذلك حصل على سطح أوسع ليضع عليه عموداً ثانياً من الحجر ..

من جانبي هذه القاعدة أخرج المهندس الأقواس الأولى ، يستدير كل منها ويستقر على رأس العمود المجاور . ولكي يزيد هذه الأقواس المزدوجة بهاءً جعل واحداً منها مستديراً والثاني في هيئة حدوة الحصان .

ومن بعيد يخيّل إليك أنك في غابة من النخل العجيب ، أغصانه تمتد في كل اتجاه ، خفيفة رقيقة كأنها تهتز مع النسيم ..

وقد بقيت لنا أسماء من أشرفوا على هذه الزيادة الأولى ، وهم القاضي محمد بن زياد ونصر ومسرور مولياً عبد الرحمن الأوسط .

ولكن عجيبة هذا المسجد الكبرى ، ميزته التي جعلته فريداً في طرازه حقاً ، هي الزيادة التي أضافها إليه الحكم المستنصر ثامن أمراء البيت الأموي الأندلسي والثاني من خلفائه . وقد تمت بين سنتي ٩٦١ و ٩٦٦ بإشراف علم من أعلام الفكر الأندلسي ، هو القاضي منذر بن سعيد البلوطي .

إنها مسجد جديد كامل . الفن الذي فيه يمثل ذروة من ذروات فنونا العربية . بين يوم البدء في هذه الزيادة واليوم الذي أرسى فيه الحجر الأول من المسجد العظيم نحو ١٨٠ سنة ، خطا الفن الأندلسي خلالها خطوات شاسعة إلى الأمام . ولكن مهندس الحكم المستنصر عرفوا كيف يؤلفون بين القديم والجديد على نحو حفظ على البناء وحدته الفنية الكاملة ، فلا تشعر وأنت تخطو داخل هذا القسم الجديد أنك تعبر من القرن الثامن إلى القرن العاشر الميلاديين . هذه الزيادة الجديدة أضيفت في جنوب الجامع - أي في اتجاه نهر الوادي الكبير - في نفس اتجاه زيادة عبد الرحمن الأوسط .

بهذه الزيادة وصل الجامع إلى ضفة النهر . إذا نظرت إلى رسم الجامع وموقعه لاحظت كيف زحف مسجد قرطبة حتى وصل إلى الحد الطبيعي : ضفة النهر .

إن الجامع يحكى في نموه وتطوره قصة البيت الأموي الذي أنشأه ورعاه . كما وصلت الخلافة الأموية الأندلسية أوجها على أيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، ف كذلك وصل الجامع إلى أوجه في أيامهما . كان وصول المسجد إلى النهر ، وإلى الأوج معاً ، إيداناً بوصول البيت الأموي إلى قمة مجده . هناك قمة أخرى للخلافة القرطبية : قمة وصل إليها محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور ، قمة مصطنعة خادعة أضرت أكثر مما نفعت . وعلى يد المنصور زاد الجامع زيادة ضخمة ، ولكنها مصطنعة أيضاً . .

لم يتطابق تاريخ دولة وتاريخ بناء مثل التطابق الذي نراه بين تاريخ بني أمية الأندلسيين وتاريخ جامعهم . كلهم أضافوا إليه إلا واحداً : المنذر ابن محمد (حكم أقل من سنتين) .

عبد الرحمن الناصر هو الذى أمر بهذه الزيادة التى نتحدث عنها ، وعهد إلى ابنه الحكم المستنصر فى الإشراف عليها ، واستمر العمل فيها أيام الناصر وابنه الحكم ، فهى من عملهما معاً .

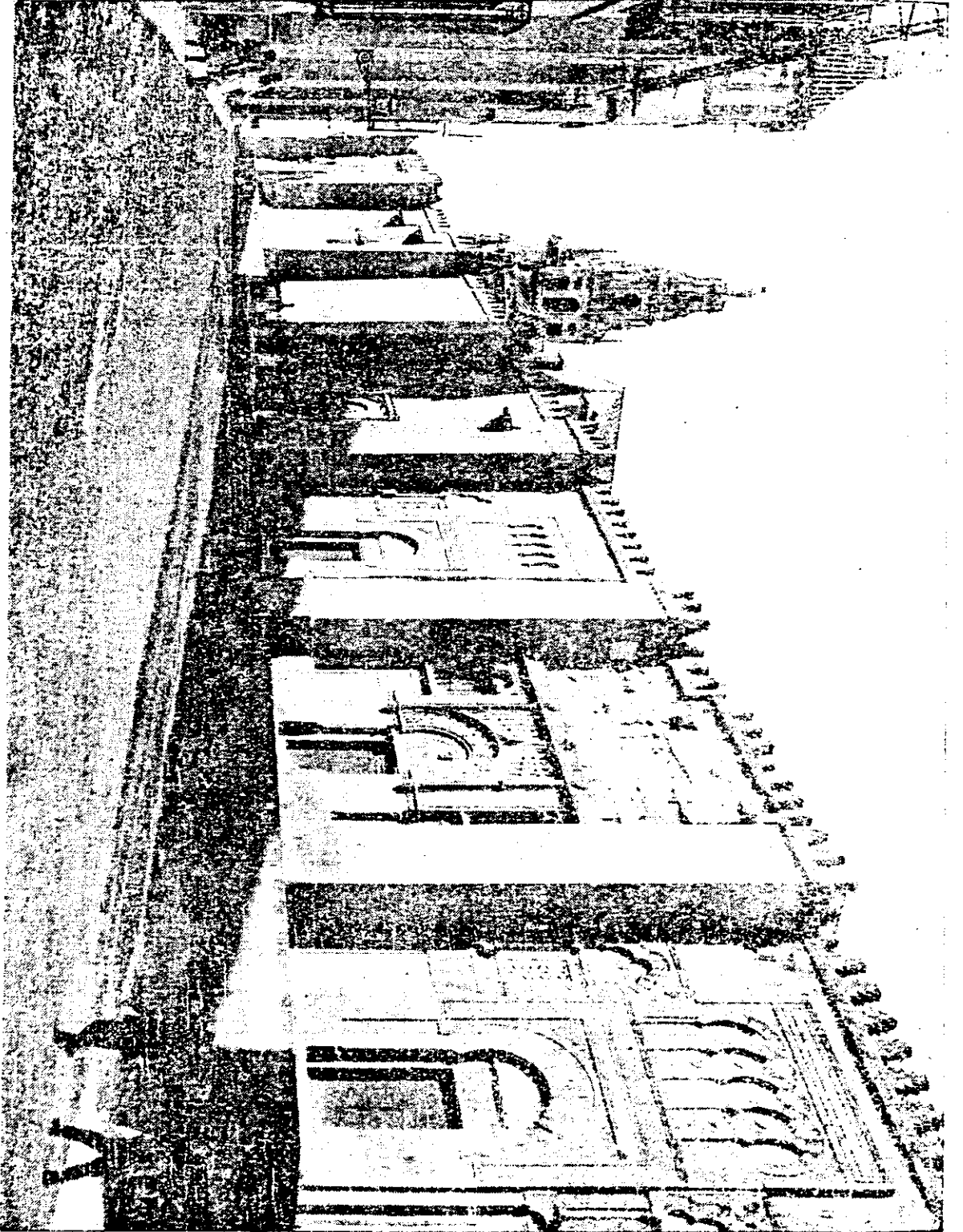
• • •

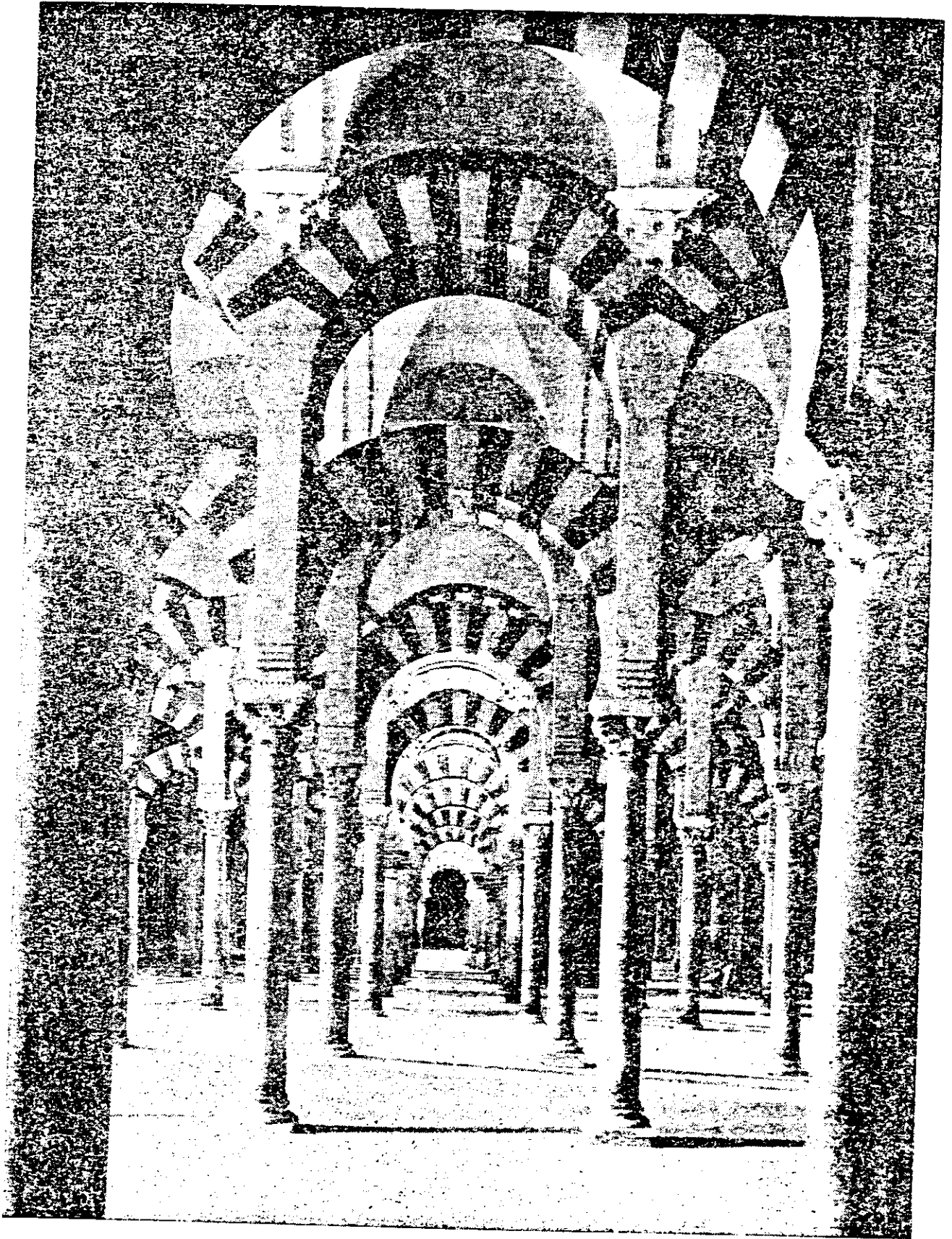
وقبل أن ننتقل إلى الفصل التالى ، الذى نتحدث فيه عن زيادة الحكم المستنصر ، أحب أن تلاحظ أن المنظر الذى تراه الآن لا يمثل إلا جانباً صغيراً من الجبال الفنى الذى أفرغه عليه المعمارى العظيم يوم بناه . فسرى فى الفصل التالى أن يد التغيير قد عبثت بالجزء الذى بناه عبد الرحمن الأوسط : أنشئت كنيسة صغيرة يتقاطع محورهما مع محور المسجد، وبني مصلب هذه الكنيسة على يسار الرواق فضاع معظم جماله ، ومساجدنا قطع من الفن بضرها أقل عبث أو تغيير . ثم إن أبواب المسجد التى تنفضى إلى بهو البرتقال قد سُدت عدا المدخل الذى أتيت منه ، وهو أيضاً مدخل مظلم عليه بدل الباب أبواب . فاحتبس النور وأصبح الداخل يدخل وكأنه فى شبه ظل لا يكاد يتبين معه شيئاً . فإذا ذكرت أن النور كان عنصراً من العناصر التى حسب الفنان حسابها عندما وضع تصميم هذا المسجد . تصورت مقدار الخسارة التى نزلت بالجامع من جراء هذا التحريف . . .

إنك تنظر إلى المسجد الآن وكأنك تتأمل لوحة فنية فى ضوء خافت حبيس . كل ما تراه هو الهيكل العام ، أما التفاصيل التى شقى الفنان ليضيفها ، أما التلمحات التى تعبر عن شخصه وتميزه عن غيره ، فقد خفيت كلها ، ولم يبق إلا أن تستكمل ما خفى عن طريق التصور والخيال . . .

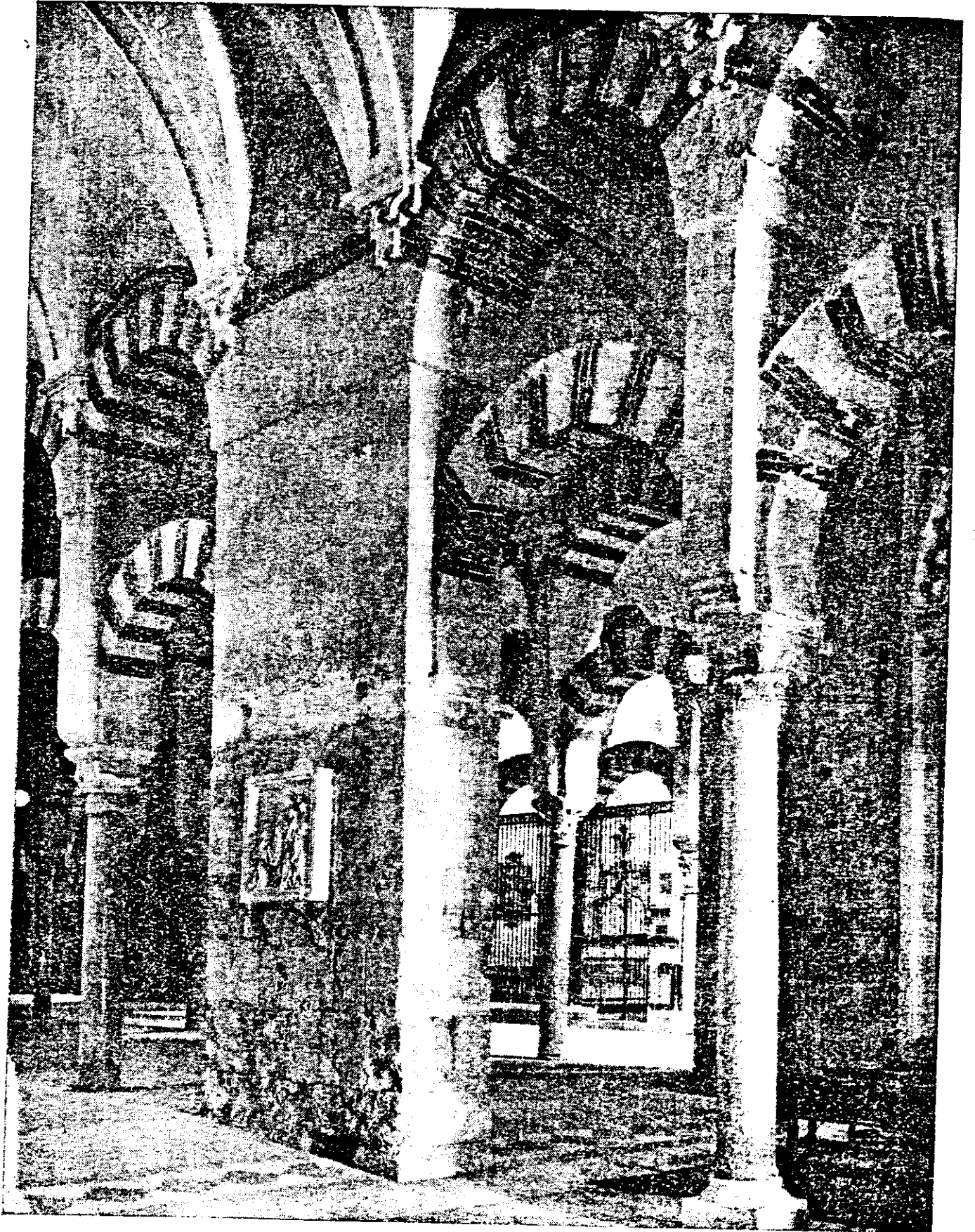
ونحن فى الأندلس فى دنيا لا تكتمل صورتها إلا مع خيال خصب خلاق يكمل ما ضاع ويستنقذ ما فات . وما من مرة تأملت هذا الجامع إلا تصورت أثنى أنظر إليه بعين غواص ينظر إلى قاع البحر خلال الماء . كل شئ يترامى له خلال سحب رقيقة من الماء ، وكل شئ أمامه يتراقص مع سير الماء فلا يتبين الواقع إلا فى صبر وعناء . . .

وآية المسجد الكبير

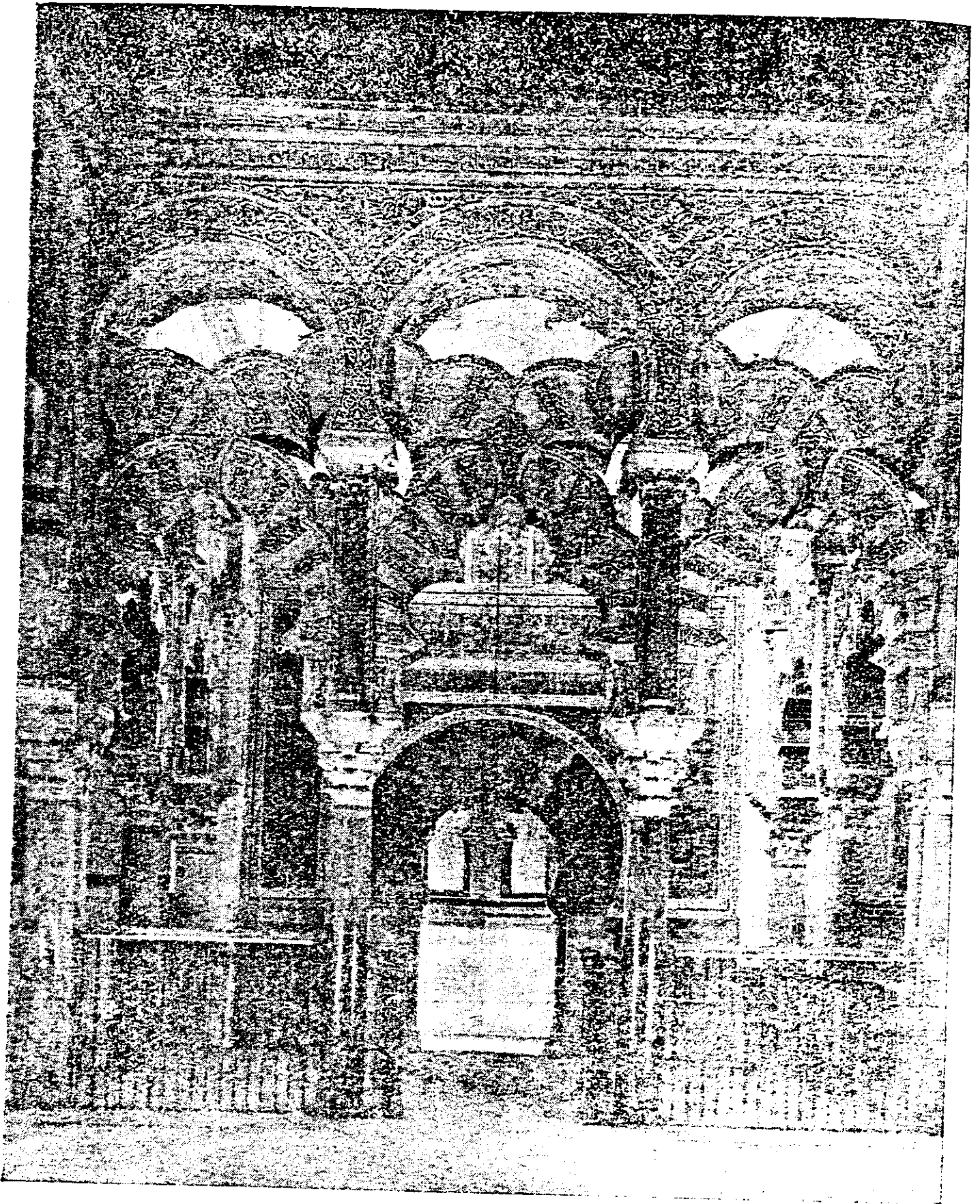




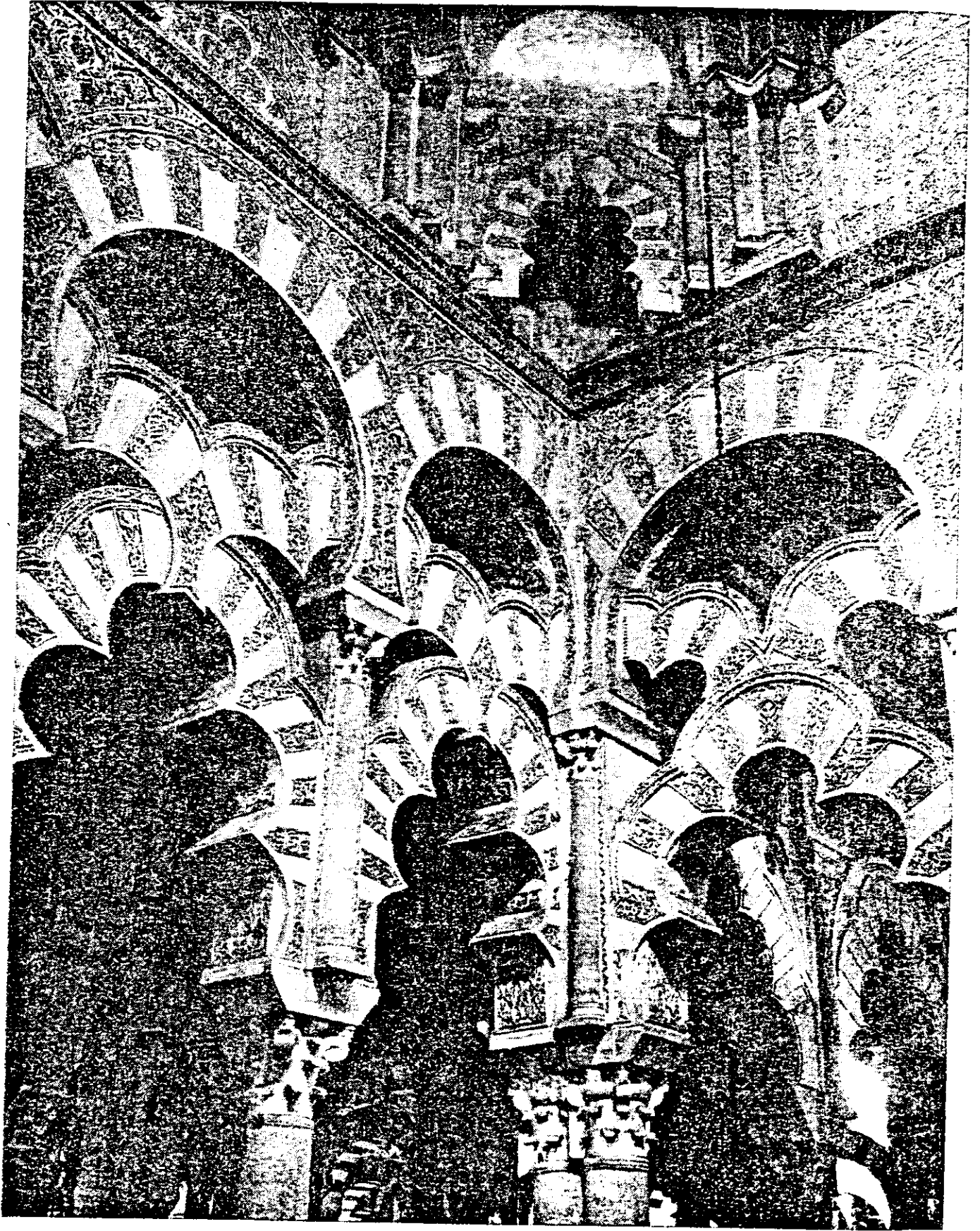
رواق الجامع الأزهر الذي بناه عبد الرحمن الداخل . هنا يبدو جمال الأقواس المزدوجة التي ابتكرها المعمارى العبقري .



بقية جدار جامع عبد الرحمن الداخل وبداية الزيادة التي أضفها عبد الرحمن الأوسط .



مدخل محراب جامع قرطبة ، قطعة ننية فريدة في نوعها .



داخل محراب جامع قرطبة : آيات فنية بعضها فوق بعض ، بفيض عليها النور . . نور الله

نور على نور ..

آثرت أن أفرد لهذا القسم الثالث من المسجد - أو المسجد الثالث ، إذا شئت - فصلاً قائماً به ، لأنه عمل فني كامل ، ابتكار فني معماري فريد في بابيه ، وإن كانت يد الفن الماهرة قد عرفت كيف توفقت بينه وبين مسجد عبد الرحمن الداخل وزيادة عبد الرحمن الأوسط على نحو من الرقة واللطافة لا تستبين العين معهما انتقالاً حاداً أو مفاجئاً ..

وربما كان هذا في ذاته رمزاً على ما دخل على دولة بني مروان في الأندلس من تطور بعيد المدى على يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر ، والذي يكتبه بعض المحدثين - مجازاة للأوروبيين في أسلوبهم في تلقيب ملوكهم - عبد الرحمن الثالث ..

فقد تولى عبد الرحمن الناصر سنة ٩١٢ والفتن على أشدها ، كان نفر من الظاهريين في نواحي الأندلس قد أغرهم الحُكم العادل اللين بالجروج عن الطاعة ، والأندلس - كما رأيت - بلد عسير الطبيعة لا يسهل جمعه تحت راية واحدة . ولم يتوحد شبه الجزيرة قبل العرب أبداً ، ولم يتوحد بعدهم إلا في القرن الثامن عشر .

وكان عبد الرحمن الناصر يعرف هذه الطبيعة الجموح وما يتطلبه تذليلها من جهد ، فشمّر عن ساعد الجد ومضى يعمل ستاً وعشرين سنة متوالية ،

لم يسترح له فيها جنب ، حتى أوفى على الغاية وجمع أطراف بلده حول راية قرطبة ، وأظله بالعدل والسماحة وساسه بالعقل وبعد النظر والرفق والكياسة ، فأزهر وأنبع ، ورفرف الرخاء على رباه ونشطت النفوس واشرابت الآمال ، وغدا الأندلس بيمن هذا الناصر المبارك جنة الدنيا تتألق في قلبه قرطبة ، أزهر حواضر أوروبا كلها إذ ذاك . .

وفي خلال هذا الجهد المتصل ، بعد أن مهد البلاد وأقر الأمن والأمان ، وجد أن لقب الإمارة لم يعد يتناسب مع الجلال الذي صار إليه ، وأنه لا يضمنى على ملك الأندلس الرواء الجدير به بين ملوك أوروبا - وكان فيهم من يتخذ لقب الإمبراطور - فاتخذ لقب الخليفة ، وأصبحت قرطبة مركز أول خلافة إسلامية قامت على أرض أوروبية ، والثانية خلافة آل عثمان في القسطنطينية .

وكان لا بد لهذه الخلافة الزاهرة من مسجد جامع خليق بروائها ، وقد كان عبد الرحمن الناصر قديراً على أن ينشئ جامعاً جديداً رائعاً ينسب إليه ، ولكن سلائل بني مروان في الأندلس كان فيهم حرص على التقاليد واستمسك بمناهج أجيالهم الأولى ، كأنهم كانوا يجرون في سياستهم على الحديث النبوي الشريف الذي يقول : « لا يصلح هذا الأمر إلا بما صلح به أوله » .

وكانوا يعرفون أيضاً أن وحدة الدولة والوطن لا تقوم إلا على أساس من وحدة التاريخ ، ومهما بلغ من رواء ملك عبد الرحمن فهو بناء على ما أسس جدّه عبد الرحمن الداخل ، وما دام هذا قد أنشأ ذلك المسجد وجعله محراب جماعة الإسلام في الأندلس ، فليظل كذلك ، لا تُخلع عنه هذه الصفة ولا يُنقل عنه هذا الشرف إلى غيره ، وليوسّع هذا المسجد وليُضف عليه من جمال الفن وجلال الخلافة ما شاء إبداع الفن ونمو الحضارة وما قدّرَ جَاهُ الخليفة ...

وقد احتفل عبد الرحمن بهذه الزيادة الجديدة ما شاء له الاحتفال ، وعهد في الإشراف عليها كما قلنا إلى ابنه الحكم - وكان آية من آيات ربه في العلم والفهم وصفاء القلب وصدق النية - وأردفه بكبير علماء قرطبة في وقته

وقاضيا وخطيب مسجدها الجامع منذر بن سعيد البلوطي ، وأفرغ عليهما من الأموال ما يلزم لهذا العمل الجليل . .
لا غرابة إذن في أن تجيء هذه الزيادة جامعاً جديداً قائماً بذاته داخل الجامع القديم . .

وقد ذكرنا كيف عرف المهندسون الأندلسيون أن يوفتوا بين ما ابتكروه في هذه الزيادة الجديدة ونظام المسجد الأول وزيادته . .
ووصفنا مدخل الزيادة ، وبيننا ما تمتاز به من تجديد وابتكار . .

ونحب أن نستلقت نظرك قبل أن نمضي مع الوصف إلى أن هذا الجزء من الجامع ، وجزءاً كبيراً من زيادة عبد الرحمن الأوسط - التي خلفتها وراءك - قد نالها تغيير كبير أضاع الكثير من روائهما بعد أن خرجت قرطبة من دار الإسلام . .

فتمى أعتاب ستقوط البلد وتحويل المسجد الجامع إلى كنيسة جامعة (كاتدرائية) أيام فرناندو الثالث احنقر القسس وأنشأوا كنيسة صغيرة يُدخل إليها من أحد أبواب المسجد الشرقية المفضية إلى الشارع المسمى المَحَجَّة العظمى (يسمى الآن شارع تورينخوس) وهو الباب الذي يسمى اليوم باب القديس ميخائيل (پويرتا دِسان ميجل) وأقاموا في وسط المسجد تماماً - إلى يسار الرواق بين العمودين الثاني عشر والخامس عشر في اتجاه المحراب - مصلى تراه إلى يسارك إذا وقفت في هذا الموضع من الرواق ، وهم يسمونه اليوم « الكُورو » أي قلب الكنيسة . .

وأما ما أدخل من التغيير على زيادة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر فنشير إليه بعد قليل . .

والمهم لدينا أن هذه التغييرات شابت جمال المسجد الجامع وأضررت بوحدته الفنية الرائعة ، فبعد أن كنت إذا أفضيت من الباب إلى الرواق وجدت نفسك في روضة مترامية من الأعمدة تبسق من أعاليها الأقواس اثنين اثنين ،

فتحس أنك في غابة نخيل من مرمر مختلف ألوانه ، سعفه تلك الأقواس البديعة بيضاء وحمراء ، حتى يستقر بصرك على المحراب وما يؤدي إليه من أشكال هندسية تأخذ بمجامع الألباب ، أصبحت تجد هذه الكنيسة القديمة ثم الكاتدرائية من خلفها كأنهما جلمودان يأخذان عليك مذاهب النفس والبصر ، وبحولان بين خيالك واسترساله مع أمواج العاطفة والإيمان وإشراق النفس . . وهذا بعض ما أصاب هذا المسجد العظيم على يد الزمان وأهل الزمان . .

* * *

انتهينا في مطافنا إلى البلاطة التي تلى مدخل زيادة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر . .

وقفنا تحت قبتها ، لتأمل الإعجاز الفني الذي خلعه المهندس والصانع العربيان عليها . .

إذا نظرت إلى يمينك لاحظت أن هيئة القوس تختلف عما رأيت إلى الآن في هذا الجامع . .

إنه قوس من خمسة فصوص . .

وفوقه وضع المهندس قاعدة أخرج منها قوسين صغيرين ، أحدهما يمشى إلى اليمين والثاني إلى اليسار . .

وفوق هذين القوسين وضع قوساً ثالثاً . .

وفوق ذلك كله رفع قبة تقوم على عروق متشابكة من الحجر . .

إنها قبة صغيرة ، ولكنها آية من آيات الفن . .

وهي واحدة من ثلاث قباب تزين سطح هذا المسجد العظيم . .

الثانية والثالثة فوق البلاطتين اللتين تقعان عن يمينك وعن يسارك . .

ليس في الدنيا أجمل من هذه الأقواس المتشابكة التي تراها إذا رفعت

بصرك إلى أعلى وأنت تحت هذه القبة . .

إنها خيمة معلقة في الهواء ، خيمة من حجر أشبه بفروع الشجر ، ولكنها

بلغت من الدقة والرقعة بحيث يخيل إليك أنها مرسومة في الهواء . .

لقد استهوت هذه البلاطات الثلاث أفئدة الإسبان . عندما حولوا المسجد إلى كنيسة جعلوا الوسطى منها مصلى سموه المصلى الملكى (كابياريال) واليمنى مصلى آخر سموه باسم بلد صغير فى إقليم قرطبة : فَيَا ثِيُوسَا ، والتي إلى اليسار سموها مصلى الرسول بطرس . .

بيننا وبين المحراب الآن سبعة أقواس من الطراز المزدوج العام فى المسجد . بعد أن تقطعها تجد نفسك أمام آية أخرى من آيات الفن فى كل العصور . . .

* * *

أراد الفنان أن يهيب نفس المقبل على المحراب ، لأنه ليس محراباً عادياً يشبه ما رأيت إلى الآن فى مساجد الإسلام . .

لذا قدم بين يديه بثلاث بلاطات بديعة تبدو للرائى وكأنها ثلاثة أقواس نصر رائعة . .

الأقواس فى هذه البلاطات الثلاث مركبة متشابكة ، السفلى منها من سبعة فصوص ، ومن أعلى كل منها فرع المعمارى نصف قوس يستم فى البلاطة التى عن يمين وعن شمال . .

وفوق الأعمدة الأولى رفع الثانية ، من المرمر هذه المرة . .

وعلى هذه الأعمدة العليا أقام الأقواس الثانية . .

وفوق هذه البلاطات أقام قباباً أو مناور ينفذ منها ضوء باهر . .

المنظر من بعيد يحار فيه النظر . .

خلف هذه « الدنتلا » من الحجر يفيض النور ، نور الله سبحانه وتعالى . .

فيض رائع من نور البارئ تعالى يملأ بيته سبحانه . .

لم أر فى حياتى تصويراً أروع من هذا لقول الله سبحانه وتعالى يصف

ذاته القدسية : (نور على نور) . .

وهذا النور الربانى كله يبدو لك من خلال الأقواس والأعمدة التى

وصفناها وكأنه خيال . .

إنه الفن الصافى يسبح معك لله بارئ الأرض والسموات . .

فإذا أفضيت إلى هذه البلاطة السابقة للمحراب ، ووقفت وسط هذا الفيض من نور الله ، واستدرت وراءك ل ترى ما قطعت إلى الآن من المسجد ، رأيت عجباً أى عجب . .

فهذه هى الأعمدة والأقواس تتوالى أمامك فى نسق كأنها طريق لا ينتهى ، والرواق يمتد أمامك إلى الباب كأنه طريق فى غابة من الشجر يهتز ويتمايل . . أرجو أن تضيف إلى هذا شيئاً . .

فإن الرواق ينتهى عند الباب الذى دخلت منه فى شبه ظلام ، وما كان هكذا على أيامنا . .

كان الباب الرئيسى للمسجد يقع فى آخر هذا الرواق - أو أوله بتعبير أصح - ولم يكن باباً ، وإنما كان قوساً عظيماً يفضى إلى الصحن غير المسقوف المسمى اليوم بهو البرتقال . .

أى أنك لو كنت فى مكانك هذا أيام الحكم المستنصر مثلاً ، لرأيت الصحن المكشوف وفيه أشجار البرتقال ترف مع النسيم . . نور من خلف ، ونور من أمام . .

ونعود إلى المحراب . .

إنه لا يشبه المألوف من المحاريب ، فهو ليس تجويفاً فى الجدار مزيناً بالزخارف والألوان كما هو الحال فى غيره من المساجد ، بل هو أشبه بصومعة تدخلها من مثل باب مسجد . .

هذا الباب الزخرفى على هيئة حدوة حصان مرفوعة فوق قواعد من الرخام . أحجار القوس كلها ملونة تزينها الزخارف يحيط بها من خارج القوس إطار زخرفى .

الجدار حول العقد وفوقه منقوش تزيينه كتابات .

بلى ذلك من أعلى ، وحتى السقف ، صف من الأقواس الزخرفية انصاء . يخيل إليك أنها تصوير باليد لأعمدة المسجد وأقواسه فى زيادة الحكم المستنصر .

وداخل هذه الأعمدة والأقواس زخارف زهرية تضيء على هذه الواجهة خفة ونضارة ، وإطارات قوس الباب مزخرفة بكتابات يزعم أدلاء المسجد لمن يسرون معهم من السائحين أنها أسماء المهندسين الذين بنوا الجامع . . وإليك قراءة هذه الكتابات :

كتابة الإطار الخارجى لواجهة المحراب تبدأ من السطر الأول من اليمين من أسفل ، وتصعد ثم تسير من اليمين إلى اليسار ، ثم تنحدر إلى أسفل اليسار . .

وكذلك السطر الثانى . .

الكلمات الأربع الأولى من السطر الأول ليست شيئاً مفهوماً . إنها تقليد لهيئة الكتابة العربية ، لأن الذين رموا المسجد سنة ١٨١٦ وجدوا أن الكتابة والزخرفة سقطتا من هذا الجزء ، فأكمله بتقليد هيئات الحروف العربية حتى لا يبقى فراغاً . . وبعد ذلك تقرأ الآية السادسة من سورة السجدة : (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) . .

ثم الآية ٦٥ من سورة غافر ، تقرأ منها من أسفل إلى أعلى : (هو الحى) . وتستمر الآية فى السطر الأعلى من اليمين إلى اليسار : (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين) . وبقية السطر : موفّق الإمام المستنصر بالله عبدالله الحكيم أمير المؤمنين أصلحه الله .

ثم تستمر الكتابة من أعلى إلى أسفل : لهذه البنية المكرمة ومعينه على نيته الخالصة فى التوسع لرعيته . . وبقية السطر مظموسة .

والسطر الثانى - ابتداءً من أسفل اليمين - أوله لا يقرأ لأنه نقش زخرفى فى هيئة الكتابة الكوفية ، ثم بعد ذلك تقرأ من أسفل لأعلى : ما إليه وإلهم الرغبة فيما ابتدا من فضله فيهم ، وصلى الله على محمد وسلم .

والسطر الثانى من أعلى من اليمين إلى اليسار ، ثم من أعلى إلى أسفل : أمر الإمام المستنصر بالله عبدالله الحكيم موليه (أى مولاه) وحاجبه جعفر

ابن عبد الرحمن رحمه الله بتشيد هذه البنية ، فتم بعون الله بنظر محمد بن تمليح ومحمد بن نصر وخلد (= خالد) بن هاشم أصحاب شرطته ومطرف ابن عبد الرحمن الكاتب ..

وتحت هذين السطرين ، وفي إطار مستطيل من اليمين إلى اليسار : (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم نص الآية ٢٣ من سورة الحشر : (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) .

وعند قاعدة القوس (العقد) على اليمين واليسار كتابتان تتألف كل منهما من ثلاثة سطور .

على اليمين ، بعد البسمة ، الآية ٤٣ من سورة الأعراف : (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . وبعد ذلك : أمر الإمام المستنصر بالله عبدالله الحكيم أمير المؤمنين ..

وعلى اليسار يستمر الكلام : أصلحه الله موليه (= مولاة) وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن ، رضى الله عنه بنصب هذين المنكبين فيما أسسه على تقوا (= تقوى) من الله ورضوان فتم ذلك في شهر ذى الحجة سنة أربع وخمسين وثلث مائة (ثلاثمائة) ..

ونقوش الواجهة وكتابتها محلاة بالفسيفساء ، وهي المعروفة في اللغات الأوروبية باسم موزايك أو موزايكو .

يصنعونها بأن يقطعوا الحجر مكعبات صغيرة ضلع الواحد منها سنتيمتر أو أقل ، ثم يغمسوها في الألوان : أزرق وأحمر وذهبي وأصفر ورمادي ووردي ..

ويرسمون الرسم الذي يريدون على الموضع المراد رسماً خفيفاً بالفحم ، ثم يلصقون قطع الفسيفساء على خطوط الرسم وظلاله ، فتكتمل الصورة بهذه القطع ..

هذا الفن ابتدعه المصريون في العصر المسيحي ، وعنهم أخذه البيزنطيون وجودوه ، ثم انتقل إلى عرب المشرق . .

وفي عهد الحكم المستنصر ، وأثناء بناء جامع قرطبة ، كانت هناك علاقات ثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الأموية في قرطبة : كانوا يتبادلون الكتب والعلماء وأشياء الفن . ورأى قسطنطين السابع أن يبعث إلى الحكم المستنصر هدية من هذه الفسيفساء ، فطلب إليه الحكم أن يبعث معها بعاملين يعلمان صناع قرطبة وضع الفسيفساء ، ففعل . وتعلم القرطبيون هذا الفن وطبقوه على واجهة المحراب ، فجاءت آية في جمال الفن .

الألوان الغالبة عليها الأزرق العربي ، وهو ذلك الأزرق الصافي المتوسط العمق ، وهو مشهور في عالم الألوان باسمهم (بلو دارابي) ، ثم الذهبي والأحمر .

• • •

ونفضى إلى داخل المحراب . .

إنه مقصورة صغيرة ذات أضلاع . .

جدرانها مبطنه من أسفل بالرخام الأبيض ، ثم يلي ذلك عقود زخرفية صماء ، ثم إفريز محلى بالكتابة ، يليه إفريز زخرفي صغير .

وفوق هذا أقام المعمارى المبدع سقف المحراب . جعله من قطعة واحدة من الحجر ، هيأها على صورة المحارة مقسمة إلى فصوص زخرفية . .

والإفريز الأول المكتوب يضم نص الآيتين ١٠٢ - ١٠٣ من سورة آل عمران ، وأنت تقرأهما من اليمين إلى اليسار :

(بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

نبوءة بالغيب من صاحب الغيب سبحانه .
إنذار من الله بما سيكون . . .

وما كان الله ليذكر أهل الأندلس بنعمة من نعمه أجدى عليهم من الاتحاد
والاعتصام بحبله ، فإن الخطر الأكبر الذى كان يهدد هذا الأندلس العربى
الإسلامى هو التفرق ، فبلدهم ثغر وجبهة قتال ، والأعداء من حولهم كثيرون .
ولكنهم نقشوا كلام الله سبحانه بأيديهم ولم يعوه بقلوبهم . . .
وتفرقوا ، واختلفوا ، وتحاقدوا ، وتحاربوا . . .
وعادوا على شفا حفرة من النار . . .
وأكلتهم النار !

وما قاساه أهل الأندلس نتيجة للتفرق لم يكن غير النار والدمار وضياع
الأهل والولد والدين والديار . . .
وسبحان من أنذر فأعذر ، وأرسل كلماته هدى ونوراً لمن أراد الهدى
والنور . . .

رحم الله أبا إسحق إبراهيم بن خلفاة حين قال يرثى بلنسية :
عائت بساحتك الظبى يا دارُ ومحا محاسنك البلى والنارُ
فإذا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت النوى بقطينها وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها : لا أنت أنت ، ولا الديار ديار

وتحت هذا الإفريز الذى زانته هذه الآيات الواعظة ترى إفريزاً آخر
واسعاً تقرأ فيه الآية ٢٣٨ من سورة البقرة مسبوقة بالبسملة : (حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ، وبعد ذلك : أمر الإمام
المستنصر بالله عبد الله الحكيم أمير المؤمنين أصلحه الله ، فيما شيد من هذا
المحراب بكسوته بالرخام داخله فى جزيل النور وكريم المنار ، فتم ذلك على يدى
موليه (مولاه) وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن ، رضى الله عنه ، بنظر

محمد بن تملیح وأحمد بن نصر وخلد (خالد) بن هاشم أصحاب شرطته، ومطرف
ابن عبد الرحمن الكاتب في شهر ذي الحجة من سنة أربع وخمسين وثلاث
ماية (ثلاثمائة) (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة
الوثقى) وإلى الله عاقبة الأمور) (سورة لقمان ، آية ٢٢) .

وفي إفريز ضيق ، يدور مع المحراب تحت الأقواس الزخرفية ، تقرأ
الآيتين ٥ و ٦ من سورة المائدة : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى
الكعبين . وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء
أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) .

وفي هذا المحراب كتابات أخرى ، بعضها آيات قرآنية وبعضها توقيعات
من اشتركوا في عمله . والمسجد كله حافل بهذه الكتابات ، يطول بنا الأمر
لو مضينا نذكرها واحدة واحدة . .

ولكن تهمنا تلك التي تعين تواريخ عمل بعض أجزاء هذا العمل الفني
العظيم .

فعلى القوسين المؤديين إلى البلاطة السابقة على المحراب تقرأ : الحمد لله
على الهدا (الهدى) ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أمر الإمام المستنصر
بالله عبدالله الحكيم أمير المؤمنين وفقه الله موليه (مولاه) وحاجبه جعفر بن
عبد الرحمن ، رحمه الله ، بعمل هذا المشرع إلى مصلاه ، فتم بعون الله
بنظر محمد بن تملیح وأحمد بن نصر وخلد (خالد) بن هاشم ومطرف بن
عبد الرحمن الكاتب . الحمد لله . .

وتقرأ أيضاً : بسم الله الرحمن الرحيم . أمر عبدالله الحكيم أمير المؤمنين
أصلحه الله موليه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، بعمل هذه

الفسيفساء في البيت المكرم ، فتم جميعها بعون الله سنة أربع وخمسين
وثلث مائة .

وغير ذلك كثير . . .

والذى ضاع وتفرق من هذه الذخائر أكثر مما بقى . :

فقد وجدوا مثلاً - في سنة ١٨٤٤ قطعة من عقد من المرمر وهم يحفرون
في شارع رُوَيْلَاس كتب عليها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم . أمرت السيدة « مُشْتاق » أم الأمير المغيرة بعمل
هذا المنار والسقيفة المنضمة له ، وتجديد طرر هذا المسجد ، فتم بعون الله على
يدى جعفر بن عبد الرحمن فتاها . . . في شهر رمضان [سنة] . . . بين
وثلث مائة » .

وإذن فقد كان أمراء وأميرات البيت الأموى يضيفون إلى هذا المسجد
قدر ما استطاعوا ، كأنه كان ديوان بيتهم يجتهد كل منهم في الإضافة إليه
ووضع اسمه فيه . . .

والأمير المغيرة نحن نعرفه . إنه ابن عبد الرحمن الناصر وأخو الحكم
المستنصر . وقد قتل غيلة عقب موت أخيه . خاف محمد بن أبى عامر
وأصحابه الطامعون في الدولة أن يصل إلى العرش من دون الغلام الصغير
هشام بن الحكم المستنصر ، فيضيع سلطانهم ، فقتلوه . . .

* * *

على يمين هذا المحراب البديع وعلى يساره أقام المعارى غرفاً أو مقاصير . .
في الأولى منها - على يمين المحراب - كان يوضع مصحف ذى النورين
عُمان . .

كان قد أتى به - أو زعم - إلى بنى أمية ، وعليه قطرات من دمه الزكى . .
في هذه المقصورة كان يُحفظ على وساد من مخمل يحمله كرسي مطعم
بالصدف . ويوم الجمعة من كل أسبوع ، كان يُخرج قبل الصلاة ، ويؤتى
به للقارئ في المحراب ، فيقرأ منه ما شاء الله له أن يقرأ . .

والمقاصير الأخرى كانت مخازن لحاجات المسجد : كتب وشموع
وما عسى أن يحتاج له قومته وخدمه . .

المقصورة الأولى إلى اليسار وسعوها وغيروا شكلها بعد تحويل المسجد
الجامع إلى كنيسة . إنها اليوم مصلى باسم القديسة تيريزا (كاييّا دِسانتا
تيريزا) ومستودع لذخائر الكنيسة (تيسورو) . .
والبلاطة التي أمامها تسمى العشاء الرباني (سانتا ثنا) . .

وفي أيام الخلافة القرطبية كانت البلاطة الواقعة أمام المقصورتين الأولى
والثانية على يمين المحراب مقصورة يصلى فيها الخلفاء .

وكان الخلفاء يدخلون إليها من باب مواجه لها ، وهو في نفس الوقت
أمام باب القصر على الجانب الآخر من شارع المحجة العظمى . ولم يكن الخليفة
يعبر الطريق ، وإنما كان يمر في قنطرة فوق الشارع من قصره إلى باب
الجامع . .

هذه القنطرة كانت تسمى السباط ، وباب المسجد الذي تنتهي عنده هو
باب السباط . .

ولا زال هذا الباب باقياً إلى اليوم . .

* * *

إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي المسجد . .

على هذه الصورة كان ينبغي أن يظل أبداً ، فقد وصل جداره إلى
« الرصيف » على ضفة الوادي الكبير . .

ولكن ، فيما بين ٩٨٠ و ١٠٠٢ استبد بأمر الأندلس محمد بن أبي عامر
الملقب بالمنصور . .

كان — كما ذكرنا — عبقرياً من عباقرة السياسة والحرب . .

أقام لنفسه داخل الدولة الأموية دولة تسمى الدولة العامرية ، وقضى على
منافسيه في عنف وقسوة ، وتتبع بالأذى كل من توسم فيه النجابة من
بني أمية . .

وعند ما أصبح هذا الرجل كل شيء ، لم يعد في الأندلس شيء . . .
 ودولة تقوم على عمود واحد ، لا بد أن تنهار عندما يزول هذا العمود
 الواحد . . .

وهذا هو ما حدث بالفعل . . . بعد المنصور جاء ابنه المظفر ، فحكم سبع
 سنوات . . . ثم ابنه الثاني عبد الرحمن المعروف بشنَجُول فحكم أقل من
 عامين . . .

وفي سنة ١٠٠٩ قتل شنَجُول ، وانتثر عقد الدولة ، وبدأت الفتنة . . .
 ولم تعد وحدة الأندلس بعد ذلك أبداً . . .

وفي سنة ١٠٣١ زالت الخلافة الأموية من الوجود ، وبدأ النزاع الطويل .
 وقد كانت أيام المنصور كلها فتوحاً وأمجاداً ، ولكنها كانت مجرد
 طبول : دوى عظيم وفتح قليل . . . ففنى غزواته التي قاربت الخمسين لم يقض
 على واحد من أعداء الأندلس قضاءً نهائياً ، ولا حول قاعدة من قواعد
 المحموم إلى قاعدة من قواعد الإسلام . . . وكان مجده ، من كل ناحية ،
 مجداً حريباً كله آلام ودماء ، لنا قبل غيرنا . . .

ولكى ينسى الشعب آلامه ودماءه ، اجتهد ابن أبي عامر في أن يبهز
 أنظاره بكل عجيب من الأعمال . . .

ومن هذه الأعمال العجيبة تلك الزيادة التي أضافها لجامع قرطبة . . .

أراد أن يضيف إلى الجامع جزءاً يزيد على ما أضافه سابقوه . . .
 ولكن كيف وقد وصل الجامع إلى النهر ، ولم يعد يقبل إضافة في الاتجاه

الطبيعي ؟

وكما حطم المنصور كل القوى لبني مجده ، أضاع تناسق الجامع ليضيف

زيادته .

وسع الجامع من ناحيته الشرقية : أضاف إليه بطول هذه الناحية ما يزيد

على ثلث مساحته أيام الحكم المستنصر .

أضاف وحده ٢٤٥ عموداً وقوساً ، اجتهد في أن تكون من طراز عهد

المسجد وأقواسه . وهى بالفعل تبدو وكأنها كذلك ، ولكن الفرق بعيد لمن يتأمل من قريب .

وأبسط هذه الفروق أن الأقواس تبدو من بعيد وكأنها مبنية بالحجر والطوب الأحمر كبقية أقواس المسجد ، ولكنها فى الحقيقة كلها حجر ، واللون الأحمر طلاء ..

وكذلك جدار المسجد الشرقى وأبوابه التى صنعها المنصور ، لا تقارن فى البهاء والدقة بالجدار الغربى وأبوابه ..

المهم لدينا أن المسجد أصبح بهذا أضخم ما بناه العرب من المساجد .. وكما أضاف المنصور إلى صحنه المغطى أضاف إلى صحنه غير المغطى ما يعادل ثلثه ، وأدار السور على ذلك كله ..

وهذا الصحن غير المغطى هو المسمى اليوم بفناء النارنج (أى البرتقال) . وهو أيضاً فريد فى بابه ، لأن الفقهاء كانوا يحرمون غرس الأشجار فى صحنون المساجد غير المغطاة ، ولكن فقهاء الأندلس أباحوا ذلك ، وكان الذى أفتى بذلك انفتية صعصعة بن سلام الشامى (توفى سنة ٧٧٤) . وكانت هذه الفتوى مدار مناقشات طويلة بين الفقهاء .

ولا زال شجر البرتقال قائماً فى الصحن إلى الآن ، وإن كان قد أعيد غرسه وتنظيمه على نظام سياحى جديد ، وأضيفت إليه بضع نخلات ونافورات ..

وكانت للمسجد ميضأة عظيمة وسط الفناء المكشوف ، ساق الخلفاء إليها الماء من الجبل فى قنوات من الرصاص ، كان الماء يجرى فيها ليلاً ونهاراً . ولكى يضيف المنصور إلى الجامع شيئاً جديداً ، أنشأ تحت الميضأة صهريجاً عظيماً يتكون من تسعة أقبية تقوم على أربعة أعمدة واثني عشر قوساً . ولا زالت آثار هذا الصهريج باقية إلى اليوم ..

وكان يحيط بالمسجد سور عظيم فيه سبعة عشر باباً ..

ولم يكن للصحن المسقوف أبواب تؤدي إلى الصحن غير المسقوف ، بل الأقباس كانت هي الأبواب ، فكان الضوء يدخل منها ويملأ الجامع نوراً . . ومن ناحية النهر ، أنشأ الحكم المستنصر والمنصور رصيفاً (أى كورنيشاً) جميلاً بطول الجامع ، وكان هذا أيضاً من متزهات قرطبة . .

أما مثذنة الجامع فكانت آية في الجمال ، كانت تقوم إلى يمين الداخل من باب فناء النارج - وهو يعرف اليوم بباب المغفرة (پويرتا ديل پردون) - وكان ارتفاعها نحو ٤٥ متراً ، وكانت أشبه ببرج عظيم ارتفاعه ٣٠ متراً فوقه مثذنة طولها ١٥ متراً . .

هكذا كان الجامع عندما خلفناه وراءنا وتركناه وحيداً عند سقوط قرطبة سنة ١٢٣٦ . .

• • •

كان لا بد أن يدفع هذا العزيز الوحيد ثمن تخليتنا عنه . .

لقد حوله الغالبون إلى كنيسة جادة (كاتدرائية) ، وأصبح اسمه من ذلك الحين « لاكاتيدرال » . في كتب السياحة يسمونه : لاميشكيتا كاتيدرال ! حولوا مثذنته إلى برج أجراس . .

وفي قلبه تماماً ، وخلف الكنيسة التي أنشئت فيه عقب سقوط قرطبة ، أنشأوا في جزء من زيادة عبد الرحمن الأوسط وجزء من زيادة المنصور كنيسة كاملة تتكون من مذبح ومصلى ومصلب وخلوات للاعتراف . .

أنشأوا ذلك كله على أسوأ صورة فنية يتصورها العقل : أزالوا ٨٠ عموداً وقوساً والسقف الذي فوقها ، وبنوا شيئاً ثقيلاً ينكره من يراه من النصارى قبل المسلمين . .

وإلى جانب المحراب والقبلة أقاموا مصلى يعرف بمصلى القديسة تيريزا ، إلى جانبه مستودعات لذخائر الكنيسة كما ذكرنا .

ولكى يسود داخل البناء الجديد انظلام الذي يقولون إنه لا بد منه للخشوع

الكاثوليكي ، أقاموا جداراً بين صحن الجامع وفناء النارج ، وسدوا ١٣ من أبواب الجامع بالحجارة ، فأصبح الجامع مظلماً في كثير من أجزائه . وفي وسط الجامع تماماً - عند الكنيسة التي أنشأوها - ينعدم الضوء تقريباً . . .

وأضافوا أشياء أخرى ، واجتهدوا ما وسعهم في إزالة المعالم الرئيسية لذلك الجامع الأصيل . . .

ويقال إن شارل الخامس - المعروف بالإمبراطور شرلكان - عندما دخل الجامع أول مرة بعد إنشاء الكنيسة في قلبه ، تأسف إذ سمح للتساوسة بهذا التشويه ، وقال لهم : لقد بنيت هنا ما كان يمكن بناؤه في أي مكان آخر ، فضيغتم بعملكم هذا ما كان أثراً وحيداً في الدنيا . . . ولكن ، رغم ذلك كله لا زال المسجد مسجداً . . .

رغم الجدران والسدود والأجراس والظلام والمصنبيات وصور القديسين ، لا زال الجامع جامعاً ، جامعاً تتردد فيه آي القرآن في نغم طويل خافت ، كأنه صوت عتاب أو سوط عذاب . . .

وقرطبة اليوم هي الجامع ! هامش على المبنى العظيم ، هامش ضخم ، ولكنه هامش !

والذي يأخذ القطار من مدريد إلى قرطبة ثمانى ساعات ، لا يفعل ذلك ليشرّب القهوة في ميدان خوسيه أنطونيو ، بل لكي يزور ذلك العزيز العظيم . وفي دليل قرطبة الرسمي يحاونون أن يصرفوك عنه ، ويزينون لك زيارة الكنائس التي أنشأوها ، والمعالم التي جدت فيما بعد : كنيسة سانتا فكتوريا ، مذبح عذراء المصاييح ، برج مالويرتي ، كنيسة سان فرانسيسكو ، كنيسة سان خاينتو ، قلعة قنّهرة ، تمثال انتصار سان رافايل ، وما إلى ذلك . . . ولكن الزائر يسأل أولاً عن الجامع ، ولا يزور غير الجامع . . .

وعندما يخرج يتجه إلى شارع تورينخوس ويتأمل واجهة الجامع الغربية ،

ثم يمضي لينظر المكان الذي كان يقوم فيه قصر الخلفاء في مواجهة الجامع من هذه الناحية .. ثم يسرع بمبارحة قرطبة ..

ولكننا نحن العرب لا نزور قرطبة سائحين ..

إننا نزورها كما يعود النازح المغرب إلى وطنه وبلده . قد يكون كل شيء فيه قد تغير ، ولكنه يظل وطنه وبلده وموضع حينه ..

يقف في موضع ما قام فيه مبنى جديد سامق فيحس كأنه لا يراه ، إنما هو يرى البيت الصغير الذي كان قائماً قبله ، البيت الذي ولد فيه أو ولد فيه واحد من أترابه ، ولعب معه في رحابه ؛ ويمضي مع الذكريات ..

وقرطبة بلدنا ، مهد من مهادنا : هنا عشنا ، هنا سعدنا ، هنا بنينا وأعلينا ، وهنا أيضاً أصابنا الزمان وبكىنا ..

بعد أن نخرج من الجامع نمضي في الشوارع الصغيرة المحيطة به . نتمشى في طرقاتها الصغيرة التي تشرح النفس بنظافتها وروائها ، ونقول : هنا كان يقيم أهل العلم من أساتذة وطلاب ، في هذه الدور سكنوا ودرسوا وقضوا الليل يستذكرون أو يؤلفون ..

وهنا أيضاً كانوا يسمعون أذان المؤذن مع السحر ، يتردد في نعاس الليل ، يدعو المؤمنين إلى بيت الله ..

وتستيقظ قرطبتنا على صوت المؤذن ، ويقبل الناس للصلاة على ضوء الشموع وقناديل الزيت ، ثم يسند أهل العلم ظهورهم إلى العمدة في انتظار موعد الدروس ..

ويقبل الشيوخ .. وتبدأ حلقات الدروس في أركان هذا القدس الفسيح ، وفي ركن معروف يجلس قاضي قرطبة وإلى جانبه كاتبه وأمامه المتقاضون يتكلم عنهم محامون بالمعنى الصحيح . كانوا يسمونهم خصوصاً أو محاصمين أو وكلاء ، وكانوا قانونيين مؤهلين يجيدون الأخذ والرد ويحسنون الدفاع ..

وقضاة قرطبة كانوا أشبه منشري النقض في أيامنا ، أحكامهم قوانين
يسجلها الناس ويطبقها بعد ذلك تفتة ..

وفي ركن آخر نجد جمعة من أهل الأدب ، يتطارحون الشعر ويروون
آخر ما وصلهم من شعر أهل مشرق ..

وهنا وهناك نجد رجالا قد اعتزلوا بأنفسهم يرفلون : هذا في التقه ،
وذاك في الأدب ، وذلك في الجغرافية أو الأعشاب والطب ..

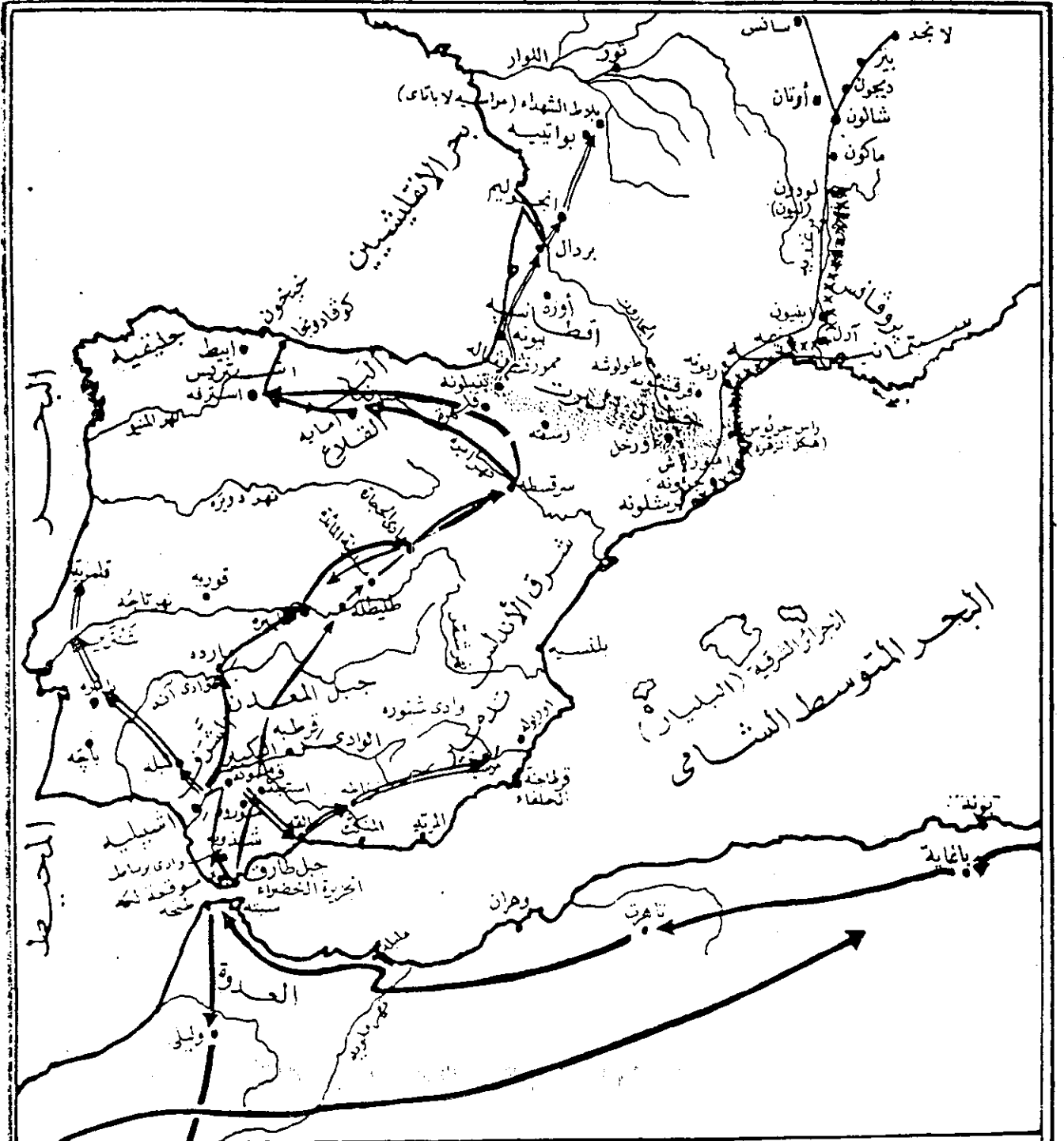
مسجد ، ومجلس قضاء أعلى ، وجامعة ..

جامعة بأدق ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، جامعة تخرج فيها علماء دارت
على علمهم الأرض وعاشت على نورهم الأجيال ..

نور ، على نور ، على نور ..

نور الله سبحانه ، ونور حق والعدالة ، ونور العلم والتعرفان ..

خريطة للأندلس توضح خط سير الفتح الإسلامي للبلاد



المحيط

- حملة السمج بن مالك (٧٢١)
- XXX الغزوات الأولى في غالة (حوالي ٧١٤)
- خط سير فتوح موسى بن نصير
- ⇒ فتوح عبد العزيز بن موسى
- حملة عنبسة بن سحيم على غالة (٧٢١)
- خط سير طارق بن زياد
- ⇒ غزوة عبد الرحمن الفافقي في غالة